

الكشف والبيان

المعروف

تفسير الثعلبي

للإمام الهمام أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي

ت ٤٢٧ هـ

دراسة وتحقيق

الإمام أبي محمد بن عاشر

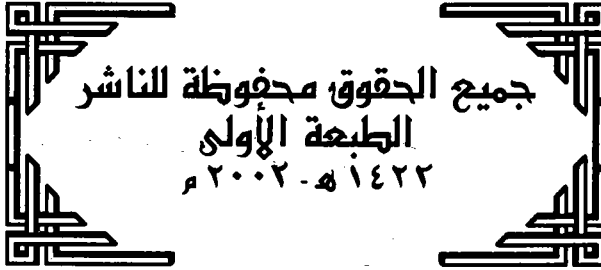
مراجعة وتدقيق

الأستاذ نظير الساعدي

الجزء الأول

دار الحياة التراث العربي

بيروت - لبنان



DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI

Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٧١٧ - ٨٥٠ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

الكشف والبيان
المعروف
تفسير الثعلبي

ترجمة الثعلبي

(ت ٤٢٧ هـ - ١٠٣٥ م)

هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، اقترن واشتهر اسمه باسم تفسيره، حتى عُرف تفسيره باسم (تفسير الثعلبي) والذي هو في الحقيقة (الكشف والبيان في تفسير القرآن) وبسبب كثرة شيوع الكتاب وانتشاره في البلدان ولسهولة النسبة لمؤلفه سُمي بالأول، وترجم له كثير من أصحاب التراجم والسير في كتبهم، منهم:

ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (١ / ٧٩ - ٨٠):

أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري، المفسر المشهور، كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف (التفسير الكبير) الذي فاق غيره من التفاسير، وقال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي وهو لقب لا نسب، روى عن جماعة، وكان حافظاً عالماً بارعاً في العربية موثقاً، أخذ عنه أبو الحسن الواحدي، وقد جاء عن أبي القاسم القشيري قال: رأيت رب العزة في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن قال الرب جل اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل.

وذكره عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في (تاريخ نيسابور) وأثنى عليه وقال: وهو صحيح النقل موثوق به، حدث عن أبي طاهر بن خزيمة، والإمام أبي بكر بن مهران المقرئ، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٧: ٣٠٧ ترجمة ٣٢٩٩):

أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء، وذكر ما تقدم.

ياقوت في «معجم الأدباء» (٥: ٣٦ / ٥):

المفسر، صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس، المعروف بتفسير الثعلبي، مات - فيما ذكره عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري، ونقلته من حاشية كتاب «الإكمال» لابن ماكولا، في محرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، فقال: أبو إسحاق الثعلبي المفسر، جليل، خراساني، وذكر وفاته. وذكره عبد الغفار في السياق فقال: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي،

المقرئ، المفسر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، ولكمال أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، وغير ذلك مما لا يحتاج إلى ذكره لشهرته، وهو صحيح النقل موثوق به، حدث عن أبي طاهر بن خزيمة، وأبي بكر بن مهران المقرئ، وأبي بكر بن هانيء، وأبي بكر بن الطراز، والمخلدي، والخفاف، وأبي محمد بن الرومي، وطبقتهم. وهو كثير الحديث، كثير الشيوخ - وذكر وفاته كما تقدم -.

قال: وسمع منه الواحدي التفسير وأخذه منه، وأثنى عليه، وحدث عنه بإسناد رفعه إلى عاصم، قال: الرياسة بالحديث رياسة نذلة، إن أصح الشيخ وحفظ وصدق فاحمى، قالوا: هذا شيخ كئس. وإذا وهم قالوا: شيخ كذاب. وله كتاب ربيع المذكرين.

ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢ / ٤٣):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي:

ويقال الثعلبي أيضاً، وهو لقب وليس بنسبة، النيسابوري المفسر المشهور، له التفسير الكبير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء (عليهم السلام) وغير ذلك، وكان كثير الحديث واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير، وذكره عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيشابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل موثوق به، توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وقال غيره: توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم منها، ورؤيت له منامات صالحة (رحمه الله)، وقال السمعاني: ونيسابور كانت حجة^(١) فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة.

السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٤: ٥٨ - ٥٩ / ترجمة ٢٦٧):

أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي: صاحب التفسير، كان أوحـد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء (عليهم السلام) ... إلى أن قال: روى عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبي محمد المخلدي، وأبي بكر بن هانيء، وأبي بكر بن مهران المقرئ، وجماعة. وعنه أخذ أبو الحسن الواحدي، ثم ذكر رؤيا القشيري ... ومن شعر الثعلبي:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق عليّ فما ينفك أن يتفرّجاً
ورُبّ فتى سُدّت عليه وجوهه أصاب له في دعوة الله مخرجاً
توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» ٢ / ٢٣٠:

سنة سبع وعشرين وأربعمائة: فيها توفي أبو إسحاق الثعلبي أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المفسر، روى عن أبي محمد المخلدي وطبقته من أصحاب السراج، وكان حافظاً واعظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة، قاله في العبر، وقال ابن خلكان: كان أوحده زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء وغير ذلك... ثم ذكر قول السمعاني.

القفطي في إنباء الرواة على أنباء النحاة (١: ١٥٤ / ترجمة ٥٩):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي.

ويقال: الثعلبي، المقرئ، المفسر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب والقراءات، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة. وله (التفسير الكبير) و (العرائس) في قصص الأنبياء، ونحو ذلك. وسمع منه الواحد في التفسير، وأخذ عنه. ثم ذكر ما قاله القشيري.

الزركلي في «الأعلام» (١ / ٢١٢):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسر، من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ، من كتبه (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و (الكشف والبيان في تفسير القرآن) يُعرف بتفسير الثعلبي.

كحالة في «معجم المؤلفين» (٢ / ٦٠):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (أبو إسحاق) مفسر، مقرئ، واعظ، أديب، توفي لسبع بقين من المحرم، من تصانيفه: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، «العرائس في قصص الأنبياء»، و «ربيع المذكرين».

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه

ألقى مؤلف هذا التفسير ضوءاً عليه في مقدمته، وأوضح فيها عن منهجه وطريقته التي سلكها فيه، فذكر أولاً اختلافه منذ الصغر إلى العلماء، واجتهاده في الإقتباس من علم التفسير الذي هو أساس الدين ورأس العلوم الشرعية، ومواصلته ظلام الليل بضوء الصباح بعزم أكيد وجهد جهيد، حتى رزقه الله ما عرف به الحق من الباطل، والمفضل من الفاضل، والحديث من القديم، والبدعة من السنة، والحجة من الشبهة، وظهر له أن المصنفين في تفسير القرآن فرق على طرق مختلفة:

فرقة أهل البدع والأهواء، وعدّ منهم الجبائي والرماني.

وفرقة من ألفوا فأحسنوا، إلاّ أنهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين، وعدّ منهم أبا بكر القفال.

وفرقة اقتصر أصحابها على الرواية والنقل دون الدراية والنقد، وعدّ منهم أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

وفرقة حذفت الإسناد الذي هو الركن والعماد، ونقلت من الصحف والدفاتر، وحررت على هوى الخواطر، وذكرت الغث والسمين، والواهي والمتين، قال: وليسوا في عداد العلماء، فصنت الكتاب عن ذكرهم.

وفرقة حازوا قصب السبق في جودة التصنيف والحدق، غير أنهم طوّلوا في كتبهم بالمعادات، وكثرة الطرق والروايات، وعدّ منهم ابن جرير الطبري.

وفرقة جردت التفسير دون الأحكام وبيان الحلال والحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات، كمشايع السلف الماضين، مثل مجاهد والسدي والكلبي.

ثم بيّن أنّه لم يعثر في كتب من تقدمه على كتاب جامع مذهب يعتمد عليه، ثم ذكر ما كان من رغبة الناس إليه في إخراج كتاب في تفسير القرآن وإجابته لمطلوبهم، رعاية منه لحقوقهم، وتقرباً به إلى الله سبحانه وتعالى...

ثم قال: ثم استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب، شامل، مهذب، ملخص، مفهوم، منظوم، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات، سوى ما التقطته من التعليقات والأجزاء المتفرقات، وتلقفته عن أقوام من المشايخ الأثبات، وهم قريب من ثلاثمائة شيخ، نسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز والترتيب.

ثم قال: وخرّجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً: البسائط والمقدمات، والعدد والترتيلات، والقصص والرويات، والوجوه والقراءات، والعلل والاحتجاجات، والعربية واللغات، والإعراب والموازنات، والتفسير والتأويلات، والمعاني والجهات، والغوامض والمشكلات، والأحكام والفقهيات، والحكم والإشارات، والفضائل والكرامات، والأخبار والمتعلقات. أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف الأبواب، وسمّيته (كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

ثم ذكر في أول الكتاب - كما يأتي - أسانيده إلى من يروي عنهم التفسير من علماء السلف، واكتفى بذلك عن ذكرها في أثناء الكتاب، كما ذكر أسانيده إلى مصنفات أهل عصره -

وهي كثيرة - وكتب الغريب والمشكل والقراءات، ثم ذكر باباً في فضل القرآن وأهله، وباباً في معنى التفسير والتأويل، ثم شرع في التفسير.

والحق أنّ هذا التفسير من التفاسير المعتمدة، حيث فسّره بما جاء عن السلف مع اختصاره للأسانيد، اكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب، وأنّه يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسّع ظاهر، كما في الآية (٩٠) من سورة البقرة عند ذكر نعم وبئس.

كما أنّه يعرض لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريحها، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي، فمثلاً عندما يصل إلى تفسير الآية (١٧١) من سورة البقرة نجده يحلل كلمة (ينق) تحليلاً دقيقاً ويصرفها على وجوهها كلها.

وهكذا عند تفسير الآية (١٧٣) من السورة نفسها يحلل لفظ (البغي) ويتكلم عن أصل المادة بتوسّع.

ويتوسّع في الكلام عن الأحكام الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام، فتراه يذكر الأقوال والخلافات والأدلة ويتعرض للمسألة من جميع نواحيها.

فمثلاً عند تفسير الآية (١١) من سورة النساء فإنّه يفيض في الكلام عمّا يفعل بتركة الميت بعد موته، ثم يذكر جملة الورثة والسهام المحددة، ومن قرّضه الربع، ومن فرضه الثمن، والثلاثان، والثلث، والسدس... وهكذا، ثم يعرض لنصيب الجدّ والجدّة والجدّات، ثم يقول بعد هذا: فصل في بساط الآية، وفيه يتكلم عن نظام الميراث عند الجاهلية وقبل مبعث الرسول ﷺ.

ونجده عند تفسير الآية (٢٤) من سورة النساء يتوسّع في نكاح المتعة ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم بتوسّع ظاهر.

وعند ذكر الآية (٣١) من سورة النساء فإنّه يقول: (فصل في أقاويل أهل التأويل في عدد الكبائر، مجموعة من الكتاب والسنة، مقرونة بالدليل والحجة) ثم يسردها جميعاً ويذكر أدلتها على وجه التفصيل.

وعند تفسير الآية (٤٣) من سورة النساء فإنّه يعرض أقوال السلف في معنى (اللمس والملاسة) ثم يقول:

واختلف الفقهاء في حكم الآية على خمسة مذاهب.

ويتوسّع على الخصوص في بيان مذهب الشافعي ويسرد أدلته ويذكر تفصيل كيفية الملاسة عنده، كما يعرض لأقوال العلماء في التيمم ومذاهبهم وأدلتهم بتوسّع ظاهر عندما يتكلم عن قوله تعالى ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

وذكر فضائل أهل البيت رضي الله عنهم عند ذكر الآيات النازلة في حقهم، وبالخصوص الآيات النازلة في حق علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن السلف الصالح. وهكذا يتطرق الكتاب إلى نواح علمية متعددة لا يكاد يجدها القارئ في كتاب تفسيري آخر.

وكان هذا التفسير ولا زال مصدراً من المصادر الإسلامية التي يرجع إليها حتى عند كثير من المفسرين، وأهل التاريخ والحديث وغيرهم.

عملنا في التفسير

اعتمدنا في تحقيق التفسير (الكشف والبيان) على أربعة نسخ: الأولى من أول القرآن الكريم الى آخره سورة الكهف وهي مصورة عن مكتبة جستریتی دبلین فی ایرلندا الجنوبية تحت رقم (٣٦١٧)، وخطها قديم جداً وفيها سقط ومسح كثير.

والثانية: نسخة مصورة عن مخطوطة المرعشي في قم تحت رقم (٤٢٦) من أول سورة الكهف الى آخر القرآن، باستثناء آخر سورة الرحمن وسورة الواقعة وبداية الحديد، وخطها أفضل من الأولى، مع وجود بعض الكلام غير المقروء.

والنسخة الثالثة مصورة عن مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق الرقم (٧٨٨١) يعود كتابتها إلى القرن الحادي عشر، وتحتوي على الجزء الثالث وقسم من الجزء الخامس من التفسير، وأخذنا منها نهاية سورة الرحمن وسورة الواقعة وبداية سورة الحديد.

ومن هذه النسخ الثلاثة لقّنا نسخة الأصل واعتمدنا على إخراج هذا الكتاب.

والنسخة الرابعة غير كاملة، من آية ١٨ من سورة الكهف الى آية ٦٩ من سورة المؤمن (غافر)، مصورة عن مكتبة أصفهان، وهي واضحة الألفاظ وبخط جيد نسبياً، يعود كتابتها إلى سنة ١١٠٠ هـ تقريباً، وقد أشرنا إليها في الهامش عند وجود التفاوت بينها وبين النسخة الكاملة المملقة.

وواجهتنا مشكلة لعدم المخطوط، وهي أسماء رجال السند المتشابهة، وحاولنا حلها من كتب الرجال، والتفاسير التي تذكر الأسانيد.

مع وجود كلام كبير غير المقروء أو بياض في نسخة الأصل وبعض النسخ الأخرى، حاولنا تكملته من المصادر التي نقل عنها الثعلبي، أو المصادر التي نقلت عنه، كتفسير ابن جرير الطبري وتفسير القرطبي وتفسير ابن كثير، وزاد المسير لابن الجوزي وغيرها من التفاسير، وكالكتب التي تحدثت عن علوم القرآن ككتاب البرهان وأحكام القرآن للجصاص وللنحاس والإحكام لابن حزم.

كما وكنا نعرض الحديث الشريف وأقوال الصحابة على كتب الحديث والصحاح والمعاجم لضبط النص وتخريجه.

وأما الأشعار فكانت فيها صعوبة واضطراب، من ناحية الوزن والضبط، حاولنا بالاستفادة

من بعض الشعراء لحلّ قسم منها، وحاولنا من بعض التفاسير وكتب اللغة والمعاجم حلّ القسم الآخر.

وأما الألفاظ المبهمة فضبطناها وشرحناها من كتب اللغة والتفاسير الأخرى.
كما وعرضنا الآيات القرآنية المستشهد بها على المصحف الشريف وخرّجناها منه.

كلمة شكر:

هذا ونشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع أمثال الأخ السيد محمد الموسوي الناصري والمحقق الأخ العزيز الشيخ ماجد العطية، والأخ المحقق الشيخ أبو علي فرج الله، والأخ كريم راضي الواسطي، والأخ الشيخ أبو مسلم الساعدي وغيرهم من الإخوة الأفاضل.

ونخصّ بالشكر سماحة السيد محمد رضا الجلاّلي وسماحة السيد الأبطحي والشيخ محمد باقر المحمودي الذين كانت لهم يد العون في الحصول على بعض صور المخطوط.

والحمد لله رب العالمين

علي عاشور

فأمره والحق يعني الشيطان من ين يديه ولا من خلفه فلا يستطيع أن يعبروا ويبدأوا بعض وقال
 حين جبر على ما به الكبر من ملك ولا من خلفه وقيل لانه ما يطله ويكره من الكنا المقتلة بل هو موافق لها مصدق
 كما في قوله كذا طله ونحوه بل هو موافق لها مصدق عن النبي **تنزيل من حكم حبيد ما يقال لك**
من الادي **الاما قد قيل للرسل من قبلك** يعزى إليه صلى الله عليه وآله **وتلك** **لذوهم** **مفخرة**
لناب **وزو عقاب** **اليمر لمرصرو** **لوجعلناه قرانا** **العجميا** **بغير لغة العرب** **لقلوا**
لولا فصلك **بنت** **امانة** **لمتصاحي** **بغيرها** **فان قوم عرب** **مالنا** **واللحمية** **العجمي** **وعزني** **بني**
 اناب العجمي بني عزي قاله هان ذلك ان سول الله صلى الله عليه كان يدخل على سار غلام ابن لخصمي وكان يهودا العجميا
 وبني ابا فله قال المشركون لما نزل عليه سار واحد سار عامر من الحضري وضربه وقال انك تعلم خير او قل سار بل هو يعلم فان الله على
 عباده وفي الجمل العجمي يهزمه واحسن على الجبرود لا ذواه هشام عن اهل الشام ووجهه ماروي جعفر بن المغيرة عن سفيان
 قال قاله فترس لولا ان هذا القرآن اعجميا وعربيا حي يكون نعم امانة اعجميا وبعضهم ينافون الله تعالى هذه الآية وانزل القرآن
 بكل لسان منه المحمل وبني فارسه عرت سنكل وكل القراءة الصحيحة فراه العامة بالاستفهام على الماويل الاول
قل هو للذين امنوا هدي وشفوا والذين لا يؤمنون في اذانهم وقرؤهم عليهم
 عجمي امرهم من نعم الله الحين ابوب اخرا على عبد العزيز اخرا القمن سلام جدا يخرج ابوب عن شعبة عن موسى بن
 ابى عاصبة عن طائفة من عجمي عن عباس ومغوية وغيرهم ان اعاص اليهم كانوا يقولون هذا الحرف بطر الهيم وهو عليهم عجمي وقراءة
 الماويل في المصنف واخاها عجمي قاله هدي وشفوا ذلك عجمي مصدر مثله ولوا انها هلا وشفوا لكان الكبر في
 عجمي جود لكون نعم الله لهما **اوليك ينادون من مكان بعيد** قال بعض اهل المصنف قوله اوليك
 ينادون من مكان بعيد خير لقوله ان الذين كفروا والذين كفروا والذين كفروا والذين كفروا والذين كفروا والذين كفروا
 عجمي عن سالم عن ابن عدي ان الذين كفروا بالذين كفروا بالذين كفروا بالذين كفروا بالذين كفروا بالذين كفروا
 كفروا به واعلم ان ابن عدي عن عمر احدث يا با عثمان وقوله تعالى ينادون من مكان بعيد قل الله استمعهم
 استمعهم بما يوعظون به كما هو ينادون الى الامانة بالقرآن من حيث لا يشعرون **الذين آمنوا** **وقد اتينا من** **الكتاب**
فاختلف فيه **بؤس** **به** **وكافرو** **مصدق** **ومكذب** **كما اختلف** **قومك** **في كتابك** **واوليك** **كافرة**
سبقت **من** **ربك** **في** **اخرا** **العذاب** **لنقصي** **بطنهم** **لنزع** **من** **عذابهم** **وعذابهم** **كافرة** **واوليك** **كافرة**
شك **منه** **مريب** **من** **ع** **اصل** **الحا** **فانفسه** **ومن** **استأ** **قطنها** **ومار** **يك** **بظلام**
للجن **الاله** **يرد** **علم** **الساعة** **فانه** **لا** **يعلم** **عنه** **وذلك** **ان** **المشركين** **قلوا** **لنبي** **صلى** **الله** **عليه**
لنركب **غنا** **فاخر** **بما** **لنا** **من** **العلم** **لك** **فانك** **لست** **بشي** **فانزل** **الله** **عليهم** **الالة** **وما** **لخرج** **من** **قوله**
مرد **له** **فرا** **للع** **اهل** **الجنة** **والنار** **عن** **هم** **فهم** **على** **واجلة** **من** **الكامي** **او** **عنها** **واحدة** **كافة** **وهي** **كل** **طرف**
مال **قوله** **وذكر** **الذي** **في** **قصة** **القصي** **اي** **الذي** **يشتاق** **عن** **الله** **قوله** **كاه** **قال** **ابن** **عباس** **عن** **ابن** **الفضل**
ان **من** **فاذا** **انفتحت** **طوبى** **يا** **كام** **وما** **لخرج** **من** **ابني** **ولا** **انفع** **الا** **العلم** **نقول** **الله** **يرد** **علم** **الساعة**
كما **يرد** **العلم** **النار** **والنار** **ه** **ويوم** **ينادي** **هم** **بني** **الله** **على** **المشركين** **ان** **ان** **يخرج** **من** **عز** **الدينا**

انها الهة قالوا يعني المشركين و قيل الاصنام لخطا ان يكون القول راجعا الى العابدين و الى المعبد من ايضا اذ بان اعلم ان
 و قيل اسمعك ما من ان شهاد شاهد ان لك شريكا لما عابوا القصة ثم قالوا من الاصنام و تزا الاصنام منهم و قيل
 عنهم ما كانوا يعبدون بعدون من قول في الدنيا و طولوا يقولون ما لم يسمعوا و ما كانا حروف و ليس باسم طلبة
 يجر فيه الطير و جعل العباد لم يلاقيهم بل الانسان يعني الكافر من دعا الخيرا من دعا به الكفر و مسلمة اياهم و قيل
 هذا التاويل قراءة عبد الله لا يصام الا انما من دعا بالخيرا بالعبادة و المال و انما الشوق و من رجع الى الله و من
 رحمة و ليس اذ فاته و حمة عافية و فحة طاهر و فحة طاهرة و لا اصنام له و انما هو الى اي فعل و ما يحق و هذا
 و ما اظن السامع قامة و ليس رجعة الى ان لا يجد الحسنى اخيرا الحسن محض فوجه حيا و لا انهم من بلاد ان حوتها
 عبد الله من تابت حيا و لا بعد الكفر و لا حتى يشرع له شرع من الحسن من محض على ان يطلبا الكافر في اصفين
 اما في الدنيا فقول لمن رجعت الى اي عذر و الحسنى و اما في الآخرة فقول باليقين كبرت انما فلتبين الذين كبروا و لما عملوا
 و لم ينفهم من عذاب غليظ ساء و اذا اجتماعا الانسان اعرض و ما يمانية و لا انما المسترف و دعا عرض كثر و العرب
 مستعمل الطراد العرض كلاهما في الكفر و لا اطفال فلان اللام و الدعاء و اعرض اذا الكفر و لا انما كان القرآن عن عبد الله
 كبرية و من اضع هو في شقاق و ليس بغيره اما في الافاق و انما من بعضنا من الامم الخالية و في اقصاهم بالابا و الامم اخر
 و قال المثل و الذي في الافاق يعني ما فتح على الله طعة من الافاق و في اقصاهم مكة و قال و قد روي في الافاق يعني و قال في الافاق
 في الامر و في اقصاهم يوم يدرى عطا و ان يدرى في الافاق يعني اقطار الارض و السماء من الشمس و القمر و النجوم و المذات و المجد
 و الانوار و الحار و الاقطار و في اقصاهم لطيف الصفة و مدح الحكمة و سبل العايد و البولحي ان الرجل للكر و شرب
 كمن كان و لا يجد و لا يجد و لا ياكل و لا يشرب من كان خير يبين لهم انه الحق يعني ان نمر و يفعل من لا هو الحق و قيل انه في
 الاسلام و قال محمد صلى الله عليه و قيل القرآن او لم يكن نزل ان الله على كل شئ شهيد الا انهم في مية
 من لقانهم الا انه بكل شئ محيط **سورة حم عسق مكية**
 و قيل و حم سوزان و فان طه و ستون و حكمة و طه و الف و حم سوزان و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية
 من حم و حم سوزان و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية
 من حم سوزان و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية و فانية
 كان يرضى عليه لللاذ و يستعمل له و يستعمل له و يستعمل له و يستعمل له و يستعمل له و يستعمل له و يستعمل له
 الى بكر الملقى الزماني يقول سمعت النبي يقول سمعت الله يقول سمعت الله يقول سمعت الله يقول سمعت الله يقول
 الى بكر الملقى الزماني يقول سمعت النبي يقول سمعت الله يقول سمعت الله يقول سمعت الله يقول سمعت الله يقول
 كهم جمع و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو و المرو
 و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان و لا يمان
 حروف النبي لا غيره و اخلصوا في حم و اخلصوا في حم و اخلصوا في حم و اخلصوا في حم و اخلصوا في حم و اخلصوا في حم
 كائن الى يوم القيامة و اما تفسير اربعة عشرين من حم و اربعة عشرين من حم و اربعة عشرين من حم و اربعة عشرين من حم
 يعني حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم و حم
 و لا يمان الى بكر الملقى الزماني يقول سمعت النبي يقول سمعت الله يقول سمعت الله يقول سمعت الله يقول

ويوم عرض الذين كفروا على النار فقال لهم النبي هذا بالحق قالوا بل وينا قال
 لهم المقدر بذلك فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم
 عن الرسل قال ابن عباس ذو الجرم صباك ذو الجود والصبر القبطي والبر والحق واخلفوا فيه فقال ابن زيد
 كل الرسل كانوا اولى عزم ولم يخذ الله سولا الا كان ذا عزم وهو اختيار علي بن مهدي الطبري قال وانما دخلت من المجلس
 لا للتعجب كما يقال ضربت الكسفة من الخبز وادبته من البر حكايا شيخنا ابو القهر بن جندب وقال بعضهم كمال الدنيا لهم
 اولوا العزم الا يونس الا ترى ان نينا صا الله عليه نبي عز ان يكون مثله لحفة ونحلة ظهر من جحر من قومه مغاضبا
 فاستلاه الله سلط عليه العاقبة حتى غاروا على اهلته واطاله واطاله الذي عني ولوه فاكلهم وسلط الحزن عليه فكلجه
 سمعت ابا بصير الحنظلي يحكي عن ابي بكر الرازي عن ابي القهر الحكيم وقيل هم خيار الرسل المذكور في سورة الانعام وهم
 ثمانية عشر وهو اختيار الحسين النضال قال لقوله في عتقه اولئك الذين هدى الله فبهم امر اولاده وقال الحكي هم الذين امنوا بالحق
 فظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة بالبراه وجاهدوا في حقهم الذين هدى الله فبهم امر اولاده وقال الحكي هم الذين امنوا بالحق
 الجمل اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الي بني اسرائيل بالاسلام بعضهم فادحى الله تعالى الي الانبياء عليهم السلام ابي من رسله اني
 على عصاة بني اسرائيل فسحق ذلك عليهم فادحى الله تعالى اليهم ان اخذوا لانفسكم ان شئتم انزلت بكم العذاب واخبرني عن ابي
 وان شئتم لنحسب وانزلت على بني اسرائيل فتشاؤروا ولتظهر فاجتمع رايهم على ان ينزل لهم العذاب ويخبرني عن ابي اسرائيل قال في الله
 بني اسرائيل وانزل باولئك العذاب وذلك انه سلط عليهم ما لو ان الارض فصرهم من شر ما لمنا شر ومنعهم من سلط جلا
 راسه ووجهه ومنعهم من رفع على الخشب ومنعهم من احرق بالنار وقيل هم ستة نوح وهود وصالح وشيث وموسى
 وهنري المذكورون على التسعة سمى الاعراب والسعر وقيل اصحاب الشرايع وهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى وعجى
 وقال مقاتل اولوا العزم ستة نوح صبر على اذى قومه فكانوا يصرون به حتى يعصى عليه وابراهيم صبر على النار حتى
 صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصرو ونوسه صبر في السر والنجى وابوب صبر على صبره
 وقال الحسن البصري هم اربعة ابراهيم وموسى وداود وعيسى فقال ابراهيم صبر به قيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين
 ثم انه سلب عليه وولده ووطنه ونفسه فوجد صلافا وافي جميع ما سلب به وامام موسى فصر به قوله حتى قاله فوقله
 انما لم يكون قال كلا ان معي ابي سيبهان واما داود فصر به انه اخطا خطية فنه عليه فبلى اربعين سنة على
 حتى نبت من دموعه وقيل تحت ظلمها واما عيسى فصر به انه اضل اضع من الدنيا لئنه على لئنه وقال انما معبرنا عمن
 ولا تبهمها فكان الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم كما صبر اولوا العزم من الرسل الى ان صلافا فبلى اربعين سنة
 ابراهيم وانما صبره مولا كالمثل لئنه موسى صبر ما سلف من صغوانا كمثل اهتمام داود اذ هلك في الدنيا مثل كالحصبي
 حسنا دام ابو منصور محمد بن عبد الله الحنظلي اعطاه اخرا النور محمد بن محمد بن احمد القاسمي اخرا ابو عبد الله اخرا
 الرابع اخرا عبد الله اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا اخرا
 وعيسى عليه السلام ابو منصور محمد بن عبد الله الحنظلي اعطاه اخرا النور محمد بن محمد بن احمد القاسمي اخرا ابو عبد الله اخرا
 فاشتر حسنا وكيع عن ابي جعفر الرازي عن ابي ربيع بن اسحق عن ابي الهيثم في قوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
 قال كانوا ثلثة نوح وابراهيم وهود ومحمد رابعهم امر ان صبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فبلى اربعين سنة

محمد بن عبد الله بن مريم حدثنا الحرف بن ابي اسامة حدثنا داود بن الحارث حدثنا سليمان بن الحكم عن
 الاحوص بن حكيم بن كعب الخير قال في حقه عدل مدينه من لو لو ايضا نكل عنها الاضداد
 لم يروها بن مرسى ولا ملك مقرب اعد الله سبحانه وتعالى لاو الى الجحيم من المرسى
 والشهداء والمجاهدين لانهم فضلوا الناس غسقا وخلفاء وان اياه ولباه
 ولا تستعمل العذاب لهم فانه نازل يوم لا محلة كانهم يوم يرون ما وعدون العذاب في الاخرى لم يلبثوا
 في الدنيا الا ساعة من نهار يعني في يوم القيامة وقيل لانه يسبهم هو لا عاينوا ولا حكمهم في الدنيا فقل
 بلاغ اعد الله ان ما ذكره من البيان بلاغ بلغضهم محمد صلى الله عليه عن الله تعالى اليه ونظره في سورة
 ابراهيم فقال يهلك بالعداب اذا نزل **اول القوم القاسقون** ومع الخارجون عن امر الله تعالى ابراهيم
 الحديث حدثنا سعد بن محمد بن اسحق الصيرفي حدثنا محمد بن علي بن شيبه حدثنا محمد بن الربيع حدثنا علي بن مهران
 عن الحكم بن سعد بن جابر عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولدا فليكتبها تير لا تير والكثير من بعدهم يغفل
 ترشيق منكم اسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم معجز الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم كانهم
 يوم يرون ما وعدون لبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهد **اول القوم القاسقون** سورة محمد صلى الله عليه طيبة
 وهي ثمان وثلاثون آية وحتمت به وتسع وتثني كلمة والهان والمايه وتسعة واربعون حرفا اخرها الرحمن الرحيم الحمد
 المقادري بقدر اني علمنا ان ابو جعفر واسم جليل بن جليل بن احمد بن يوسف السلي بن عبد الله محمد بن محمد بن سعد بن علي
 حدثنا سعد بن جعفر قال قرأت على محمد بن عبد الله عن عكرمة بن خالد عن سعد بن جابر عن ابن عباس عن ابي
 قال قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من انوار الجنة
 بسم الله الرحمن الرحيم **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعلم**
 ان ابطلها فلم يقبلها وقال الصالح انبأ كبيرهم وكرمهم بالحق عليه وجعل الدرة عليهم **والذين آمنوا وعلما الصالحات**
و آمنوا انزل على محمد وهو الحق من ربهم كفروا عنهم سنيا لهم واصح بالهم
 جعفر ومعدلات قال عن النوري و آمنوا ما نزل على محمد بالحكمة في حق قال ابن عباس الذين كفروا وصدوا العلم
والذين آمنوا وعلما الصالحات انصاره ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل **الذين آمنوا وعلما الصالحات**
وان الذين آمنوا وعلما الصالحات انهم يعني القرآن كذلك يضرب الله للناس
 بين الله للناس امثالهم اشكالهم فاذا القيمة الذين كفروا من اهل الحرب فضررهم
 على اغرا الرقاب الاغاق واحدا رقبة حتى اذا الخصمهم اي علمتهم ودينهم صاروا اسرى او يبيع
فسد الوفاق لي لاقتلوا منهم فمروا فاما ما علمهم بعد الاسر باطلا فانا هم من غير عوض ولا بد
واما اذا ايضا انصار النجول مجازة واما ان لموا عليهم مينا واما ان ينادوهم واختلف العلماء في حكم هذه الآية
 فتاوى يوم في مسوخة بقوله فاما تنقمهم في الحرب ففسد لاهل ابيه وقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتمهم والذين
 النواذب قتله والضحك والسبي والجزع وفي رواية النوري عن ابن عباس اخبرنا عجيل بن محمد ان ابا الهيثم

عن ابن عبد الله اقرني واحدا سلمه من سنان عن محمد بن المنذر ان رسول الله عليه السلام قال يزل ملك من السماء السابعة
 وخرج من الارض السابعة ملكا فالتقى على هذه الارض فقال الذي يزل من السماء قد دعت اليوم عباد الارض مع ملكه
 قال الذي خرج من تحت الارض ما ذا اكل قال فرأى رجل فله هو الله اجد ما له مرة قال ما صنع به قال عسر الله الله
 والآخرى محمد بن قيس قال حدثنا محمد بن زيد قال حدثنا ابو يحيى المزاريق قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا ابو عامر الجعفي عن مالك
 ابن عيسى عن سنان عن عبد الرحمن بن عيسى عن ابن عيسى عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة
 قال رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة والآخرى محمد بن قيس قال حدثنا ابو العباس عبد الله بن احمد بن الهيثم قال حدثنا
 احمد بن محمد بن الحسين عن ابن عيسى عن ابن عيسى عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة
 عن احمد بن محمد بن الحسين عن ابن عيسى عن ابن عيسى عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة
 من الثواب ما يحمل ثوبه سبعين قطارا ارجاء من اوقات فموج فيه الروح يحملون كتبه ثوابا واحدا اسندنا
 من شعور الخبيث وان من شعور الله والآخرى محمد بن قيس قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن جعفر قال قال رسول الله
 قال حدثنا احمد بن محمد بن الحسين عن ابن عيسى عن ابن عيسى عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة
 عبد الله بن محمد بن الحسين عن ابن عيسى عن ابن عيسى عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة
 الخبيث على مفرق راسه من عقال السماء ونزلت عليه السمكة ونقشاه الرقعة وارادوا ان يذبحوا رسول الله
 الى قاربها فابسا له شيئا الا اعطاه اياه ولم يجعله في لادته فاستدركه في ثوبه ارجاء
قل هو الله اعلم احبنا السبح او طاهر محمد بن الحسين عن ابن عيسى عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة
 محمد بن الحسين عن ابن عيسى عن ابن عيسى عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة عن ابن علقمة
 عن الربيع بن اسحق عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله
 قل هو الله اعلم قال عاصم بن ابي عبد الله عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله عن ابي عبد الله
 حشيت فترك هذه السورة فارسل الله سمكة الى ابي عبد الله فاجابته وقال يا عبد الله ان الله قد اصطفى لنا امرا هو ام قتيبة بن سعيد
 ذكرت قصته في سورة الرعد وقال الصحاح وقادته ومقاتل جانا من اجداد اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقالوا يا محمد صفة لنا ربك لعلمنا انك من ربك قال الله ان ربك في الموربة فاخبرنا به من ابي شي هو من ابي حسن
 امزده هو او نجاس ام صفراء ام جذبا ام فضة وهل ياكل ويشرب ومن ورت الدنيا من يورثها وانزل الله
 هذه السورة وهي نسبة الله خاصة واخبرني عقيب انا ابا الفرج البغدادي اخبرهم عن ابي جعفر الطوسي قال
 ابن حنبل قال حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن سعد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد
 هذا الله خلق الخلق من خلقه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فلو لم يسهوهم غضبا لكان في جهنم من صلبه
 وقال اخفص علك خال جاك يا محمد وجاه من الله سمكة جواب ما سألوه قل هو الله اعلم السورة فلما تلاها عليهم
 النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم
 عضبه الاول وساورهم فانه خبرنا فقال له مثل عقابته وانه جواب ما سألوه وما قدره الله حق قدره

قُلْ اَعْبُدُوا رَبَّيَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَهُوَ يُعَلِّمُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيْمُ

[illegible][illegible]

و من شتر حاسمه ان از چرخ
 رسد حاشا خد کعبه از آخر الطابع و
 و من شتر حاسمه ان از چرخ
 رسد حاشا خد کعبه از آخر الطابع و

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

کتابخانه عمومی آیت الله العظمی
مرعشی نجفی - قم

مصورة مخطوطة المرعشي

• بينه صلى الله عليه عن غلبة الروم فارس ومعنى الآية المزعومة الروم في ادا في الارض الآية ^{سعيد} وقرا
 جبر وطلحة بن عمار في ادا في الارض بالجمع وهم من بعد علمهم يستعملون المسلمين في بضع سنين ^{عند}
 انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم اجزائا محمد بن عبد الله بن حلو به عن الحسين
 الحسن بن ابيوب عن علي بن عبد العزيز قال الخزي ابو عبد الله عن محمد بن خالد اللخاط عن صعوبة بن صالح عن
 عن وثيد بن سمع قال سمعت ابا الدرداء يقول سمعت علي بن ابي طالب يقول ان غلبت الروم وانما هي غلبت
 الروم قال ابو عبد الله الغين بغية خيرة قوله الله اكبر من قبل ومن بعد يعني من قبل دولة
 الروم على فارس ومن بعد ما رزقها على الغاية ودوي عبد الله المومنون نصر الله الروم
 لانهم اهل كتاب وبصر الله المؤمنين على الكافرين نصر من نصا وهو العزيز الرحيم الخزي
 الحسين بن محمد بن فخرية عن عبد الله بن محمد بن مشته عن علي بن محمد بن همام عن علي بن محمد
 انطنا فني عن النعمان بن محمد عن ابي اسحق الفراء عن ابي اسحق عن يحيى بن ابي عمير عن ابي عمير عن ابي عمير
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارس نطقة ونطحات ثم قال لا فارس بعد هذا الله اكبر وقوله
 القرون كلما ذهب فنزلت خيرات الى ابد وعاد الله نصب على المصداق الله اكبر
وعن ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهر اهل الجنة الدنيا معني او معاينهم كيف يكون
 وينجزون متى يزسون ويحصدون وكيف ينبتون ويعيشون وهم عن الآخرة غافلون ^{هلون} ومجاهد
 وهما مضيقون لا يفكرون ومنها ولا يعلمون لها فخر وادسهاهم وخرابوا اخرتهم اوقم يفكرون في
 انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق والحل مسحق يعني لو لم يعلم
 اذا انتهت اليه فثبت وهو يوم القيمة وان كثيرا من الناس من بلغا انهم لكانوا في
الارض كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا استلهم قوه وانادوا الارض خر فوها وقلوبها
 للزلا وعموا عما ان الزما عمروها وجاءتهم رؤسهم بالنسبات فلم يوسوا واهلكهم الله عز وجل فان كان الله
 ليظلم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساءوا السواي الذين كذبوا بالآيات ^{سعيد}
 يعني الخلق التي فسروهم وهو النار وقيل السواي اسم لهم كالمسوق اسم الحسنه ان كذبوا وقيل السواي ^{سعيد}
 وهو قولهم كذبوا يعني اقبه المسلمين النكذب عليهم تلك السبايق على ان كذبوا بالآيات الله وكانوا ما يتبركون
 بما الله سيد والخلق ثم يغفلون ثم اليه ترجعون قوله ويوم يقوم الساعة يسلمون المحزون وروي

ابن ابي عمير

ابن أبي حنيفة قال سلس كتيب ابو يحيى يقطع قتادة ومقاتل والكلبي بيانين ابو زيد المبلني
 قد نزل به السلا والنرا لفران قطع كلامهم وحججهم ابو عبيد بن ميمون وانشد باصباح حد
 نعرف سما مكرسا قال نعم اعرفه والبيا وروا السلي سلس شيخ الدلم والاول اجوز ولم يكن لهم
 من تركا نهم وانهم التي عبدوها من دون الله لستبعواهم (شعفاء وكا نوا لترك نهم كا زين)
 جاحدين وغنم سترين (ويوم تقوم الساعة يومئذ يقولون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 فهم في روضةهم يستان) (يخبرون) قال ابن عباس يكرمون مجاهد وقاتلة يعيرون ابو عبيد
 ليزنون ومنه قيل لكل حيرة يتبعها عبثه وقال العجاج فالحمد لله الذي اعطى الجبر موالي الحق
 المولي شكر اعياسهم وقال بعضهم الحيرة في اللغة كل نعمة حسنة والخير الحسنين ومنه قيل للبد
 حبل لانه يحبس به الاوراق والعالم حبل لانه متخلق باخلاق الحسنة موقال الشاعر يحبره انكابت
 الحبري وقيل يحبرون بلدة ون بالسمع اخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن محمد بن عبد الله عن
 محمد بن يونس عن روح عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير فهم في روضة يجبرون قال السماع في الجنة
 اخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله عن ابن ثنينة عن عمر بن عرواس عن سلمة بن شبيب عن عبد القدوس
 بن الحجاج قال سمعت ابا ذر الغفاري يقول في روضة يجبرون قال السماع وقال اذا اخذ في السماع لم يبق
 في الجنة شجرة الا وزدت وبه عن سلمة بن شبيب عن داود بن الحراج العقلافي قال سمعت ابا ذر
 يقول ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على كل سبع سموت
 صلتهم وتسبحهم واخبرنا الحسين بن محمد الذي يورث عن احمد بن الحسن بن باجة الثوري عن الحسن بن
 ايوب عن عبد الله بن عواد الشيا في قال اخبرنا القاسم بن مطيب العجلي عن زيد بن اسلم عن عطاء بن
 سيار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها
 كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها سموا واسطها محلة ومنها تنفجر منها والجنة وعليها
 العرش يوم القيمة فقال اليه رجل فقال يا رسول الله اني رجل حبس في الصوت فهل في الجنة صوت
 حسن قال اي والذي نفسي بيده الله سبحانه يوحى الي شجرة في الجنة ان اسمع عبارتي الذين
 تعبوا في ذكوري عن غرض البرابط والمزاير فيرفع صوتا لم يسمع الخلا بقر مثله فظ من شيع الرب و
 تغلبه واخبرني الحسين بن محمد عن مروان بن محمد بن مروان العطار عن حازم بن يحيى الخولاني عن

ادرك ما فاته فليكنه واخبرني محمد بن القاسم بن احمد قال كتب لي عمر بن احمد بن عثمان البغدادي
 ان زيد بن محمد بن خلف الغزالي حدثني عن احمد بن عبد الرحمن بن وهيب عن عمي عن الماضي بن محمد
 عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال سبحان
 الله حين تسون وحين تصبحون هذا الايات التثنية من سورة الزم والزمون والصلوات
 دبر كل صلوة يصليها كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وفطر المطر وعدد ورق الشجر
 وعدد تراب الارض واذا ما جرى بكل حسنة عشر حسنات في قبره واخبرني ابو عبد الله بن نجويه
 عن ابن شنبه واحمد بن جعفر بن حمدان والفضل بن الفضل قالوا اخبرنا اسحق بن ابراهيم بن
 بهرام النخعي عن النجاشي عن يونس بن قتيبة بن سالم عن نضر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن
 بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ستر ان بكال بما امر بالتقية الا وفي قلبه
 سبحانه الله حين تسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرب سبحان ربك رب العزة عما
 يصفون واوقوه واخبرني ربنا العالمين واخبرني ابن نجويه عن عمر بن احمد بن القاسم بن محمد
 عبد الغفار عن جماعة عن ابن ابي عمير عن نضر بن احمد عن قال من قال سبحان الله حين تسون
 الى اخر الآية كان له من الاجر كعد ما في رقبته من ولد اسعيل عليه السلام واخبرني ابن نجويه
 عن ابن شنبه عن علي بن محمد انطياقي عن يحيى بن ادم عن اسرائيل عن ابي اسحق عن زيد العنبري
 عن محمد بن واسع عن كعب بن قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تسون وحين تصبحون
 الى اخر الآية لم يفته خير كان في يومه ولم يدركه شر كان فيه ومن قالها من لم يدركه شر كان
 في يومه ولم يفته خير كان في يومه وكان ابراهيم خليل الله صلى الله عليه بفقها في كل يوم و
 ليلة سترات يخرج اخي من اميت ويخرج الميت من اعين ويحيي الارض بعد موتها وكذلك
 تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب يعني ادم عليه السلام ثم اذا انتم تفسقون يعني
 ذرئته ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا من حسنكم ولم يجعلهن من اخر وتقبل
 من ضلع ادم وقبل من نطفة الرجا وقيل بئكم مودة ورحمته ان في ذلك لايات لقوم
 يفكرون واخبرني الحسين بن محمد عن موسى بن محمد بن علي قال اخبرني ابو شعيب الحراني عن يحيى بن
 سعد الله الساجي عن صفوان بن عمرو عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال

من قبله جل جلاله جليلة الى ابي يعقوب قابا والنعمة والبركة
 وقال نعمه بواجمع والمفروق في التوهم الذي هو اصاله الشاق البيل ودفعه المصاحبة لعل
 نفعنا في ما نريد من فعله برك وقال انما في هذا الموضع كما
 مراسلا وزعمه عن هذه الآية فلم يعرفه واستتمه الى القدر وجب الوضوء الى داره كسبا
 والى داره برك بامو الى اعقابك فزوجه في ايامي اجري لعل الله يبارك في
 ما في هذا الموضع الى العبد في الزمان الى ان لا يكون له من الدنيا شيء
 ففعل ذلك فذاع الامر لعل في رايه عن ذلك فقال اما اراهم شاق الله موانع يوم الملك البار
 في الامانة والبركة يخرج الحق المستخرج المستخرج في شفي سقما واستقم سقما
 ينلي ما في عافى مثلي لعل الله اودع عزرا وودع عزما ونفي ففعل اما الى العبد الحسن
 انما في داره تحت عن نعم الله برك على ثاب الزمان وكساها الله الامانة والبركة
 هذا ثاب الله في قاي الانكا كساها برك على كل من عبد الله في شفي سقما في داره
 نعم الله في داره ثاب الله اما في ابرج في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 في داره ثاب الله برك البواضم الكا واخاها برك عسا في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 فانسج اخبر برك ورواها في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 عرثا في داره الى ان شفه شاق طلب الحلف العا في معنى في داره في ابرج في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 جسد ونديد الله حانه وما الى كمال العا في لغة نعم في داره في ابرج في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 والحق انما في داره ثاب الله برك البواضم الكا واخاها برك عسا في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 الذي فعله في داره ثاب الله برك البواضم الكا واخاها برك عسا في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 ولما النسي الفين العراقي اسنه في داره ثاب الله برك البواضم الكا واخاها برك عسا في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 هذا النور في داره ثاب الله برك البواضم الكا واخاها برك عسا في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 على النور في داره ثاب الله برك البواضم الكا واخاها برك عسا في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 ما في داره ثاب الله برك البواضم الكا واخاها برك عسا في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في
 وابن زيد وقال كساها في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في داره في ابرج في النور في الكمال الكساي في لغة نعم في

[illegible]

[illegible]

مصورة مخطوطة دمشق

تفسير قسلي بورد

من المصنفين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

قسلي

والله اعلم
بما لا يعلم
الكتاب والبيان للامام الهام انما اذا لم يتدبره ابن النبي احمد المردن
بالاسام السبعة ومنه السبعة السبعة في غاية العظمة والامام المذكور علم
في اللغات والادبيات والسجلات والتفوق حتى انه قد كثر ما
مما صر المسلم وما بعد انطقا واخذ عنه المصنف في كتابه العيون
والجواب لانه قد ذكره كان من كبار المحدثين لما اشتهر من كبار العقول
والعلماء في الاسلام الذي عني به بن عثمان ابن ميمون
المعروف بسنن زائدة ماله الحسنى وزيادة
منه ذكره

من تولى بيان هذا الكتاب
هو المصنف في كتابه العيون



عن ابيه الى آخر سورة الفرق

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible]

مصورة مخطوطة إرلاندا

[illegible]

مقدمة المصنف

كتاب الكشف والبيان للإمام استاذ الأساتذة أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي . وهذه النسخة الشريفة في غاية الصحة، والإمام المذكور علم في اللغات والأدبيات والسمعيّات والتصوّف حتى إنّه (قدس سره) كان معاصراً للسلمي صاحب الطبقات وأخذ عنه التصوّف والحديث ؛ لأنّه (قدس سره) كان من كبار المحدثين، كما أنّه من كبار الصوفيّة.

وأنا الفقير إلى الله الغني عبد الله بن عثمان بن موسى المعروف بمسنجر زاده ناله الحسنى وزاده بمنّه وكرمه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنِّ وَتَمِّمْ

قال الإستاذ الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (رضي الله عنه): بحمد الله يفتح الكلام، ويتوفيقه يُستنجز المطلب والمرام ، ونسأله أن يصليّ على محمد خير الأنام، وعلى آله الكرام وأصحابه نجم الظلام [بحقّ] الملك السلام.

أما بعد:

فإنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بكریم كتابه وأنعم علينا بعظيم [مطلبه] في القرآن، وجعله مهيمناً على الكتب والأديان، أمر فيه بالحكمة وزجر وأعذر الحجّة وأنذر. ثم لم يرض منا [نسخه] ولا إقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا تلاوته وقراءته دون تدبّر آياته والتفكر في بيناته، وتعلّم حقائقه ومعانيه، وتفهم دقائقه ومبانيه فقيض له رجالاً موفقين حتّى صنفوا فيه المصنّفات، وجمعوا علومه المتفرّعات.

وإني مذ فارقت المهد إلى أن بلغت الأشدّ اختلفت إلى ثقات الناس، واجتهدت في الإقتباس من هذا العلم الذي من الدين أساس والعلوم الشرعية الرأس... (١) الظلام بالضياء

(١) بياض في المخطوط.

والصباح ... العزم^(١) حتى رزقني الله تعالى - وله الحمد - من ذلك ما عرفت به الحق من الباطل، والمفضول من الفاضل، والصحيح من السقيم، والحديث من القديم، والبدعة من السنة، والحبّة من الشبهة. فألفت المصنّفين في هذا الباب فرقاً على طرق: فرقة منهم أهل البدع والأهواء وفرقة المسالك والآراء مثل البلخي والجبائي والأصفهاني والرماني، وقد أمرنا بمجانبتهم وترك مخالطتهم، ونهينا عن الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم فاخترنا ممن تأخذون دينكم، وفرقة ألقوا وقد أحسنوا غير أنهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين كما جمع بين^(٢) لاسفدوانية مثل أبي بكر القفال وأبي حامد المقرئ. وهما من الفقهاء الكبار، والعلماء الخيار، ولكن لم يكن التفسير حرفتهم، ولا علم التأويل صنعتهم؛ ولكل عمل رجال، ولكل مقام مقال.

وفرقة اقتصروا على الرواة والنقل دون الدراية والنقد مثل الشيخين أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الأنطاقي. ويبيع الدواء محتاج إلى الأطباء. وفرقة حرّموا الأسناد الذي هو الركن والعماد، وتملّكوا الصحف والدفاتر وجهدوا على ما هو بين الخواطر، وذكروا الغث والسمين، والريك والمتين، وليسوا في عداد العلماء فصنت الكتاب عن فكرهم، والقراءة والعلم سنة يأخذها الأصاغر عن الأكابر. ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء.

وفرقة حازوا قصب السبق في عمدة التصنيف والحدق، غير أنهم طوّلو كتبهم بالمعادات، وكثرة الطرق والروايات، وحشوها بما منه بدّ، فقطعوا عنها طمع المسترشد مثل الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وشيخنا أبي محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني. وازدحام العلوم مضلة للفهوم.

وفرقة جرّدوا التفسير دون الأحكام، وبيان الحلال من الحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات كمشايع السلف الصالحين، والعلماء القدماء من التابعين وأتباعهم مثل مجاهد ومقاتل، والكلبي والسدي، ولكل من أهل الحق فيه غرض محمود وسعي مشكور.

فلما لم أعثر في هذا الشأن على كتاب جامع مهذب يُعتمد في علم القرآن عليه^(٣)، ورأيت رغبة الناس عن هذا العلم ظاهرة، وهمهم عن البحث فيه قاصرة، وطباعهم عن النظر في البسائط نافرة، وانضاف إلى ذلك سؤال قوم من المبرزين، والعلماء المحصلين، والرؤساء

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

المحشمين، أردت إسعافهم . . . بهم ورعاية معرفتهم فصرنا إلى الله عزّ وجلّ . . . لبعض موجبات شكره، فإن شكر العلم نشره، وزكاته إنفاقه [ف] استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب شامل كامل، مهذب ملخص، مفهوم منظوم، مستخرج من [نيف و] مائة كتاب مجربات مسموعات، سوى ما التقطته من التطبيقات، والأجزاء المتفرقات وتلقّنه عن أقوام من المشايخ، وهم قريب من ثلاثمائة مستمع فسقته بأبلغ ما صرت عليه من^(١) والترتيب، وسعة الإثبات بغاية التنسيق والترتيب وسيبقى لكل مؤلف كتاباً في فن قد سبق إليه أن لا يعدم كتابة بعض الخلال التي أنا ذاكرها ؛ إمّا استنباط شيء إن كان مقفلاً أو جمعه إن كان متفرقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم تأليفه، أو إسقاط شيء وتطويل.

وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرتها والله الموفق لما نويت وقصدت.

وخرّجت الكلام فيه على أربعة وعشرين نحواً: البسائط، والمقدمات، والعدد، والترتيلات، والقصص، والروايات، والوجوه والقراءات، والعلل، والإحتجاجات، والعربية، واللغات، والإعراب، والموازنات، والتفسير، والتأويلات والمعاني، والجهات، والغوامض، والمشكلات، والأحكام، والفقهيات، والإشارات، والفضائل، والكرامات، والأخبار والمتعلقات أدرجتها في أثناء الكتاب، بحذف الأبواب، وسمّيته «كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، والله المستعان، وعليه التكلان.

وهذه أسماء الكتب التي عليها مباني كتابنا هذا [أذكرها]^(٢) لئلا نحتاج إلى تكرار الأسانيد وبالله التوفيق.

[تفسير ابن عباس]

التفسيران المنصوصان عن ابن عباس (رضي الله عنه) وهو الجفر والنقاب، والإمام والقدوة في علم الكتاب، وهو ترجمان القرآن، وحبر هذه الأمة وربانيهم [وقد] دعا [له] رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم علّمه التأويل، وفقّهه في الدين»^(٣) [١].

فأجاب الله تعالى فيه دعاءه حتى صار علماً في العلم (رضي الله عنه).

.^(٤) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الطيّب، وأبو محمد عبد الله بن حامد، وأبو القاسم الحسن ابن محمد قالوا: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي قال: حدّثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال: حدّثنا عبد الله بن صالح حدّثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس (رضي الله عنه)

(٢) كذا الظاهر من المخطوط.

(١) بياض في المخطوط.

(٤) بياض في المخطوط.

(٣) المعجم الكبير: ١٠ / ٢٣٨.

أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بقراءته عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن محمد الثقفي قال: حدّثنا أبو جعفر المزني قال: حدّثنا محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، قال: حدّثنا عمي الحسين بن الحسن بن عطية العوفي الكوفي عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وأخبرنا محمد بن نعيم إجازة قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل ببغداد، قال: حدّثنا محمد بن سعد العوفي، قال: حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبي عن الحسن بن عطية عن ابن عباس (رضي الله عنه).

أخبرنا ابن فنجويه بقراءتي عليه في داري سنة ثمان وأربعمائة قال: أخبرنا أبو القاسم سليمان بن محمد بن أحمد الطبراني قال: حدّثنا أبو محمّد عبد الله بن محمد قال: حدّثنا عبد العزيز بن سعيد البرقي عن أبي محمد موسى بن عبد الرّحمن الصنعاني عن عبد الملك بن جريح ابن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وعن موسى بن عبد الرّحمن عن مقاتل بن سليمان عن الضّحّاك عن ابن عباس (رضي الله عنه).

تفسير عكرمة:

حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري لفظاً قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الصريمي المروزي قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن جعفر الصيرفي قال: حدّثنا أبو داود سليمان بن معبد المنجي قال: حدّثني علي بن الحسين بن وافد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق محمد بن الفضل: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيوب، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن زياد قال: حدّثنا عبيد بن يعيش عن محمد بن الفضيل عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح المؤدّن مولى أمّ هانئ عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وحدّثنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب البوشنجي قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن معاذ المروزي، قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن عيسى عن محمد بن فضيل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق يوسف بن بلال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن أحمد الشعبي المقرئ بقراءتي عليه قال: أخبرنا أبو الحسن بن محمد الوراق سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد اللباد.

إسناد آخر: وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن الحسين المعلم قال: حدثنا أحمد بن محمد القصار.

وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن هارون قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن اللباد قال: حدثنا يوسف بن بلال السعدي قال: حدثنا محمد بن مروان بن السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق الحسن: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر المفسر لفظاً: حدثنا أبو سعيد نافع ابن محمد بن نافع بمرو الروذ، حدثنا محمد بن عمران، حدثنا محمد بن المغيرة عن عمارة ابن عبد الجبار عن حيّان بن عليّ العبدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

تفسير الكلبي:

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بقراءتي عليه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد بن شاذان البلخي، حدثنا حيويه بن محمد حدثنا صالح بن محمد النهدي من أول القرآن إلى سورة المجادلة: ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾^(١)، ومنها إلى آخر القرآن.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي البلخي قال: حدثنا القاسم بن عباد قال: حدثنا صالح بن محمد بإسناده سواء عن محمد بن هارون عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

حدثنا وأخبرنا علي بن محمد بن سعيد الخطيب كتابة قال: حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين السرخسي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، حدثنا أبو بكر محمد بن علي المفسر المروزي، حدثنا صالح بن محمد النهدي، وقد زاد فيه صالح أربعة آلاف حديث.

تفسير مجاهد:

طريق ابن أبي نجيع: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن طه، حدثنا عبد الله بن زكريا، حدثنا سعيد بن يحيى بن سعد الأموي، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن أبي نجيع عن مجاهد.

قال: وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر لفظاً: حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبري: حدثنا محمد بن عبد السلام الوراق: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ورقاء بن أبي نجيع عن مجاهد.

طريق ابن جريج: أخبرنا القاسم بن أبي بكر المكتب، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد ابن محمد البغدادي، حدّثنا المأمون بن أحمد، حدّثنا عبدالله بن الرماح عن الحجاج بن محمد الجزري عن ابن جريج عن مجاهد.

طريق ليث: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، حدّثنا أبو جعفر محمد بن سليمان ابن منصور.

نا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، نا محمد بن حميد، نا جرير عن ليث عن مجاهد المكي (١).

طريق جوير - وهو الكتاب الكبير المبسوط -: أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد ابن جعفر قراءة، أنا أبو بكر جعفر بن محمد الزعفراني، نا إبراهيم بن عبد المؤمن عن محمد بن أبان بن علي بن أبان عن عبد الرّحمن بن جابر ويحيى بن آدم الأحول عن نصر بن مساور ابن أخي مصلح عن جوير عن الضحاك بن مزاحم الهلالي.

طريق ابن الحكم: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني قال: وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي قال: نا عبد الله بن محمد بن الحسين الشريفي، نا أبو الأزهرى، نا وهب بن جرير حدّثني شعبة قال: قرأ عليّ بن الحكم عن الضحاك.

طريق عبيد: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي لفظاً، نا أبو عمر أحمد بن محمد، بسرخس، نا جعفر بن محمد بن سوار، نا أحمد بن جميل المروزي، نا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك.

طريق أبي روق: نا الحسن بن محمد بن جعفر، نا أبو موسى عمران بن موسى بن الحسين، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق المهرجاني، نا يوسف (٢)، أنا عمرو بن طلحة القناد عن أبيه عن أبي روق عن الضحاك.

طريق عطاء بن أبي رباح قال: نا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري بقراءته عليه، أنا أبو عبد الله أحمد بن ياسين الجراح الطبري، وأبو الفرج أحمد بن محمد بن سنان النهاوندي قالوا: أخبرنا بكر بن سهل بن إسماعيل الدميّاطي، نا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى ابن عبد الرّحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن السدي.

تفسير عطاء الخراساني: نا الحسين بن محمد بن الحسن، نا أبو الحسن محمد بن الحسين ابن نجد البغوي، نا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عديّ ببخارى، نا العباس بن الوليد بن

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

مزيد البيروني، نا محمد بن شعيب بن سابور، أخبرني عطاء بن أبي مسلم الخراساني.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي فيما أجاز لي روايته عنه، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله البغدادي، أخبرنا يحيى بن عثمان بن صالح عن يحيى بن بكر عن عبد الله بن لهيعة عن عطاء بن دينار.

تفسير الحسن بن أبي الحسن: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله المكتب، نا أبي، نا أبو الحسن بن أحمد بن الصلت المعروف بابن شنبود المقرئ، نا سعيد بن محمد، نا السهل بن واصل عن أبي صالح عن محمد بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

طريق خارجة: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، نا أبي، حدثنا إبراهيم بن عليّ الذهلي، نا أبو خالد عن أبي صالح الإشكري عن أبي الحجاج خارجة بن مصعب السرخسي عن سعيد بن عروبة عن قتادة بن دعامة السدوسي، وأخبرنا أبو الحسن علي بن أبي عبيد السرخسي الخطيب فيما كتب إليّ بخط يده: عبدالله بن محمد بن همام، نا أبو جعفر أحمد ابن محمد بن هاشم المروزي، نا المغيث بن بديل ابن أخت خارجة وختنه على ابنته، نا خارجة ابن مصعب، أنا سعيد بن عروبة عن قتادة، وزاد فيه خارجة: جهته مقدار ألف حديث.

طريق شيان: أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بقراءتي عليه: أخبرنا أبو علي حامد بن محمد الهروي: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن ميمون الحربي، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد المروزي، نا شيان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة.

طريق معمر: نا أبو القاسم الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا العنبري، نا جعفر بن محمد بن سواد نا محمد بن نافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

تفسير أبي العالية والربيع: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر، نا أبو عمرو أحمد بن محمد بن أبي منصور [السرخسي] بسرخس، نا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن مزين، نا أبو علي الحسن بن محمد بن موسى الأزدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أنس عن أبي العالية الرياحي، أخبرنا عبد الله ابن حامد الوزان، أخبرنا محمد بن جعفر السخيتاني، نا أبو العباس أحمد بن جعفر بن نصر الرازي، نا أحمد بن عبد الرحمن، نا عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه.

تفسير القرظي: نا الحسن بن محمد بن حبيب، نا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي، نا رجاء بن عبد الله، أخبرنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي.

تفسير مقاتل بن حيان: أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان بقراءتي عليه، وأبو عبد الله محمد

ابن عبد الله الحافظ قالاً: نا أحمد بن محمد بن عبدوس، نا إسماعيل بن قتيبة، وأبو خالد يزيد ابن صالح الفراء نا بكر بن معروف البلخي الأزدي: نا أبو معاذ عن مقاتل بن حيان.

وحدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر لفظاً، نا علي بن محمد بن أحمد بن دلويه، نا أحمد ابن محمد بن يحيى الدهان، نا محمد بن يزيد السلمي، نا حماد بن قيراط، وإبراهيم بن سليمان، وعمرو بن عبد الله بن رزين عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان.

تفسير مقاتل بن سليمان: أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهرجاني، أخبرنا أبو محمد عبد الخالق بن محمد بن الحسين الثقفي المعروف بابن أبي روبه من كتابه، نا عبد الله بن ثابت ابن يعقوب المقرئ أبو محمد، نا أبي، نا الهذيل بن حبيب أبو صالح بن بديل عن مقاتل بن سليمان عن ثلاثين رجلاً منهم إثنان من التابعين.

طريق الثعلبي: أخبرنا أبو القاسم الجيلي، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن المأمون، نا أبو ياسين عمار بن عبد المجيد [...] ^(١): نا إسحاق بن إبراهيم الثعلبي عن مقاتل بن سليمان.

طريق أبي عصمة، نا أبو القاسم الحبيبي، نا عبد الله بن أحمد بن الصديق، أخبرنا ابن أبي روبه، نا أحمد بن جميل عن علي بن الحسين بن واقد عن أبي عصمة عن مقاتل بن سليمان.

طريق السدي: أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن المفسر حدثنا أبو محمد عبد الله بن المبارك الشجري، أنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد، نا عمرو بن طلحة القناد عن أسباط عن السدي عن مقاتل.

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ فيما أجاز لي لفظاً وخطاً: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب [السوسقاني المروزي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم] ^(٢) ابن هلال، نا علي بن الحسن بن شقيق عن الحسين بن واقد.

تفسير ابن جريح: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ إجازة، أخبرنا محمد بن خلف الصنعاني، نا علي بن محمد المبارك الصنعاني، نا زيد ^(٣) بن المبارك الصنعاني عن محمد بن ثور الصنعاني عن ابن جريح.

تفسير سفيان: أخبرنا محمد بن حمويه فيما أذن لي عنه، نا أبو بكر الشافعي، نا إسحاق ابن الحسن الحربي عن أبي حذيفة عن سفيان الثوري.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) زيادة عن تاريخ بغداد: ٦ / ١٦٩ ترجمة ٣٢٢٤.

(٣) في نسخة أصفهان: يزيد.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزّان قراءة عليه، أخبرنا محمد بن علي الطوسي أبو الحسن، نا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديلي، نا أبو عبد الله سعد بن عبد الرّحمن المخزومي، نا سفيان ابن عيينة.

تفسير وكيع: أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد بقراءتي عليه، أخبرنا يحيى بن محمد بن عبد الله بن العنبري نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد بن خالد المروزي، نا أبو يعقوب يوسف بن عيسى المروزي مولى بني زهرة، نا وكيع بن الجراح.

تفسير هشام بن بشير: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا محمد بن بطة، نا عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصفهاني، نا زناد^(١) بن أيوب عن هشام بن بشير.

تفسير شبل: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا أبو سعد^(٢) بن مصعب الثقفي، نا الحسن بن المشي، حدّثنا أبو حذيفة عن شبل بن عباد المكي.

تفسير ورقاء: أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبّي، أخبرنا^(٣) أبو القاسم بن أحمد بهمدان، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم البلوي، نا آدم بن أبي إياس عن ورقاء بن عمر.

تفسير زيد بن أسلم: أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن قراءة أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن سخبرة أنّ محمد بن جرير الطبريّ حدّثهم: نا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرنا عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

تفسير روح بن عباد: أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد بن شعيب البيهقي، وأبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بقراءتي عليه، حدّثنا أبو حاتم مكيّ بن عبدان بن محمد التميمي، نا أبو الأزهر الأزهر بن منيع العبدي، نا روح بن عباد العنسي.

وأخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمري، أخبرنا أحمد بن محمد ابن الحسن الشرقي، نا أبو الأزهر روح بن عباد.

تفسير الفراتي: أخبرنا أبو الحسن عبد الرّحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه النيسابوري وعبد الله بن حامد بن محمد بقراءتي عليهما قالّا: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين ابن الحسن بن الخليل القطّان، نا أحمد بن يوسف السلمي حمدان، نا محمد بن يوسف الفراتي.

(٢) بياض في المخطوط.

(١) كذا الظاهر ولعلّه: زياد.

(٣) بياض في المخطوط.

تفسير قبيصة: أخبرنا أبو عمرو سعيد بن عبد الله بن سعد بن إسماعيل الحيري، وأبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني قراءة عليهما قالا: أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري: نا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب العبدي، نا أبو عامر قبيصة بن عقبة الكوفي.

تفسير سعيد بن منصور: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني، نا أحمد بن نجلة بن العريان، حدّثنا سعيد بن منصور.

تفسير النهدي: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الوزان بقراءتي عليه في داره، أخبرنا محمد بن جعفر بن مضر [الميطري]^(١): أخبرنا جعفر بن محمد بن الليث أبو عبد الله الزيادي الجوهري بالبصرة، نا أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي.

تفسير ابن وهب: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا محمد بن عبيد، نا عبد الله بن مسلم، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى عن عبد الله بن وهب القرشي.

تفسير عبد الحميد: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن، حدّثنا داود بن سليمان، نا عبد الحميد بن حميد إلى سورة (المطففين)، ومنها إلى آخر القرآن، قال: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن يوسف، حدّثنا عمر بن محمد ابن نجير، نا عبد الحميد بن حميد الكشي.

تفسير محمد بن أيوب: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إجازة، أخبرنا أبو عبد الله الخازن، نا محمد بن أيوب الرازي.

تفسير ابن كيسان: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظاً، أخبرنا أبو سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني الأنماري، حدّثنا عبيد الله بن محمد القاضي، حدّثنا الفضل بن عباس بن مهران عن علي بن مسلم الطوسي قال: قرأت على أصحاب عبد الرّحمن بن كيسان أبي بكر الأهتم، ثم عد تفسيره بالتمام.

تفسير أبي حمزة الثمالي: نا أبو أحمد محمد بن أحمد بن شاذان الرازي بقراءتي عليه في مرو سنتي ثمان وتسع وثمانين وثلاثمائة فأقرأنيّه قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرّحمن بن أبي حاتم الرازي، حدّثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد الكندي الأشج، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي بعض الكتاب بقراءتي عليه، فأجاز لي بالباقي لفظاً وخطاً، حدّثنا محمد بن خلف ابن حيّان ببغداد، حدّثنا إسحاق بن محمد، حدّثني أبي، حدّثنا إبراهيم بن عيسى، حدّثنا علي ابن خليّ عن أبي حمزة الثمالي.

تفسير المسيّب: قرأت على الحسين بن محمد بن الحسن بن عبد الله الدينوري بعض

الكتاب وأجاز لي بالباقي لفظاً وخطاً، حدّثنا محمد بن علي بن حريز، حدّثنا الحسين بن علوية القطن، حدّثنا إسماعيل بن عيسى حدّثنا المسيب بن شريك.

مصنفات [علماء] العصر :

تفسير عبد الله بن حامد: قرأته عليه، تفسير أبي بكر بن فورك: أملاه علينا الى رأس خمسين آية من سورة البقرة في ثلاثة وأربعين جزءاً ما حزم دونه (رحمه الله).

تفسير أبي عمرو الفراتي الملقّب بالبستاني: أجاز لي بجميعه لفظاً وخطاً.

تفسير أبي بكر ابن فورك: أملى علينا صدراً^(١) من أوله الى آخره ثم استأنف ولحق واقتصر على الأسئلة والأجوبة حتى فرغ منه.

تفسير أبي القاسم بن حبيب: سمعته غير مرّة.

تفسير جبريل: قرأته كلّ على مصنفه.

تفسير النبي ﷺ: سمعت بعضه من مصنفه وأجاز لي بالباقي،^(٢) قرأته كلّ على مصنفه، صنّفها جميعاً أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه [الصيدلاني].

كتاب [ابن المبارك]^(٣): أخبرنا أبو حنيفة القزويني: أخبرنا أبو بكر محمد بن يعقوب الاستواني عن أبي محمد عبد الله بن المبارك الدينوري.

حقائق التفسير على لسان أهل الإمارة: قرأته كلّ على مصنفه أبي عبد الرّحمن محمد بن الحسن السلمي فأقر لي به.

كتاب عروة: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن علي، أخبرنا أبو يحيى عمّار بن محمد ابن مسعود، أخبرنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن الخليل، أخبرنا محمد بن هانيء، حدّثنا الحسين بن معين، حدّثنا الهذيل عن مقاتل بن سليمان بكتاب الوجوه، وأخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني بقراءتي عليه في مجلس واحد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحنبلي البغدادي، حدّثنا أبو يعلى محمد بن أحمد بن عبد الله بن مروان الأقطع^(٤) بملطية: حدّثنا أبو عبد الرّحمن^(٥) بن حسان الملطي: حدّثني أبو صالح إسحاق بن نجيع عن جدّ السلم بن سامة الجشطيني^(٦) عن عكرمة عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه).

(٢) بياض في المخطوط.

(٤) في تاريخ دمشق (١٩ / ١١٥) عبيد الأقطع.

(١) بياض في المخطوط.

(٣) كذا الظاهر.

(٥) بياض في المخطوط.

(٦) في تاريخ بغداد (٦ / ٣١٩): حدث عن هشام بن حسان وعطاء الخراساني وابن جريج وأبي المنيب العتكي وعبد العزيز بن أبي رواد.

كتاب مالك بن^(١): أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، حدّثنا عبد الله ابن أحمد بن الصديق، أخبرنا عبد الله بن محمد السعدي، أخبرنا المطهر بن الحكم الكرابيسي عن علي بن الحسين بن واقد.

كتب المعاني:

معاني الفراء: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزني، وأبو محمد عبد الله بن حامد الوزان، وأبو القاسم الحسن بن محمد المفسّر، قالوا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن جهم بن هارون السمري، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء.

معاني الكسائي: سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن يقول: سمعت أبو بكر أحمد بن محمد بن عبيد الله الطاهري يقول: سمعت علي بن أحمد المدبّر يقول: سمعت أبا عبيد يحدث عن علي بن حمزة الكسائي.

معاني عبيد: أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتي عليه هو أبي القاسم الحبيبي علينا قالوا: أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز المكي، أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام.

معاني الزجاج: قرأت على أبي عثمان سعد بن محمد بن إبراهيم الحيري - وأخبرنا بالجملة -: أخبرنا أبو علي الفسوي وابن مقسم قالوا: أخبرنا الزجاج.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري بها يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن مسعود الفسوي بها يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السدي الزجاج.

كتاب النظم: قرأ علينا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بلفظه قال: قرأت على أبي نصر محمد بن محمد بن يوسف بطوس عن الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني.

كتاب الغرائب: سمعت أبا القاسم الحسن بن أحمد السدوسي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد الماداني يقول: سمعت أحمد بن محمد بن المغيرة يقول: سمعت أحمد بن سهل بن يحيى النيسابوري يقول: سمعت سلمة بن رفيع، أخبرنا غسان البصري عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي.

غريب الأخفش: سمعت أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر يقول: سمعت أبا سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني يقول: سمعت علي بن فارس الدينوري يقول: سمعت

شمر بن حمدويه والحسن بن سفيان، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ، حَدَّثَنَا بِشِيرُ بْنُ الْمَهَاجِرَةِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ الْقُرْآنَ يَأْتِي صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْفَلِقُ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرَفَكَ. فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنَ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنْ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ؛ فَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ»^(١) [٢].

قال: «فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيَكْسَى وَالِدِيهِ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لِهَمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمِ كُتُسِينَا هَذَا؟ فَيَقَالُ لِهَمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعِدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغَرَفِهَا. فَهُوَ فِي صَعُودِ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا»^(٢) [٣].

وقال معاذ بن جبل: كُنْتُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدَّثَنَا بِحَدِيثٍ نَنْتَفِعُ بِهِ، فَقَالَ: «إِنْ أُرِدْتَ عَيْشَ السَّعْدَاءِ، وَمِيتَةَ الشَّهْدَاءِ، وَالنَّجَاةَ يَوْمَ الْحِشْرِ، وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ وَالنُّورَ يَوْمَ الظُّلُمَاتِ وَالظِّلَّ يَوْمَ الْحَرُورِ، وَالرِّيَّ يَوْمَ الْعَطَشِ وَالْوِزْنَ يَوْمَ الْخَفَةِ وَالْهُدَى يَوْمَ الضَّلَالَةِ، فَادْرُسِ الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ ذِكْرُ الرَّحْمَنِ، وَحَرَزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرَجْحَانٌ فِي الْمِيزَانِ»^(٣) [٤].

باب [علم القرآن] والترتيب فيه: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ النِّسَابُورِيِّ لَفْظًا: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبْلَةَ، نَا أَبُو فِرَاسٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَمْعَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنُونَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الَّذِينَ كَانُوا يَقْرَأُونَنَا عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي بَكْرٍ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُهُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْآخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالَ: فَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ^(٤) جَمِيعًا^(٥).

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْوَرَّاقُ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَشْعَثِ عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا مِنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَعْلَمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْأَعْرَابِيِّ يَقْرَأُ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ».

وَأَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ الذَّهْلِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ

(١) سنن الدارمي: ٢ / ٤٥١.

(٢) سنن الدارمي: ٢ / ٤٥١.

(٣) كنز العمال: ١ / ٥٤٥.

(٤) في المصادر: العلم والعمل.

(٥) الدر المنثور: ١ / ٣٤٩، ومسند أحمد: ٥ / ٤١٠.

صالح، أخبرنا خارجة عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: «والله، ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن نعلم فيم أنزلت، وما معناها».

وقال الحسن: «علم القرآن لم يعلمه إلا الذكور من الرجال».

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت ابن أبي الجوزي يقول: حدثنا أبو نصر سعيد الرملي قال: أتينا الفضيل بن العياض بمكة، فسألناه أن يملي علينا فقال: «ضيّعت كتاب الله وطلبتكم كلام فضيل وابن عيينة؟! ولو تفرغتم لكتاب الله تعالى لوجدتم فيه شفاءً لما تريدون». قلنا: قد تعلمنا القرآن! قال: «إن في تعلم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم وأولادكم»^(١). قلنا: كيف؟ قال: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه. فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين»^(٢).

وروى مؤمل بن إسماعيل عن سفيان الثوري أنه قال: «أفئنا عمرنا في الإيلاء والظهار ونبذنا كتاب الله وراء ظهورنا فماذا نقول لرَبِّنا في المعاد؟».

[لغة] التفسير: سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر يقول: سمعت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال يقول: سمعت أبا بكر محمد بن الحسن البريدي يقول: [أما التفسير في اللغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسر، وهي القليل]^(٣) من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن بيان موطنها وشأن الآية وقصصها، ومعناها والسبب الذي نزلت فيه».

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا سعد محمد بن سعيد الفارسي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن محمد بن القاسم الأنباري يقول: سمعت أحمد بن محمد [الخارزنجي] يقول: هو من قول العرب: فسرت الفرس إذا ركضتها مصورة لينطلق حصيرها، وهو يؤول إلى أنما قد سمعته يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن محمد الخارزنجي يقول: من [علوت]^(٤) من سفر مثل جذب وحيد وبيت الماء وبصق ووسع لفحل الناقة وبغاها. تقول العرب: فسرت الناقة، إذا سيرتها حتى زال شعرها، وظهر جلد لها. وأنشدوا فيه لبعض الهذليين:

(١) الخبر في تفسير القرطبي ١ / ٢٢، والمصنف اختصره.

(٢) سورة يونس: ٥٧.

(٣) زيادة من البرهان للزركشي لتقويم النص: ٢ / ١٤٧.

(٤) الموجود في الأصل: عادت.

(١)

فيكون معنى التفسير: كشف المنغلق من المراد بلفظه وإطلاق المحتبس عن فهمه .
والتأويل: بكون الأول معنى مجمله موافق لما قبلها وما بعدها، وأصله من الأول، وهو من
الرجوع، تقول العرب: أولته. قال: أي صرفته فانصرف.

وسمعت أبا القاسم بن أبي بكر السدوسي يقول: سمعت رافع بن عبد الله يقول: سمعت
أبا حبيب زيد بن المهدي يقول: سمعت الحسن بن محمد بن البصري يقول: . . (٢). عن جدّه
النضر أنه قال: «أصله من الإيالة، وهي السياسة، تقول العرب: قد ألنا، وإيل علينا، أي سسنا،
وساسنا غيرنا، فكأنّ المؤول للكلام [يسوى الكلام ويضع المعنى فيه موضعه] (٣) القادر عليه،
وواضعه موضعه. وإنما بنوهما على التفعيل؛ لأنه يدلّ على التكثير، وكأنه تتبع سورة بعد سورة
وآية بعد آية، وأمّا الفرق بينهما:

قالت العلماء: التفسير: علم نزول الآية وشأنها وقصّتها، والأسباب التي نزلت فيها. فهذا
وأضرابه [محظورة] على الناس القول إلا باستماع الأثر. فأما التأويل فالأمر فيه أسهل؛ لأنه
صرف الآية إلى معنى يحتمله، وليس بمحظور على العلماء استنباطه والقول فيه وإنّما يكون مرآتنا
الكتاب والسنة.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) زيادة عن البرهان للزركشي: ٢ / ١٤٩.

تفسير فاتحة الكتاب

[أسمائها]

أخبرنا عبد الرَّحْمَنِ بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن يحيى، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القَطَّان، وأخبرنا محمد بن أحمد بن عبدوس، أخبرنا محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى، حَدَّثَنَا الفضل بن محمد بن المسيَّب، حَدَّثَنَا خلف بن هشام، حَدَّثَنَا محمد بن حسان عن المعافى ابن عمران عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله ربِّ العالمين، سبع آيات أولهنَّ (بسم الله الرَّحْمَن الرحيم)، وهي السبع المثاني، وهي أمِّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب»^(١) [٥].

نزولها:

واختلفوا في نزولها؛ أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قراءة، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله المروزي قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن محمود السعدي، حَدَّثَنَا أبو يحيى القصريّ، حَدَّثَنَا مروان بن معاوية عن الولاء بن المسيَّب عن الفضل بن عمرو عن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكَّة من كنز تحت العرش»^(٢). وعلى هذا أكثر العلماء.

يدلُّ عليه ما أخبرنا الحسن بن محمد بن جعفر، حَدَّثَنَا محمد بن محمود، حَدَّثَنَا أبو لبابة محمد بن مهدي، حَدَّثَنَا أبي عن صدقة بن عبد الرَّحْمَنِ عن روح بن القاسم [العبري] عن عمر ابن شرجبيل قال: إن أول ما نزل من القرآن ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أسرَّ إلى خديجة (رض) وقال: «لقد خشيت أن يكون خالطني شيء». فقالت: وما ذاك؟ قال: «إني إذا خلوت سمعت النداء فأقرّ». قال: فانطلق به أبو بكر إلى ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: إذا أتاك فاجئُ له. فاتاه جبريل فقال له: «قل: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرحيم﴾ * الحمد لله رب العالمين»^(٣) [٦].

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ١٠ بتفاوت.

(٢) أسباب النزول للواحي: ١١.

(٣) بتفاوت في أسباب النزول للواحي: ١١.

وحدَّثنا الحسن بن جعفر، حدَّثنا محمد بن محمود، حدَّثنا عمرو بن صالح عن ابن عباس، حدَّثنا أبي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ بمكة فقال: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم * الحمد لله رب العالمين﴾. فقالت قريش: دق^(١) الله فاك.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب، حدَّثنا أبو زيد، حدَّثنا أبو حاتم بن محبوب الشامي، أخبرنا عبد الجبار العلاء عن معن عن منصور عن مجاهد قال: «فاتحة الكتاب أنزلت في المدينة».

وقال الحسن بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه منكبة من مجاهد لأنه تفرَّد بها، والعلماء على خلافه. وصح الخبر عن النبي ﷺ في حديث أبي بن كعب أنها من: «أول ما نزل من القرآن»^(٢) [٧] وأنها: «السبع المثاني»^(٣) [٨]، وسورة الحجر مكية بلا اختلاف. ومعلوم أن الله تعالى لم يمتنَّ عليه بإتيانه السبع المثاني وهو بمكة، ثم أنزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله ﷺ كان بمكة يصلي عشر [سنوات]^(٤) بلا فاتحة الكتاب، هذا ممَّا لا تقبله العقول.

قال الأستاذ: وقلت: قال بعض العلماء وقد لفق بين هذين القولين: أنها مكية ومدنية، نزل بها جبرئيل مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة حين حلَّها رسول الله ﷺ تعظيماً وتفضيلاً لهذه السورة على ما سواها ولذلك سميت مثاني، والله أعلم.

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفرات، أخبرنا أبو موسى عمران بن موسى، حدَّثنا جعفر ابن محمد بن سوار، أخبرنا أحمد بن نصر، أخبرنا سعيد بن منصور، حدَّثنا سلام عن زيد العمي عن ابن سيرين عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «فاتحة الكتاب شفاء من السم»^(٥) [٩].

وأخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، حدَّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أيوب، حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن صاحب، حدَّثنا المأمون بن أحمد، حدَّثنا أحمد بن عبد الله، حدَّثنا أبو معاوية الضرير عن أبي مالك الأشجعي عن ابن حمران عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فيسمعه الله عزَّ وجلَّ فيرفع عنهم ذلك العذاب أربعين سنة»^(٦) [١٠].

(١) في الأصل موجود فوقها: رق.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١١٧.

(٣) سنن الدارمي: ٢ / ٤٤٥.

(٤) في المخطوط: سنة.

(٥) الجامع الصغير: ٢ / ٢٠٧.

(٦) كشف الخفاء: ١ / ٢٢١.

وحدَّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد قال: حدَّثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هاني، حدَّثنا الحسين بن الفضل، حدَّثنا عفان بن مسلم الصَّفَّار عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: أنزل الله عزَّ وجلَّ مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصَّل، ثم أودع علوم المفصَّل فاتحة الكتاب. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

في فضل التسمية:

حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن علي، حدَّثنا أحمد بن سعيد، حدَّثنا جعفر بن محمد بن صالح، وحدَّثنا محمد بن القاسم الفارسي، حدَّثنا أبو محمَّد عبد الله بن أحمد الشيباني، أخبرنا أحمد بن كامل بن خلف، حدَّثنا علي بن حماد بن السكن، أخبرنا أحمد بن عبد الله الهروي حسام بن سليمان المخزومي عن أبي مليكة عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلِّمون؛ فكلما خلق الدين جدِّدوه. أعطوهم ولا تستأجروهم، فتخرجوهم فإن المعلِّم إذا قال للصبي: قل: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾، فقال الصبي: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ كتب الله براءة للصبي، وبراءة لأبويه وبراءة للمعلِّم من النار»^(١) [١١].

وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل المولى، أخبرنا أبو علي الأسفرائيني الحافظ، حدَّثنا ابن الحسن البصري، حدَّثنا محمد بن مروان أبو جعفر، حدَّثنا أبي، حدَّثنا عمر بن ذر، عن عطاء عن جابر قال: (لما نزلت ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بأذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله بعزته أن لا يسمَّى اسمه على شيء إلا شفاه ولا يسمَّى اسمه على شيء إلا بارك عليه، ومن قرأ ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ دخل الجنة)^(٢).

وأخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن، حدَّثنا محمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا الحسن بن علي بن نصر، حدَّثنا عبد الله بن هاشم، أخبرنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: (من أراد أن يُنجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد)^(٣) [١٢].

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٣٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ١٩ بتفاوت.

(٣) تفسير ابن كثير: ١ / ١٩.

التفسير وبالله التوفيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

إعلم أنّ هذه الباء زائدة، وهي تسمّى باء التضمين أو باء الإلصاق، كقولك: كتبت بالقلم، فالكتابة لاصقة بالقلم. وهي مكسورة أبداً؛ والعلة في ذلك أن الباء حرف ناقص ممال. والإمالة من دلائل الكسر، قال سيبويه: لما لم يكن للباء عمل إلاّ الكسر كسرت.

وقال المبرّد: العلة في كسرها ردّها إلى الأصل، ألا ترى أنك إذا أخبرت عن نفسك فإنك قلت: يَبَيَّنْتُ، فرددتها إلى الياء والياء أخت الكسرة كما أن الواو أخت الضمة والألف أخت الفتحة، وهي خافضة لما بعدها فلذلك كسرت ميم الاسم.

وطوّلت هاهنا وشبهت بالألف واللام؛ لأنهم لم يريدوا أن يفتتحوا كتاب الله إلاّ بحرف مفتوح معظم. قاله القيسي.

قال: وكان عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) يقول لكتّابه: (طوّلو الباء، وأظهروا السين، وفرّجوا بينهما، ودوّروا الميم تعظيماً لكلام الله تعالى).

وقال أبو (١) خالد بن يزيد المرادي: العلة فيها إسقاط الألف من الاسم، فلما أسقطوا الألف ردّوا طول الألف الى الباء ليكون دالاً على سقوط الألف منها. ألا ترى أنهم لمّا كتبوا: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (٢) بالألف ردّوا الباء إلى صيغتها، فإنما حذفوا الألف من (اسم) هنا فالكثرة دورها على الألسن عملاً بالخفة، ولما لم يكثر أضرابها كثرتها أثبتوا الألف بها.

وفي الكلام إضمار واختصار تقديره: قل، أو ابدأ بسم الله.

وقال آدم: الاسم فيه صلة، مجازة: (٣) بالله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هو، واحتجوا بقول لبيد:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلاّ من ربيعة أو مضر^(٤)
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر^(٥)

(١) بياض في المخطوط.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) أو معناه. (هامش المخطوط).

(٤) شرح الرضي على الكافية: ٢ / ٢٤٢.

(٥) الصحاح: ٢ / ٧٣٨.

أي ثم السلام عليكما.

ومعناه: بالله تكوّنت الموجودات، وبه قامت المخلوقات. وأدخلوا الاسم فيه ليكون فرقاً بين المتيّمّن والمتيّمّن به. فأما معنى الاسم، فهو المسمى وحقيقة الموجود، وذات الشيء وعينه ونفسه واسمه، وكلها تفيد معنى واحداً. والدليل على أن الاسم عين المسمى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾^(١)، فأخبر أنّ اسمه يحيى، ثم نادى الاسم وخاطبه فقال: ﴿يَا يَحْيَى﴾^(٢). فيحيى هو الاسم، والإسم هو يحيى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾^(٣) وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسميات.

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٤)، و ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾^(٥).

وقوله ﷺ: «لَتَضُرِبَنَّ مُضْرُ عِبَادَ اللَّهِ حَتَّى لَا يُعْبَدَ لَهُ إِسْمٌ»^(٦) [١٣] أي حتى لا يعبد هو.

ثم يقال: رأينا للتسمية اسم، واستعمالها في التسمية أشهر وأكثر من استعمالها في المسمى، ولعل الاسم أشهر، وجمعه: أسماء، مثل قنو وأقناء، وحنو وأحناء، فحذفت الواو للاستئصال، ونقلت حركة الواو إلى الميم فأعربت الميم، ونقل سكون الميم إلى السين فسكنت، ثم أدخلت ألف مهموزة لسكون السين؛ لأجل الابتداء بذلك عليه التصغير والتصريف يقال: سُمِّيَ وسُمِّيَ؛ لأن كل ما سقط في التصغير والتصريف فهو غير أصلي. واشتقاقه من (سما) (يسمو)، فكان المخبر عنه بأنه معدوم ما دام معدوماً فهو في درجة يرتفع عنها إذ وجد، ويعلو بدرجة وجوده على درجة عدمه. والاسم الذي هو العبارة والتسمية للمخبر والصفة للمنظر. وأصل الصفة ظهور الشيء وبروزه، والله أعلم.

فأما ما ورد في تفسيرها بتفصيلها فكثير، ذكرت جلّ أقاويلها في حديث وحكاية.

أخبرنا الأستاذ أبو القاسم بن محمد بن الحسن المفسّر، حدّثنا أبو الطيّب محمد بن أحمد ابن حمدون المذكر، أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد، حدّثنا أحمد بن هشام الأنطاكي، حدّثنا الحكم بن نافع عن إسماعيل بن عباس عن إسماعيل عن يحيى عن أبي مليكة عن مسعود بن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى بن

(١) سورة مريم: ٧.

(٢) سورة مريم: ١٣.

(٣) سورة يوسف: ٤٨.

(٤) الأعلى: ١.

(٥) الرّحمن: ٧٨.

(٦) مجمع الزوائد: ٧ / ٣١٣.

مريم أسلمته أمّه إلى الكتاب ليتعلّم، فقال له المعلم: قل^(١) باسم الله. قال عيسى: وما باسم الله؟ فقال له المعلم: ما أدري. قال: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مملكة الله^(٢) [١٤].

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا إسحاق بن ميثم بن محمد بن يزيد النسفي بمرور يقول: سمعت أبا عبد الله ختن أبي بكر الوراق يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول في ﴿بسم الله﴾: إنها روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدة:

فالباء على ستة أوجه:

بارئ خلقه من العرش إلى الثرى، ببيان قوله:

﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

بصير بعباده من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾^(٤).

باسط الرزق من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٥).

وباق بعد فناء خلقه من العرش إلى الثرى: بيانه: ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٦).

باعث الخلق بعد الموت للثواب والعقاب، بيانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٧).

بارّ بالمؤمنين من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(٨).

والسين على خمسة أوجه:

سميع لأصوات خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^(٩).

سيّد قد بلغ سؤدده من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(١٠).

سريع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١١).

سلم خلقه من ظلمه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنِ﴾^(١٢).

(٧) سورة الحج: ٧.

(٨) سورة الطور: ٢٨.

(٩) سورة الزخرف: ٨٨.

(١٠) سورة الإخلاص: ٢.

(١١) سورة البقرة: ٢٠٢.

(١٢) سورة الحشر: ٢٤.

(١) في المصدر: أكتب.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٨١.

(٣) سورة الطور: ٢٨.

(٤) سورة الملك: ١٩.

(٥) سورة الرعد: ٢٦.

(٦) سورة الرّحمن: ٢٦.

- غافر ذنوب عباده من العرش إلى الثرى، بيانه: قوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾^(١).
 والميم على اثني عشر وجهاً:
 ملك الخلق من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الملك القدوس﴾^(٢).
 مالك خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾^(٣).
 مَنّ على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿بل الله يَمُنُّ عليكم﴾^(٤).
 مجيد على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ذو العرش المجيد﴾^(٥).
 مؤمّن آمن خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿وآمنهم من خوف﴾^(٦).
 مهيمن اطلع على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿المؤمن المهيمن﴾^(٧).
 مقتدر على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾^(٨).
 مقيت على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾^(٩).
 متكرّم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾^(١٠).
 منعم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾^(١١).
 متفضّل على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ولكنّ الله ذو فضل على العالمين﴾^(١٢).
 مصوّر خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الخالق البارئ المصور﴾^(١٣).
 وقال أهل الحقائق:^(١٤) في ﴿بسم الله﴾ التيمّن والتبرّك وحثّ الناس على الابتداء في أقوالهم وأفعالهم بـ ﴿بسم الله﴾ لما افتتح الله عزّ وجلّ كتابه به، والله أعلم.
 ﴿الله﴾، اعلم أن أصل هذه الكلمة (إله) في قول أهل الكوفة، فأدخلت الألف واللام فيها تفخيماً وتعظيماً لما كان اسم الله عزّ وجلّ، فصار (الإله)، فحذفت الهمزة استثقالا لكثرة جريانها على الألسن، وحوّلت هويتها إلى لام التعظيم فالتقى لآمان، فأدغمت الأولى في الثانية، فقالوا (الله).

- | | |
|------------------------|------------------------|
| (١) سورة غافر: ٣. | (٨) سورة القمر: ٥٥. |
| (٢) سورة الحشر: ٢٣. | (٩) سورة النساء: ٨٥. |
| (٣) سورة آل عمران: ٢٦. | (١٠) سورة الإسراء: ٧٠. |
| (٤) سورة الحجرات: ١٧. | (١١) سورة لقمان: ٢٠. |
| (٥) سورة البروج: ١٥. | (١٢) سورة البقرة: ٢٥١. |
| (٦) سورة قريش: ٤. | (١٣) سورة الحشر: ٢٤. |
| (٧) سورة الحشر: ٢٣. | (١٤) بياض في المخطوط. |

وقال أهل البصرة: أصلها (لاه)، فألحقت بها الألف واللام، فقالوا: (الله). وأنشدوا:

كحلفة من أبي رباح يسمعها الآهه الكبار^(١)
فأخرجه على الأصل.

وقال بعضهم: أدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة المحذوفة في (إله)، فلزمنا الكلمة لزوم تلك الهمزة لو أجزيت على الأصل، ولهذا لم يدخل عليه في النداء ما يدخل على الأسماء المعرفة من حروف التشبيه، فلم يقولوا: يا أيها الله.

دفع أقاويل أهل التأويل في هذا الاسم مبنية على هذين القولين...^(٢) ثمة، واختلفوا فيه؛ فقال الخليل بن أحمد وجماعة: (الله) اسم علم موضوع غير مشتق بوجه، ولو كان مشتقا من صفة كما لو كان موصوفاً بتلك الصفة أو بعضها، قال الله: ﴿هل تعلم له سمياً﴾^(٣).

(الله): اسم موضوع لله تعالى لا يشركه فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾، يعني: أن كل اسم مشترك بينه وبين غيره؛ له على الحقيقة ولغيره على المجاز إلا هذا الاسم فإنه مختص به لأن فيه معنى الربوبية. والمعاني كلها تحته، ألا ترى أنك إذا أسقطت منه الألف بقي لله، وإذا أسقطت من الله اللام الأولى بقي (له)، وإذا أسقطت من (له) اللام بقي هو.

قالوا: وإذا أطلق هذا الاسم على غير الله فإنما يقال بالإضافة كما يقال: لاه كذا أو ينكر فيقال: لله كما قال تعالى إخباراً عن قوم موسى ﷺ: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾^(٤). وأما (الله)، و (الإله) فمخصوصان لله تعالى.

وقال قوم: أصله (لاها) بالسريانية، وذلك أن في آخر أسمائهم مدة، كقولهم للروح: (روحا)، وللقدس: (قدسا)، وللمسيح: (مسيحا)، وللأبن: (ابنا)، فلما طرحوا المدة بقي (لاه)، فعرّبه العرب وأقرّوه.

ولا اشتقاق له، وأكثر العلماء على أنه مشتق؛ واختلفوا في اشتقاقه، فقال النضر بن إسماعيل: هو من التأله، وهو التشك والتعبد، قال رؤية:

لله در الغانيات المدة سبحن واسترجعن من تألهي^(٥)
ويقال: أله إلهة، كما يقال: عبد عبادة. وقرأ ابن عباس: (ويذكر وإلهتك) أي عبادتك؛ فمعناه عبادتك المعبود الذي تحق له العبادة.

(١) الصحاح: ٦٧ / ٢٢٤٨.

(٢) سورة مريم: ٦٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٤) الصحاح: ٦ / ٢٢٤٩.

(٥) بياض في المخطوط.

وقال قوم هو من (الإله)، وهو الاعتماد، يقال: ألّٰهت إلى فلان، ألّٰه إلهًا، أي فزعت إليه واعتمدت عليه، قال الشاعر :

ألّٰهت إليها والركائب وقّف^(١)

ومعناه: أن الخلق يفرعون ويتضرعون إليه في الحوادث والحوائج، فهو يألّٰههم، أي يجيرهم، فسمي إلهًا، كما يقال: إمام للذي يؤتم به، ولحاف ورداء وإزار وكساء للشوب الذي يلتحف به، ويرتدى به^(٢)، وهذا معنى قول ابن عباس والضحاك.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو من (ألّٰهت في الشيء)^(٣) إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه، قال زهير:

..... يألّٰه العين وسطها

مخففة

وقال الأخطل:

ونحن قسمنا الأرض نصفين نصفها لنا ونرامي أن تكون لنا معا
بتسعين ألفاً تأله العين وسطها متى ترها عين الطرامة تدمعا^(٤)
ومعناه: أن العقول تتحير في كنه صفته وعظمته والإحاطة بكيفيته، فهو إله كما قيل للمكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب^(٥).

وقال المبرّد: هو من قول العرب: (ألّٰهت إلى فلان) أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألّٰهت إليها والحوادث جمّة

فكان الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، قال الله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئنن للقلوب﴾^(٦).

وسمعت أبا القاسم الحسن: سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرحيم القناد يقول: أصله من (الولة)، وهو ذهاب العقل لفقدان من يعزّ عليك. وأصله (ألّٰه) - بالهمزة - فأبدل من الألف واو ف قيل الولة، مثل (إشاح، ووشاح) و (وكاف، وإكاف) و (أرّخت الكتاب، وورّخته) و (ووقّنت، وأقّنت). قال الكميت:

(٢) كذا في المخطوط.

(٤) بياض في المخطوط.

(١) لسان العرب: ١٣ / ٤٦٩.

(٣) يكون مشتق من: الولة، وهو التحير.

(٥) غريب الحديث: ٢ / ٣٤٧.

(٦) لسان العرب: ١٣ / ٤٦٩.

(٧) سورة الرعد: ٢٨.

ولهمت نفسي الطروب إليهم ولها حال دون طعم الطعام^(١)
فكأنه سمّي بذلك؛ لأن القلوب تولّه لمحبتّه وتضطرب وتشتاق عند ذكره.

وقيل: معناه: محتجب؛ لأن العرب إذا عرفت شيئاً، ثم حجب عن أبصارها سمّته إلهاً،
قال: لاهت العروس تلوه لوهاً، إذ حُجبت.

قال الشاعر:

لا هت فما عرفت يوماً بخارجة يا ليتها خرجت حتّى رأيناها^(٢)
والله تعالى هو الظاهر بالربوبية [بالدلائل والأعلام] وهو المحتجب من جهة الكيفية عن
الأوهام.

وقيل: معناه المتعالي، يقال: (لاه) أي ارتفع.

وقد قيل: من [إلا هتك]، فهو كما قال الشاعر:

تروّحنا من اللعباء قصراً^(٣) وأعجلنا الألاهة أن تؤوبا^(٤)
وقيل: هو مأخوذ من قول العرب: ألّهت بالمكان، إذا أقمت فيه، قال الشاعر:

ألّهنّا بدار ما تبين رسومها كأن بقاياها وشام على اليد^(٥)
فكأن معناه: الدائم الثابت الباقي.

وقال قوم: [ان يقال]^(٦) ذاته وهي قدرته على الإخضاع.

وقال الحارث بن أسد المجلسي، أبو عبد الله البغدادي: الله من (ألهم) أي أحوجهم،
فالعباد مولوّهون إلى بارئهم أي محتاجون إليه في المنافع والمضارّ، كالواله المضطرّ المغلوب.

وقال شهر بن حوشب: الله خالق كل شيء، وقال أبو بكر الوراق: هو.

وغلّظ بعض بقراءة اللام من قوله: (الله) حتى طبقوا اللسان به الحنك لفخامة ذكره،
وليصرف عند الابتداء بذكره وهو الرب.

«الرّحمن الرحيم»، قال قوم: هما بمعنى واحد مثل (ندمان، ونديم) و (سلمان،

(١) لسان العرب: ١٣ / ٥٦١.

(٢) تفسير القرطبي: ١٧ / ١٠١.

(٣) في اللسان: عصراً.

(٤) تفسير الطبري: ٩ / ٣٥، ولسان العرب: ١ / ٢١٩.

(٥) تاج العروس: ٩ / ٣٧٥.

(٦) كذا في المخطوط.

(وسليم)، وهوان وهوين. ومعناهما: ذو الرحمة، والرحمة: إرادة الله الخير بأهله، وهي على هذا القول صفة ذات. وقيل: هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة، [وفعل] الخير إلى من لم يستحق، وعلى هذا القول صفة فعل، يجمع بينهما للاتساع، كقول العرب: جاد مجد. قال طرفة:

فما لي أراني وابن عمي مالكا متى أدنُ منه ينأ عني ويبعد^(١)
وقال آخر:

وألفى قولها كذبا ومينا^(٢)

وفرق الآخرون بينهما فقال: بعضهم الرَّحْمَن على زنة فعلان، وهو لا يقع إلا على مبالغة القول. وقولك: رجل غضبان للممتلى غضباً، وسكران لمن غلب عليه الشراب. فمعنى (الرَّحْمَن): الذي وسعت رحمته كل شيء.

وقال بعضهم: (الرَّحْمَن) العاطف على جميع خلقه؛ كافرهم ومؤمنهم، برّهم وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم، قال الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾^(٣)، و(الرحيم) بالمؤمنين خاصة بالهداية والتوفيق في الدنيا، والجنة والرؤية في العقبى، قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾^(٤). ف (الرَّحْمَن) خاصّ اللفظ عامّ المعنى، و (الرحيم) عامّ اللفظ خاصّ المعنى. و (الرَّحْمَن) خاص من حيث إنه لا يجوز أن يسمى به أحد إلا الله تعالى، عامّ من حيث إنه يشمل الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع. و (الرحيم) عامّ من حيث اشتراك المخلوقين في المسمّى به، خاص من طريق المعنى؛ لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق. وهذا قول جعفر بن محمد الصادق (رضي الله عنه).

الرَّحْمَن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة، وقول ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسّر، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الدقاق، حدّثنا الحسن بن محمد بن جابر، حدّثنا عبد الله بن هاشم، أخبرنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال: الرَّحْمَن بأهل الدنيا، والرحيم بأهل الآخرة. وجاء في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

وقال الضحاك: الرَّحْمَن بأهل السماء حين أسكنهم السماوات، وطوّقهم الطاعات،

(١) الفروق اللغوية: ١١٨.

(٢) الصحاح: ٦ / ٢٢١٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٣.

وجنَّبهم الآفات، وقطع عنهم المطاعم واللذات. والرحيم بأهل الأرض حين أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وأعذر إليهم في النصيحة وصرف عنهم البلايا.

وقال عكرمة: الرَّحْمَنُ برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول النبي ﷺ الذي حدَّثناه أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري، حدَّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي بمرور، حدَّثنا أبو هريرة وأحمد بن محمد بن شاردة الكشي، حدَّثنا جارود ابن معاذ، أخبرنا عمير بن مروان عن عبد الملك أبي سليمان عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وأخر تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة»^(١) [١٥].

وفي رواية أخرى: «إن الله تعالى قابض هذه إلى تلك فمكملها مائة يوم القيامة، يرحم بها عباده»^(٢) [١٦].

وقال ابن المبارك: (الرَّحْمَنُ: الذي إذا سُئِلَ أعطى، والرحيم إذا لم يُسأل غضب. يدل عليه ما حدَّثنا أبو القاسم المفسر، حدَّثنا أبو يوسف رافع بن عبد الله بمرور، حدَّثنا خلف ابن موسى: حدَّثنا محمود بن خدّاش، حدَّثنا هارون بن معاوية، حدَّثنا أبو الملقح وليس الرقي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: من لم يسأل الله يغضب عليه^(٣)، نضمه الشاعر فقال:

إن الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب^(٤) [١٧]

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت إبراهيم بن محمد النسفي يقول: سمعت أبا عبد الله - وهو ختن أبي بكر الوراق - يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول: (الرَّحْمَنُ: بالنعماء وهي ما أعطي وحبا، والرحيم بالآلاء وهي ما صرف وزوى).

وقال محمد بن علي المزيدي: الرَّحْمَنُ بالإنقاذ من النيران، وبيانه قوله تعالى: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾^(٥)، والرحيم بإدخالهم الجنان، بيانه: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾^(٦).

وقال المحاسبي: (الرَّحْمَنُ: برحمة النفوس، والرحيم برحمة القلوب).

(١) صحيح مسلم: ٨ / ٩٦، سنن ابن ماجه: ٢ / ١٤٣٥ بتفاوت.

(٢) المستدرک: ٤ / ٢٤٨، بتفاوت.

(٣) فتح الباري: ١١ / ٧٩.

(٤) تفسير القرطبي: ٥ / ١٦٤.

(٥) سورة الحجر: ٤٦.

(٦) سورة آل عمران: ١٠٣.

- وقال السريّ بن مغلس: (الرَّحْمَنُ بكشف الكروب، والرحيم بغفران الذنوب).
- وقال عبد الله بن الجراح: (الرَّحْمَنُ بـ... (١) الطريق، والرحيم بالعصمة والتوفيق).
- وقال مطهر بن الوراق: (الرَّحْمَنُ بغفران السيئات وإن كن عظيمات، والرحيم بقبول الطاعات وإن كنّ [قليلات] (٢)).
- وقال يحيى بن معاذ الرازي: (الرَّحْمَنُ بمصالح معاشهم، والرحيم بمصالح معادهم).
- وقال الحسين بن الفضل: (الرَّحْمَنُ الذي يرحم العبد على كشف الضر ودفع الشر، والرحيم الذي يرقّ وربما لا يقدر على الكشف).
- وقال أبو بكر الوراق أيضاً: (الرَّحْمَنُ بمن جحدته والرحيم بمن وحّده، والرَّحْمَنُ بمن كفر والرحيم بمن شكر، والرَّحْمَنُ بمن قال ندّاً والرحيم بمن قال فرداً).

في أن التسمية من الفاتحة أو لا؟

واختلف الناس في أنّ التسمية؛ هل هي من الفاتحة؟ فقال قرّاء المدينة والبصرة وقرّاء الكوفة: إنها افتتاح التيمّن والتبرّك بذكره، وليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور، ولا تجب قراءتها وأن الآية السادسة قوله تعالى: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وهو قول مالك بن أنس والأوزاعي وأبي حنيفة - رحمهم الله - ورووا ذلك عن أبي هريرة.

أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن النيسابوري، حدّثنا أبو الحسن محمد بن الحسن الكابلي، أخبرنا علي بن عبد العزيز الحلّي، حدّثنا أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، حدّثنا الحجاج عن أبي سعيد الهذلي عن (٣) عن أبي هريرة قال (أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ) الآية السادسة، فرُفعت فرقة أنها آية من أمّ القرآن، وفي سائر السور فصل، فليست هاهنا أنها يجب قراءتها.

[وقال قوم: إنها آية من فاتحة الكتاب] (٤) رَوَوْا ذلك عن سعيد بن المسيب، وبه قال قرّاء مكة والكوفة وأكثر قرّاء الحجاز، ولم يعدّوا ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية.

وقال الشافعي والشافعي وهو رأي عبد الله أنها نزلت في الآية الأولى من فاتحة الكتاب،

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط، وما ذكرناه هو الظاهر.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) كلام غير مقروء والظاهر ما أثبتناه.

وهي من كل سورة آية إلا التوبة. والدليل عليه الكتاب والسنة؛ أمّا الكتاب سمعت أبا عثمان بن أبي بكر الزعفراني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن موسى يقول: سمعت الحسن بن المفضل يقول: رأيت الناس^(١) في النمل أن ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرحيم﴾ فيها من القرآن فوجدتها بخطها ولو أنها مكررات في القرآن، فعرفنا أماكنها منه بل حتى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾^(٢)، ﴿ويل يومئذ للمكذّبين﴾^(٣) لما كانا في القرآن كانت مكرراتهما من القرآن.

وبلغنا أن رسول الله ﷺ كتب في بدء الأمر على رسم قريش: «باسمك اللهم» حتى نزلت: ﴿وقال اركبوا فيها باسم الله مجربها ومرساها﴾^(٤) فكتب: ﴿بسم الله﴾ حتى نزلت: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرَّحْمَن﴾^(٥)، فكتب: «بسم الله الرَّحْمَن»، حتى نزلت: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرَّحْمَن الرحيم﴾^(٦)، فكتب مثلها فلمّا كانت هذه وحيث أن يكون^(٧) منه ثم افتخر النبي ﷺ بهذه الآية، وحق له ذلك.

حدّثنا عبد الله بن حامد بن محمد الوراق: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه حدّثنا محمد ابن يحيى بن سهل، حدّثنا آدم بن أبي إياس، حدّثنا سلمة بن الأحمر عن يزيد بن أبي خالد عن عبد الكريم بن أمية عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيري؟». فقلت: بلى. قال: «بأي شيء تفتتح إذا افتتحت القرآن؟». قلت: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرحيم﴾ فقال: «هي هي»^(٨) [١٨].

وفي هذا الحديث دلّ دليل على كون التسمية آية تامّة من الفاتحة وفواتح السور؛ لأن النبي ﷺ حين لفظ الآية كلها، والتي في سورة النمل ليست بآية وإنما هي بعض الآية، وبالله التوفيق.

وأما الأخبار الواردة فيه، فأخبرنا أبو القاسم السدوسي، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبري، حدّثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدّثنا أبو سفيان المعمرى عن إبراهيم بن يزيد قال: قلت لعمر بن دينار: إن الفضل الرقاشي زعم أن ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرحيم﴾ ليس من القرآن؟ قال: سبحان الله! ما أجزأ هذا الرجل! سمعت سعيد بن جبير يقول: سمعت ابن عباس يقول: كان رسول الله ﷺ إذا نزلت آية ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرحيم﴾ علم أن السورة قد ختمت وفتح غيرها.

- | | |
|--------------------------|-----------------------------------|
| (١) بياض في المخطوط. | (٥) سورة الإسراء: ١١٠. |
| (٢) سورة الرَّحْمَن: ١٣. | (٦) سورة النمل: ٣١. |
| (٣) سورة المرسلات: ١٥. | (٧) بياض في المخطوط. |
| (٤) سورة هود: ٤١. | (٨) مجمع الزوائد: ٢ / ١٠٩ بتفاوت. |

وحدَّثنا الحسن بن محمد: حدَّثنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي: حدَّثنا أبو محمد إسماعيل ابن عيسى الواسطي: حدَّثنا عبد الله بن نافع عن جهم بن عثمان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «كيف تقول إذا قمت إلى الصلاة؟» [١٩] قال: أقول: الحمد لله رب العالمين. قال: «قل: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾»^(١).

وحدَّثنا الحسن بن محمد، أخبرنا أبو الحسين...^(٢)، حدَّثنا علي بن عبد العزيز، حدَّثنا أبو عبيد، حدَّثنا عمر بن هارون البلخي عن أبي صالح عن أبي مليكة عن مسلمة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم * الحمد لله رب العالمين * الرَّحْمَن الرَّحِيم * مالك يوم الدين﴾ يعني يقطعها آية آية حتى عدَّ سبع آيات عدَّ الأعراب.

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد، حدَّثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، حدَّثنا محمد ابن جعفر، حدَّثنا إسماعيل بن أبي أورس، حدَّثنا الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أنه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾، وكان يقول: «من ترك قراءتها فقد نقص». وكان يقول: «هي تمام السبع المثاني والقرآن العظيم».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن جعفر، حدَّثنا أبو العباس الأصم، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدَّثنا جعفر بن حيّان عن عبد الملك بن جريح عن أبيه عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾^(٣) قال: فاتحة الكتاب.

وقيل لابن عباس: أين السابعة؟ قال: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ وعدّها في يديه ثم قال: أخرجها لكم، وما أجد فيها أمركم.

أخبرنا [محمد بن الحسين] حدَّثنا عبد الله بن محمد بن مسلم، حدَّثنا يزيد بن سنان، حدَّثنا أبو بكر الحنفي، حدَّثنا نوح بن أبي بلال قال: سمعت المقبري عن أبي هريرة أنه قال: إذا قرأتم أم القرآن فلا تبرحوا ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ فإنها إحدى آياتها وإنها السبع المثاني.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، حدَّثنا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، حدَّثنا أحمد بن نصر، حدَّثنا آدم بن إياس عن أبي سميان عن العلا، عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يقول الله: قسمت الصلاة

(١) تاريخ جرجان: ٤٩١.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) سورة الحجر: ٨٧.

بيني وبين عبادي نصفين؛ فإذا قال العبد: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال الله: مَجْدَنِي عَبْدِي، وإذا قال العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله: حمدني عبدِي، وإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال: أثنى عليَّ عبدِي، وإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ قال الله: فَوَضَّ إِلَيَّ أَمْرَهُ عَبْدِي، وإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدِي، وإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال الله: هذا لعبدي، ولعبدِي ما سأل»^(١) [٢٠].

وأخبرنا علي بن محمد بن الحسن المقرئ، أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد القصار، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا...^(٢) حَدَّثَنِي أَبُو إِسْمَاعِيلَ بْنُ يَحْيَى...^(٣)، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَحْدُثُ أَصْحَابَهُ؛ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ يَصَلِّي، وَافْتَتَحَ الصَّلَاةَ، وَتَعَوَّذَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَجُلُ، قَطَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ الصَّلَاةَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مِنَ الْحَمْدِ؟ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ تَرَكَ آيَةً، وَمَنْ تَرَكَ آيَةً مِنْهُ فَقَدْ قَطَعْتَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ»^(٤). لَا تَكُونِ الصَّلَاةُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَمَنْ تَرَكَ آيَةً فَقَدْ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ [٢١].

وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد الجرجاني، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ هِشَامٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا حَكِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ مُسْلِمٍ الْمَكِّيُّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي مَلِيكَةَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَقَدْ تَرَكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»^(٥) [٢٢].

وقد عدّها علي ﷺ فيما عدّ من أم الكتاب.

وأما الإجماع، فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الوراق، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الضبعي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ فليح، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ يَجْهَرُ فِيهَا، وَلَمَّا قَرَأَ أَمَّ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَقْرَأْ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وَقَضَى صَلَاتَهُ، نَادَاهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ: أَنْسَيْتَ! أَيْنَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حِينَ اسْتَفْتَحْتَ الْقُرْآنَ؟ فَأَعَادَهَا لَهُمْ مُعَاوِيَةُ فَقَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

(١) السنن الكبرى: ١ / ٣١٦، أحكام القرآن: ١ / ٨، تفسير ابن كثير: ١ / ١٢، بتفاوت.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) الدر المنثور: ١ / ٧، عن الثعلبي.

(٥) الدر المنثور: ١ / ٧.

الكلام في جزئية البسملة من باقي السور

هذا في الفاتحة، فأما في غيرها من السور، فأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز، عن ابن جريج، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، أن أبا بكر بن حفص بن عاصم قال: صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة، وقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لأم القرآن ولم يقرأ للسورة التي بعدها حتى قضى صلاته، فلما سلم ناداه المهاجرون من كل مكان: يا معاوية، أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فصلى بهم صلاة أخرى وقرأ فيها للسورة التي بعدها.

وما...^(١) النظر بآيات [السور]^(٢) مقاطع القرآن على ضربين متقاربة ومتشاكلة. والمتشاكلة نحو ما في سورة القمر والرحمن وأمثالهما، والمتقاربة قيل: في سورة ﴿ق﴾ * والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجب^(٣)، وما ضاهاها. ثم نظرنا في قوله: ﴿قبلهم﴾، فلم يكن من المتشاكلة ولا من المتقاربة، ووجدنا أواخر آي القرآن على حرفين: ميم ونون أو حرف صحيح قبلها نا مكسورة فأولها، أو واو مضموم ما قبلها، أو ألف مفتوح ما قبلها، ووجدنا سبيلهم هو هو مخالف لنظم الكتاب.

هذا ولم نر غير مبتدأ آية في كتاب الله...^(٤) إذ يقول أيضاً: إن التسمية لا [تخلو]^(٥)؛ إما أن تكون مكتوبة للفصل بين السور، أو في آخر السور، أو في أوائلها أو حين نزلت كتبت، وحيث لم تنزل لم تكتب، فلو كتبت للفصل لكتبت...^(٦) وتراخ، ولو كتبت في الابتدا لكتبت في (براءة)، ولو كتبت في الانتهاء لكتبت في آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾^(٧). فلما أبطلت هذه الوجوه علمنا أنها كتبت حيث نزلت، وحيث لم تنزل لم تكتب.

يقول أيضاً: إنا وجدناهم كتبوا ما كان غير قرآن من الآي والأخرى، أو خضرة، وكتبوا التسمية بالسواد فعلما أنها قرآن، وبالله التوفيق.

حكم الجهر بالبسملة في الصلاة

ثم الجهر بها في الصلاة سنة لقول الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾^(٨) [فأمر]^(٩) رسوله أن يقرأ القرآن بالتسمية، وقال: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾^(١٠) فأوجب الفلاح لمن صلى بالتسمية.

(٦) بياض في المخطوط.

(٧) سورة الناس: ١.

(٨) سورة العلق: ٢.

(٩) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.

(١٠) سورة الأعلى: ١٤ و ١٥.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

(٣) سورة ق: ١ - ٢.

(٤) بياض في المخطوط.

(٥) بياض في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

وأخبرنا أبو القاسم [الحسن بن محمد بن جعفر] حَدَّثَنَا أَبُو صخر محمد بن مالك السعدي بمرور، حَدَّثَنَا عبد الصمد بن الفضل الأملي، حَدَّثَنَا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي بغوطة [دمشق]^(١) قال: صليت خلف المهدي أمير المؤمنين فجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقلت: ما هذه القراءة يا أمير المؤمنين؟ [فقال:] حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَهِرَ بِـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قلت: آثرها عنك؟ قال: نعم^(٢).

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ قُرَيْشٍ بْنُ حَابِسٍ بِمَرْوِ الرُّوْذِ إِمْلَاءً، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّادِ الدَّيْرِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عُمَرَ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَابْنَ عَبَّاسٍ كَانَا يَجْهَرَانِ بِـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَكْرِيَّا الْعَنْبَرِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا خَيْثَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ لَيْثًا قَالَ: كَانَ عَطَاءٌ وَطَاوُوسٌ وَمُجَاهِدٌ يَجْهَرُونَ بِـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصِيرِ الطُّوسِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو مِثْمَ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَزَاعِيُّ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ، أَنَّ الْعِبَادَةَ كَانُوا يَسْتَفْتَحُونَ الْقِرَاءَةَ بِـ بِسْمِ ﴿اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يَجْهَرُونَ بِهَا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ.

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْفَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْأَسْكَندَرَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَلْطِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَالَ: «اجْتَمَعَ آلُ مُحَمَّدٍ عَلَى الْجَهْرِ بِـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وَعَلَى أَنْ يَقْضُوا مَا فَاتَهُمْ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ، وَعَلَى أَنْ يَقُولُوا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَحْسَنَ الْقَوْلِ وَفِي صَاحِبِهِمَا».

وبهذا الإسناد قال: سئل الصادق عن الجهر بالتسمية، فقال: «الحق الجهر به، وهي التي التي ذكر الله عز وجل: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا﴾»^(٣).

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُوسَى بْنِ كَعْبِ الْعَدَلِ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ اللَّيْثِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعَلَّى الْمُرَادِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ

(١) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.

(٢) البداية والنهاية: ١٠ / ١٦٢.

(٣) سورة الإسراء: ٤٦.

إياس عن سعيد ابن أبي سعيد المقرئ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فعلمني الصلاة»^(١) [٢٣]، ثم قام رسول الله ﷺ وكبر فجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

وحدَّثنا الحسن بن محمد، حدَّثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن حمدون، حدَّثنا الشريقي، حدَّثنا محمد بن يحيى، حدَّثنا ابن أبي مريم عن يحيى بن أيوب ونافع بن أيوب قالوا: حدَّثنا عقيل عن الزهري قال: من سنة الصلاة أن تقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في فاتحة الكتاب [فإن] لم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لم يقرأ السورة. وقال: إن أول من ترك ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ عمرو ابن سعيد بن العاص بالمدينة، واحتج من أن إتيان التسمية أنها من الفاتحة، والجهر بها في الصلاة بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل النيسابوري القطان، حدَّثنا محمد بن إبراهيم الجرجاني، حدَّثنا إبراهيم بن عمار عن سعيد بن أبي عروبة عن الحجاج بن الحجاج عن قتادة عن أنس بن مالك قال: صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن إسماعيل العماري، حدَّثنا يزيد بن أحمد بن يزيد، حدَّثنا أبو عمرو، حدَّثنا محمد بن عثمان، حدَّثنا سعيد بن بشير، عن قتادة عن أنس، أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا لا يجهرون، ويخفون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

فعلم بهذا الحديث أنه لم ينف كونه هذه الآية من جملة السورة، لكنه تعرّض لترك الجهر فقط، على أنه أراد بقوله: (لا يجهرون): أنهم لا يتكلفون في رفع الصوت ولم يرد الإسراء والتخافت أو تركها أصلاً.

ويدل عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري، حدَّثنا محمد بن عبد السلام الوراق وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قالوا: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا يحيى بن آدم، أخبرنا شريك، عن ياسر، عن سالم الأفتس، عن ابن أبي ليلى، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ جهر بها صوته، فكان المشركون يهزؤون بمكة ويقولون: يذكر إله اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، ويسمونهم الرّحمن، فأنزل الله: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فيسمع المشركون فيهزؤون، ﴿ولا تخافت﴾ عن أمتك ولا تسمعهم ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾^(٢).

واحتجوا أيضاً بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن جعفر المطيري، حدَّثنا بشر

(١) كثر العمال: ٧ / ٤٤١.

(٢) سورة الإسراء: ١١٠.

ابن مطر [عن سفيان عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة] عن أبيه عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون القراءة بـ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وإنما عنى بها أنهم كانوا يستفتحون الصلاة بسورة (الحمد)، فعبر بهذه الآية عن جميع السورة كما يقول: قرأت ﴿الحمد لله﴾ و (البقرة)، أي سورة ﴿الحمد لله﴾ وسورة (البقرة) ... (١) أي رويناهما نحكم على هذين الحديثين وأمثالهما وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾

... (٢) على نفسه، نعيماً منه على خلقه. ولفظه خبر ومعناه أمر، تقريره: قولوا: الحمد لله. قال ابن عباس: يعني: الشكر منه، وهو من الحمد ... (٣) والحمد لله نقيض الذم. وقال ابن الأنباري: هو مقلوب عن المدح كقوله: جبل وجلب، و: بض وضب.

واختلف العلماء في الفرق بين الحمد والشكر، فقال بعضهم: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من الخصال الحميدة، تقول: حمدت الرجل، إذا أثنت عليه بكرم أو [حلم] أو شجاعة أو سخاوة، ونحو ذلك. والشكر له: الثناء عليه أو لآله.

فالحمد: الثناء عليه بما هو به، والشكر: الثناء عليه بما هو منه.

وقد يوضع الحمد موضع الشكر، فيقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرته، ولا يوضع الشكر موضع الحمد، [ف] لا يقال: شكرته على علمه وحلمه.

والحمد أعظم من الشكر؛ لذلك ذكره الله فأمر به، فمعنى الآية: الحمد لله على صفاته العليا وأسمائه الحسنى، وعلى جميع صنعه وإحسانه إلى خلقه.

وقيل: الحمد باللسان قولاً، قال الله: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ (٤)، وقال: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ (٥) والشكر بالأركان فعلاً، قال الله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ (٦).

وقيل: الحمد لله على ما حبا وهو النعماء، والشكر على ما زوى وهو اللأواء.

وقيل: الحمد لله على النعماء الظاهرة، والشكر على النعماء الباطنة، قال الله تعالى: ﴿وأسئغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (٧).

(٥) سورة النمل: ٥٩.

(٦) سورة سبأ: ١٣.

(٧) سورة لقمان: ٢٠.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) سورة الإسراء: ١١١.

وقيل: الحمد ابتداء والشكر... (١).

حدَّثنا الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظاً، حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي، حدَّثنا محمد بن علي الترمذي، حدَّثنا عبدالله بن العباس الهاشمي، حدَّثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو [بن العاص] قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمد» (٢) [٢٤].

وحدَّثنا الحسن بن محمد، أخبرنا أبو العباس أحمد بن هارون الفقيه، حدَّثنا عبد الله بن محمود السعدي، حدَّثنا علي بن حجر، حدَّثنا شعيب بن صفوان عن مفضل بن فضالة عن علي بن يزيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه سئل عن ﴿الحمد لله﴾ قال: كلمة شكر أهل الجنة.

في إعراب ﴿الحمد لله﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾

وقد اختلف القراء في قوله: ﴿الحمد لله﴾، فقرأت العامة بضم الدال على الابتداء، وخبره فيما بعده. وقيل: على التقديم والتأخير، أي لله الحمد.

وقيل: على الحكاية. وقرأ هارون بن موسى الأعور ورؤية بن العجاج بنصب الدال على الإضمار، أي أحمد الحمد؛ لأن الحمد مصدر لا يثنى ولا يجمع. وقرأ الحسن البصري بكسر الدال، أتبع الكسرة الكسرة. وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الشامي بضم الدال واللام، أتبع الضمة الضمة.

﴿رب العالمين﴾ قرأ زيد بن علي: ﴿رب العالمين﴾ بالنصب على المدح، وقال أبو سعيد ابن أوس الأنصاري: على معنى أحمد رب العالمين. وقرأ الباقون ﴿رب العالمين﴾ بكسر الباء، أي خالق الخلق أجمعين ومبدئهم ومالكهم والقائم بأمورهم، والرب بمعنى السيد، قال الله تعالى: ﴿اذكروني عند ربك﴾ (٣) أي سيدك، قال الأعشى (٤):

واهلكن يوماً رب كندة وابسنه وربّ معبين خبت وعرعر (٥)

(١) بياض في المخطوط.

(٢) المصنف لعبد الرزاق: ١٠ / ٤٢٤، ح ١٩٥٧٤.

(٣) سورة يوسف: ٤٢.

(٤) في المصدر نسبه إلى لبيد بن ربيعة.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٩٣.

وربّ عمر والرومي من رأس حضية وأنزلن بالأسباب رب المشقرة
يعني: رئيسها وسيدها.

ويكون بمعنى المالك، قال النبي ﷺ: «أربُّ إبل أنت أم رب غنم؟»^(١) [٢٥]. فقال: من
كل قد آتاني الله فأكثر وأطنب وقال طرفة:

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقمرمد^(٢)
وقال النابغة:

وإن يك ربّ أذواد فحسبي وأصابوا من لقائك ما أصابوا^(٣)
ويكون بمعنى الصاحب، قال أبو ذؤيب:

فدنا له رب الكلاب بكفّه بيض رهاب ريشهن مقزع^(٤)
ويكون بمعنى المرعى، يقول: ربّ يرّبّ ربابة وربوباً، فهو ربّ، مثل برّ وطب، قال
الشاعر:

يربّ الذي يأتي من العرف إنه إذا سئل المعروف زاد وتمّما^(٥)
ويكون بمعنى المصلح للشيء، قال الشاعر:

كانوا كسائلة حمقاء إذحقنت سلاءها في أديم غير مربوب^(٦)
أي غير مصلح.

وقال الحسين بن الفضل: الرب: اللبث من غير إثبات أحد، يقال: ربّ بالمكان وأربّ،
ولبث وألبث إذا أقام وفي الحديث أنه كان يتعوّذ بالله من فقر ضرب أو قلب قال الشاعر:

ربّ بأرض تخطّأها الغنم لب بأرض ما تخطّأها الغنم^(٧)

وهو الاختيار؛ لأن المتكلمين أجمعوا على أنّ الله لم يزل ربّاً وسمعت أبا القاسم بن
حبيب يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو بكر محمد بن موسى الواسطي عن الرب، فقال: هو
الخالق ابتداءً، والمربي غذاءً، والغافر انتهاءً. ولا يقال للمخلوق: هو الرب، معرّفاً بالألف

(١) مسند الحميدي: ٢ / ٣٩٠، غريب الحديث: ١ / ١٦٦.

(٢) لسان العرب: ٥ / ١١٨، والقمرمد: الحجارة.

(٣) التبيان: ٦ / ١٤٤.

(٤) لسان العرب: ١ / ٤٣٨.

(٥) تاج العروس: ١ / ٢٦١.

(٦) الصحاح: ١ / ٥٥.

(٧) لسان العرب: ١ / ٧٣١.

واللام، وإنما يقال على الإضافة: هو رب كذا؛ لأنه لا يملك الكل غير الله، والألف واللام تدلّان على العموم. وأما العالمون فهم جمع عالم، ولا واحد له من لفظه^(١)، كالأنام والرهط والجيش ونحوها.

واختلفوا في معناه، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو إسحاق بن أسعد بن الحسن بن سفيان عن جدّه عن أبي نصر ليث بن مقاتل عن أبي معاذ الفضل بن خالد عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن الربيع بن أنس عن شهر بن حوشب عن أبي بن كعب قال: العالمون هم الملائكة، وهم ثمانية عشر ألف ملكاً منهم أربعة آلاف وخمسمائة ملك بالشرق، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالكهف الثالث من الدنيا، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك في الكهف الرابع من الدنيا، مع كل ملك من الأعوان ما لا يعلم عددهم إلا الله عزّ وجلّ ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام^(٢) مسير الشمس أربعين يوماً، طولها لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون، لهم زجل بالتسبيح والتلهيل، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته فهم العالمون، متهاهم إلى حملة العرش.

وقال أبو معاذ [النحوي]: هم بنو آدم.

وقال أبو هيثم خالد بن يزيد: هم الجن والإنس؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٣)، وهي رواية عطية العوفي وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

وقال الحسين بن الفضل: العالمون: الناس، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿أَنَّا تَوَوَّنَا الذِّكْرَانِ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

وقال العجاج: بخلاف هذا العالم.

وقال الفراء وأبو عبيدة: هو عبارة عن من يعقل، وهم أربع أمم: الملائكة، والجن، والإنس، والشیاطين، لا يقال للبهائم: عالم. وهو مشتق من العلم، قال الشاعر:

ما إن سمعت بمثلهم في العالمينا

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: هم أهل التنزيه من الخلق. وقال عبد الرّحمن بن زيد ابن أسلم: هم المرتزقون. وقال الخضر بن إسماعيل: هو اسم الجمع الكثير، قال ابن الزبير:

(١) أي من لفظ العالم.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) سورة الفرقان: ١.

(٤) سورة الشعراء: ١٦٥.

إني وجدتك يا محمد عصمة للعالمين من العذاب الكارث^(١)
 وقال أبو عمرو بن العلاء: هم الروحانيون. وهو معنى قول ابن عباس: كل ذي روح دب على وجه الأرض. وقال سفيان بن عيينة: هو جمع للأشياء المختلفة.
 وقال جعفر بن محمد الصادق: «العالمون: أهل الجنة وأهل النار». وقال الحسن وقتادة ومجاهد: هو عبارة عن جميع المخلوقات، واحتجوا بقوله: ﴿قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السماوات والأرض وما بينهما﴾^(٢).

واشتقاقه على هذا القول من (العلم) و (العلامة)؛ لظهورهم ولظهور أثر الصنعة فيهم ثم اختلفوا في مبلغ العالمين وكيفيتهم، فقال سعيد بن المسيب: لله ألف عالم؛ منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر. وقال الضحاك: فمنهم ثلاثمائة وستون عالماً حفاة عراة لا يعرفون مَنْ خالقهم، وستون عالماً يلبسون الثياب. وقال وهب: لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا عالم منها، وما العمارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء. وقال أبو سعيد الخدري: إن لله أربعين ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد. وقال أبو القاسم مقاتل بن حيان: العالمون ثمانون ألف عالم؛ أربعون ألفاً في البر وأربعون ألفاً في البحر. وقال مقاتل بن سليمان: لو فسرت ﴿العالمين﴾، لاحتجت إلى ألف جلد كل جلد ألف ورقة. وقال كعب الأحبار: لا يحصي عدد العالمين إلا الله، قال الله: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾^(٣).

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ

﴿مالك يوم الدين﴾^(٤).

اختلف القراء فيه من عشرة أوجه:

الوجه الأول: مالك - بالألف وكسر الكاف - على النعت، وهو قراءة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبي بن كعب و معاذ بن جبل وابن عباس وأبي ذر وأبي هريرة وأنس ومعاوية، ومن التابعين وأتباعهم عمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهري ومسلمة بن زيد والأسود بن يزيد وأبو عبد الرحمن السلمي وسعيد بن جبيرة وأبو رزين وإبراهيم وطلحة بن عوف وعاصم بن أبي النجود و...^(٥) بن عمر

(١) لم نجده في المصادر نعم هو في مناقب ابن شهر آشوب (١ / ١٤٤) وفيه: العذاب الواصب.

(٢) سورة الشعراء: ٢٣ - ٢٤.

(٣) سورة المدثر: ٣١.

(٤) سورة الفاتحة: ٤.

(٥) بياض في المخطوط.

الهمذاني وشيبان ابن عبد الرَّحْمَنِ وعلي بن صالح بن حي وابن أبي ليلى وعبد الله بن إدريس وعلي بن حمزة الكسائي وخلف بن هشام والحسين بن أبي الحسن البصري من أهل البصرة وأبو رجاء العطاردي ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله المزني وقتادة بن دعامة السدوسي ويحيى بن يعمر^(١) وعيسى بن عمر النفعي وسلام بن سليمان أبو المنذر ويعقوب بن أعين الحضرمي وأيوب بن المتوكل وأبو عبيدة و^(٢) وسعيد بن مسعدة الأخفش وخالد بن معدان والضحاك بن مزاحم.

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن علي، حَدَّثَنَا محمد بن يحيى، حَدَّثَنَا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب وأخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا ابن عبد الحكم: حَدَّثَنَا^(٣) بن سويد الحميري عن يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرؤون: ﴿مالك يوم الدين﴾.

وأخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن محمد بن خلف العطار، حَدَّثَنَا المنذر بن المنذر الفارسي، حَدَّثَنَا هارون بن حاتم، حَدَّثَنَا إسحاق بن منصور الأسدي عن أبي إسحاق^(٤) عن مالك بن دينار عن أنس قال: سمعت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً يقرؤون: ﴿مالك يوم الدين﴾، وأول من قرأها: (ملك يوم الدين) مروان بن الحكم.

والوجه الثاني: ملك، بغير ألف وكسر الكاف على التفسير أيضاً، وهو قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وشعيب بن يزيد والمسور بن المخزمة ومن التابعين وأتباعهم عروة بن الزبير وأبو بكر بن عمر بن حزم ومروان بن الحكم و^(٥) وعبد الرَّحْمَنِ بن هرمز الأعرج وأبان بن عثمان وأبو جعفر يزيد بن المفضل ونسبية بن نصّاح ونافع بن نعيم ومجاهد وابن كثير وابن محسن وحמיד بن معين ويحيى بن وثاب وحمزة بن حبيب ومحمد بن سيرين وعبد الله بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعمرو بن^(٦) وعبد الله بن عامر النصيب.

وروي ذلك أيضاً عن رسول الله ﷺ وعن عثمان وعلي ﷺ.

أخبرنا ابن حمدويه، أخبرنا أبْنُ أيوب [المنقري]: أخبرنا ابن حامد^(٧) وابن^(٨) قالوا: أخبرنا حامد بن محمد، حَدَّثَنَا وأخبرنا ابن عمر، حَدَّثَنَا الرفاء، قالوا: حَدَّثَنَا علي بن عبد العزيز، حَدَّثَنَا أبو عبيد، حَدَّثَنَا يحيى بن سعيد القَطَّان، حَدَّثَنَا عبد الملك بن جريج عن عبد الله

(٥) بياض في المخطوط.

(٦) بياض في المخطوط.

(٧) وهو الوزان.

(٨) بياض في المخطوط.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) بياض في المخطوط.

ابن أبي مليكة عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * ملك يوم الدين * .

والوجه الثالث: ملك - بجزم اللام - على النعت، وهو رواية الحسن بن علي الجعفي وعبد الوارث بن سعيد، وروي عن ابن عمر.

والوجه الرابع: أن مالك - بالألف ونصب الكاف - على النداء، وهي قراءة الأعمش ومحمد بن [السميع] وعبد الملك قاضي الجند، وروي ذلك عن الرسول ﷺ قال في بعض غزواته: «يا مالك يوم الدين»^(١) [٢٦].

والوجه الخامس: ملك - بنصب الكاف من غير ألف - على النداء أيضاً، وهي قراءة عطية^(٢)

والوجه السادس: مالك - بالألف ورفع الكاف - على معنى: هو مالك، وهي قراءة عزيز العقيلي.

والوجه السابع: ملك - برفع الكاف من غير ألف - وهي قراءة أبي حمزة وابن سيرين.

والوجه الثامن: مالك، بالإمالة والإضجاع البليغ. روي ذلك عن يحيى بن يعمر. وعن أيوب السختياني بين الإمالة والتفخيم^(٣) عن^(٤) عن الكلبي.

والوجه التاسع: (ملك يوم الدين) على الفعل، وهي قراءة الحسن ويحيى بن يعمر وأبي حمزة وأبي حنيفة.

الفرق بين ملك ومالك

[أما] الفرق بين مالك وملك فقال قوم: هما لغتان بمعنى واحد، مثل (فرهين) و (فارهين) و (حذرين) و (حاذرين) و (فكهين) و (فاكهين)^(٥) بينهما، فقال أبو عبيدة والأصمعي وأبو سالم والأخفش وأبو الهيثم: مالك أجمع وأوسع وأمدح، ألا ترى أنه يقال: الله مالك الطير والدواب والوحش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، وإنما يقال: ملك الناس؟ قالوا: ولا يكون مالك الشيء إلا هو يملكه ويكون ملك الشيء وهو لا يملكه، كقولهم: ملك العرب والعجم والروم.

(١) مجمع الزوائد: ٥ / ٣٢٨.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) بياض في المخطوط.

(٥) بياض في المخطوط.

وقالوا أيضاً: إن (المالك) يجمع الفعل والاسم.

وقال بعضهم: في (مالك)^(١) ومالك قوله ﷺ: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات»^(٢) [٢٧].

وقال أبو عبيد: الذي نختار ملك^(٣) مروياً عن النبي ﷺ أثبت. ومن قرأ بها من أهل العلم أكثر. وهي مع هذا في المعنى أصح لقوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾^(٤)، و: ﴿الملك القدوس﴾^(٥)، و: ﴿ملك الناس﴾^(٦)، و: ﴿لمن الملك اليوم﴾^(٧)، ولم يقل: لمن الملك اليوم؟

والملك مصدر الملك وغيره، وملك يصلح للمالك والمليك، يقال: ملك الشيء يملكه ملكاً، فهو مالك ومليك، و: ملكه يملكه ملكاً فهو ملك لا غير. وهما بعد الناس، ومعناهما الرب؛ لأن العرب تقول: رب الدار والعبد والضيعة بمعنى أنه مالکها، ولا يفرقون بين قولهم: ربها ومالكها ومن^(٨) قال: إن المالك والملك هو القادر على استخراج الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر في الحقيقة على إخراجها إلا الله المالك، قال النبي ﷺ: «لا ملك إلا الله»^(٩) [٢٨]. فأما غيره، فيسمى ملكاً وملكاً على المجاز.

والمراد بذلك: أنه مأذون له في التصرف فيه.

وقال عبد العزيز بن يحيى: المالك يمكن بما يملكه، منفرد به عن أبناء جنسه، تعود منافعه إليه، والمالك الثاني الذي بيده الشيء، ويستولي عليه، ويصرفه فيما يريد. تقول العرب: ملكك زمام البعير، وملكك العجين إذا شددته، وأملكك المرأة إملاكاً، قال الشاعر:

وجبرئيل أمين الله أملكها

معنى قوله: ﴿الدين﴾

وأما معنى قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾، فقال ابن عباس والسدي ومقاتل: قاضي يوم الحساب. ودليله قوله عز وجل: ﴿ذلك الدين القيم﴾^(١٠)، أي الحساب المستقيم.

الضحاك وقتادة: الدين: الجزاء، يعني: يوم يدين الله العباد بأعمالهم. دليله قوله: ﴿أئنا لمدينون﴾^(١١)، أي مجربون. قال لبيد:

(٧) سورة غافر: ١٦.

(٨) بياض في المخطوط.

(٩) مجمع الزوائد: ١٠ / ٤٤.

(١٠) سورة التوبة: ٣٦.

(١١) سورة الصافات: ٥٣.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) البرهان: ١ / ٤٤٥.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) سورة طه: ١١٤.

(٥) سورة الحشر: ٢٣.

(٦) سورة الناس: ٢.

حصادك يوماً ما زرعت وإنما يدان الفتى يوماً كما هو دائن^(١)
وقال عثمان بن زيات: يوم القهر والغلبة، تقول العرب: مدان فدان، أي قهرته فخضع
وذلل. وقال الأعشى:

هو دان الرباب إذ كرهو الدين دراكا بغزوة وارتحال
ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الأقوال^(٢)
وسمعت أبا القاسم الحسين بن محمد الأديب يقول: سمعت أبا المضر محمد بن أحمد
ابن منصور يقول: سمعت أبا عمر غلام ثعلب يقول: كان الرجل إذا أطاع ودان إذا عصى، ودان
إذا عزّ وكان إذا ذلّ، ودان إذا قهر.

وقال الحسن بن الفضل: يوم الإطاعة، قال زهير:

لئن حللت بواد في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك^(٣)
أي في طاعة، وكل ما أطيع الله فيه فهو دين.

وقال بعضهم: يوم العمل، قال الفراء: دين الرجل خلقه وعمله وعادته، وقال المثقب
العبدى:

تقول إذا درأت وضيئي لها أهذا دينه أبداً وديني^(٤)
وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿مالك يوم﴾ لا ينفع فيه إلا ﴿الدين﴾، وهذه من قول الله
تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(٥)، وقوله: ﴿وما أموالكم
ولا أولادكم بالنّي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾^(٦).

وإنما خصّ يوم الدين بكونه مالكا له؛ لأن الأملاك في ذلك اليوم زائلة [فينفرد تعالى
بذلك]^(٧)، وهي باطلة والأملاك خاصة. وقيل: خصّ يوم الدين بالمالك فيه؛ لأن ملك الدنيا قد
اندرج في قوله: ﴿ربّ العالمين﴾^(٨)، فأثبت أنه مالك الآخرة بقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾؛
ليعلم أن الملك له في الدارين. وقيل: إنما خصّ يوم الدين بالذكر؛ تهويلاً وتعظيماً لشأنه كما
قال تعالى: ﴿يوم هم بارزون * لا يخفى على الله منهم شيء﴾^(٩)، ولا خفاء بهم في كل
الأوقات عن الله عزّ وجلّ.

(٦) سورة سبأ: ٣٧.

(٧) زيادة لتقويم النص.

(٨) سورة الحمد: ٢.

(٩) سورة غافر: ١٦.

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١٤٤.

(٢) الصحاح: ٥ / ٢١١٨.

(٣) لسان العرب: ١٠ / ٤٧٣.

(٤) الصحاح: ٥ / ٢١١٨.

(٥) سورة الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ رجع من الخبر الى الخطاب على التلوين. وقيل فيه إضمار، أي قولوا: ﴿إِيَّاكَ﴾. و ﴿إِيَّا﴾ كلمة ضمير، لكنه لا يكون إلا في موضع النصب، والكاف في محلّ الخفض بإضافة إيا إليها، وخصّ بالإضافة إلى الضمير؛ لأنه يضاف إلى الاسم المضمّر ألا يقول الشاعر:

فَدَعْنِي وَإِيَّا خَالِدٍ لَأَقْطَعَنَّ عُزْرِي نِيَاطَهُ^(١)

وحكى الخليل عن العرب: إذا بلغ الرجل الستين فأياه وإياكم.

ويستعمل مقدماً على الفعل مثل (إياك أعني) و (إياك أسأل)، ولا يستعمل مؤخراً على الفعل إلا أنّ^(٢) به حين الفعل، فيقال: ما عبدت إلا إياك ونحوها. وقال أبو ميثم سهل ابن محمد: إياك ضمير منفصل، والضمير ثلاثة أقسام:

ضمير متصل نحو الكاف والهاء والياء في قولك: أكرمك، وأكرمه، وأكرمني. سمي بذلك لاتصاله بالفعل.

وضمير منفصل نحو إياك وإياه وإيائي. سمي بذلك لانفصاله عن الفعل.

وضمير مستكن، كالضمير في قولك: قعد وقام. سمي بذلك لأنه استكن في الفعل ولم يُستَبَقَ في اللفظ ويعمّ أن فيه ضمير الفاعل؛ لأن الفعل لا يقوم إلا بفاعل ظاهر أو مضمّر.

وقال أبو زيد: إنما هما ياءان: الأولى للنسبة والثانية للنداء، تقديرها: (أي يا)، فأدغمت وكسرت الهمزة لسكون الياء. وقال أبو عبيد: أصله (أو ياك)، فقلبت الواو ياءً فأدغموه، وأصله من (أوى، يؤوي، إيواء) كأن فيه معنى الانقطاع والقصد. وقرأ الفضل الرقاشي (أياك) بفتح الألف وهي لغة.

وإنما لم يقل: نعبدك [لأنه] يصحّ في العبارة، وأحسن الإشارة؛ لأنهم إذا قالوا: إياك نعبد، كان نظرهم منه إلى العبادة لا من العبادة إليه. وقوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ أي نوحّد ونخلص ونطيع ونخضع، والعبادة رياضة النفس على حمل المشاق في الطاعة. وأصلها الخضوع والانقياد والطاعة والذلة، يقال: طريق معبد إذا كان مذللاً موطوءاً بالأقدام. قال طرفة:

تَبَارَى عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعْتَ وَظِيْفاً وَظِيْفاً فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبَدٍ^(٣)

(١) لسان العرب: ١٤ / ٦٠.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) الصحاح: ٢ / ٨٢٠.

وبعير معبد إذا كان مطلياً بالقطران، قال طرفة:

إلى أن تحامتنى العشيرة كلّها وأفردت أفراد البعير المعبد^(١)
وسمّي العبد عبداً لذّته وانقياده لمولاه.

﴿إياك نستعين﴾: نستوفي ونطلب المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلّها، يقال: استعنته واستعنت به، وقرأ يحيى بن رثاب: (نستعين) بكسر النون. قال الفراء: تميم وقيس وأسد وربيعة يكسرون علامات المستقبل إلّا الياء، فيقولون إستعين ونستعين ونحوها، ويفتحون الياء لأنها أخت الكسرة. وقريش وكثانة يفتحونها كلّها وهي الأفصح والأشهر.

وإنما كرّر ﴿إياك﴾؛ ليكون أدلّ على الإخلاص والاختصاص والتأكيد لقول الله تعالى خبراً عن موسى: ﴿كي نستبحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾^(٢)، ولم يقل: كي نسبحك ونذكرك كثيراً. وقال الشاعر:

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا^(٣)
ولم يقل بين النهار والليل. وقال الآخر:

بين الأشجّ وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود^(٤)
وقال أبو بكر الوراق: إياك نعبد لأنك خلقتنا، وإياك نستعين لأنك هديتنا وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرّحمن الفرّان، وقد سئل عن الآية فقال: ﴿إياك نعبد﴾ لأنك الصانع، و ﴿إياك نستعين﴾ لأن المصنوع لا غنى به عن الصانع، ﴿إياك نعبد﴾ لتدخلنا الجنان، و ﴿إياك نستعين﴾ لتنقذنا من النيران، ﴿إياك نعبد﴾ لأنّا عبيد و ﴿إياك نستعين﴾ لأنك كريم مجيد، ﴿إياك نعبد﴾ لأنك المعبود بالحقيقة و ﴿إياك نستعين﴾ لأننا العباد بالوثيقة.

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ①

﴿أهدنا﴾، قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأبي بن كعب: أرشدتنا فهذا كما يقال للرجل الذي يأكل: كل، والذي يقرأ: اقرأ، وللقائم: قم لي حتّى أعود لك أي دُم على ما أنت

(١) لسان العرب: ٣ / ٢٧٤.

(٢) سورة طه: ٣٣ - ٣٤.

(٣) ترتيب إصلاح المنطق: ٣٥٥.

(٤) الصحاح: ١ / ٤١٨.

عليه. وقال السدي ومقاتل: أرشدنا، يقال: هديته للدين وهديته الى الدين هدىً وهدايةً، قال الحسن بن الفضل: الهدى في القرآن على وجهين:

الوجه الأول: هدى دعاء وبيان كقوله: ﴿وانك لتهدي الى صراط مستقيم﴾^(١)، وقوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾^(٢) و ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾^(٣).

الوجه الثاني: هدى توفيق وتسديد كقوله: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾^(٤)، وقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾^(٥).

و﴿الصراط المستقيم﴾ الطريق الواضح المستوي، قال عامر بن الطفيل:

خشونا أرضهم بالخييل حتى تركناهم أذل من الصراط^(٦)
وقال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم^(٧)

الإختلاف في قراءة الصراط

وفى الصراط خمس قراءات: بالسين وهو الأصل، سمي الطريق سِراطاً لأنه يسترط المارة. أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن حمدويه، حدثنا محمود بن آدم، حدثنا سفيان عن عمر عن ثابت قال: سمعت ابن عباس قرأ السِراط بالسين، وبه قرأ ابن كثير [من] طريق^(٨) ويعقوب [من] طريق^(٩).

ويأشمام السين وهي رواية أبي حمدون عن الكسائي، وبالزاي وهي رواية أبي حمدون عن سليم عن حمزة.

ويأشمام الزاي وهي قراءة حمزة في أكثر الروايات والكسائي في رواية نهشل والشيرازي.

وبالصاد قراءة الباقيين من القراء.

وكلاهما لغات فصيحة صحيحة إلا إن الاختيار الصاد؛ لموافقة المصحف لأنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد. ولأن آخرتها بالطاء لأنهما موافقتان في الاطباق والاستعلاء.

واختلف المفسرون في ﴿الصراط المستقيم﴾ فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد، وأبو

(٦) الفروق اللغوية: ٣١٣.

(٧) الصحاح: ٢ / ٥٥٠.

(٨) بياض في المخطوط.

(٩) بياض في المخطوط.

(١) سورة الشورى: ٥٢.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) سورة فضلت: ١٧.

(٤) سورة النحل: ٩٣.

(٥) سورة القصص: ٥٦.

القاسم الحسن بن محمد النيسابوري قالاً: أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، حدثنا الحسين بن علي عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن [ابن] أبي أخ الحرث الأعسر عن الحرث عن علي قال: سمعت النبي ﷺ [يقول]: «الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل»^(١) [٢٩].

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا حامد بن محمد، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدثنا زكريا بن عدي عن مقتضي عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال: الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل.

وأخبرنا عبد الله، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، حدثنا ليث، حدثنا عقبة بن سليمان، حدثنا الحسين بن صالح عن أبي عقيل عن جابر قال: الصراط المستقيم الإسلام، وهو أوسع مما بين السماء والأرض [وإنما كان] الصراط المستقيم الإسلام لأن كل دين وطريق [غير] الإسلام فليس بمستقيم.

وروى عاصم الأحول عن أبي العالية الرياحي: هو طريق النبي ﷺ وصاحبه^(٢).

قال عاصم: فذكرت ذلك للحسن فقال: صدق أبو العالية ونصح.

وقال بكر بن عبد الله المزني: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فسألته عن الصراط المستقيم، فقال: ستي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي.

وقال سعيد بن جبير: يعني طريق [الحق].

وقال السدي: أرشدنا إلى دين يدخل صاحبه به الجنة ولا يعذب في النار أبداً، ويكون خروجه من قبره إلى الجنة.

وقال محمد بن الحنفية: هو دين [الله] الذي لا يقبل من عباده غيره.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله العائني، حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان النصيبي ببغداد، حدثنا أبو القاسم [...] ^(٣) ابن نهار، حدثنا أبو حفص المستملي، حدثنا أبي، حدثنا حامد بن سهل، حدثنا عبد الله بن محمد العجلي، حدثنا إبراهيم بن جابر عن مسلم بن حيان عن أبي بريدة في قول الله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: صراط محمد ﷺ وآله (عليهم السلام)^(٤).

(١) معاني القرآن: ١ / ٧٦، وتفسير القرطبي: ٨ / ٣٢٩.

(٢) الكامل لابن عدي: ٣ / ١٦٣.

(٣) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.

(٤) تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٦٧، وشواهد التنزيل: ١ / ٧٤ ح ٨٦، ونهج الايمان لابن جبر عن كتاب ابن شاهين: ٥٤.

وقال عبد العزيز بن يحيى: يعني طريق السواد الأعظم. [وقال] أبو بكر الوراق: يعني صراطاً لا تزيع به الأهواء يميناً وشمالاً. وقال محمد بن علي النهدي: يعني طريق الخوف والرجاء. وقال أبو عثمان الداراني: [يعني] طريق العبودية.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله بهرات يقول: سمعت أبا الحسن عمر بن واصل العنبري يقول: سمعت [سهل] بن عبد الله التستري يقول: طريق السنة والجماعة لأن البدعة لا تكون مستقيمة.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي: أخبرنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن أبي وائل عن عبد الله قال: خط رسول الله ﷺ خطين، خطاً عن يمينه وخطاً عن شماله ثم قال: «هذه السُّبُل، وعلى كلِّ سبيل منهما شيطان يدعو إليه، وهذا سبيل الله» [٣٠] ^(١)، ثم قرأ ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ^(٢).

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا معمر بن سفيان الصغير، حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثنا معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نصر حدثه عن أبيه جبير عن نواس بن معاذ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلاً (صراطاً مستقيماً) وعلى جانبي الصراط ستور مرخاة فيها أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتح، فإنك إن تفتحته تلجه بالصراط: الإسلام. والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم» [٣١] ^(٣).

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

﴿صراط﴾ بدل من الأول ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ يعني: طريق الذين أنعمت عليهم بالتوفيق والرعاية، والتوحيد والهداية، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ ^(٤).

(١) مسند أحمد: ١ / ٤٦٥، السنن الكبرى: ٦ / ٣٤٣ بتفاوت.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) مسند أحمد: ٤ / ١٨٢، المستدرک: ١ / ٧٣ بتفاوت يسير.

(٤) سورة النساء: ٦٩.

قال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى من قبل أن يغيروا نعم الله عليهم.

وقال شهر بن حوشب هم أصحاب الرسول صلى الله عليه ورضي عنهم وأهل بيته (عليهم السلام). وقال عكرمة: ﴿أنعمت عليهم﴾ بالثبات على الإيمان والاستقامة.

وقال علي بن الحسين بن داود: ﴿أنعمت عليهم﴾ بالشكر على السراء والصبر على الضراء. وقال^(١) بن^(٢): بما قد سته محمد ﷺ. وقال الحسين بن الفضل: يعني أتممت عليهم النعمة فكم من منعم عليه^(٣).

وأصل النعمة المبالغة والزيادة، يقال: دقت الدواء فأنعمت دقه أي بالغت في دقه، ومنه قول العرب النبي ﷺ «إن أهل الجنة يتراءون الغرفة منها كما يتراءون الكوكب الدري الشرقي أو الغربي في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء»^(٤) [٣٢].

أي زادا عليه. وقال أبو عمرو: بالغاً في الخير.

وقرأ الصادق: (صراط من أنعمت عليهم)، وبه قرأ عمرو بن الزبير وعلي، حرف اللام يجر ما بعده. وفي ﴿عليهم﴾ سبع قراءات:

الأولى: عليهم - بكسر الهاء وجزم الميم - وهي قراءة العامة.

والثانية: عليهم - بضم الهاء وجزم الميم - وهي قراءة الأعمش وحمزة. وروي ذلك عن النبي ﷺ وعمر (رضي الله عنه).

والثالثة: عليهم - بضم الهاء والميم وإلحاق الواو - وهي قراءة عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق.

والرابعة: عليهمو - بكسر الهاء وضم الميم وإلحاق الواو - وهي قراءة ابن كثير والأعرج.

والخامسة: عليهم - بكسر الهاء والميم وإلحاق الياء - وهي قراءة الحسن.

والسادسة: عليهم - بكسر الهاء وضم الميم مضمومة مختلصة - وهي رواية عبد الله بن عطاء الخفاف عن أبي عمرو.

والسابعة: عليهم - بكسر الهاء والميم - وهي قراءة عمرو بن حامد.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) الجامع الصغير: ٢ / ٢٠٣.

فمن ضمّ الهاء رده إلى الأصل لأنه لو أفرد كان مضموماً عند الابتداء به، ومن كسره فلاجل الياء الساكنة. ومن كسر الهاء وجزم الميم فإنه يستقل الضم مع مجاورة الياء الساكنة، والياء أخت الكسرة والخروج من الضم إلى الكسر ثقيل. ومن ضمّ الهاء والميم أتبع فيه الضمة. ومن كسر الهاء وضمّ الميم فإنه كسر الهاء لأجل الياء وضمّ الميم على الأصل، والاختلاس للاستخفاف، وإلحاق الواو والياء للإتباع والله أعلم. قال الشاعر في الميم المختلصة:

والله لولا شعبة من الكرم وسطة في الحي من خال وعم^(١)
لكنت فيهم رجلا بلا قدم

﴿غير المغضوب﴾ غير: صفة الذين. والذين معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات ولا النكرات بالمعارف إلا إن الذين ليس بمعرفة موقته ولكنه بمنزلة قولك: إني لأمرُّ بالصادق غير الكاذب، كأنك قلت: من يصدق لا من يكذب. ولا يجوز: مررت بعبد الله غير الظريف. ومعنى كلامه: غير صراط الذين غضبت ﴿عليهم﴾.

في معنى الغضب

واختلفوا في معنى الغضب من الله عزّ وجلّ، فقال قوم: هو إرادة الانتقام من العصاة. وقيل: هو جنس من العقاب يضاف والرضا. وقيل: هو ذم العصاة على قبح أفعالهم. ولا يلحق غضب الله تعالى العصاة من المؤمنين بل يلحق الكافرين. ﴿ولا الضالين﴾ عن الهدى.

وأصل الضلال الهلاك، يقال ضلّ الماء في اللبن إذا خفي وذهب، و: رجل ضالّ إذا أخطأ الطريق، و: مضلّل إذا لم يتوجّه لخير، قال الشاعر:

ألم تسأل فتخبرك الديار عن الحي المضلل أين ساروا^(٢)

قال الزجاج وغيره: وإنما جاز أن يعطف بـ (لا) على غير؛ لأن غير متضمن معنى النفي؛ فهو بمعنى لا، مجازة: غير المغضوب عليهم وغير الضالين كما تقول: فلان غير محسن ولا مجمل. فإذا كان (غير) بمعنى سوى لم يجز أن يعطف عليها بـ (لا)؛ لأنه لا يجوز في الكلام عندي سوى عبد الله ولا زيد. وروى الخليل بن أحمد عن ابن كثير: ﴿غير المغضوب﴾ نصباً.

وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -: (وغير الضالين)، وقرأ السخيتاني (ولاً الضالّين) بالهمزة؛ لالتقاء الساكنين، والله أعلم.

(١) كتاب المنقذ للبغدادي: ١٣٠.

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ١٥٠.

فأما التفسير:

فأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني، حدّثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، أخبرنا أحمد بن حنبل ومحمد بن دينار قالا: حدّثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سماك قال: سمعت عباد بن حبّيش عن عديّ بن حاتم عن النبي ﷺ: «**غير المغضوب عليهم**» قال: «اليهود»، «**ولا الضالين**» قال: «النصارى»^(١) [٣٣].

وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا العنبري، حدّثنا محمد بن عبد الله الوراق، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ، وهو بوادي القرى على فرسه فسأله رجل من القين، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين يقاتلونك؟ قال: «المغضوب عليهم»، وأشار إلى اليهود. فقال: من هؤلاء الطائفة الأخرى؟ فقال: «الضالون»، وأشار إلى النصارى^(٢) [٣٤].

وتصديق هذا الحديث حكم الله تعالى بالغضب على اليهود في قوله: «**هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضبه عليه**»^(٣)، وحكم الضلال على النصارى في قوله: «**ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا**»^(٤).

وقال الواقدي: «**غير المغضوب عليهم**» بالمخالفة والعصيان، «**ولا الضالين**» عن الدين والإيمان.

وقال التستري: «**غير المغضوب عليهم**» البدعة، «**ولا الضالين**» عن السنة.

فصل في آمين

والسنة المستحبة أن يقول القارئ بعد فراغه من قراءة فاتحة الكتاب: آمين؛ سواء كان في الصلاة أو غير الصلاة؛ لما أخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني، أخبرنا محمد بن جعفر المطيري، حدّثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، حدّثنا أبو داود عن سفيان، وأخبرنا عبد الله قال: وأخبرنا عبدوس بن الحسين، حدّثنا أبو حاتم الرازي، حدّثنا ابن كثير، أخبرنا سفيان عن سلمة عن حجر أبي العنيس الحضرمي عن أبي قایل بن حجر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ: «**ولا الضالين**»، قال: «آمين»، ورفع بها صوته^(٥) [٣٥].

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٢ بتفاوت يسير.

(٣) سورة المائد: ٦٠.

(٤) سورة المائدة: ٧٧.

(٥) مسند أحمد: ٤ / ٣١٦.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «لَقَنَنِي جِبْرَائِيلُ عليه السلام آمِينَ عند فراغي من فاتحة الكتاب» [٣٦].

وقال «إنَّه كَالخَاتَمِ عَلَى الْكِتَابِ»^(١) وفيه لغتان: آمين بقصر الألف، وأنشد:

تَبَاعِدْ مَنِّي فَعَطِلْ إِذْ سَأَلْتَهُ آمِينَ فزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بَعْدًا
وَأَمِينَ بِمَدِّ الْأَلْفِ وَأَنْشَدَ:

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حَبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمِ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَ^(٢)
وهو مبني على الفتح مثل أين.

واختلفوا في تفسيره فأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، أخبرنا أبو العباس محمد ابن إسحاق بن أيوب، أخبرنا الحسن بن علي بن زياد، حَدَّثَنَا عبيد بن يعيش عن محمد ابن الفضل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن معنى «آمين» قال: «رَبِّ أَفْعَلْ» [٣٧]^(٣).

وقال ابن عباس وقتادة: معناه: كذلك يكون.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزَّان، أخبرنا مكي بن عبدان، حَدَّثَنَا عبد الله بن حاتم، حَدَّثَنَا عبد الله بن نمير، أخبرنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قال: آمين اسم من أسماء الله تعالى، و[بذلك]^(٤) قال مجاهد.

وقال سهل بن عبد الله: معناه: لا يقدر على هذا أحد سواك. وقال محمد بن علي النهدي: معناه لا تخيب رجانا.

وقال عطية العوفي: آمين كلمة ليست بعربية، إنما هي عبرية أو سريانية ثم تكلمت به العرب فصار لغة لها. وقال عبد الرَّحْمَنِ بن زيد: آمين كنز من كنوز العرش لا يعلم تأويله أحد إلاَّ الله عزَّ وجلَّ.

وقال أبو بكر الورَّاق: آمين قوة للدعاء واستنزال للرحمة.

وقال الضَّحَّاك بن مزاحم: آمين أربعة أحرف مقتطعة من أسماء الله تعالى، وهو خاتم رب العالمين يختم به براءة أهل الجنة وبراءة أهل النار، وهي الجائزة التي منها يجوزون إلى الجنة والنار^(٥).

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) زاد المسير: ١ / ١٢، تفسير القرطبي: ١ / ١٢٨.

(٣) الدر المنثور: ١ / ١٧، فتح القدير: ١ / ٢٦.

(٤) في المخطوط: ذلك.

(٥) فيض القدير: ١ / ٨٠، ح ٢٠.

يدلّ عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، حدّثنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله، حدّثنا محمد بن علي الحافظ، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، حدّثنا سعيد بن جبير، حدّثنا المؤمل بن عبد الرّحمن بن عياش الثقفي، عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين» [٣٨] (١).

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بن الفضل بقراءتي عليه في صفر سنة ثمان وأربعمائة أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين بن الشرقي، حدّثنا محمد بن يحيى وعبد الرّحمن بن يشر وأحمد بن يوسف قالوا: حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: حدّثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافق إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه» [٣٩] (٢).

وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، أخبرنا محمد أبو الحسن محمد بن الحسن بهراة، حدّثنا رجاء بن عبد الله، حدّثنا مالك بن سليم، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج عن عطاء قال: آمين دعاء [وعنه عن] النبي ﷺ قال: «ما حسدكم اليهود على شيء، كما حسدوكم على آمين، وتسليم بعضكم على بعض» [٤٠] (٣).

وقال وهب بن منبه: آمين على أربع أحرف، يخلق الله تعالى من كل حرف ملكاً يقول: اللهم اغفر لمن قال: آمين.

فصل في أسماء هذه السورة

هي عشرة، وكثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى:

الأول: فاتحة الكتاب، سمّيت بذلك لأنه يفتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة، وهي مفتحة بالآية التي تفتح بها الامور تيمناً وتبركاً وهي التسمية. وقيل: سمّيت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن. وقال الحسين بن الفضل: لأنها أول سورة نزلت من السماء.

والثاني: سورة الحمد، لأن فيها ذكر الحمد، كما قيل: سورة (الأعراف) و(الأنفال) و(التوبة) ونحوها.

والثالث: أم الكتاب والقرآن؛ سمّيت بذلك لأنها أول القرآن والكتب المنزلة، فجميع ما

(١) كتاب الدعاء للطبراني: ٨٩، كنز العمال: ١ / ٥٥٩، ح ٢٥١٢.

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٣١٢.

(٣) المصنّف لعبد الرزاق: ٢ / ٩٨، ح ٢٦٤٩.

أودعها من العلوم مجموع في هذه السورة؛ فهي أصل لها كالأم للطفل، وقيل: سميت بذلك؛ لأنها أفضل سور القرآن كما أن مكة سميت أم القرى لأنها أشرف البلدان. وقيل: سميت بذلك لأنها مقدمة على سور القرآن، فهي أصل وإمام لما يتلوها من السور، كما أن أم القرى أصل جميع البلدان دحيت الأرض من تحتها. وقيل: سميت بذلك لأنها مجمع العلوم والخيرات، كما أن الدماغ يسمى أم الرأس؛ لأنها مجمع الحواس والمنافع.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد المفسر يقول: سمعت أبا بكر القفال يقول: سمعت أبا بكر البريدي يقول: الأم في كلام العرب: الراية ينصبها العسكر.

قال قيس بن الخطيم:

نَصَبْنَا أَمَّنَا حَتَّى ابْذَعَرُوا وَصَارُوا بَعْدَ الْفَتْهِمْ شَلَالَا
فَسَمَّيْتُ أُمَّ الْقُرْآنِ؛ لَأَن مَفْزَعَ أَهْلَ الْإِيمَانِ إِلَيْهَا كَمَفْزَعِ الْعَسْكَرِ إِلَى الرَّايَةِ. وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْأَرْضَ أُمًّا؛ لَأَنَّ مَعَادَ الْخَلْقِ إِلَيْهَا فِي حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

وَالْأَرْضُ مَعْقِلُنَا وَكَانَتْ أُمَّنَا فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نَوْلِدُ^(١)
وَأُنْشِدُنِي أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ: أُنْشَدُنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُظَفَّرُ مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبِ الْهَمْدَانِي قَالَ:
أُنْشَدُنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَالَ: أُنْشَدُنَا أَبِي قَالَ: أُنْشَدُنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدَةَ:

نَاوِي إِلَى أُمِّ لَنَا تَعْتَصِبُ كَمَا وَلَّهَا أَنْفَ عَزِيزٍ وَذَنْبُ
وَحَاجِبُ مَا إِنْ نَوَارِيهَا الْغَضَبُ مِنْ السَّحَابِ تَرْتَدِي وَتَنْتَقِبُ^(٢)

يعني: نصبه كما وصف لها. وسميت الفاتحة أمًّا لهذه المعاني. وقال الحسين بن الفضل: سميت بذلك؛ لأنها إمام لجميع القرآن تقرأ في كل [صلاة و]^(٣) تقدم على كل سورة، كما أن أم القرى إمام لأهل الإسلام. وقال ابن كيسان: سميت بذلك؛ لأنها تامة في الفضل.

والرابع: السبع المثاني، وسيأتي تفسيره في موضعه إن شاء الله.

والخامس: الوافية، حدَّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري، حدَّثنا أبي عن أمِّه عن محمد بن نافع السنجري، حدَّثنا أبو يزيد محبوب الشامي، حدَّثنا عبد الجبار بن العلاء قال: كان يسمى سفيان بن عُيينة فاتحة الكتاب: الوافية، وتفسيرها لأنها لا تنصف ولا تحتل الاجتزاء إلا أن كل سورة من سور القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الآخر في ركعة كان جائزاً، ولو نصف الفاتحة وقرئت في ركعتين كان غير جائز.

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١١٢.

(٢) لسان العرب: ١٥ / ١٦٨ باختصار.

(٣) بياض في مصوِّرة المخطوط، والأقرب ما أثبتناه.

والسادس: الكافية، أخبرنا أبو القاسم السدوسي، أخبرنا أبو جعفر محمد بن مالك المسوري، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَهِيلُ بْنُ [مُحَمَّدٍ] ^(١)، حَدَّثَنَا عَفِيفُ بْنُ سَالِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ فَقَالَ: عَنْ الْكَافِيَةِ تَسْأَلُ؟

قلت: وما الكافية؟ قال: أما علمت أنها تكفي عن سواها، ولا يكفي سواها عنها. إياك أن تصلي إلا بها.

وتصديق هذا الحديث ما حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ جَعْفَرٍ الْمُفْسِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ الْجَوْهَرِيِّ بِمَرَوْ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِبَادِ الْأَسْكَدَرَانِيِّ عَنْ أَشْهَبِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ ابْنِ عِيْنَةَ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّ الْقُرْآنَ عَوْضٌ عَنْ غَيْرِهَا وَلَيْسَ غَيْرُهَا مِنْهَا عَوْضًا» ^(٢) [٤١].

والسابع: الأساس، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَذْكُورُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْمَعْبَرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْقَاضِي بِمَرَوْ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ مَزَاحِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ شَارِدَةَ الْكَشِيِّ، حَدَّثَنَا جَارُودُ بْنُ مَعَادٍ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ قَالَ: إِنْ رَجُلًا أَتَى الشَّعْبِيَّ فَشَكَا إِلَيْهِ وَجَعَ الْخَاصِرَةِ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِأَسَاسِ الْقُرْآنِ. قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب. قال الشعبي: سمعت عبد الله بن عباس غير مرة يقول: إن لكل شيء أساساً وأساس العمارة مكة؛ لأنها منها دُحِيت الأرض وأساس السماوات غريباً ^(٣)، وهي السماء السابعة، وأساس الأرض عجيباً، وهي الأرض السابعة السفلى، وأساس الجنان جنة عدن، وهي سرّة الجنان، وعليها أُسِّسَتِ الْجَنَانُ، وأساس النار جهنم، وهي الدركة السابعة السفلى وعليها أُسِّسَتِ الدَّرَكَاتُ، وأساس الخلق آدم ﷺ، وأساس الأنبياء نوح ﷺ، وأساس بني إسرائيل يعقوب، وأساس الكتب القرآن، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فإذا اعتللت أو اشتكت فلعليك بالفاتحة تشفى.

والثامن: الشفاء، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَكْتَبُ لَفْظاً، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاءُ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ الْوَاقِدِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا سَلَامُ الطَّوِيلُ، عَنْ زَيْدِ الْعَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سَمٍّ» ^(٤) [٤٢].

وأخبرنا محمد بن القاسم الفقيه، حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ الْفَقِيهَ،

(١) كذا الظاهر.

(٢) كنز العمال: ١ / ٥٥٨، إرواء الغليل: ٢ / ١١.

(٣) في تفسير القرطبي (١ / ١١٣) عريباً.

(٤) تفسير القرطبي: ١ / ١١٢.

حدَّثنا أبو العباس السَّراج، حدَّثنا قتيبة بن سعيد، حدَّثنا معاوية بن صالح، عن أبي سليمان قال: مرَّ أصحاب رسول الله ﷺ في بعض غزواتهم على رجل مقعد متربِّع فقراً بعضهم في أذنه شيئاً من القرآن فبرئ، فقال رسول الله ﷺ: «هي أم القرآن، وهي شفاء من كل داء»^(١) [٤٣].

أخبرنا أحمد بن أبي الخوجاني، أخبرنا الهيثم بن كليب الشامي، حدَّثنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا سعيد بن الحجاج، عن عبد الله بن أبي السفر، عن الشعبي عن خارجة بن الصلت التميمي، عن عمِّه قال: جاء عمي من عند رسول الله ﷺ، فمروا بحيي من الأعراب، فقالوا: أنا نراكم قد جئتم من عند هذا الرسول، إنَّ عندنا رجلاً مجنوناً مخبولاً، فهل عندكم من دواء أو رقية؟ فقال عمي: نعم. فجئني به، فجعل عمي يقرأ أم القرآن وبزاقه فإذا فرغ منها بزق فجعل ذلك ثلاثة أيام، فكأنَّما أهبط من جبال، قال عمي: فأعطوني عليه جعلاً، فقلت: لا نأكله حتى نسأل رسول الله ﷺ. فسأله، فقال: «كلُّه، فمن الحلُّ تُرقيه بذلك. لقد أكلت برقية حق»^(٢).

والثاسع: الصلاة، قد تواترت الأخبار بأن الله تعالى سمى هذه السورة، وهو ما يعرف أنَّه لا صلاة إلا بها.

أخبرنا عبد الله بن حامد وأحمد بن يوسف بقراءتي عليهما قالوا: أخبرنا مكِّي بن عبد الله، حدَّثنا محمد بن يحيى قال: وفيما قرأته على ابن نافع، وحدَّثنا مطرف عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرَّحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزَّ وجلَّ: قسمت الصلاة - يعني هذه السورة - بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي، فإذا قرأ العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يقول الله: حمدني عبدي. وإذا قال العبد: ﴿الرَّحمن الرحيم﴾ يقول الله تعالى: أثني عليَّ عبدي. وإذا قال العبد: ﴿مالك يوم الدين﴾ يقول الله: مجَّدني عبدي. وإذا قال العبد: ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ قال الله: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخرها قال: هذه لعبدي ولعبدي ما سأل^(٣) [٤٤].

والعاشر: سورة تعلم المسألة؛ لأنَّ الله تعالى علَّم فيه عباده آداب السؤال، فبدأ بالثناء ثم الدعاء، وذلك سبب النجاح والفلاح.

القول في وجوب قراءة هذه السورة في الصلاة.

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن جعفر الطبري، حدَّثنا بشر بن مطير، حدَّثنا

(١) سنن الدارمي: ٢ / ٤٤٥، بتفاوت.

(٢) بتفاوت في سنن أبي داود: ٢ / ١٢٩، ح ٣٤٢١.

(٣) تفسير القرطبي: ١ / ١٢١، مسند أحمد: ٢ / ٢٨٥، بتفاوت.

سفيان، حَدَّثَنَا العلاء بن عبد الرَّحْمَنِ عن أبيه أنه سمع أبا هريرة عن النبي ﷺ قال: «من صَلَّى صلاة فلم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب»^(١) فهي خداج - ثلاث مرات - غير تمام»^(٢) [٤٥].

وأخبرنا عبد الله قال: أخبرنا ابن عباس، حَدَّثَنَا عبد الرَّحْمَنِ بن بشر، حَدَّثَنَا ابن عيينة عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب»^(٣) [٤٦].

أخبرنا عبد الله، أَخْبَرَنَا عبدوس بن الحسين، حَدَّثَنَا أبو حاتم الرازي، حَدَّثَنَا أبو قبيصة، حَدَّثَنَا سفيان عن جعفر بن علي بن بَيَّاع الأنماط عن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي: «لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب»^(٤) [٤٧].

وأخبرنا عبد الله، أَخْبَرَنَا أبو بكر أحمد بن إسحاق، أَخْبَرَنَا أبو المثنى، حَدَّثَنَا مسدد، حَدَّثَنَا عبد الوارث بن حنظلة السدوسي قال: قلت لعكرمة: إني ربما قرأت في المغرب ﴿قُلْ أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قُلْ أعوذ برب الناس﴾ وأن الناس يعيرون علي ذلك، فقال: سبحان الله إقرأ بهما فإنهما من القرآن، ثم قال: حَدَّثَنَا ابن عباس أن النبي ﷺ خرج فصلّى ركعتين لم يقرأ فيهما إلا بفاتحة الكتاب لم يزد على ذلك غيره.

وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، حَدَّثَنَا أبو العباس الأصم، أَخْبَرَنَا الربيع بن سليمان، حَدَّثَنَا الشافعي، حَدَّثَنَا سفيان عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٥) واحتج من أجاز الصلاة بغيرها بقوله: ﴿فأقرأوا ما تيسر من القرآن﴾.

وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بقراءتي عليه أَخْبَرَنَا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أَخْبَرَنَا أبو المثنى حَدَّثَنَا مسدد، حَدَّثَنَا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عمر قال: حَدَّثَنَا سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل وصلى ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ فقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل» حتى فعل ذلك ثلاث مرات. قال الرجل: والذي بعثك بالحق نبياً ما أحسن غير هذا، فعلمني. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع» [٤٨]^(٦).

وهذه اللفظة يحتمل أنه أراد أن كل ما وقع عليه اسم قرآن وجهل إنما يراد سورة بعينها،

(١) في المصدر: بآم القرآن.

(٢) شرح مسلم: ٤ / ١٠١، تفسير القرطبي: ١ / ١١٩.

(٣) كتاب المسند: ٣٦، مسند أحمد: ٥ / ٣١٤.

(٤) مسند أحمد: ٢ / ٤٢٨.

(٥) مسند أحمد: ٥ / ٣١٤، وكتاب المسند للشافعي: ٣٦.

(٦) مسند أحمد: ٢ / ٤٣٧.

فلما احتمل الوجهين نظرنا فوجدنا النبي ﷺ صلى بفاتحة الكتاب وأمر بها [وشدد على]^(١) من تركها، فصار هذا الخبر مجملاً، والأخبار التي روينها مفسرة، والمجمل يدل على المفسر، وهذا كقوله: ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي﴾^(٢) ثم لم يجز أحد [ترك الهدي]^(٣) بل ثبتها رسول الله ﷺ بالصفة أن لا يكون أعور ولا أعرج ولا معيوباً، فكذلك أراد بقوله عز وجل وقول رسول الله ﷺ ما فسر بالصفة التي بينها أن تكون سورة الحمد إذا أحسنها، وقدرها إذا لم يحسنها. فبالعلة التي أوجبوا قراءة آية تامة مع قوله: «ما تيسر» له وجه ظاهره العلم، والله أعلم.

ذكر وجوب قراءتها على المأموم كوجوبها على الإمام واختلاف الفقهاء فيه:

قال مالك بن أنس: يجب عليه قراءتها إذا خافت الإمام، فأما إذا جهر فليس عليه [شيء]. وبه قال الشافعي في القديم وقال في الجديد: يلزمه القراءة أسرّاً الإمام أو جهر. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يلزمه القراءة خافت أو جهر.

واتفق المسلمون على أن صلاته [صححة] إذا قرأ خلف الإمام^(٤).

والدليل على وجوب القراءة على المأموم كوجوبها على الإمام ما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا مكي بن عبد الله، حدّثنا أبو الأزهر، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدّثنا أبي عن أبي إسحاق، حدّثنا مكحول، وأخبرنا عبد الله، أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن سهل، حدّثنا سهل بن عمار، حدّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق عن مكحول عن محمود ابن الربيع عن عبادة ابن الصامت قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فنقلت عليه القراءة فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته أقبل علينا بوجهه وقال: «إني لأراكم تقرؤون خلفي؟»^(٥). قلنا: أجل والله يا رسول الله هذا. قال: «فلا تفعلوا إلاّ بأَمّ الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها»^(٦) [٤٩].

وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن عباس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت وهشام بن عامر ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء وعائشة وأبي هريرة وجماعة كبيرة من التابعين وأئمة المسلمين روي عنهم جميعاً أنهم رأوا القراءة خلف الإمام واجبة.

(١) سقط في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

(٢) سورة البقرة: ١٩٦.

(٣) كذا الظاهر.

(٤) راجع الشرح الكبير لابن قدامة: ١٢ / ٢.

(٥) في المصدر: وراء إمامكم.

(٦) صحيح ابن خزيمة: ٣ / ٣٦.

ووجه القول القديم ما روى سفيان عن عاصم بن أبي النجود، عن ذكوان، عن أبي هريرة وعائشة أنهما كانا يأمران بالقراءة وراء الإمام إذا لم يجهر. واحتج أبو حنيفة وأصحابه بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا الوليد ابن حمّاد اللؤلؤي: حدّثنا الحسن بن زياد اللؤلؤي: حدّثنا أبو حنيفة عن الحسن عن عبد الله بن شدّاد بن الماد عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «من صلّى خلف امام فإنّ قراءة الإمام له قراءة» [٥٠] (١).

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا محمد بن أيوب، أخبرنا أحمد بن يونس، حدّثنا الحسن بن صالح، عن جابر الجعفي، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من كان له إمام فقراءته له قراءة» [٥١] (٢).

فأمّا حديث عبد الله بن شدّاد فهو مرسل، رواه شعبة وزائدة وابن عينية وأبو عوانة وإسرائيل وقيس وجريز وأبو الأحوص مرسلًا، والمرسل لا تقوم به حجة، والوليد بن حماد والحسن لا يدرى من هما. وأمّا خبر جابر الجعفي فهو ساقط، قال زائدة: جابر كذاب، وقال أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر. وقال ابن عينية: كان جابر لا يوقن بالرجعة.

وقال شعبة: قال لي جابر: دخلت إلى محمد بن علي فسقاني شربة وحفظت عشرين ألف حديث. ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاحتجاج بحديثه.

وقد روي عن جابر بن عبد الله ما خالف هذه الأخبار، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر ابن إسحاق، حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا محمد بن يحيى، أخبرنا سعد بن عامر، عن شعبة، عن مسعر عن يزيد بن الفقير، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام، ومحال أن يروي جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أن قراءة الإمام قراءة المأموم ثم يقرأ خلف الإمام ويأمر به مخالفة للنبي ﷺ.

واحتجوا أيضاً بما روي عن عاصم بن عبد العزيز عن أبي سهيل عن عوان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «يكفيك قراءة الإمام جَهْرًا أو لم يجهر» [٥٢] (٣).

وهذا الحديث أيضاً لا يثبت أهل المعرفة بالحديث؛ لأنه غير متن الحديث، وإنما الخبر الصحيح فيه عن أبي هريرة ما أخبرنا أبو عمرو الفراتي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدّثنا العباس ابن محمد الدوري، حدّثنا بشر بن كلب، حدّثنا شعبة، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه،

(١) نصب الراية: ٢ / ١٦.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٣٣٩.

(٣) نصب الراية: ٢ / ١٨، سنن الدارقطني: ١ / ٣٢٧، بتفاوت.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج خداج غير تمام»^(١). قال: فقلت له: إذا كان خلف الإمام؟ قال: فأخذ بذراعي وقال: «يا فارسي - أو قال: يا بن الفارسي - اقرأ بها في نفسك» [٥٣]^(٢).

واحتجوا أيضاً بما روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: كانوا يقرؤون خلف النبي ﷺ فقال: «خلطتم عليّ القرآن»^(٣).

وهذا الخبر فيه نظر، ولو صحّ لكان المنع من القراءة كما رواه النضر بن شميل.

أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال لقوم يقرؤون القرآن ويجهرون به: «خلطتم عليّ القرآن» [٥٤]^(٤)، فليس في نهيه عن القراءة خلف الإمام جهراً ما يمنع عن القراءة سرّاً. ونحن لا نجزى الجهر بالقراءة خلف الإمام؛ لما فيه من سوء الأدب والضرر الظاهر. وقد روى يحيى بن عبد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي حازم، عن البياضي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن» [٥٥]^(٥).

ودليل هذا التأويل حديث عبد الله بن زياد الأشعري قال: صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود خلف الإمام فسمعتة يقرأ في الظهر والعصر. وكذلك الجواب عن إحتجاجهم بخبر عمران بن الحصين قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر والعصر فلما انصرف قال: أيكم قرأ (سبح اسم ربك الأعلى)^(٦)، قال رجل: أنا ولم أرد به إلا الخير. فقال رسول الله ﷺ: «قد عرفت أن بعضكم خالجنها» [٥٦]^(٧).

واحتجوا أيضاً بحديث أبي هريرة: فإذا قرأ فأنصتوا، وليس الانصات بالسكوت فقط إنما الإنصات أن تحسن استماع الشيء ثم يؤدي كما سمع، يدل عليه قوله تعالى في قصة الجن: ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين﴾ * قالوا يا قومنا^(٨).

وقد يسمى الرجل منصتاً وهو قارئ مسبح إذا لم يكن جاهراً به، ألا ترى أن النبي ﷺ

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ١٣٢.

(٢) مسند الحميدي: ٢ / ٤٣٠.

(٣) مجمع الزوائد: ٢ / ١١٠.

(٤) مجمع الزوائد: ٢ / ١١٠.

(٥) مسند أحمد: ٢ / ١٢٩، مجمع الزوائد: ٢ / ٢٦٥، بتفاوت.

(٦) سورة الأعلى: ١.

(٧) مسند أحمد: ٤ / ٤٢٦.

(٨) سورة الإحقاف: ٢٩ - ٣٠.

قال: «من أتى الجمعة فأنصت ولم يبلغ حتى يصلي الإمام كان له كذا وكذا» [٥٧]^(١).

فسمّاه منصتاً وإن كان مصلياً ذاكراً، وقيل للنبي ﷺ: ما تقول أيضاً؟ قال: «أقول اللهم اغسلني من خطاياي» فدلّ أنّ الإنصات وهو ترك الجهر بالقراءة دون المخافتة بها، يدلّ عليه ما أخبرنا به أبو القاسم الحسين، حدّثنا أبو العباس الأصم، حدّثنا أبو الدرداء هاشم بن محمد، حدّثنا عبيد بن السكن، حدّثنا إسماعيل بن عباس، أخبرنا محمد بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاة مكتوبة أو سبحة فليقرأ بأتم القرآن»^(٢).

قال: قلت: يا رسول الله، إني ربما أكون وراء الإمام.

قال ﷺ: «اقرأ إذا سكت إنما جعل الإمام ليؤتمّ به» [٥٨]^(٣).

قد رواه الثقات الأثبات عن أبي هريرة مثل الأعرج وهمام بن منبه وقيس بن أبي حازم وأبي صالح وسعيد المقبري والقاسم بن محمد وأبي سلمة، ولم يذكروا: (وإذا قرأ فأنصتوا).

وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾^(٤)، فسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

آخر السورة، وبالله التوفيق.

(١) مسند أحمد: ٤ / ١٠، سنن الدارمي: ١ / ٣٦٣، بتفاوت.

(٢) المصنّف لعبد الرزاق: ٢ / ١٣٣، وكتر العمال: ٧ / ٤٤٢، ح ١٩٦٨٨.

(٣) مسند أحمد: ٢ / ٣١٤، وسنن الدارمي: ١ / ٢٨٧، وصحيح البخاري: ١ / ١٠٠.

(٤) سورة الأعراف: ٢٠٤.

سورة البقرة

مدنية: وهي مائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي وهي سند

أمير المؤمنين علي عليه السلام وهي خمسة وعشرون ألف [حرف]

وخمسمائة حرف، وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة

أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا يعقوب ابن سفيان الصغير، حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن زرين عن عطاء الخراساني، عن عكرمة، قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة.

* فضلها :

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبراني بها، أخبرنا دعلج بن أحمد الشجري ببغداد، حدثنا محمد بن أحمد بن هارون، حدثنا خندف عن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا خالد بن شعيب المزني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سناماً، وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخل في بيته شيطان ثلاثة أيام»^(١) [٥٩].

وأخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد المرتب بقراءتي عليه، حدثنا أبو عمرو بن مطرف، حدثنا أبو عبد الله محمد بن المسيب، حدثنا عبد الله بن الحسين، حدثنا يوسف بن الأسباط، حدثنا حسن بن المهاجر عن عبد الله بن يزيد عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»^(٢) [٦٠].

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسن المقرئ، حدثنا أبو أحمد عبد الله بن علي الحافظ، أخبرنا محمد بن يحيى بن مندة، حدثنا أبو مصعب، حدثنا عمران بن طلحة الليثي عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: بعث النبي ﷺ بعثاً ثم تبعهم يستقرئهم، فجاء إنسان منهم

(١) كنز العمال: ١ / ٥٦٥، ح ٢٥٤٩.

(٢) مسند أحمد: ٥ / ٣٥٢.

فقال: «ماذا معك من القرآن؟» حتى أتى على آخرهم، وهو أحدثهم سنّاً، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «اخرجوا وهذا عليكم أمين»، قالوا: يا رسول الله هو أحدثنا سنّاً، قال: «معه سورة البقرة»^(١) [٦١].

التفسير:

الْمَ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلتَّقِيينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑥ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑦

قوله تعالى: ﴿الْم﴾: اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتوحة بها السور، فذهب كثير منهم إلى أنّها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها، فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل إلى الله تأويلها.

قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): في كل كتاب سر، وسر القرآن أوائل السور.

وقال علي بن أبي طالب (عليه السلام): إنّ لكل كتاب صفة، وصفة هذا الكتاب حروف التهجي.

وفسره الآخرون، فقال سعيد بن جبیر: هي أسماء الله مقطعة، لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنّك تقول: ﴿الر﴾^(٢) وتقول: ﴿حم﴾^(٣) وتقول: ﴿ن﴾^(٤) فيكون الرحمن، وكذلك سائرهما على هذا الوجه، إلّا أنّنا لا نقدر على وصلها والجمع بينها. وقال قتادة: هي أسماء القرآن.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي أسماء للسور المفتوحة بها.

وقال ابن عباس: هي أقسام أقسم الله بها، وروي أنّه ثناء أثنى الله به على نفسه.

وقال أبو العالية: ليس منها حرف إلّا وهو^(٥) مفتاح لإسم من أسماء الله عز وجل، وليس منها حرف إلّا وهو في الآية وبلائه^(٦)، وليس منها حرف إلّا في مدّة قوم وآجال آخرين.

(١) سنن الترمذي: ٤ / ٢٣٤، بتفاوت. (٢) سورة الحجر: ١.

(٣) سورة الدخان: ١.

(٤) سورة القلم: ١.

(٥) في المخطوط: وهي.

(٦) هكذا في المخطوط.

وقال عبد العزيز بن يحيى: معنى هذه الحروف أَنَّ الله ذكرها، فقال: اسمعوها مقطعة، حتى إذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك، وكذلك تعلم الصبيان أولاً مقطعة، وكان الله أسمعهم مقطعة مفردة، ليعرفوها إذا وردت عليهم، ثم أسمعهم مؤلفة.

وقال أبو روق: إنها تكتب للكفار، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ كان يجهر بالقراءة في الصلوات كلها، وكان المشركون يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون.

فربما صفقوا وربما صفّروا وربما لفظوا ليغلطوا النبي ﷺ، فلما رأى رسول الله ذلك أسراً في الظهر والعصر وجهر في سائرهما، وكانوا يضايقونه ويؤذونه، فأُنزل الله تعالى هذه الحروف المقطعة، فلما سمعوها بقوا متحيرين متفكرين، فاشتغلوا بذلك عن إيذائه وتغليظه، فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم.

وقال الأخفش: إنّما أقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها، ولأنّها مباني كتبه المنزلة بالألسن المختلفة، ومباني أسمائه الحسنی وصفاته العليا، وأصول كلام الأمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه، وكأنّه أقسم بهذه الحروف إنّ القرآن كتابه وكلامه لا ريب فيه.

وقال النقيب: هي النبهة والاستئناف ليعلم أَنَّ الكلام الأول قد انقطع، كقولك: ولا إنّ زيداً ذهب.

وأحسن الأقاويل فيه وأمتنها أنّها إظهار لإعجاز القرآن وصدق محمد ﷺ؛ وذلك أَنَّ كل حرف من هذه الحروف الثمانية والعشرين.

والعرب تعبّر ببعض الشيء عن كلّ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾^(١) أي صلّوا لا يصلّون، وقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٢) فعبّر بالركوع والسجود عن الصلاة إذ كانا من أركانها، وقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾^(٣) أراد جميع أبدانكم.

وقال: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ أي الأنف فعبّر باليد عن الجسد، وبالأنف عن الوجه.

وقال الشاعر في امرأته:

لَمَّا رَأَيْتُ امْرَأَهَا فِي خَطِي وَفَنَكْتُ فِي كَذِبٍ وَلَطِ
أَخَذْتُ مِنْهَا بِقُرُونِ شِمَطِ فَلَمْ يَزَلْ ضَرْبِي بِهَا وَمَعْطِي^(٤)

(١) سورة المرسلات: ٤٨.

(٢) سورة العلق: ١٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٢.

(٤) تفسير الطبري: ١ / ١٣٢، ولسان العرب: ١٠ / ٤٨٠.

فعبّر بلفظة «خطي» عن جملة حروف أبجد.

ويقول القائل: (أ ب ت ث) وهو لا يريد هذه الأربعة الأحرف دون غيرها، بل يريد جميعها وقرأت الحمد لله، وهو يريد جميع السورة، ونحوها كثير، وكذلك عبّر الله بهذه الحروف عن جملة حروف التهجي، والإشارة فيه أنّ الله تعالى نبّه العرب وتحذّاهم، فقال: إني قد نزلت هذا الكتاب من جملة الثمانية والعشرين التي هي لغتكم ولسانكم، وعليها مباني كلامكم، فإن كان محمد هو النبي يقوله من تلقاء نفسه، فأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، فلمّا عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنّه معجزة.

هذا قول المبرّد وجماعة من أهل المعاني، فإن قيل: فهل يكون حرفاً واحداً عوداً للمعنى؟ وهل تجدون في كلام العرب أنّ يقال: الم زيد قائم؟ وحم عمرو ذاهب؟ قلنا: نعم، هذا عادة العرب يشيرون بلفظ واحد إلى جميع الحروف ويعبّرون به عنه.

قال الراجز:

قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف^(١)
أي قف أنت.

وأنشد سيويه لغيلان:

نادوهم ألا الجموا ألا تا قالوا جميعاً كلّهم ألا فا^(٢)
أي لا تركبون فقالوا: ألا فاركبوا.
وأنشد قطرب في جارية:

قد وعدتني أم عمرو أن تا تدهن رأسي وتفليني تا
أراد أن تأتي وتمسح^(٣)
وأنشد الزجاج:

بالخير خيرات وإن شراً فا ولا أريد الشرّ إلا أن تا^(٤)
أراد بقوله (فا): وإن شراً فشر له، ويقول: تا إلا أن تشاء.

قال الأخفش: هذه الحروف ساكنة لأنّ حروف الهجاء لا تعرب، بل توقف على كل حرف على نيّة السكت، ولا بدّ أن تفصل بالعدد في قولهم واحد - اثنان - ثلاثة - أربعة.

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ٤ / ٢٦٤، والبيت الأوّل موجود في تفسير القرطبي: ١ / ١٥٥.

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ١٥٦.

(٣) لسان العرب: ١ / ١٦٤ وفيه: تفليني وا.

(٤) لسان العرب: ١٥ / ٢٨٨.

قال أبو النجم:

أقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف^(١)
تكتبان في الطريق لام الألف

فإذا أدخلت حرفاً من حروف العطف حركتها.

وأنشد أبو عبيدة:

إذا اجتمعوا على ألف وواو ويا هاج بينهم جدال^(٢)
وهذه الحروف تُذكر على اللفظ وتؤنث على توهم الكلمة.

قال كعب الأحبار: خلق الله العلم من نور أخضر، ثم أنطقه ثمانية وعشرين حرفاً من أصل الكلام، وهياًها بالصوت الذي سمع وينطق به، فنطق بها العلم فكان أول ذلك كله [...] فنظرت إلى بعضها فتصاغر وتواضعت لربها تعالى، وتمايلت هيبة له، فسجدت فصارت همزة، فلما رأى الله تعالى تواضعها مذهباً وطولها وفضلها، فصارت ألفاً، فتلفظه بها، ثم جعل القلم ينطق حرفاً حرفاً^(٤) إلى ثمانية وعشرين حرفاً، فجعلها مدار الكلام والكتب والأصوات واللغات والعبادات كلها إلى يوم القيامة، وجميعها كلها في أبجد.

وجعل الألف لتواضعها مفتاح أول أسمائه، ومقدماً على الحروف كلها، فأما قوله عز وجل: ﴿الم﴾ فقد اختلف العلماء في تفسيرها.

عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿الم﴾ قال: أنا الله أعلم.

أبو روق عن الضحاك في قوله ﴿الم﴾: أنا الله أعلم.

مجاهد وقتادة: ﴿الم﴾ اسم من أسماء القرآن.

الربيع بن أنس: (ألف) مفتاح اسم الله، و(لام) مفتاح اسمه لطيف، و(ميم) مفتاح اسمه مجيد.

خالد عن عكرمة قال: ﴿الم﴾ قسم.

محمد بن كعب: (الألف) آلاء الله، و(اللام) لطفه، و(الميم) ملكه.

(١) لسان العرب: ٦٩٨.

(٢) شرح الرضي على الكافية: ١ / ٦٨.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) في الأصل: حرف حرف.

وفي بعض الروايات عن ابن عباس: (الألف) الله، و(اللام) جبرئيل، أقسم الله بهم إن هذا الكتاب لا ريب فيه، ويحتمل أن يكون معناه على هذا التأويل: أنزل الله هذا الكتاب على لسان جبريل إلى محمد ﷺ.

وقال أهل الإشارة: (ألف): أنا، (لام): لي، (ميم): متي.

وعن علي بن موسى الرضا عن جعفر الصادق، وقد سئل عن قوله: ﴿الْم﴾ فقال: في الألف ست صفات من صفات الله: الابتداء؛ لأن الله تعالى ابتدأ جميع الخلق، و(الألف). إبتداء الحروف، والاستواء: فهو عادل غير جائر، و(الألف) مستو في ذاته، والانفراد: والله فرد والألف فرد، وإتصال الخلق بالله، والله لا يتصل بالخلق، فهم يحتاجون إليه وله غنى عنهم.

وكذلك الألف لا يتصل بحرف، فالحروف متصلة: وهو منقطع عن غيره، والله باين بجميع صفاته من خلقه، ومعناه من الإلفة، فكما أن الله سبب إلفة الخلق، فكذلك الألف عليه تألفت الحروف وهو سبب إلفتها.

وقالت الحكماء: عجز عقول الخلق في ابتداء خطابه، وهو محل الفهم، ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة حقائق خطابه إلا بعلمهم، فالعجز عن معرفة الله حقيقة خطابه.

وأما محل ﴿الْم﴾ من الإعراب فرفع بالابتداء وخبره فيما بعده.

وقيل: ﴿الْم﴾ ابتداء، و ﴿ذلك﴾ ابتداء آخر و ﴿الكتاب﴾ خبره، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول.

﴿ذلك﴾: قرأت العامة ﴿ذلك﴾ بفتح الذال، وكذلك هذه وهاتان، وأجاز أبو عمرو الإمامة في هذه، (ذ) للاسم، واللام عماد، والكاف خطاب، وهو إشارة إلى الغائب.

و ﴿الكتاب﴾: بمعنى المكتوب كالحساب والعماد.

قال الشاعر:

بشرت عيالي إذ رأيت صحيفةً أتتك من الحجج تتلى كتابها^(١)

أو مكتوبها، فوضع المصدر موضع الاسم، كما يقال للمخلوق خلق، وللمصور تصوير، وقال: دراهم من ضرب الأمير، أي هي مضروبة، وأصله من الكتب، وهو ضم الحروف بعضها إلى بعض، مأخوذ من قولهم: كتب الخرز، إذا خرزته قسمين، ويقال للخرز كتبه وجمعها كتب.

قال ذو المرجة:

وفراء غرفية أثاي خوارزها مشلشل ضيعته فبينها الكتب^(١)
ويقال: كتبت البغل، إذا حرمت من سفرتها الخلقة، ومنه قيل للجند كتيبة، وجمعها
كتائب.

قال الشاعر:

وكتيبة جاءوا ترفل في الحديد لها ذخرٌ
واختلفوا في هذا ﴿الكتاب﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ومقاتل:
هو القرآن، وعلى هذا القول يكون (ذلك) بمعنى (هذا) كقول الله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها
إبراهيم﴾^(٢) أي هذه.

وقال خفاف بن ندبه السلمي:

إن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمداً على عين تيممت مالكا^(٣)
أقول له الرمح ياطر مننه تأمل خفافاً إنني أنا ذالكا^(٤)
يريد [هذا].

وروى أبو الضحى عن ابن عباس قال: معناه ذلك الكتاب الذي أخبرتك أن أوجه إليك.

وقال عطاء بن السائب: ﴿ذلك الكتاب﴾ الذي وعدتكم يوم الميثاق.

وقال يمان بن رثاب: ﴿ذلك الكتاب﴾ الذي ذكرته في التوراة والإنجيل.

وقال سعيد بن جبير: هو اللوح المحفوظ.

عكرمة: هو التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة.

وقال الفراء: إن الله تعالى وعد نبيه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة
الرد، فلما أنزل القرآن قال: هو الكتاب الذي وعدتك.

وقال ابن كيسان: تأويله أن الله تعالى أنزل قبل البقرة بضع عشرة سورة^(٥) كذب بكلها
المشركون ثم أنزل سورة البقرة بعدها فقال: ﴿ذلك الكتاب﴾ يعني ما تقدم البقرة من القرآن.
وقيل: ذلك الكتاب الذي كذب به مالك بن الصيف اليهودي.

(١) الصحاح: ١ / ٢٠٨.

(٢) سورة الأنعام: ٨٣.

(٣) لسان العرب: ٣ / ٣٠٢.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٣.

(٥) في المخطوط: سورا.

﴿لا ريب فيه﴾: لا شك فيه، إنه من عند الله.

قال: ﴿هَدَى﴾: أي هو هدى، وتم الكلام عند قوله فيه، وقيل: «هو» نصب على الحال، أي هادياً تقديره لا ريب في هدايته للمتقين.

قال أهل المعاني: ظاهره نفي وباطنه نهي، أي لا ترتابوا فيه، كقوله تعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال﴾^(١): أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الهدى، والبيان وما يهتدي به ويستبين به الإنسان.

فصل في التقوى

﴿هَدَى للمتقين﴾: اعلم أنّ التقوى أصله وقى^(٢) من وقيت، فجعلت الواو تاء، كالتكلان فأصله وكلان من وكلت، والتخمة أصلها وخمة من وخم معدته إذا لم يستمرئ.

واختلف العلماء في معنى التقوى وحقيقة المتقي، فقال رسول الله ﷺ: «جماع التقوى في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾^(٣) الآية»^(٤) [٦٢].

قال ابن عباس: المتقي الذي يتقي الشرك والكبائر والفواحش.

وقال ابن عمر: التقوى أن لا يرى [نفسه] خيراً من أحد.

وقال الحسن: المتقي الذي يقول لكل من رآه هذا خيرٌ مني.

وقال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار: حدّثني عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، وقال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وتشمّرت، فقال كعب: ذلك التقوى، ونظمه ابن المعتز فقال:

خلّ الذنوب صغيـرها	وكبـيرها ذاك التـقى
واضع كـمـاش فـوق أـر	ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحـتـقـرن صـغـيرة	إنّ الجبال من الحـصا ^(٥)

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس التقوى قيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق بعد ذلك فهو خير على خير.

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) في المخطوط: وقوي.

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٢.

(٥) تفسير القرطبي: ١ / ١٦٢.

وقيل لطلق بن حبيب: أجمل لنا التقوى؟ فقال: التقوى عمل يطلبه الله على نور من الله رجاء ثواب الله، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله.
 وقال بكر بن عبد الله: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون يتقي الطمع، ويتقي الغضب.
 وقال عمر بن عبد العزيز: المتقي لمحرم لا تحرم، يعني في الحرم.
 وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك ما لا يأتمن به حذراً لما به بأس.
 وروي عن النبي ﷺ أنه قال: إنما سمي المتقون؟ لتركهم ما لا بأس به حذراً للوقوع فيما به بأس^(١).

وقال سفيان الثوري والفضيل: هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه.
 وقال الجنيد بن محمد: ليس المتقي الذي يحب الناس ما يحب لنفسه، إنما المتقي الذي يحب للناس أكثر مما يحب لنفسه، أتدرون ما وقع لأستاذي سري بن المفلس؟ سلّم عليه ذات يوم صديق له فردّ عليه، وهو عابس لم ييشّر له، فقلت له في ذلك فقال: بلغني أنّ المرء المسلم إذا سلّم على أخيه وردّ عليه أخوه قسمت بينهما مائة رحمة، فتسعون لأجلهما، وعشرة للآخر فأحببت أن يكون له التسعون.

محمد بن علي الترمذي: هو الذي لا خصم له.

السري بن المفلس: هو الذي يبغض نفسه.

الشبلي: هو الذي يبغي ما دون الله.

قال جعفر الصادق: أصدق كلمة قالت العرب قول لبيد:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل^(٢)

الثوري: هو الذي اتقى الدنيا وأقلها.

محمد بن يوسف المقرئ: مجانبة كل ما يبعدك عن الله.

القاسم بن القاسم: المحافظة على آداب الشريعة.

وقال أبو زيد: هو التورّع عن جميع الشبهات.

وقال أيضاً: المتقي من إذا قال قال لله، وإذا سكت سكت لله، وإذا ذكر ذكر لله تعالى.

الفضيل: يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوّه كما يأمنه صديقه.

(١) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٣.

(٢) لسان العرب: ٥ / ٣٥١.

وقال سهل: المتقي من تبرأ من حوله وقوته.

وقال: التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك من حيث أمرك.

وقيل: هو الاقتداء بالنبي ﷺ.

وقيل: هو أن تتقي بقلبك عن الغفلات، وبنفسك من الشهوات، وبخلقك من اللذات، وبجوارحك من السيئات، فحينئذ يرجى لك الوصول لما ملك الأرض والسموات.

أبو القاسم (حكيم): هو حسن الخلق.

وقال بعضهم: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: بحسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما فات.

وقيل: المتقي من اتقى متابعة هواه.

وقال مالك: حدثنا وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير أن لأهل التقى علامات يعرفون بها: الصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر عند النعمة، والتذلل لأحكام القرآن.

وقال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر.

وقال أبو تراب: بين يدي التقوى عقبات، من لا يجاوزها لا ينالها، اختيار الشدة على النعمة، واختيار القول على الفضول، واختيار الذل على العز، واختيار الجهد على الراحة، واختيار الموت على الحياة.

وقال بعض الحكماء: لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا إذا كان بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق، فيطاف به في السوق لم يستحي من شيء عليها.

وقيل: التقوى أن تزين سرّك للحق، كما تزين علانيتك للخلق.

وقال أبو الدرداء:

يريد المرء أن يعطى مناه
يقول^(١) المرء فائدتي وذخري
ويأبى الله إلا ما أَراد
وتقوى الله أفضل ما استفاد^(٢)

(١) في المخطوط: ويقول.

(٢) الدرّ المنثور: ١ / ٢٥.

فصل في الإيمان

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ اعلم أنّ حقيقة الإيمان هي التصديق بالقلب، لأن الخطاب الذي توجه عليها بلفظ آمنوا إنّما هو بلسان العرب، ولم يكن العرب يعرفون^(١) الإيمان غير التصديق، والنقل في اللغة لم يثبت فيه، إذ لو صح النقل عن اللغة لروي عن ذلك، كما روي في الصلاة التي أصلها الدعاء.

إذا كان الأمر كذلك وجب علينا أن نمثل الأمر على ما يقتضيه لسانهم، كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام وبنيه ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾^(٢): أي بمصدق لنا ولو كنّا صادقين، ويدل عليه من هذه الآية أنّه لما ذكر الإيمان علّقه بالغيب، ليعلم أنّه تصديق الخبر فيما أخبر به من الغيب، ثم أفرد بالذكر عن سائر الطاعات اللازمة للأبدان وفي الأموال فقال: ﴿ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ والدليل عليه أيضاً أنّ الله تعالى حيث ما ذكر الإيمان [نسبه]^(٣) إلى القلب فقال: ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾^(٤)، وقال: ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾^(٥)، وقال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾^(٦)، ونحوها كثير.

فأما محل الإسلام من الإيمان فهو كمحل الشمس من الضوء: كل شمس ضوء، وليس كل ضوء شمساً^(٧)، وكل مسك طيب، وليس كل طيب مسكاً، كذلك كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً، إذا لم يكن تصديقاً؛ لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع، يدل عليه قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾^(٨) من خوف السيف، وقول النبي ﷺ: «الإيمان سرّاً»^(٩) [٦٣] وأشار إلى صدره «والإسلام علانية»^(١٠) [٦٤]، وقوله ﷺ: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه»^(١١) [٦٥].

وكذلك اختلف جوابه لجبرائيل في الإسلام والإيمان، فأجاب في الإيمان بالتصديق، وفي الإسلام بشرائع الإيمان، وهو ما روى أبو بريدة، وهو يحيى بن معمر قال: أول من قال في القدر بالبصرة سعيد الجهني، فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هو: ما في القدر؟ فوافقنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن

(١) في المخطوط: يعرف.

(٢) سورة يوسف: ١٧.

(٣) زيادة اقتضاها السياق.

(٤) سورة المائدة: ٤١.

(٥) سورة النحل: ١٠٦.

(٦) سورة المجادلة: ٢٢.

(٧) في المخطوط: شمس.

(٨) سورة الحجرات: ١٤.

(٩) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦.

(١٠) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦.

(١١) كثر العمّال: ٣ / ٥٨٥، ح ٨٠٢١.

شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام لي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويفتقرون [إلى]^(١) العلم وذكر من لسانهم أنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنْفُ، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم برءاء مني، والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: أخبرنا أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت، قال: فعبجنا له يسأله ويصدقّه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن إماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة شاهقون في البنيان»، قال: ثم انطلق، فلبث علينا ثم قال: يا عمر من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبرائيل عليه السلام أتاكم ليعلمكم دينكم»^(٢).

ثم يسمى اقرار اللسان وأعمال الأبدان إيماناً بوجه من المناسبة وضرب من المقاربة؛ لأنها من شرائعه وتوابعه وعلاماته وإماراته كما نقول: رأيت الفرح في وجه فلان، ورأيت علم زيد في تصنيفه؛ وإنما الفرج والعلم في القلب، وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً، أدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأعلاها شهادة»^(٣) أن لا إله إلا الله» [٦٦]^(٤).

وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياة شعبة من الإيمان» [٦٧]^(٥).

الحسن بن علي قال: حدثني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقراراً باللسان، وعمل بالأركان» [٦٨]^(٦).

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) صحيح مسلم: ١ / ٢٨ - ٢٩ بطوله.

(٣) في المصدر: وارفعها قول.

(٤) مسند أحمد: ٢ / ٤٤٥، وكتر العمال: ١ / ٣٦.

(٥) صحيح مسلم: ١ / ٤٦.

(٦) المعجم الأوسط: ٦ / ٢٢٦.

وعن علي بن الحسين زين العابدين قال: حدثنا أبي سيد شباب أهل الجنة قال: حدثنا أبي سيد الأوصياء قال: حدثنا محمد سيد الأنبياء قال: «الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول» [٧٢] (١).

وأما الغيب فهو ما كان مغيباً عن العيون محصلاً في القلوب وهو مصدر وضع موضع الاسم ف قيل للغائب غيب، كما قيل للصائم: صوم، وللزائر: زور، وللعاذل: عدل.

الربيع بن أبي العالية «يؤمنون بالغيب» قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله.

عمر بن الأسود عن عطاء بن أبي رباح: «الذين يؤمنون بالغيب» قال: بالله، من آمن بالله فقد آمن بالغيب (٢).

سفيان عن عاصم بن أبي النجود في قوله «يؤمنون بالغيب» قال: الغيب: القرآن. وقال الكلبي: بما نزل من القرآن وبما لم يجيء بعد.

الضحاك: الغيب لا إله إلا الله وما جاء به محمد ﷺ، وقال زر بن حبیش وابن جريج وابن واقد: يعني بالوحي، نظيره قوله تعالى: «أعنده علم الغيب فهو يرى» (٣) وقوله: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً» (٤) وقوله: «وما هو على الغيب بضنين» (٥).

الحسن: يعني بالآخرة. عبد الله بن هاني: هو ما غاب عنهم من علوم القرآن.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: كنت مع النبي ﷺ جالساً فقال: «أتدرون أي أهل الإيمان أفضل؟» قالوا: يا رسول الله الملائكة، قال: «هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنهم وقد أنزلهم الله تعالى بالمنزلة التي أنزلهم، بل غيرهم».

قلنا: يا رسول الله الأنبياء؟ قال: «هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنهم، بل غيرهم»، قلنا: يا رسول الله فمن هم؟ قال: «أقوام يأتون من بعدي هم في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يروني، يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لأ أفضل أهل الإيمان إيماناً» [٧٣] (٦).

وروى حسن إن الحرث بن قيس عن عبدالله بن مسعود: عند الله يحاسب ما سبقتمونا إليه يا أصحاب محمد من رؤية رسول الله ﷺ، فقال عبدالله بن مسعود: نحن عند الله نحاسب إيمانكم بمحمد ﷺ ولم تروه، ثم قال عبدالله: إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه والذي لا إله إلا

(١) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦.

(٤) سورة الجن: ٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٤٣.

(٥) سورة التكوين: ٢٤.

(٣) سورة النجم: ٣٥.

(٦) مسند أبي يعلى: ١ / ١٤٧.

هو ما آمن مؤمن أفضل من إيمان الغيب، ثم قرأ: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾ أي يديمونها ويأتمونها ويحافظون عليها بمواقيتها وركوعها وسجودها وحقوقها وحدودها، وكل من واظب على شيء وقام به فهو مقيم له يقال أقام فلان الحج بالناس، وأقام القوم [سوقهم]^(١) ولم يعطلوها قال الشاعر:

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك [كمستديم]^(٢)

أي أراد بالصلاة هاهنا الصلوات الخمس، فذكرها بلفظ الواحد، كقوله: ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب﴾^(٣) أراد الكتب، وأصل الصلاة في اللغة: الدعاء، ثم ضمت إليها [عبادة] سُميت مجموعها صلاة لأن الغالب على هذه العبادة الدعاء.

وقال أبو حاتم الخارزمي: اشتقاقها من الصَّلا وهو النار، فأصله من الرفق وحُسن المعاناة للشيء؛ وذلك إنَّ الخشبة المفوجة إذا أرادوا تقويمها [سحنوها بالنار] قوموها [بين خشبتين] فلذلك المصلي ينبغي أن يتأنى في صلاته ويحفظ حدودها ظاهراً وباطناً ولا يعجل فيها ولا يخف [ولا يعرف] قال الشاعر:

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم
أي ما قوم أمرك كالمباني.

﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم، والرزق عند أهل السنة: ما صحَّ الانتفاع به، فإن كان طعاماً فليتغذى به، وإن كان لباساً فلينقى والتوقي، وإن كان مسكناً فللانتفاع به سكنى، وقد ينتفع المنتفع بما هيئ الانتفاع به على الوجهين: حلالاً وحراماً، فلذلك قلنا إنَّ الله رزق الحلال والحرام، [وأصل الرزق] في اللغة: هو الحظ والبخت.

﴿ينفقون﴾ يتصدقون، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد أو عن الملك. يُقال: نفق المبيع إذا كثر مشروؤه وأسرع خروجه، ونفقت الدابة إذا خرجت روحها، ونافقاء اليربوع من ذلك لأنه إذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق وأنفق إن خرج منه^(٤)، والنفق: سُرْب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر يخرج إليه.

﴿والذين يؤمنون﴾: أي يصدقون ﴿بما أنزل إليك﴾: يا محمد يعني القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾: يعني الكتب المتقدمة مثل صحف إبراهيم وموسى والزبور والأنجيل وغيرها.

(١) زيادة عن تفسير الطبري: ١ / ١٥٢ والمخطوط ممسوح.

(٢) تاج العروس: ٨ / ٢٩٥.

(٣) سورة البقرة: ٢١٣.

(٤) راجع كتاب العين: ٥ / ١٧٨.

﴿وبالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة، وسميت آخرة لأنها تكون بعد الدنيا ولأنها أُخِّرت حتى تفنى الدنيا ثم تكون.

﴿هم يُوقنون﴾ يعلمون ويتيقنون أنها كائنة، ودخل (هم) تأكيداً، يُسميه الكوفيون عماداً والبصريون فصلاً.

﴿أولئك﴾ أهل هذه الصفة، وأولاء: أسم مبني على الكسر، ولا واحد له من لفظه، والكاف خطاب، ومحل أولئك رفع بالابتداء وخبره في قوله: ﴿على هدى﴾ رشد وبيان وصواب. ﴿من ربهم وأولئك﴾ ابتدائان و﴿هم﴾ عماد ﴿المفلحون﴾ خبر الابتداء وهم الناجون الفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، وقيل: هم الباقون في الثواب والنعيم المقيم.

وأصل الفلاح في اللغة: البقاء. قال لبيد:

نحلُّ بلاداً كلها حل قبلنا ونرجو فلاحاً بعد عاد وحمير^(١)
وقال آخر:

لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح
أبو براء يدرء المسياح^(٢)

وقال مجاهد: أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدهما نزلت في الكافرين، وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين.

﴿إن الذين كفروا﴾: يعني مشركي العرب، وقال الضحاك: نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته. وقال الكلبي: يعني اليهود، وقيل: المنافقون.

والكفر: هو الجحود والإنكار.

وأصله من الكفر وهو التغطية والستر، ومنه قيل للحراث: كافر؛ لأنه [يستر البذر]، قال الله تعالى: ﴿أعجب الكفار نباته﴾^(٣) يعني الزراع، وقيل للبحر: كافر، ولليل: كافر. قال لبيد:

حتى إذا ألقى يداً في كافر وأجن عورات الشغور ظلامها^(٤)
في ليلة كفر النجوم غمامها^(٥)

(١) تفسير الطبري: ١ / ١٨٢.

(٢) تاج العروس: ٢ / ١٤٦؛ لسان العرب: ٢ / ٤٥٤ وفيه: (أبا براء مدرء السباح)، والمسياح: من يسبح بالنميمة والشر في الأرض.

(٣) سورة الحديد: ٢٠.

(٤) لسان العرب: ٥ / ١٤٧.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٢.

ومنه: المتكفّر بالسلاح، وهو الشاكي الذي غطى السلاح جميع بدنه.

فيسمى الكافر كافراً لأنه سائر للحق ولتوحيد الله ونعمه ولنبوّة أنبيائه.

﴿سواءٌ عليهم﴾: أي واحد عليهم ومتساوي لديهم، وهو اسم مشتق من التساوي.

﴿أنذرتهم﴾: أخوّفتهم وحذّرتهم.

قال أهل المعاني: الإنذار والإعلام مع تحذير، يُقال: أنذرتهم فنذروا، أي أعلمتهم فعلموا، وفي المثل: وقد أعذر من أنذر، وفي قوله: ﴿أنذرتهم﴾ وأخواتها أربع قراءات: تحقيق الهمزتين وهي لغة تميم وقراءة أهل الكوفة؛ لأنها ألف الإستفهام دخلت على ألف القطع وحذف الهمزة التي وصلت بقاء الفعل وتعويض مده منها كراهة الجمع بين الهمزتين وهي لغة أهل الحجاز، وادخال ألف بين الهمزتين وهي قراءة أهل الشام في رواية هشام وإحدى الروايتين عن أبي عمرو.

قال الشاعر:

تطاوالت فاستشرقت قرابته فقلن له: أنت زيد لا بل قمر^(١)

والأخبار اكتفاء بجواب الإستفهام، وهي قراءة الزهري.

﴿أم﴾: حرف عطف على الإستفهام.

﴿لم﴾: حرف جزم لا يلي إلا الفصل؛ لأنّ الجزم مختص بالأفعال.

﴿تنذرهم﴾: تحذّرهم ﴿لا يؤمنون﴾ وهذه الآية خاصّة فيمن حقّت عليه كلمة العذاب في سابق علم الله، وظاهرها إنشاء ومعناها إخبار، ثم ذكر سبب تركهم للإيمان فقال:

﴿ختم الله﴾: أي طبع ﴿على قلوبهم﴾ والختم والطبع بمعنى واحد وهما التغطية للشيء [والاستيثاق]^(٢) من أن يدخله شيء آخر.

فمعنى الآية: طبع الله على قلوبهم وأغلقها وأقفلها فليست تعي خبراً ولا تفهمه. يدل عليه قوله: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾^(٣).

وقال بعضهم: معنى الطبع والختم: حكم الله عليهم بالكفر والشقاوة كما يُقال للرجل: ختمت عليك أن لا تفلح أبداً.

﴿وعلى سمعهم﴾: فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وإنما وُحّده لأنه مصدر، والمصادر

(١) كذا في المخطوط، ولم نجده.

(٢) المخطوط غير مقروء وما أثبتناه من تفسير القرطبي: ١ / ١٨٦.

(٣) سورة محمد: ٢٤.

لا تُثَنَّى ولا تَجْمَع، وقيل: أراد سمع كل واحد منهم كما يُقال: آتني برأس كبشين، أراد برأس كل واحد منهما، قال الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص^(١)
وقال سيويه: توحيد السمع يدل على الجمع لأنه لا توحيد جمعين كقوله تعالى:
﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢) يعني الأنوار.

قال الراعي:

بها جيف الحسري فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب^(٣)
وقرأ ابن علة: وعلى أسماعهم، وتم الكلام عند قوله ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾.

ثم قال: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: أي غطاء وحجاب، فلا يرون الحق، ومنه غاشية السرج، وقرأ المفضل بن محمد الضبي: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بالنصب كأنه أضمر له فعلا أو جملة على الختم: أي وختم على أبصارهم غشاوة. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾^(٤).
وقرأ الحسن: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بضم الغين، وقرأ الخدري: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بفتح الغين، وقرأ أصحاب عبدالله: غشوة بفتح الغين من غير ألف.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: القتل والأسر في الدنيا، والعذاب الأليم في العقبى، والعذاب كل ما يعنى الإنسان ويشق عليه، ومنه: عذبه السواط ما فيها من وجود الألم، وقال الخليل: العذاب ما يمنع الانسان من مراده، ومنه: الماء العذب لأنه يمنع من العطش، ثم نزلت في المنافقين: عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي، ومعتب بن بشر، وجد بن قيس وأصحابهم حين قالوا: تعالوا إلى خلعة نسلم بها من محمد وأصحابه ونكون مع ذلك مستمسكين بديننا، فأجمعوا على أن يقرؤا كلمة الإيمان بألسنتهم واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود. فقال الله:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝ (٨) يُخَذِّلُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَذِّلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ (١٠) كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝ (١١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ (١٢) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝ (١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الشُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الشُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝ (١٤) وَإِذَا لُعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خُلُوعًا إِلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا

(١) زاد المسير: ١ / ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٣) قائله علقمة بن عبدة راجع ديوانه: ٢٧؛ وتفسير الطبري: ٤ / ٣٢٤.

(٤) سورة الجاثية: ٢٣.

إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا
الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبَحَت بِخَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

﴿ومن الناس من يقول آمنا﴾: صدقنا بالله ﴿واليوم الآخر﴾: أي يوم القيامة^(١).

قال الله تعالى: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ والناس: هم جماعة من الحيوان المتميّز بالصورة الإنسانية، وهو جمع إنسان، وإنسان في الأصل إنسيان بالياء، فأسقطوا الياء منه ونقلوا حركته إلى السين فصار إنساناً؛ الا ترى إنك إذا صغرته رددت الياء إليه فقلت: أنيسيان، واختلف العلماء في تسميته بهذا الاسم: فقال ابن عباس: سمي إنساناً لأنه عُهِدَ إليه فَنسي. قال الله تعالى ﴿وعهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾^(٢)، وقال الشاعر:

وُسُمِّيَتْ إِنْسَاناً لِأَنَّكَ نَاسِي^(٣)

وقال بعض أهل المعاني: سُمِّيَ إنساناً لظهوره وقدر البصير أياه من قولك: آنست كذا: أي أبصرت. فقال الله تعالى ﴿آنس من جانب الطور نارا﴾^(٤) وقيل: لأنه استانس به، وقيل: لما خلق الله آدم آنسه بزوجه فسمي إنساناً.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: أي يخالفون الله ويكذبونه، وأصل الخدع في اللغة: الإخفاء، ومنه قيل [للبيت الذي يُحيا فيه المتاع] مُخدع، والمخداع يظهر خلاف ما يُضمّر، وقال بعضهم: أصل الخداع في لغة: الفساد، قال الشاعر:

أَبْيَضَ اللَّوْنُ لَذِيذٌ طَعْمُهُ طَيِّبَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعُ^(٥)
أي فسد.

فيكون معناه: ليفسدون بما أضمرُوا بأنفسهم وبما أضمرُوا في قلوبهم، وقيل معناه: يخادعون الله بزعمهم وفي ظنهم، يعني إنهم اجترؤوا على الله حتى أنهم ظنوا أنهم يخادعون، وهذا كقوله تعالى: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾^(٦) يعني بظنك وعلى زعمك.

وقيل: معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع فيما بينهم. وقيل: معناه يخادعون رسوله،

(١) راجع تفسير الطبري: ١٠ / ٢٤٣؛ وأسباب النزول للواحدي: ١٧٤.

(٢) سورة طه: ١١٥.

(٣) جاء بنحو الثر لا الشعر في لسان العرب: ٦ / ١١.

(٤) سورة القصص: ٢٩.

(٥) لسان العرب: ٨ / ٦٥.

(٦) سورة طه: ٩٧.

كقوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾^(١) أي أسخطونا، وقوله: ﴿إن الذين يؤذون الله﴾^(٢) أي أولياء الله؛ لأن الله سبحانه لا يؤذى ولا يخادع، فبين الله تعالى أن من آذى نبياً من أنبيائه وولياً من أوليائه استحق العقوبة كما لو آذى رسوله وخادعه. يدل عليه الخبر المروي: إن الله تعالى يقول: من آذى ولياً من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة^(٣).

وقيل: إن ذكر الله سبحانه في قوله: ﴿يخادعون الله﴾ تحسين وتزيين لسامع الكلام، والمقصد بالمخادعة للذين آمنوا كقوله تعالى: ﴿واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة للرسول﴾^(٤). ثم المخادعة على قدر المعالجة وأكثر المفاضلة إنما تجيء في الفعل المشترك بين اثنين، كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة، وقد يكون أيضاً من واحد كقولك: طارقت النعل، وعاقبت اللص، وعافاك الله، قال الله عز وجل: ﴿وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين﴾^(٥) وقال: ﴿قاتلهم الله﴾^(٦) والمخادعة هنا عبارة عن الفعل الذي يختص بالواحد في حين الله تعالى لا يكون منه الخداع.

﴿والذين آمنوا﴾ أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم: آمنا، وهم غير مؤمنين، وقال بعضهم: من خداعهم المؤمنين: هو أنهم كانوا يجالسون المؤمنين ويخالطونهم حتى يأنس بهم المؤمنون ويعدونهم من أنفسهم فيثبون إليهم أسرارهم فينقلونها إلى أعدائهم. قال الله تعالى: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم كأنهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم؛ وذلك أن الله تعالى لمطلع نبيه محمداً ﷺ على أسرارهم ونفاقهم، فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب الشديد في العقبى.

قال أهل الإشارة: إنما يخادع من لا يعرف البواطن، فأما من عرف البواطن فإن من خادعه فإنما يخدع نفسه.

واختلف القراء في قوله: ﴿وما يخدعون﴾ فقرأ شيبة ونافع وابن كثير وابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء: ﴿يخادعون﴾ بالألف جعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد، وقد ذكرنا خبره وتصديقها الحرف الأول، وقوله: ﴿يخادعون الله﴾ لم يختلفوا فيه إلا ما روي عن أبي حمزة الشامي إنه قرأ: (يخدعون الله) وقرأ الباقر ﴿وما يخدعون﴾ على أشهر اللغتين وأضبطهما واختاره أبو عبيد.

(١) سورة الزخرف: ٥٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ١ / ١٣٧.

(٤) سورة الأنفال: ٤١.

(٥) سورة الأعراف: ٢١.

(٦) سورة التوبة: ٣٠.

﴿وما يشعرون﴾^(١) وما يعلمون إنها كذلك.

﴿في قلوبهم مرض﴾ شكّ ونفاق، ومنه يُقال: فلان يمرض في الوعد إذا لم يُصحّحه، وأصل المرض: الضعف والفتور. فسَمِيَ الشك في الدّين والنفاق [مرض به] يضعف البدن وينقص قواه؛ ولأنه يؤدي إلى الهلاك بالعذاب، كما أن المرض في البدن يؤدي إلى الهلاك والموت.

﴿فزادهم الله مرضاً﴾ شكّاً ونفاقاً وهلاكاً.

﴿ولهم عذاب أليم﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم، وهو بمعنى مؤلم كقول عمرو بن معدي كرب:

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هجوع^(٢)
أي المسمع: يعني خيالها.

﴿بما كانوا يكذبون﴾: (ما) مصدرية، أي بتكذيبهم على الله ورسوله في السرّ.

وقرأ أهل الكوفة: بفتح الياء وتخفيف الذال، أي بكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين.

﴿وإذا﴾: حرف توقيت بمعنى حيثنذ، وهي تؤذن بوقوع الفعل المنتظر وفيها معنى الجزاء، ﴿قيل﴾: فعل ماض مجهول، وكان في الأصل قول مثل قيل، فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت كسرتها إلى فاء الفعل فانقلبت الواو ياءاً لكسرة ما قبلها، هذه اللغة العالية وعليها العامة وهي اختيار أبي عبيد.

وقرأ الكسائي ويعقوب: قُيل، وغُيَض، وحُيل، وسُيق، وجُي، وشُي وشُيت بإشمام الضمة فيها لتكون دالة على الواو المنقلبة، وفاصلة بين الصدر والمصدر.

﴿لهم﴾: يعني المنافقين، وقيل: اليهود. قال لهم المؤمنون: ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعصية وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد والقرآن، وقال الضحّاك: تبديل الملة وتغيير السنّة وتحريف كتاب الله.

﴿قالوا إنّما نحن مصلحون﴾ ﴿ألا﴾: كلمة تنبيه ﴿إنّهم﴾: هم عماد وتأکید ﴿المفسدون ولكن لا يشعرون﴾: ما أعدّ لهم من العذاب.

﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني: [قال]^(٣) المؤمنون لليهود: ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ وهم عبدالله ابن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب.

(٢) لسان العرب: ٨ / ١٦٤.

(١) سورة البقرة: ٩.

(٣) زيادة لإتمام المعنى.

﴿قَالُوا أَنْوْمَنَ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال. قال الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ بأنهم كذلك، وقيل: لا يؤدّون العلم حقّه، وقال المؤرّخ: السفية: البهات الكذاب المتعمّد لخلاف ما يعلم.

قُطِرُب: السفية: العجول الظلوم يعمل خلاف الحق.

واختلف القراء في قوله: ﴿السُّفَهَاءُ أَلَا﴾ فحقّق بعضهم الهمزتين، وهو مذهب أهل الكوفة ولغة تميم.

وأما أبو عمرو وأهل الحجاز فإنّهم همزوا الأولى وليّتا الثانية؛ طلباً للخفة، واختار القراء حذف الأولى وهمز الثانية، واحتج بأن ما يستأنف - أي بالهمزة - مما يسكت عليه.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

قال جوبير عن الضحّاك عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن أبيّ بن سلول الخزرجي عظيم المنافقين من رهط سعد بن عباد، وكان إذا لقي سعداً قال: نعم الدين دين محمد، وكان إذا رجع إلى رؤساء قومه. قالوا: هل تكفر؟ قال: سدّوا أيديكم بدين آبائكم. فأنزل الله هذه الآية.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبيّ محتجاً به، وذلك أنّهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: عبدالله بن أبيّ لأصحابه: أنظروا كيف أدرا هؤلاء السُّفَهَاءُ عنكم. فذهب وأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصديق سيّد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله ﷺ في الغار، والباذل نفسه وماله له. ثمّ أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيّد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثمّ أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيّد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فقال علي: كف لله واتق الله ولا تنافق، فإنّ المنافقين شر خليفة الله، فقال له عبدالله: مهلاً أبا الحسن إليّ تقول هذا، والله إنّ إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثمّ افترقوا، فقال عبدالله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت، فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأنشأ عليه خيراً، وقالوا: لانزال معك ما عشت، فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فأنزل الله ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي رأوا، يعني المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه، كان (لَقُوا) في الأصل (لَقِيُوا) فاستثقلت الضمة على الياء فبسطت على القاف وسكنت الواو والياء ساكنة فحذفت لإجتماعهما.

وقرأ محمد بن السميع: وإذا لاقوا وهما بمعنى واحد.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يعني أبا بكر وأصحابه ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ كإيمانكم. ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ رجعوا، ويجوز أن تكون من الخلوة، تقول: خلوتُ به وخلوتُ إليه، وخلوتُ معه، كلها بمعنى واحد.

وقال النضر بن شميل: ﴿إلى﴾ ها هنا بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نسائكم﴾^(١): أي مع نسائكم، وقوله: ﴿لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾^(٢) وقوله: (من أنصاري إلى الله) ^(٣) النابغة:

ولا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطليّ به القار أجرب^(٤)
أي مع الناس.

وقال آخر:

ولوح ذراعين في بركة إلى جؤجؤرهل المنكب^(٥)
أي مع جؤجؤ.

﴿إلى شياطينهم﴾: أي رؤسائهم وكبرائهم وقادتهم وكهنتهم.

قال ابن عباس: هم خمسة نفر من اليهود، ولا يكون كاهن إلّا ومعه شيطان تابع له: كعب ابن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم، وعبدالله في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبدالله بن السوداء بالشام.

والشيطان: المتمرد العاصي من الجن والإنس، ومن كل شيء، ومنه قيل: للحية التضناض^(٦): الشيطان، قال الله تعالى: ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾^(٧) أي الحيات، وتقول العرب: إتق تلك الدابة فإنّها شيطان.

وفي الحديث: «إذا مرّ الرجل بين يدي أحدكم وهو يمتطي فليمنعه فإن أباي فليقاتله فإنّه شيطان».

وروي عن النبي ﷺ: إنه نظر الى رجل يتبع حماماً طائراً فقال: «شيطان يتبع شيطانا»^(٨) [٧٤]^(٩).

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة النساء: ٢.

(٣) آل عمران: ٥٢.

(٤) لسان العرب: ١٥ / ٤٣٥.

(٥) لسان العرب: ٣ / ١٥٦.

(٦) التضناض من الحيّات: التي أخرجت لسانها تحركه، أو التي لا تستقر في مكان، أو التي إذا نهشت قتلت من ساعتها.

(٧) سورة الصافات: ٦٥.

(٨) وفي بعض المصادر: شيطانه.

(٩) مسند أحمد: ٢ / ٣٤٥؛ كنز العمال: ١٥ / ٢١٨.

أراد الراعي الخبيث الداعي .

ويُحكى عن بعضهم إنه قال في تضاعيف كلامه: وكل ذلك حين ركبني شيطان قيل له: وأي الشياطين ركبك؟ قال: الغضب.

وقال أبو النجم :

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر^(١)
﴿قالوا إنا معكم﴾ أي على دينكم وأنصاركم.

﴿إنما نحن مستهزون﴾ بمحمد وأصحابه.

﴿الله يستهزي بهم﴾ أي يجازيهم جزاء استهزائهم، فسُمي الجزاء باسم الابتداء إذ كان مثله في الصورة كقوله ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾^(٢) فسُمي جزاء السيئة سيئة.

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنَّ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(٣)
وقال آخر :

نجازيهم كيّل الصواع بما أتوا ومن يركب ابن العمّ بالظلم يُظلم
فسُمي الجزاء ظلماً.

وقيل: معناه: الله يوبّخهم ويعرضهم ويُخطيء فعلهم؛ لأنّ الاستهزاء والسخرية عند العرب العيب والتجھيل، كما يُقال: إنّ فلاناً يُستهزأ به منذ اليوم، أي يُعاب. قال الله ﴿إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها﴾^(٤) أي تُعاب، وقال أخباراً عن نوح عليه السلام: ﴿إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون﴾^(٥).

وقال الحسن: معناه: الله يُظهر المؤمنين على نفاقهم.

وقال ابن عباس: هو أن الله يُطلع المؤمنين يوم القيامة وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار، فيقولون لهم: أتحبّون أن تدخلوا الجنة، فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم باب من الجنة، ويُقال لهم: ادخلوا فيسبحون ويتقلبون في النار، فإذا انتهوا إلى الباب شدّ عليهم، وردّوا إلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩ / ٤٢٥.

(٢) سورة الشورى: ٤٠.

(٣) لسان العرب: ٣ / ١٧٧ و ٨ / ٦٤.

(٤) سورة النساء: ١٤٠.

(٥) سورة هود: ٣٨.

النار ويضحك المؤمنون منهم، فذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾^(١) إلى قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾^(٢).

الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمر بناس من الناس إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا إلى ما أعدَّ الله فيها لأهلها من الكرامة، نودوا: أن اصرفوهم عنها. قال: ويرجعون بحسرة وندامة لم يرجع الخلاق بمثلها. فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا. فيقول الله جل جلاله: هذه الذي أردت بكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتكم الناس ولم تجلوني وكنتم تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما كنتم تروني من قلوبكم. فالיום أذيقكم من عذابي مع ما حرمتكم من ثوابي» [٧٥]^(٣). وقيل: هو خذلانه إياهم وحرمانهم التوفيق والهداية.

وهو قوله فيما بعد: ﴿وَيَمْدَهُمْ﴾ يتركهم، ويمهلهم ويُطيل لهم، وأصله: الزيادة، ويُقال: مدَّ النهر، ومدَّة: زمن آخر.

وقرأ ابن محيصن وشبل: ﴿وَيَمْدَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم وهما لغتان بمعنى واحد؛ لأنَّ المد أكثر ما يأتي في الشر والإمداد في الخير. قال الله عزَّ وجلَّ في المد: ﴿وَنَمْدَ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِدًّا﴾^(٤)، وقال في الإمداد: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٥) وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٦)، وقال: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٧).

﴿فِي طَغْيَانِهِمْ﴾ كفرهم وضلالتهم وجهالتهم، وأصل الطغيان: مجاوزة القدر، يُقال: ميزان فيه طغيان، أي مجاوزة للقدر في الاستواء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾^(٨) أي جاوز حدَّه الذي قدَّر له، وقال لفرعون: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾^(٩) أي أسرف في الدعوى حينما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(١٠).

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يمشون، يترددون في الضلالة متحيرين.

يُقال: عمه يعمه عمها وعموها، وعمها فهو عمه، وعامه: إذا كان جائراً عن الحق. قال رؤية:

وَمَهْمَهُ أَظْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةُ^(١١)

(١) سورة المطففين: ٢٩.

(٢) سورة المطففين: ٣٤.

(٣) كنز العمال: ٣ / ٤٨٤ بتفاوت.

(٤) سورة مريم: ٧٩.

(٥) سورة الإسراء: ٦.

(٦) سورة المؤمنون: ٥٥.

(٧) سورة نوح: ١٢.

(٨) سورة الحاقة: ١١.

(٩) سورة طه: ٢٤.

(١٠) سورة النازعات: ٢٤.

(١١) لسان العرب: ١٣ / ٥١٩.

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾:

قال ابن عباس: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، ومعناه: إنهم استبدلوا الكفر على الإيمان، وإنما أخرجه بلفظ الشرى والتجارة توسعاً؛ لأن الشرى والتجارة راجعان إلى الاستبدال والإختيار؛ وذلك أن كل واحد من البيعين يختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه، وقال الشاعر:

أخذتُ بالجُمَّة رأساً إزْعَراً وبالثنايا الواضحات الدُرْدُراً
وبالطويل العُمر عمراً جَيِّدراً كما اشترى المسلم إذ تنصَّراً^(١)
أي اختار النصرانية على الإسلام.

وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق: ﴿اشتروا الضلالة﴾ بكسر الواو؛ لأنَّ الجزم يُحرِّك إلى الكسرة العدوى بفتحها حركة إلى أخف الحركات.

﴿فما ربحت تجارتهم﴾: أي فما ربحوا في تجارتهم.

تقول العرب: ربح بيعك، وخسرت صفقتك، ونام ليلك. أي ربحت وخسرت في بيعك، ونمت في ليلك.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فإذا عزم الأمر﴾^(٢)، وقال: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾^(٣).

قال الشاعر:

وأعور من نيهان أمانهارة فأعمى وأماليله فبصير^(٤)
وقال آخر:

حارثٌ قد فرَّجت عني همِّي فنام ليلي وتجلَّى غمِّي^(٥)
وقرأ إبراهيم ابن أبي عبلة: (فما ربحت تجارتهم) بالجمع.

﴿وما كانوا مهتدين﴾: من الضلالة، وقال: مصيبين في تجارتهم.

قال سفيان الثوري: كلكم تاجر فليُنظر امرؤ ما تجارته؟ قال الله ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ وقال: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم﴾^(٦).

(١) الثبيان - الطوسي -: ٨٣ / ١.

(٢) سورة محمد: ٢١.

(٣) سورة سبأ: ٣٣.

(٤) جامع البيان للطبري: ٢٠٢ / ١.

(٥) جامع البيان للطبري: ٢٠٢ / ١.

(٦) سورة الصف: ١٠.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٧﴾ مَثَلُكُمْ غَمٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُبٌ يَخَعَلُونَ أَمْضِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَادُ الزَّوْقُ يَخْفُفُ أَنْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَنْصَرَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿مثلهم﴾ شبههم. ﴿كمثل الذي﴾ بمعنى الذين، دليله سياق الآية نظير قوله تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به) ثم قال ﴿أولئك هم المتقون﴾^(١).

وقال الشاعر:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد^(٢)
﴿استوقد﴾: أوقد ناراً كما يقال: أجاب واستجاب.

قال الشاعر:

وداع دعانا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب^(٣)
﴿فلما أضاءت﴾ النار ﴿ما حوله﴾ يقال: ضاء القمر بضوء ضوءه، وأضاء يضيء إضاءةً وأضاء غيره: ﴿فلما أضاءت﴾ النار يكون لازماً ومتعدياً.

وقرأ محمد بن السميع (ضاءت) بغير ألف. و(حوله) نصب على الظرف.

﴿ذهب الله بنورهم﴾ أي أذهب الله نورهم، وإنما قال: (بنورهم) والمذكور في أول الآية النار؛ لأن النار شيان التور والحرارة فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم.

﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾: قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي: نزلت هذه الآية في المنافقين. يقول: مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء بها فاستدفاً ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف فأمن، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيراً، كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها واعتزوا بعزها وناكحو المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم، فاذا ماتوا عادوا الى الخوف والظلمة وهووا في العذاب والنقمة.

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) كتاب العين: ٨ / ٢٠٩، بدل (بفلج) كلمة (بفلج).

(٣) لسان العرب: ١ / ٢٨٣.

وقال مجاهد: إضاءة النار: إقبالهم الى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم: إقبالهم الى المشركين والضلالة.

سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء، ويمان بن رثاب: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ وإيمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به، وذلك بأن قريظة والنضير وبنو قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حتى انقطعت النبوة من بني اسرائيل وافضت الى العرب، فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد ﷺ بالنبوة وأن أمته خير الأمم وكان يغشاهم رجل من بني اسرائيل يقال له: عبدالله بن هيبان قبل أن يوحى الى رسول الله ﷺ كل سنة فيعظهم على طاعة الله تعالى وإقامة التوراة والإيمان بمحمد ﷺ رسول إذا خرج: فلا تفرقوا عنه وانصروه وقد كنت أطمع أن أدركه، ثم مات قبل خروج النبي ﷺ فقبلوا منه، ثم لما خرج رسول الله ﷺ كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل.

وقال الضحاك: لما أضاءت النار أرسل الله عليه ريحاً قاصفاً فأطفأها، فكذلك اليهود كلما أوقدوا ناراً لحرب محمد ﷺ أطفأها الله.

ثم وصفهم جميعاً فقال: ﴿صم﴾: أي هم صم عن الهدى فلا يسمعون.

﴿بكم﴾: عنه فلا يقولون.

﴿عمي﴾: عنه فلا يرويه.

وقيل: ﴿صم﴾ يتصاممون عن سماع الحق، ﴿بكم﴾ يتباكمون عن قول الحق، ﴿عمي﴾ يتعمون عن النظر الى الحق بغير إعتبار.

وقرأ عبد الله: ﴿صمّاً بكماً عمياً﴾ على معنى وتركهم كذلك، وقيل: على الذم، وقيل: على الحال.

﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الضلالة والكفر الى الهداية والإيمان.

ثم قال: ﴿أو كصيب﴾ هذا مثل آخر ضربه الله لهم أيضاً معطوف على المثل الأول مجازة: مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ومثلهم أيضاً كصيب.

قال أهل المعاني: (أو) بمعنى الواو، يريد وكصيب، كقوله تعالى: ﴿أم تريدون﴾^(١) وأنشد الفراء:

وقد زعمت سلمى بأنّي فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها^(٢)

(١) سورة البقرة: ١٠٨.

(٢) لسان العرب: ١٤ / ٥٥.

وأنشد أبو عبيدة:

يصيب قد راح يروي الغُدرا [فاستوعب] الأرض لَمَّا أن سرا
وأصله من صاب يصوب صوباً إذا نزل.

قال الشاعر:

فلمست لأنسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب^(١)
وقال امرء القيس:

كَأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر^(٢)
فسمي المطر صيباً لأنه ينزل من السماء.

واختلف النحاة في وزنه من الفعل، فقال البصريون: هو على وزن فيعل بكسر العين، ولا يوجد هذا المثال إلا في المعتل نحو سِيد ومَيّت ولَيّن وهَيّن وضَيّق وطَيّب، وأصله صهيوّب، فجعلت الواو ياء فأدغمت إحدى اليائين في الأخرى.

وقال الكوفيون: هو وأمثاله على وزن فعيّل بكسر العين وأصله: صَيَّب فاستثقلت الكسرة على الياء فسُكّنت وأدغمت إحداهما في الأخرى وحركت إلى الكسر.

والسماء: كلّ ما علاك فأظلك^(٣) وأصله: سماو؛ لأنه من سما يسمو، فقلبت الواو همزة لأنّ الألف لا تخلو من مدّة وتلك المدّة كالحركة، وهو من أسماء الأجناس، يكون واحداً أو جمعاً، قال الله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٤) ثم قال: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾^(٥).

وقيل: هو جمع واحدتها سماوة، والسموات جمع الجمع.

قال الزجاج:

سماوة الهلال حتى احقّوقفا طي الليالي زلفا فزلفا^(٦)
﴿فيه﴾ أي في الصيّب، وقيل: في الليل كناية عن [ضمير] مذكور، وقيل: في السماء؛ لأنّ المراد بالسماء السحاب، وقيل: هو عائد إلى السماء على لغة من يذكرها.

(١) لسان العرب: ١٠ / ٣٩٤، وتاج العروس: ١ / ٣٣٩.

(٢) تاج العروس: ٣ / ٥٦٥.

(٣) لسان العرب: ١٤ / ٣٩٨.

(٤) سورة البقرة: ٢٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٩.

(٦) لسان العرب: ٩ / ٥٢، ولكن العبارة هكذا:

قال الشاعر:

فلو رفع السماء إليه قوماً لحقنا بالسماء مع السحاب^(١)
والسماء يذكر ويؤنث. قال الله تعالى: ﴿السماء منفطرٌ به﴾^(٢). وقال: ﴿إذا السماء
انفطرت﴾^(٣).

﴿ظلمات﴾: جمع ظلمة، وضُمَّت اللام على الإتيان بضمّ الظاء.

وقرأ الأعمش: (ظُلُمات) بسكون اللام على أصل الكلام لأنها ساكنة في التوحيد.

كقول الشاعر وهو ذو الرّمة:

أبثّ ذكر مَنْ عودن أحشاء قلبه خفوقاً ورفصات الهوى في المفاصل^(٤)
ونزل الفاء ساكنة على حالها في التوحيد.

وقرأ أشهب العقيلي: (ظلمات) بفتح اللام، وذلك إنه لما أراد تحريك اللام حرّكها الى
أخفّ الحركات.

كقول الشاعر:

فلما رأونا بادياً ركبائنا على موطن لا نخلط^(٥) الجدّ بالهزل^(٦)
﴿ورعد﴾: وهو الصوت الذي يخرج من السحاب.

﴿وبرق﴾: وهو النار الذي تخرج منه.

قال مجاهد: الرعد ملك يسبح بحمده، يقال لذلك الملك: رعد، والصّريم أيضاً رعد.

والبرق: ملك يسوق السحاب.

وقال عكرمة: الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعي الإبل^(٧).

شهر بن جوشب: الرعد ملك يزجي السحاب كما يحثّ الراعي الإبل فاذا انتبذت السحاب
ضمّها فاذا اشتدّ غضبه طار من فيه النار فهي الصواعق.

(١) لسان العرب: ١٤ / ٣٩٨.

(٢) سورة المزمل: ١٨.

(٣) سورة الإنفطار: ١.

(٤) لسان العرب: ١ / ٤٧٥.

(٥) في تفسير القرطبي: «نخلط» بدلاً من «يخلط».

(٦) تفسير القرطبي: ١٦ / ٣١٠.

(٧) زاد المسير: ١ / ٣٤.

ربيعة بن الأبيض عن علي عليه السلام قال: البرق مخاريق الملائكة^(١).

وقال أبو الدرداء: الرعد للتسبيح، والبرق للخوف والطمع، والبرد عقوبة، والصواعق للخطيئة، والجراد رزق لقوم وزجر لآخرين، والبحر بمكيال، والجبال بميزان.

وأصل البرق من البريق والضوء، والصواعق: المهالك، وهو جمع صاعقة، والصاعقة والصاعقة والصَّعَقَة: المهلكة، ومنه قيل: صعق الإنسان، إذا غشي عليه، وصعق، إذا مات.

﴿حذر الموت﴾ أي مخافة الموت، وهو نصب على المصدر، وقيل لتزع حرف الصفة.

وقرأ قتادة: حذار الموت.

﴿والله محيط بالكافرين﴾ أي عالم بهم، يدل عليه قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٢).

وقيل: معناه: والله مهلكهم وجامعهم، دليله قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾^(٣): أي تهلكوا جميعاً.

وأمال أبو عمرو والكسائي (الكافرين) في حال الخفض والتَّصْبِ ولكسرة الفاء والراء.

﴿يكاد البرق﴾ أي يقرب. يقال: كاد، أي قرب ولم يفعل، والعرب تقول: كاد يفعل - يحذف أن - فإذا سبَّوه بقي قالوا: كاد أن يفعل، والأوّل أوضح وأظهر. قال الشاعر:

قد كاد من طول البلى أن تمسحاً

﴿يخطف أبصارهم﴾: أي يخطفها ويشغلها، ومنه الخُطَاف.

وقرأ أبي: يتخطف.

وقرأ ابن أبي إسحاق: نصب الخاء والتشديد (يخطف) فأدغم. وقرأ الحسن: كسر الخاء والطاء مع التشديد أتبع الكسرة الكسرة.

وقرأ العامة: التخفيف لقوله: ﴿فَتَخُطِفُهُ الطَّيْرُ﴾^(٤) وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خُطِفَ الْخُطْفَةُ﴾^(٥).

﴿كَلِمًا﴾: حرف علة ضمّ إليه (ما) الجزاء فصار أداة للتكرار، وهي منصوبة بالظرف، ومعناها: متى ما.

(١) السنن الكبرى (البيهقي): ٣ / ٣٦٣؛ الصحاح (الجهري): ٤ / ١٤٦٧.

(٢) سورة الطلاق: ١٢.

(٣) سورة يوسف: ٦٦.

(٤) سورة الحج: ٣١.

(٥) سورة الصافات: ١٠.

﴿أضاء لهم مشوا فيه﴾: وفي حرف عبد الله [.....] ^(١).

﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾: أي أقاموا ووقفوا متحيرين.

القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما

قوله تعالى: ﴿أو كصيب﴾ أي كأصحاب صيب، كقوله: ﴿واسأل القرية﴾ ^(٢) شبههم الله في كفرهم ونفاقهم وحيرتهم وترددهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة فأصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها إن الساري لا يمكنه المشي من ظلمته، فذلك قوله: ﴿إذا أظلم عليهم قاموا﴾.

ورعد من صفته أن يضع السامع يده الى أذنه من الهول والفرق مخافة الموت والصعق، ذلك قوله تعالى: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾.

وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويذهب بضوئها ونعيمها من كثرة وشدة توقده، وذلك قوله ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن واجماع الناس والكافرين معه:

فالمطر: هو القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان.

﴿فيه ظلمات﴾ وهو ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والشك وبيان الفتن والمحن.

﴿ورعد﴾: وهو ما خوّفوا به من الوعيد وذكر النار والزّواجر والنواهي.

﴿وبرق﴾: وهو ما في القرآن من الشفاء والبيان والهدى والتّور والرعد وذكر الجنة.

فكما أنّ أصحاب الرعد والبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت كذلك المنافقون واليهود والكافرون يسدّون آذانهم عند قراءة القرآن ولا يصغون إليه مخافة ميل القلب الى القرآن فيؤدّي ذلك الى الإيمان؛ لأنّ الإيمان بمحمد ﷺ عندهم كفر والكفر موت.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله للمنافق لجبنه، لا يسمع صوتاً إلاّ ظنّ أنه قد أتى ولا يسمع صباحاً إلاّ ظنّ إنه ميّت أجبن قوم وأخذ له للحق ^(٣) كما قال في آية أخرى: ﴿يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدو﴾ ^(٤).

(١) غير مقروءة في المخطوط.

(٢) سورة يوسف: ٨٢.

(٣) تفسير الدر المنثور: ١ / ٣٣.

(٤) سورة المنافقون: ٤.

وقوله: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ يعني المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا وصارت لهم نوراً فإذا ماتوا عادوا إلى الخشية والظلمة.

قتادة: والمنافق إذا كثر ماله وحسن حاله وأصاب في الإسلام رخاءً وعافية ثبت عليه فقال: أنا معكم، وإذا ذهب ماله وأصابته شدة، قام متحيراً وخفق عندها فلم يصبر على بلائها ولم يحتسب أجرها. وتفسيره في سورة الحج ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾^(١) الآية.

الوالي عن ابن عباس: هم اليهود لما نصر رسول الله ﷺ بيد طمعوا وقالوا: هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية، فلما نكب بأحد ارتدوا وسكتوا.

﴿ولو﴾: حرف تمّي وشك وفيه معنى الجزاء وجوابه اللام.

ومعنى الآية: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾: أي أسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنية حتى صاروا صمّاً بكماً عمياً.

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ قادر، وكان حمزة يكسر شاء، وجاء وأمثالها لانكسار فاء الفعل، إذا أخبرت عن نفسك قلت: شئت وجئت وزدت وطبت وغيرها.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا رَزَقْنَا عَلَىٰ عِبْدِنَا فَاثْبُتُوا سُورَةَ مِنَ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَيَبَيِّرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿يا أيها الناس﴾: قال ابن عباس: ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب أهل مكة، و﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب أهل المدينة، وهو هاهنا عام.

﴿اعبدوا﴾ وخذوا وأطيعوا. ﴿ربكم الذي خلقكم﴾ أوجدكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً. ﴿والذين﴾ أي وخلق الذين ﴿من قبلكم﴾ ﴿لعلكم تتقون﴾: لكي تنجوا من السُّحت والعذاب.

قال سيبويه: لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله [.....]^(٢).

(٢) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(١) سورة الحج: ١١.

﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ بساطاً ومقاماً ومناماً. ﴿والسمااء بناء﴾ سقفاً مرفوعاً محفوظاً.

﴿وانزل من السمااء﴾: من السحاب. ﴿ماءاً﴾ وهو المطر ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ من الوان الثمرات وأنواع النبات.

﴿رزقاً﴾ طعاماً. ﴿لكم﴾ وعلفاً لدوابكم.

﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي أمثالا [وأعدالاً] وقرأ ابن السميّقع: ندّاً على الواحد، كقول جرير:

أَتِيْمًا تَجْعَلُوْنَ إِلَهِيْ نَدّاً وَمَا تِيْمٌ لِّذِيْ حَسْبٍ نَدِيْدٌ^(١)
﴿وأنتم تعلمون﴾ إله واحد وأنه خالق هذه الأشياء.

قال ابن مسعود في قوله: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ قال: أكفاء من الرجال تطيعوهم في معصية الله.

وقال عكرمة: هو قول الرجل: لولا كلبنا لدخل اللص دارنا.

﴿وإن كنتم في ريب﴾ الآية نزلت في الكفار، وذلك أنهم قالوا لما سمعوا القرآن: ما يشبه هذا كلام الله وإنّا لفي شك منه، فأنزل الله تعالى ﴿وإن كنتم﴾ يا معشر الكفار، [وإن]^(٢) لفظة جزاء وشرط، ومعناها: إذ؛ لأنّ الله تعالى علم إنهم شاكون كقوله: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾^(٣) وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾^(٤).

قال الأعشى:

بانّت وقد أسفرت في النفس حاجتها
بعد ائتلاف وخير الودّ ما نفعا^(٥)
قال المؤرّخ: أصلها من السّورة وهي الوثبة: تقول العرب سرت إليه وثبت إليه.

قال العجاج:

وربّ ذي سرّادقٍ محجّورٍ
سرت إليه في أعالي السّور
قال الأعشى:

(١) تفسير القرطبي: ٩ / ١٨٢.

(٢) غير موجودة في المخطوط، أضفناها لزيادة بيان المطلب.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٨.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٧٢.

وسمعت حلفتها التي حلفت إن كان سمعك غير ذي وقر^(١)
﴿في رب﴾ أي في شك وتهمة.

﴿مما نزلنا على عبدنا﴾ محمد يعني القرآن.

﴿فأتوا﴾ لم يأتوا بمثله، لأن الله علم عجزهم عنه.

﴿بسورة﴾ أصلها في قول بعضهم: من أسارت، أي أفضلت فحذفت الهمزة كأنها قطعة من القرآن، وقيل: هي الدرجة الرفيعة، وأصلها من سور البناء، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل مُلك دونها يتذبذب^(٢)
﴿من مثله﴾ يعني مثل القرآن، و(من) صلة كقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾^(٣).

كقول النابغة:

ولا أرى ملكاً في الناس يشبهه ولا أخا [لي] من الأقوام من أحد
أي أحداً.

وقيل في قوله: (مثله): راجعة إلى محمد ﷺ ومعناه: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي من رجل أمي لا يُحسن الخط والكتابة.

﴿وادعوا شهداءكم﴾ يعني استعينوا بالهتكم التي تعبدونها من دون الله.

وقال مجاهد والقرظي: ناساً يشهدون لكم.

وإنما ذكر الاستعانة بلفظ الدعاء على عادة العرب في دعائهم القائل في الحروب والشدائد: [يال]^(٤).

قال الشاعر:

فلما التقت فرساننا ورجالهم دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر^(٥)

(١) لسان العرب: ٥ / ٤٤.

(٢) لسان العرب: ٤ / ٣٨٦.

(٣) سورة النور: ٣٠ - ٣١.

(٤) كذا في المخطوط.

(٥) لسان العرب: ١٥ / ٥٣.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إِنَّ مُحَمَّدًا أَسْرَّ قَوْلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، فَلَمَّا تَحَدَّاهُمْ وَعَجَزُوا [قَالَ اللَّهُ تَعَالَى]: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أَيِ فَإِنْ لَمْ تَجِئُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ.

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: وَلَنْ تَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ.

وَقِيلَ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ فِيمَا مَضَى ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فِيمَا بَقِيَ.

﴿فَانْقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ حَطْبُهَا وَعَلْفُهَا ﴿النَّاسِ وَالْحِجَارَةِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: (وَقُودُهَا) بَضْمُ الْوَاوِ حَيْثُ كَانَ وَهُوَ رَدِيءٌ، لِأَنَّ الْوُقُودَ بَضْمُ الرَّاءِ الْمَصْدَرُ وَهُوَ الْإِلْتِهَابُ، وَالْوُقُودُ بِالْفَتْحِ وَهُوَ مَا يُوقَدُ بِهِ النَّارُ كَالظُّهْرِ وَالْبُرُودِ، وَمِثْلُهُمَا وَمِثْلُ الْوُضُوءِ وَالْوُضُوءِ.

وَقَرَأَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ: وَقِيدُهَا النَّاسِ وَالْحِجَارَةِ.

قِيلَ: تِلْكَ الْحِجَارَةُ [كَبَتِ الْأَرْضَ النَّائِيَةَ] مِثْلُ الْكَبْرِ يُجْعَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ إِذَا اشْتَعَلَتْ فِيهَا النَّارُ أَحْرَقَ تَوَهَّجَهَا وَجُوهَهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾^(١).

اِخْتَلَفُوا فِي الْحِجَارَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ الْمَفْسِّرِينَ: إِنَّهَا حِجَارَةُ الْكَبْرِ [الْأَسْوَدُ وَهِيَ أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ حَرًّا]، وَقَالَ حَفْصُ بْنُ الْمَعْلَى: أَرَادَ بِهَا الْأَصْنَامَ لِأَنَّ أَكْثَرَ أَصْنَامِهِمْ كَانَتْ مَعْمُولَةً مِنَ الْحَجَرِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(٢).

وَقِيلَ: هِيَ أَنْ أَهْلَ النَّارِ إِذَا عِيلَ صَبْرُهُمْ بَكَوْا وَشَكُوا فَتَنَشَّأَ سَحَابَةٌ سُودَاءَ مَظْلَمَةٍ فَيَرْجُونَ الْفَرْجَ وَيَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ إِلَيْهَا فَيَمْطَرُهُمْ حِجَارَةٌ عَظَمَاءُ كَحِجَارَةِ الرَّحَا، فَتَزْدَادُ النَّارُ اتِّقَادًا وَالتَّهَابُ كَنَارِ الدُّنْيَا إِذَا زِيدَ حَطْبُهَا زَادَ لَهْيُهَا.

وَقِيلَ: ذَكَرَ الْحِجَارَةَ هَا هُنَا تَعْظِيمًا لِأَمْرِ النَّارِ لِأَنَّهَا لَا تَأْكُلُ الْحِجَارَةَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ فَظِيعةً وَهَائِلَةً.

﴿أَعَدَّتْ﴾: خَلَقَتْ وَهَيَّئَتْ لِلْكَافِرِينَ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْدَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مَوْجُودًا.

﴿وَبَشِّرْ﴾ أَيِ وَأَخْبِرْ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَأَصْلُ التَّبَشِيرِ: إِصْصَالُ الْخَبَرِ السَّارِ عَلَى [مَسَامِعِ النَّاسِ] وَيَسْتَبْشِرُ بِهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَشَرَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَرِحَ بِأَنْ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَبَشَرْتُهُ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى وَضَعَ مَوْضِعَ الْخَبَرِ فِيمَا [سَاءَ وَسَرَّ] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣).

(١) سورة الزمر: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٣) سورة آل عمران: ٢١.

﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي الخصال والفعلات ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ نعت لأسم مؤنث محذوف.
وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه في ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: معناه أخلصوا الأعمال، يدل عليه قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾^(١) أي خالصاً لأن المنافق والمرائي لا يكون عمله خالصاً، وقال: أقاموا الصلوات المفروضات، دليله قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.
﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(٢) من المسلمين.

وقال ابن عباس: عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم، وقال: العمل الصالح يكون فيه أربعة أشياء: العلم، والنية، والصبر، والاخلاص.

وقال سهل بن عبدالله: لزموا السنة؛ لأن عمل المبتدع لا يكون صالحاً.

وقيل: أدوا الأمانة، يدل عليه قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(٣) أي أميناً.

وقيل: تابوا، ودليله قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾^(٤) أي التائبين.

﴿أَن لَّهُمْ﴾: محل (أن) نصب بنزع حرف الصفة، أي بأن لهم.

﴿جَنَّاتٍ﴾: في محل نصب خفض لأنها جمع التانيث، وهي جمع الجنة وهي البستان، سميت جنة لاجتماعها بالأشجار.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي من تحت شجرها ومساكنها. وقيل: بأمرهم، كقوله: (وهذه الأنهار تجري من تحتي)^(٥) أي بأمري.

والأنهار: جمع نهر، سمي نهرًا لسعته وضيائه ومنه النهار.

وأُنشد أبو عبيدة:

ملكْتُ بها كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يرى قائم من دونها ما وراءها^(٦)
أي وسعتها، يصف طعنة.

وأراد بالأنهار المياه على قرب الجوار لأن النهر لا يجري.

وقد جاء في الحديث: «أنهار الجنة تجري في غير إحدود» [٧٦].

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٠.

(٣) سورة الكهف: ٨٢.

(٤) سورة يوسف: ٩.

(٥) سورة الزخرف: ٥١.

(٦) لسان العرب: ٥ / ٢٣٧.

﴿كَلِمًا﴾ متى ما ﴿رَزَقُوا﴾ أَطْعَمُوا ﴿مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: أي ثمره، و(من) صلة.

﴿رَزَقًا﴾ طعاماً. ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا﴾ أَطْعَمْنَا ﴿مِنْ قَبْلٍ﴾: طعامهما، وقيل معناه: هذا الذي رَزَقْنَا من قبل، أي وعدنا الله في الدنيا وهو قول عطاء، و(قبل) رفع على الغاية، قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدِ﴾^(١).

﴿وَأَتُوا﴾ وَجِئُوا ﴿بِهِ﴾ بالرزق.

قرأ هارون بن موسى: (وَأَتُوا) بفتح الألف، أراد أتاهاهم الخدم به.

﴿مُتَشَابِهًا﴾ اختلفوا في معناه، فقال ابن عباس ومجاهد والربيع والسدي: متشابهاً في الألوان، مختلفاً في الطعوم.

الحسن وقتادة: متشابهاً في الفضل، خياراً كله؛ لأن ثمار الدنيا [تبقى] ويرذل منها، وإن ثمار الجنة لا يرذل منها شيء.

محمد بن كعب وعلي بن زيد: بمعنى يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب.

وقال بعضهم: متشابهاً في الاسم مختلفاً في الطعم.

قال ابن عباس: ليس في الجنة شيء مما في الدنيا غير الأسماء.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنّات. ﴿أَزْوَاجٌ﴾ نساء وجوار، يعني الحور العين.

قال ثعلب: الزوج في اللغة: المرأة والرجل، والجمع والفرد، والنوع واللون، وجميعها أزواج.

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الغائط والبول والحيض والنفاس والمخاط والبصاق والقيء والمني والولد وكل قدر وذنس.

وقال إبراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد^(٢).

وقيل: مطهرة عن مساوي الأخلاق.

وقال يمان: مطهرة من الأثم والأذى.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ». قيل: فما بال الطعام؟ قال: «جشاً ورشح تجري من أعرافهم كريح المسك يلهمون التسييح والتهليل كما يلهمون النفس» [٧٧]^(٣).

(٢) الدر المنثور: ١ / ٤٠.

(١) سورة الروم: ٤.

(٣) كنز العمال: ١٤ / ٤٦٩ بتفاوت.

﴿وهم فيها خالدون﴾ دائمون مقيمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

الحسن عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة: كيف هي؟

قال: «من يدخل الجنة يحيى ولا يموت وينعم ولا يبؤس ولا تبلى ثيابه ولا شبابه».

قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: «لبنة من فضة ولبنة من ذهب، بلاطها مسك أذفر، وحصباءها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران» [٧٨] (١).

وقال يحيى بن أبي كثير: إنَّ الحور العين لثنادين أزواجهنَّ بأصوات حسان، فيقلن: طالما انتظرناكم، نحن الراضيات الناعمات الخالدات، أنتم حبنا ونحن حبكم ليس دونكم مقصد ولا وراءكم معذر.

وقال الحسن في هذه الآية: هنَّ عجائزكم الغمض الرَّمض العمش طُهرن من قدرات الدنيا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَنَكَبُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أُمَمًا قَلِيلًا ثُمَّ يُبَيِّنْكُمْ ثُمَّ يُخَيِّكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ هذه الآية نزلت في اليهود، وذلك أنَّ الله تعالى ذكر في كتابه العنكبوت والذباب فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا﴾ (٢) الآية. وقال: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُونَ﴾ (٣) الآية، ضحكت اليهود وقالوا: ما هذا الكلام وماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخبيثة في كتابه وما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ أي لا يترك ولا يمنعه الحياء أن يضرب مثلاً أن تصف للحق شيئاً. ﴿ما بعوضة﴾. (ما) صلة، وبعوضة نصب يدل على المثل.

﴿فما فوقها﴾: ابن عباس يعني الذباب والعنكبوت. وقال أبو عبيدة: يعني فما دونها.

﴿فأما الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فيعلمون﴾ يعني أنَّ هذا المثل هو ﴿أنه الحق﴾ الصدق الصحيح. ﴿من ربهم﴾.

(٢) سورة الحج: ٧٣.

(١) الدر المنثور: ١ / ٣٦.

(٣) العنكبوت: ٤١.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾: أي بهذا المثل. فلَمَّا حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع والتمام، كقوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾^(١).

فأجابهم الله تعالى فقال: أَرَادَ الله بهذا المثل ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكافرين ذلك أنهم ينكرونه ويكذبونه ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين يعرفونه ويصدقون.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، قال الله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٢) أي خرج. تقول العرب: فسقت الرطبة عن القشر، أي خرجت.

ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾ أي يتركون ويخالفون، وأصل النقض: الكسر.

﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ أمره الذي عَهِدَ إليهم يوم الميثاق بقوله تعالى: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾^(٣) وما عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ [وَضَمَّنَهُ] نعتة وصفته.

﴿مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ﴾ توكيده وتشديده، وهو مفعال من الوثيقة.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يعني الأرحام، وقيل: هو الإيمان بجميع الرسل والكتب، وهو نوع من الصلة؛ لأنهم قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكَفِّرُ بِبَعْضٍ﴾^(٤) فقطعوا، وقال المؤمنون: ﴿لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(٥) فوصلوا.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أي المغبونون بالعقوبة وفوت المثوبة، ثم قال: لمشركي مكة على التعجب:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ﴾ واو الحال ﴿أَمْوَاتًا﴾ نطفًا في أصلاب آبائكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم. ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُمْ﴾ للبعث. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ تأتون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم.

وقرأ يعقوب: ترجعون، وبيانه بفتح الأول وكسر الجيم جعل الفعل لهم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ لأجلكم. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي قصد وعمد إلى خلق السماء.

(١) سورة النحل: ٥٢.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٤) سورة النساء: ١٥٠.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٥.

﴿فسواهن سبع سماوات﴾ أي خلق سبع سماوات مستويات بلا فطور ولا شطور ولا عمد تحتها ولا علامة فوقها. ﴿وهو بكل شيء عليم﴾: عالم.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الْدِّمَآءَ وَيُهْدِنَ سَبِيلَ جَهَنَّمَ لَكَ قَالَ إِنِّي أَطْلَعُ مَا لَا تَلْمُظُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ
عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنشِئُوهُ بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ سٰٓدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا
عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يٰٓأَدَمُ أَنۢبِئْهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنۢبَأَهُمْ وَأَعَلَّمَهُمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي
أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبٰٓى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقَلَّمَ يٰٓأَدَمُ اسْكُنْ لَكَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰٓذِهِ السُّجَّةَ فَكُنتُمَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكِنَّ فِي الْأَرْضِ مُسْتَضَرًّا يَرْتَمِى إِلَى جَهَنَّمَ قُلْنَا يٰٓأَدَمُ مِنْ زَوْجِكَ كُنْتُمْ
قَالَبَ عَدُوًّا لِّهِ هُوَ الْوَلَدُ الرَّجِيمُ ﴿٣٦﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَاكُم مِّنْهُ فَنَدِي فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ﴿٣٨﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ يعني: وقد قال، وقيل معناه: واذكر إذ قال ربك، وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله.

و(إِذْ) و(إِذَا) حرفا توقيت، إِلَّا أَنْ (إِذْ) للماضي و(إِذَا) للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر.

قال المبرد: إِذَا جاء (إِذْ) مع المستقبل كان معناه ماضياً نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾^(١) وَإِذْ يَقُولُ، يريد إِذْ مَكْرٍ وَإِذْ قَالَ، وَإِذَا جاء مع الماضي كان معناه مستقبلاً كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾^(٢) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّآخَةُ﴾^(٣) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾^(٤) أي يجيء، وقال الشاعر:

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا إِذْ جَزَا جَنَّاتِ عَدْنٍ وَالْعَلَا إِلَى الْعَلَا^(٥)
أي يجزيه.

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) سورة النازعات: ٣٤.

(٣) سورة عبس: ٣٣.

(٤) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾: النازعات - ٣٤.

(٥) سورة النصر: ١.

(٥) لسان العرب: ١٥ / ٤٦٣، وتاج العروس: ١ / ٤٢٤.

﴿للملائكة﴾ الذين كانوا في الأرض، والملائكة: الرسل، واحداها ملك، وأصله: مالك، وجمعه: ملائكة، وهي من الملكة والمالكة والألوك الرسالة ويقال: ألكني الى فلان، أي كن رسولي إليه فقلت، فقليل: ملاك. قال الشاعر:

فلست لأنسي لكن لملاك تنزل من جو السماء يصبوب^(١)
ثم حذف الهمزة للخطبة وكثير استعماله فقليل: ملك.

قال النضر بن شميل في الملك: إن العرب لا تشق فعله ولا تصرفه، وهو مما فات علمه.
﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ أي بدلا منكم ورافعكم إليّ، سُمّي (خليفة) لأنه يخلف الذاهب ويجيء بعده، فالخليفة من يتولى إمضاء الأمر عن الأمر، وقرأ [زيد بن علي]^(٢): (خليفة) بالقاف.

قال المفسرون: وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض، فعبدوا دهرًا طويلا في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي، فاقتتلوا وأفسدوا، فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يُقال لهم: الجن، رأسهم عدو الله إبليس وهم خزّان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا إلى الأرض، وطرّدوا الجن عن وجهها فالحقوهم بشعوب الجبال، وجزائر البحر، وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة، وأحبّوا البقاء في الأرض لذلك، وأعطى الله إبليس مُلك الأرض ومُلك سماء الدنيا وخزانة الجنان، فكان يعبد الله تارةً في الأرض، وتارةً في السماء، وتارةً في الجنة.

فلما رأى ذلك دخله الكبر والعُجب، وقال في نفسه: أعطاني الله هذا الملك إلاّ لأنني أكرم الملائكة عليه، وأعظمهم منزلةً لديه؛ فلما ظهر الكبر جاء العزل، فقال الله له ولجنده: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ فلما قال لهم ذلك كرهوا؛ لأنهم كانوا أهون في الملائكة عبادة، ولأنّ العزل شديد.

﴿قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها﴾ بالمعاصي. ﴿ويُسفك﴾ يصبّ ﴿الدماء﴾ بغير حق.

فإن قيل: كيف علموا ذلك وهو غيب؟

والجواب عنه ما قال السّدي: لما قال الله لهم ذلك، قالوا: وما يكون من ذلك الخليفة؟ قال: تكون له ذرية، يفسدون في الأرض [ويتحاسدون]^(٣) ويقتل بعضهم بعضاً^(٤). قالوا عند ذلك: ﴿أنجعل فيها﴾ ومعناه: فقالوا، فحذف فاء التنسيق. كقول الشاعر:

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ٢٦٣.

(١) الصحاح: ١ / ١٦٥.

(٣) كذا في المخطوط.

(٤) تفسير الطبري: ١ / ٢٨٩.

لما رأيت نبطاً أنصاراً شمّرْتُ عن ركبتي الأزارا
كنتُ لهم من النَّصاري جارا^(١)
أي فكنتُ لهم.

وقال أكثر المفسرين: أرادوا كما فعل بنو الجانّ قاسوا بالشاهد على الغائب، وقال بعض أهل المعاني: فيه إضمار واختصار معناه: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ أم تجعل فيها من لا يفسد ولا يُسفك الدماء؟ لقوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾^(٢) يعني كمن هو غير قانت، وهو اختيار الحسن بن الفضل.

﴿ونحن نسبح بحمدك﴾.

قال الحسن: يقولون: سبحان الله وبحمده، وهو صلاة الخلق وتسييحهم وعليها يُرزقون. يدل عليه الحديث المروي عن أبي ذر إنه قال لرسول الله ﷺ: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما أصطفاه الله تعالى لملائكته: سبحان الله وبحمده» [٧٩]^(٣).

وقيل: معناه: ونحن نصلي لك بأمرك، والتسبيح يكون بمعنى التنزيه ويكون بمعنى الصلاة، ومنه قيل: للصلاة سُبحَة، وقيل: معناه: نصلي، ونقرأ فيها فاتحة الكتاب. ﴿ونُقَدِّسُ لك﴾ ونزّهك واللام صلة، وقيل: هي لام الأجل، أي ونظّه لأجلك قلوبنا من الشرك بك [وأبداننا] من معصيتك.

وقال بعض العلماء: في الآية تقديم وتأخير مجازها: ونحن نسبح ونُقَدِّسُ لك بحمدك؛ لأنه إذا حُمِلَت الآية على التأويل الأول تنافي قول الملائكة المتزكية بالإدلال بالعمل، وإذا حُمِلَت على هذا التأويل ضاهى قولهم التحدّث بنعمة الله وإضافة [.....]^(٤) إلى الله فكأنهم قالوا: وأن سبّحنا وقدّسنا وأطعنا وعبدنا فذلك كله بحمدك لا بأنفسنا، قال الله:

﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ من استخلفني في الأرض ووجه المصلحة فيه، فلا تعترضوا عليّ في حكمي وتديبري، وقيل: أراد أني أعلم أنّ في من استخلفه في الأرض: أنبياء وأولياء وعلماء وصلحاء، وقيل: أني أعلم إنهم يذنبون وأغفر لهم.

قال بعض الحكماء: إنّ الله تعالى أخرج [آدم] من الجنة قبل أن يدخله فيها^(٥). لقوله

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٤.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) مسند أحمد: ٥ / ١٤٨.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٥) الدر المنثور: ١ / ٤٤.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ثم كان خروجه من الجنة بذنبه يدل أنه كان بقضاء الله وقدره.

ابن نجيج عن مجاهد في قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: علم من إبليس المعصية وخلقها لها.

ابن شهاب عن حميد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى. فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله لرسالته وكلامه، ثم تلومني على أمر قدّر قبل أن أخلق. فحج آدم موسى» [٨٠] (١).

فصل في معنى الخليفة

قيل: سأل أمير المؤمنين الخطاب، طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ما الخليفة من الملك؟ فقال طلحة والزبير: ما ندري. فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله، فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله عز وجل ملأ سلمان حكماً وعلماً وعدلاً.

وروى زاذان عن سلمان: إن عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعت في غير حقه فأنت ملك. قال: فاستعبر عمر رضي الله عنه.

وعن يونس: إن معاوية كان يقول إذا جلس على المنبر: أيها الناس إن الخلافة ليست لجمع المال ولا تفريقه، ولكن الخلافة بالحق والحكم بالعدل وأخذ الناس بأمر الله عز وجل.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وذلك إن الله تعالى لما قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا فيما بينهم: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منا، وإن كان خيراً منا فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فلما أعجبوا بعلمهم وعبادتهم، فضل الله تعالى عليهم آدم ﷺ بالعلم فعلمه الأسماء كلها وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة.

واختلف العلماء في هذه الأسماء، فقال الربيع وابن أنس: أسماء الملائكة، وقال عبد الرحمن بن زيد: أسماء الذرية.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: علمه الله اسم كل شيء حتى القصعة والقصبة.

قال مقاتل: خلق الله كل شيء - الحيوان والجماد وغيرها - ثم علم آدم أسماءها كلها. فقال له: يا آدم هذا فرس، وهذا بغل، وهذا حمار حتى أتى على آخرها ثم عرض تلك الأشياء كما عرض الموجودات على الملائكة. فكَذَلِكَ قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ ولم يقل: عرضها، وردّه إلى الشخوص والمسميات لأنّ الأعراض لا تُعرض.

وقيل: علم الله آدم ﷺ صنعة كل شيء.

جوبير عن الضحّاك عن ابن عباس قال: علم الله آدم أسماء الخلق والقرى والمدن والجبال والسباع وأسماء الطير والشجر وأسماء ما كان وما يكون وكل نسمة الله عز وجلّ بارئها إلى يوم القيامة، وعرض تلك الأسماء على الملائكة.

﴿فقال أنبثوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ إنّ الخليفة الذي أجعله في الأرض يُفسد فيها ويسفك الدماء. أراد الله تعالى بذلك: كيف تدعون علم ما لم يكن بعد، وأنتم لا تعلمون ما ترون وتعاينون.

وقال الحسن وقتادة: ﴿

إن كنتم صادقين﴾ إني لا أخلق خلقاً إلّا كنتم أعلم وأفضل منه، قالت الملائكة: إقراراً بالعجز واعتذاراً.

﴿قالوا سبحانك﴾: تنزيهاً لك عن الاعتراض لعلمك في حكمك وتديبرك، وهو نصب على المصدر، أي نسبح سبحاناً في قول الخليل.

وقال الكسائي: خارج عن الوصف، وقيل: على النداء المضاف أي: يا سبحانك.

﴿لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنّك أنت العليم﴾ بخلقك ﴿الحكيم﴾ في أمرك.

وللحكيم معنيان: أحدهما: المحكم للفعل، كقوله: ﴿عذاب اليم﴾، وحز وجيع. قال الشاعر:

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هموع^(١)

أي المؤلم والموجع، والسميع^(٢) فعيل بمعنى: مُفعل وعلى هذا التأويل هو صفة فعل.

والآخر: بمعنى (الحاكم العالم) وحينئذ يكون صفة ذات، وأصل الحكمة في كلام العرب: المنع. يُقال: أحكمت اليتيم عن الفساد وحكمته، أي منعه.

قال جرير:

(١) تفسير الطبري: ١ / ١٧٩، وهو لعمر بن معديكرب.

(٢) هذا تفسير للشعر فقوله فيه: السميع: أي المسمع كما في تفسير الطبري.

(٣) لسان العرب: ١٢ / ١٤٤.

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إنني أخاف عليكم أن أغضباً^(١)
ويقال للحديدة المعترضة في فم الدابة: حكمة؛ لأنها تمنع الدابة من الأعوجاج، والحكمة تمنع من الباطل، وما لا يجمل فلا يحلّ في المحكم من الأمر بمنعه من الخلل، وفي هذه الآية دليل على جواز تكليف ما لا يُطاق حيث أمر الله تعالى الملائكة بإنباء مالم يعلموا، وهو عالم بعجزهم عنه.

فلما ظهر عجزهم، قال الله تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فسَمَّى كل شيء باسمه، وألحق كل شيء بجنسه.

﴿فلما أنبأهم﴾ أخبرهم. ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ قال ألم أقل لكم ﴿يَا ملائكتي﴾. ﴿أَنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما كن فيها وما يكون. ﴿وَأَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ﴾ من الخضوع والطاعة لآدم. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تخفون في أنفسكم من العداوة له. وقيل: ما تبدون من الإقرار بالعجز والاعتذار، وما كنتم تكتُمون من الكراهية في استخلاف آدم.

قال ابن عباس: هو أن إبليس مرّ على جسد آدم وهو ملقّى بين مكة والطائف لا روح فيه، فقال: لأمر ما خلق هذا، ثمّ دخل من فيه وخرج من دبره، وقال: إنّه لا يتماسك إلّا بالجوف، ثمّ قال للملائكة الذين معه: أرايتم أن فضّل هذا عليكم، وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربّنا. فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلّطت عليه لأهلكته، ولئن سلّط عليّ لأعصيته. فقال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ﴾ يعني الملائكة من الطاعة ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ يعني إبليس من المعصية.

قال الحسن وقتادة: ﴿مَا تَبْدُونَ﴾ يعني قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ يعني قولهم لن يخلق خلقاً أفضل ولا أعلم ولا أكرم عليه منّا.

القول في حدّ الاسم وأقسامه

فقال أصحابنا: الاسم: كل لفظة دلت على معنى ما وشيء ما، وهو مشتق من السّمة، وهي العلامة التي يُعرف بها الشيء، وأقسامه ثمانية منها: اسم علم مثل زيد، وعمر، وفاطمة، وعائشة، ودار، وفرس.

ومنها: اسم لازم كقولك: رجل، وامرأة، وشمس، وقمر، وحجر، ومدر ونحوها؛ سُمّي لازماً لأنّه لا يتقلب ولا يُفارق، فلا يُقال للشمس قمر ولا للقمر حجر.

ومنها: اسم مفارق مثل: صغير، وكبير، وطفل، وكهل، وقليل، وكثير، وقيل له مفارق لأنّه كان ولم يكن له هذا الاسم ويزول عنه المعنى المسمّى به.

ومنها: اسم مشتق: ككاتب، وخياط، وصائغ، وصباغ؛ فالاسم مشتق من فعله.

ومنها: اسم مضاف مثل: غلام جعفر، وركوب عمرو، ودار زيد.

ومنها: اسم مشبهة كقولك: فلان أسد وحمار وشعلة نار.

ومنها: اسم منسوب يثبت بنفسه ويثبت غيره، كقولك: أب، وأم، وأخ، وأخت، وابن، وبنت، وزوج، وزوجة، فإذا قلت أب فقد أثبتته وأثبت له الولد، وإذا قلت: أخ أثبتته وأثبت له الأخت.

ومنها: اسم الجنس: وهو إسم واحد ويدل على أشياء كثيرة، كقولك: حيوان، وناس ونحوهما.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدة تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة، نظيره قوله في قصة يوسف: ﴿وَاخْرُؤْ لَهُ سَجْدًا﴾^(١) وكان ذلك تحية الناس، ويُعظم بعضهم بعضاً، ولم يكن وضع الوجه على الأرض [وإنما] كان الإنحناء والتكبير والتقبيل. فلما جاء الإسلام بطل ذلك بالسلام.

وفي الحديث إن معاذ بن جبل رجع من اليمن فسجد لرسول الله ﷺ فتغير وجه رسول الله فقال: ما هذا؟ قال: رأيت اليهود يسجدون لأخبارهم والنصارى يسجدون لقسيسهم.

فقال رسول الله ﷺ: «مه يا معاذ كذب اليهود والنصارى إنما السجود لله تعالى» [٨١] (٢).

وقال بعضهم: كان سجوداً على الحقيقة فجعل آدم قبله لهم والسجود لله، كما جعلت الكعبة قبله للصلاة المؤمنين والصلاة لله تعالى.

قال ابن مسعود: أمرهم الله تعالى أن يأتوا بآدم فسجدت الملائكة وآدم لله رب العالمين. وقال أبي بن كعب: معناه: أقرؤا لآدم إنه خير وأكرم علي منكم فأقرؤوا بذلك، والسجود على قول عبدالله وأبي بمعنى الخضوع والطاعة والتذلل، كقول الشاعر:

ترى الأكمل فيه سجداً للحوافر^(٣)

وآدم على وزن افعال.

فلذلك لم يصرقه.

السدي عمن حدثه عن ابن عباس قال: إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، ومنهم من قال: سمي بذلك لأنه خلق من التراب، والتراب بلسان العبرانية آدم، وبعضهم من قال:

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

(٢) المعجم الكبير: ٨ / ٣١. بتفاوت

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧. والعبارة كالتالي:

بجمع تفضل البلق في حجرته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر

سُمِّيَ بذلك لأدمته لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر.

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ليس في الجنة أحد يُكْنَى إِلَّا آدم فإنه يُكْنَى أبا محمد. وقرأ العامة: ﴿للملائكة﴾ بخفض التاء، وقرأ أبو جعفر بضم التاء تشبهاً لتاء التأنيث بألف الوصل في قوله: ﴿اسجدوا﴾ لأن ألف الوصل يذهب في الوصل ولأنها زائدة غير أصلية، وكذلك تاء التأنيث زائدة غير أصلية، ولا ثابت جواب ألف اسجدوا.

وقيل: كره ضمة الجيم بعد كسرة التاء؛ لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها، وهي قراءة ضعيفة جداً وأجمع النحاة على تغليطه فيها.

﴿فسجدوا﴾ يعني الملائكة. ﴿الآ إيليس﴾ وكان اسمه عزازيل، فلما عصى غيّرت صورته وغيّر اسمه فقيل إيليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله، كما يقال: يا خبيث ويا فاسق، وهو منصوب على الاستثناء، ولا يصرف لاجتماع العجمة والمعرفة.

﴿أبى﴾ أي امتنع ولم يسجد. ﴿واستكبر﴾ أي تكبر وتعظم عن السجود ﴿وكان﴾ أي فصار ﴿من الكافرين﴾ ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾^(١).

وقال أكثر المفسرين: معناه فكان في علمه السابق من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان عنه يبكي فيقول: يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار» [٨٢]^(٢).

زياد بن الحصين عن أبي العالية قال: لما ركب نوح السفينة إذا هو بابليس على كوثلها^(٣) فقال له: ويحك قد شق أناس من أجلك، قال: فما تأمرني؟ قال: تب، قال: سل ربك هل لي من توبة؟ قال: فقل له أن توبته أن يسجد لقبر آدم، قال: تركته حيّاً واسجد له ميتاً.

﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ وذلك أن آدم ﷺ كان في الجنة وحشاً ولم يكن له من يُجالسه ويؤانسه، فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته من قصيره من شقه الأيسر من غير أن يحسّ آدم بذلك ولا وجد له ألماً ولو ألم من ذلك لما عطف رجلٌ على امرأة، فلما هبّ آدم من نومه إذا هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله تعالى، فقال لها: من أنت؟ قالت أنا زوجتك خلقتني الله لك لتسكن إليّ وأسكن إليك. فقالت الملائكة عند ذلك امتحاناً لعلم آدم: يا آدم ما هذه؟ قال: امرأة، قالوا: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حيّ، قالوا: تحبّها يا آدم؟ قال: نعم، فقالوا لحواء: أتحبّينه؟ قالت: لا،

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٤٤٣.

(١) سورة هود: ٤٣.

(٣) الكوثر: مؤخر السفينة.

وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حُبِّه، قالوا: فلو صدقت امرأة في حُبِّها لزوجها لصدقت حواء.

مسألة:

قالت القدريّة: إنّ الجنة التي أسكنها الله آدم وحواء لم تكن جنة الخلد وإنما كان بستاناً من بساتين الدنيا، واحتجّوا بأن الجنة لا يكون فيها إبتلاء وتكليف.

والجواب:

إنّا قد أجمعنا على أنّ أهل الجنة مأمورون فيها بالمعرفة ومكلفون بذلك.

وجواب آخر: إنّ الله تعالى قادر على الجمع بين الأضداد، فأرى آدم المحنة في الجنة وأرى إبراهيم النعمة في النار لثلاً يأمن العبد ربّه ولا يقنط من رحمته وليعلم أنّ له أن يفعل ما يشاء.

واحتجّوا أيضاً بأنّ من دخل الجنة يستحيل الخروج منها، قال الله تعالى: ﴿وما هم عنها بمخرجين﴾^(١).

والجواب عنه: إنّ من دخلها للشواب لا يخرج منها أبداً، وآدم لم يدخلها للشواب، ألا ترى أنّ رضوان خازن الجنة يدخلها ثم يخرج منها، وإبليس أيضاً كان داخل الجنة وأُخرج منها. ﴿وكلا منها رغداً﴾ واسعاً كثيراً. ﴿حيث شئتما﴾: كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما. ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر. وقال آخرون: بل وقع على شجرة مخصوصة واختلفوا فيها، فقال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): هي شجرة الكافور.

وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كلّ شيء.

ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة.

وقيل: هي الحَبْلَة وهي الأصل من أصول الكرم.

أبو روق عن الضحاك: أنها شجرة التين.

﴿فتكونا﴾ فتصيرا ﴿من الظالمين﴾ لأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشيء في

غير موضعه.

﴿فأزلهما﴾ يعني [استمال] آدم وحواء فأخرجهما ونحّاهما.

وقرأ حمزة: (فأزلهما الشيطان) وهو إبليس، وهو فيعال من شطن أي بعد.

وقيل: إنه من شاط والنون فيه غير أصلية [ونودي] شيطان سمي بذلك لتمردّه وبعده عن الخير وعن رحمة الله تعالى.

﴿عنها﴾ عن الجنة وقيل عن الطاعة.

﴿وأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم، وذلك إن إبليس أراد أن يدخل الجنة ويوسوس لآدم ولحواء فمنعته الخزنة، فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكان من خزان الجنة وكان لأبليس صديقاً، فسألها أن تدخله في فمها فأدخلته في فمها ومّرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة، وكان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة قال: لو أن خلداً، فأغتنم الشيطان ذلك منه وأتاه من قبل الخلد، ولما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء لا يعلمان إنه إبليس، فناح عليهما نياحةً أحزنهما وبكى وهو أوّل من ناح فقالا لِمَ تبكي قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما وإغتمًا، ومضى ثم أتاهما بعد ذلك وقال: ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾^(١)، فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأغترّا وما كانا يظنان أنّ أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها.

وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبدالله بن قسط قال: سمعت سعيد بن المسيّب يحلف بالله ما يستثني: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادتة إليها فأكل، فلمّا أكلا تهافت عنهما ثيابهما وبدت سوءاتهما وأخرجها من الجنة، وذلك قوله تعالى: ﴿وقلنا﴾ يعني لآدم وحواء وإبليس والحية ﴿اهبطوا﴾ أي أنزلوا الى الأرض ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نودة، وقيل: واشم، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة وقيل بميسان، والحية بأصفهان.

﴿ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع﴾ بلغة ومستمتع.

﴿الى حين﴾ الى حين اقتضاء أجالكم ومنتهى أعماركم.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت إبراهيم بن أدهم: أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً.

﴿فتلقى﴾ فلقن. ﴿آدم﴾ حفظ حين لقن، وأفهم حين ألهم.

وقرأ العامة: آدمُ برفع الميم، كلمات بخفض التاء.

وقرأ ابن كثير: بنصب الميم، بمعنى جاءت الكلمات لآدم ﷺ.

﴿من ربه كلمات﴾ كانت سبب قبول توبته، واختلفوا في تلك الكلمات:

قال ابن عباس: هي أنّ آدم قال: يا ربّ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك بي غضبك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكّني جنتك؟ قال: بلى، قال: فلم أخرجني منها؟ قال: بشؤم معصيتك، قال: أي ربّ أرايت لو تبت [وأصلحت] أراجعي أنت الى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو الكلمات.

قال عبيد بن عمير: هو أنّ آدم قال: يا ربّ أرايت ما أتيت، شيء ابتدعته على نفسي أم شيء قدّرت عليّ قبل أن تخلقني؟ قال: بل شيء قدّرت عليك قبل أن أخلقك، قال: يا ربّ كما قدّرت عليّ فأغفر لي^(١).

همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تحتاج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة الى الأرض؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي أعطاك الله علم كلّ شيء واصطفاك على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: أتلومني على أمر كان قد كتب عليّ أن أفعله من قبل أن أخلق. قال: فحجّ آدم موسى» [٨٣]^(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي: هي قوله: لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنّك أنت التواب الرحيم، لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك أنت الغفور الرحيم، لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك ربّ عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني أنّك أنت أرحم الراحمين.

عكرمة عن سعيد بن جبير في قوله: «فلتقى آدم من ربه كلمات» قالاً: قوله: «ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين»^(٣)، وكذلك قاله الحسن ومجاهد.

وقال بعضهم: نظر آدم ﷺ الى العرش فرأى على ساقه مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فقال: يا ربّ أسألك بحقّ محمد أن تغفر لي فغفر له.

وقيل: هذا التأويل ما روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ^(٤): «عرج بيّ الى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق»^(٥).

(١) تفسير الدر المنثور: ١ / ٥٩. (٢) المصنف (عبد الرزاق الصنعاني): ١١ / ١١٣.

(٣) سورة الأعراف: ٢٣. (٤) ذكره ابن الجوزي في المزموعات: ١ / ٣٢٨.

(٥) روي المتقي الهندي عن علي قول آدم: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا اله الا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنّك أنت التواب الرحيم. كنز العمال: ٢ / ٣٥٩ ح ٤٢٣٧ مورد الآية، والدر المنثور: ١ / ٦٠ ذيل الآية. وأخرج السيوطي عن ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات فقال: سألت بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي. الدر المنثور: ١ / ٦٠.

وقيل: هي ثلاثة أشياء: الخوف، الرجاء، البكاء.

أبو بكر الهذلي عن شهر بن حوشب قال: بلغني أن آدم لما أهبط الى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله تعالى.

وقال ابن عباس: بكاء آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم [حواء] مائة سنة.

﴿فتاب عليه﴾ فتجاوز عنه ﴿إنه هو التواب﴾ يقبل توبة عباده ﴿الرحيم﴾ بخلقه.

﴿قلنا اهبطوا منها﴾ يعني آدم وحواء، وقيل: آدم وحواء وإبليس والحية ﴿فلما يأتيتكم﴾ يا ذرية آدم ﴿مني هدى﴾ كتاب ورسول. ﴿فمن تبع﴾ هداي. ﴿هداي فلا خوف عليهم﴾: فيما يستقبلهم ﴿ولا هم يحزنون﴾: على ما خلفوا.

﴿والذين كفروا﴾ جحدوا. ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ يعني القرآن. ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْ يُنْهَكُمْ وَإِنِّي فَازَهُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِمَّا أَوْفُوا
بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِي وَإِنِّي فَازَهُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَكُونُوا أَكْثَرًا وَلَا تَكُونُوا أَكْثَرًا وَلَا تَكُونُوا أَكْثَرًا وَلَا تَكُونُوا أَكْثَرًا
تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُونُوا الْخَوَافِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ
﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْمِعُوا بِالضَّرِّ
وَالصَّلَاةِ وَإِنَّمَا لِكِبْرِي إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَهِ رَجْمُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي
إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿يا بني إسرائيل﴾ أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: صفوة الله، وإيل هو الله عز وجل، وقيل: معناه: عبدالله، وقيل: سمي بذلك لأن يعقوب وعيسا كانا توأمين واقتتلا في بطن أمهما، فأراد يعقوب أن يخرج فمنعه عيص وقال: والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي، فلاقتلها، فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب يعقب عيص فخرج عيص قبل يعقوب.

وسمي عيص لما عصى فخرج قبل يعقوب، وكان عيص أحبهما الى أبيه وكان يعقوب أحبهما الى أمة، وكان عيص [يعقوب أبناء] إسحاق وعمي، قال لعيص: يا بني أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي، وكان عيص رجلاً أشعر وكان [يعقوب] رجلاً أمرد، فخرج عيص بطلب الصيد، فقالت أمة ليعقوب: يا بني إذهب الى الغنم فاذبح منه شاة ثم اشوه والبس جلدها وقدمها الى أبيك فقل له: أنك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلما جاء قال: يا أبنائه كل، قال: من أنت، قال: ابنك عيص [قال: خمسه فقال: المس من عيص والريح ريحة

يعقوب، قالت أمه: هو ابنك، فادع له، قال: قدم طعامك فقدّمه فأكل منه، ثم قال: أدن مني، فدنا منه، فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك. وقام يعقوب وجاء عيص فقال: قد جئتكم بالصيد الذي أمرتني به. فقال: يا بني قد سبقك أخوك يعقوب، فغضب عيص وقال: والله لأقتلنه، قال: يا بني قد بقيت لك دعوة، فهل أم أدع لك بها، فدعا له فقال: تكون ذريتك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحد غيرهم...^(١).

﴿اذكروا﴾....

روى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والمحدث بنعمة الله شاكر وتاركها كافر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب» [٨٤]^(٢).

﴿نعمتي﴾ أراد نعمي أعطاها وهي واحد [بمعنى الجمع] وهو قوله تعالى ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٣) والعدد لا يقع على الواحد.

﴿التي أنعمت عليكم﴾ أي على أجدادكم، وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من فرعون وأهلك عدوّهم فأورثهم ديارهم وأموالهم، وظلل عليهم الغمام في التيه من حر الشمس، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وفجر لهم اثني عشرة عيناً [وأنزل]^(٤) عليهم التوراة فيها بيان كلّ شيء يحتاجون إليه في نعم من الله كثيرة لا تحصى.

﴿أوفوا بعهدي﴾ الذي عهدت اليكم ﴿أوف بعهدكم﴾ أدخلكم الجنة وأنجز لكم ما وعدتكم.

فقرأ الزهري: أوفّ بالتشديد على التأكيد يقال: وفّى وأوفى كلّها بمعنى [واحد] وأصلها الاتمام.

قال الكلبي: عهد إلى بني إسرائيل على لسان موسى: إني باعث من بني إسماعيل نبياً أمياً فمن إتبعه [وآمن]^(٥) به عفوت عن ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين إثنين، وهو قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾^(٦) يعني أمر محمد ﷺ.

(١) في المخطوط بياض وأكملنا القصة من تاريخ الطبري: ٢٤٤ - ٢٢٥.

(٢) مسند أحمد: ٤ / ٢٧٨؛ والشكر لله لابن أبي الدنيا: ٧.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٤) بياض في المخطوط وما أثبتناه هو الظاهر.

(٥) سقط في أصل المخطوط وما أثبتناه منا.

(٦) سورة آل عمران: ١٨٧.

قتادة: هو العهد الذي أخذ الله عليهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿قَرْضاً حَسَناً﴾^(٢) فهذا قوله: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ ثم قال: ﴿لَا كُفْرَ عَنْكُمْ سِثَاتِكُمْ﴾^(٣) الآية. فهذا قوله ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾.

فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٤) الآية.

الحسن: هو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾^(٥) الآية.

إسماعيل بن زياد: ولا تفروا من الزحف أدخلكم الجنة، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤَلِّقُونَ الْأَدْبَارَ﴾^(٦).

وقيل: أوفوا بشرط العبودية، أوفِ بشرط الربوبية.

وقال أهل الإشارة: أوفوا في دار محتتي على بساط خدمتي، [أوفِ عهدكم] في دار نعمتي على بساط كرامتي بقربي ورؤيتي.

﴿وَلِإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ فخافوني في نقض العهد [وسقطت الياء بعد النون في] هذه الآيات وفي كل القرآن على الأصل، وحذفها الباقيون على الخط إتباعاً للمصحف.

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقاً﴾ موافقاً ﴿لَمَّا مَعَكُمْ﴾ يعني التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار، وبعض الشرائع نزلت في كعب وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يعني أول من يكفر بالقرآن^(٧) وقد بايعتنا اليهود على ذلك فتبوءوا بآثامكم وآثامهم.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ أي ببيان صفة محمد ونعته. ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾ شيئاً يسيراً، وذلك أن رؤساء اليهود كانت لهم مأكَل يصيبنها من سفلتهم وعوامهم يأخذون منهم شيئاً معلوماً كل عام من زروعهم [فخافوا أن تبينوا] صفة محمد ﷺ وبايعوه أن تفوتهم تلك المأكَل والرياسة، فاختاروا الدنيا على الآخرة.

﴿وَلِإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾ فاحشوني في أمر محمد لا فيما يفوتكم من الرياسة والمأكَل.

﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ﴾ ولا تخلطوا، يقال: [لبست عليهم الأمر ألْبَسَهُ لِبْساً] إذا خلطته عليهم^(٨) أي خلطت وشبهت الحق الذي أنزل اليكم من صفة محمد ﷺ.

(١) سورة المائدة: ٧٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٥.

(٣) سورة المائدة: ١٢.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) سورة البقرة: ٦٣.

(٦) سورة الأحزاب: ١٥.

(٧) تفسير الطبري: ١ / ٣٦٠.

(٨) زيادة عن تفسير الطبري ١ / ٣٦٢.

﴿بالباطل﴾، الذي تكتُمونه، وهو تجدونه في كتبكم من نعته وصفته.

وقال مقاتل: إنّ اليهود أقرّوا ببعض صفه محمد ﷺ وكتبوا بعضاً واختلفوا في ذلك، فقال الله عز وجل: ﴿ولا تلبسوا الحق﴾ الذي تقرّون به وتبيّنونه بالباطل، يعني بما تكتُمونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم.

وقيل: معناه ولا تلبسوا الحقّ [من الباطل] صفة أو حال.

﴿وتكتُموا الحق﴾ يعني ولا تكتُموا الحق كقوله تعالى: ﴿لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾^(١).

﴿وأنتم تعلمون﴾ إنّهُ نبيّ مرسل.

﴿وأقيموا الصلاة﴾ يعني وحافظوا على الصلوات الخمس بمواقيتها [وأركانها] وركوعها وسجودها.

﴿وآتوا الزكاة﴾ يعني وأدّوا زكاة أموالكم المفروضة، وأصل الزكاة: الطهارة والنماء والزيادة.

﴿واركعوا مع الراكعين﴾ يعني وصلّوا مع المصلين محمّد وأصحابه، يخاطب اليهود فعبر بالركوع عن الصلاة إذ كان ركناً من أركانها كما عبر باليد عن العطاء كقوله: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾^(٢) وقوله: ﴿فيما كسبت أيديكم﴾^(٣) وبالعنق عن البدن في قوله: ﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾^(٤) والأنف عن [.....]^(٥).

﴿أنأمرون الناس بالبر﴾ الطاعة والعمل الصالح، ﴿وتنسون أنفسكم﴾ تتركون ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ توبّخ عظيم ﴿أفلا تعقلون﴾ أي أفلا تمنعون أنفسكم من مواجهة هذه الحال المردية لكم^(٦).

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾.....

﴿وإنها لكبيرة﴾ [عليهما ولكنه كنى عن الأغلب وهو الصلاة كقوله]: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ وقوله: ﴿إذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها﴾ فرد

(١) سورة الأنفال: ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٨١.

(٣) سورة الشورى: ٣٠.

(٤) سورة الإسراء: ١٣.

(٥) سقط في المخطوط.

(٦) بياض في المخطوط، وتفسير الآيات من تفسير القرطبي: ١ / ٣٦٥.

الكناية إلى الفضة لأنها الأغلب والأعم وإلى التجارة لأنها الأفضل والأهم... ﴿وإنها﴾ واحد منهما، أراد بأن كل خصلة منهما ﴿لكبيرة﴾ وقيل: رد الكناية إلى كل واحد منهما قال تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾^(١) ولم يقل: آيتين، أراد: جعلنا كل واحد منهما آية.

حسن من علم يزينه حلم ومن ناله قد فاز بالفرج
أي من نال كل واحد منهما.

وقال آخر:

لكل هم من الهموم سعة والمسي والصبح لا فلاح معه^(٢)
وقيل: رد الهاء إلى الصلاة لأن الصبر داخل في الصلاة كقوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾^(٣) ولم يقل يرضوهما؛ لأن رضا الرسول داخل في رضا الله، فرد الكناية إلى الله. وقال الشاعر وهو حسان:

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يُعاص كان جنونا^(٤)
ولم يقل يُعاصيا رده إلى الشباب، لأن الشعر الأسود داخل فيه. وقال الحسين بن الفضل: رد الكناية إلى الاستعانة، معناه: وأن الاستعانة بالصبر والصلاة لكبيرة ثقيلة شديدة ﴿إلا على الخاشعين﴾ يعني المؤمنين، وقال ابن عباس: يعني المصلين. الوراق: العابدين المطيعين. مقاتل بن حيان: المتواضعين، الحسن: الخائفين. قال الزجاج: الخاشع الذي يرى أثر الذل والخنوع عليه، وكخشوع الدار بعد الاقواء، هذا هو الأصل^(٥).

وقال النابغة:

رماد ككحل العين ما أن تبينه ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع
﴿الذين يظنون﴾ يعلمون ويستيقنون، كقوله تعالى: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابه﴾^(٦) أي أيقنت به.

وقال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد^(٧)

(١) سورة المؤمنون: ٥٠.

(٢) شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٤٩٤ وفيه: لا بقاء معه.

(٣) سورة التوبة: ٦٢.

(٤) الصحاح: ١ / ٤٢٤.

(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٤.

(٦) سورة الحاقة: ٢١.

(٧) الصحاح: ٦ / ٢١٦٠.

يعني أيقنوا.

والظن من الأضداد يكون شكاً و يقيناً كالرجاء يكون أملاً وخوفاً.

﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ معانوا ربهم في الآخرة ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ فيجزئهم بأعمالهم.

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ يعني عالمي زمانكم.

﴿واتقوا يوماً﴾ أي واحذروا يوماً واخشوا يوم.

﴿لا تجزي﴾ أي لا تقضي ولا تكفي ولا تغني.

ومنه الحديث عن أبي بردة بن ديان في الأضحية: لا تجزي عن أحد بعدك.

وقرأ أبو السماك العدوي: لا تجزي مضمومة التاء مهموزة الياء من أجزاً يجزي إذا كفي.

قال الشاعر:

وأجزأت أمر العالمين ولم يكن ليَجْزي إلا كامل وابن كامل^(١)

وقال الزجاج: وفي الآية إضمار معناه: ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ من الشدائد والمكاره.

وأنشد الشاعر:

ويوم شهدناه سليماً وعامراً

أي شهدنا فيه.

وقيل: معناه: ولا تغني نفس مؤمنة ولا كافرة عن نفس كافرة.

﴿ولا يقبل منها شفاعه﴾ إذا كانت كافرة.

قرأ أهل مكة والبصرة: بالتاء لتأنيث الشفاعه. وقرأ الباقون: بالياء لتقديم الفعل.

وقرأ قتادة: (ولا يقبل منها شفاعه) بياء مفتوحة، ونصب الشفاعه أي لا يقبل الله.

﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ فداء كانوا يأخذون في الدنيا، وسمي الفداء عدلاً لأنه يعادل المفدى ويمثله قال الله عز وجل: ﴿أو عدل ذلك صياماً﴾^(٢).

﴿ولا هم ينصرون﴾ أي يمنعون من عذاب الله.

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٨.

(٢) سورة المائدة: ٩٥.

قال الزجاج: كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم عند الله عز وجل، فأياهم الله من ذلك.

وَإِذْ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَشُومُونَ أَسْمَاءَهُمْ إِنَّ الْعَذَابَ يُدْرِكُونَ يَسَاءَ مَا كَانُوا عَمَلِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْخَافَ وَالْغَافِقَ مَالِ فِرْعَوْنَ وَأَتَنَّهُمْ شَكْرَةً ﴿٥٠﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّهُمْ تَحْذَرُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّهُمْ تَحْذَرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّهُمْ تَحْذَرُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّهُمْ تَحْذَرُونَ ﴿٥٤﴾

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُمْ﴾ يعني أسلافكم وآباءكم فأعتدّها مئة عليهم؛ لأنهم نجوا بنجاتهم، ومآثر الآباء مفاخر الأبناء.

وقوله: ﴿فَانَجَّيْنَاهُمْ﴾^(١): أصله ألقيناكم على التّجاة وهو ما ارتفع واتّسع من الأرض هذا، هو الأصل، ثم سمي كلّ فائز ناجياً كأنه خرج من الضيق والشدة الى الرخاء والراحة.

وقرأ إبراهيم النخعي: وإذ نَجَّيْنَاهُمْ على الواحد.

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أي أشياعه وأتباعه وأسرته وعزّته وأهل دينه، وأصله من الأول وهو الرجوع كأنه يؤول إليك، وكان في الأصل همزتان فقوضت من إحداهما مدّ وتخفيف.

وفرعون: هو الوليد بن مصعب بن الريان، وكان من العمالق.

﴿يَسُومُونَكُمُ السُّوءَ الْعَذَابَ﴾ يعني يكلفونكم ويذيقونكم أشدّ العذاب وأسوأه، وذلك أنّ فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وعبيداً وصنّفهم في أعمالهم. فصنّف بينون، وصنّف يحرثون ويزرعون، وصنّف يخدمون، ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال فعليه الجزية.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ﴾.

وقرأ ابن محيصن: بالتخفيف فتح الياء والباء من الذبح، والتشديد على التكثير، وذلك أنّ فرعون رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرق القبط وترك بني إسرائيل، فهاله ذلك، ودعا بالسحرة والكهنة وسألهم عن رؤياه فقالوا: إنّه يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك، فأمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهّن: لا

يسقطنّ على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلّا قتل ولا جارية إلّا تركت، ووكل بهنّ من يفعلن ذلك، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إنّ الموت قد وقع في بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم [لوميوت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها].

﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم﴾ في إنجائكم منهم نعمة عظيمة، والبلاء تنصرف على وجهين: النعماء والنقماء [.....] ^(١).

﴿وإذ فرقنا بكم﴾ ^(٢)

﴿البحر﴾: وذلك أنّه لما دنا هلاك فرعون أمر الله عزّ وجلّ موسى أن يسري ببني إسرائيل، وأمرهم أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله عزّ وجلّ كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم وأخرج [من بني إسرائيل كل ولد زنا منهم] ^(٣) إلى القبط حتى رجع كل واحد منهم إلى أبيه، وألقى الله عزّ وجلّ على القبط الموت فمات كل بكراً، فاشتغلوا بدفنهم [عن طلبهم حتى] ^(٤) طلعت الشمس وخرج موسى ﷺ في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يتعدّون ابن العشرين أصغرهم، ولا ابن الستين أكبرهم، سوى الذرية. فلما أرادوا السير ضرب عليهم التّيه فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى ﷺ مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك. فقالوا: إنّ يوسف ﷺ لما حضرته الوفاة أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم؛ فلذلك أنسّد علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا.

فقام موسى يُنادي: أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف إلّا أخبرني به، ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قلبي. فكان يمرّ بين الرّجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرايتك إن دلتك على قبره أعطيني كلّما سألتك، فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربّي، فأمره الله عزّ وجلّ بايتاء سؤلها، فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدّنيا، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل بغرفة من الجنة إلّا نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنّ في جوف الماء في النيل، فادعُ الله حتى يحبس عنه الماء. فدعا الله فحبس عنه الماء، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف، فحضر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من المرمر فحمله حتى دفنه بالشام، ففتح لهم الطريق.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) كلام غير مقروء.

(٣) استدراك عن الدر المنثور: ٥ / ٨٤ والمخطوط بياض.

(٤) استدراك عن تفسير الطبري: ١ / ٣٩٦.

فساروا وموسى على ساقتهم وهارون على مقدّمتهم، وعلم بهم فرعون فججمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك. فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة. فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدّمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألف من دهم الخيل سوى سائر الشّيات، وسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر، والماء في غاية الزيادة.

نظروا فإذا هم بفرعون وذلك حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيرين وقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ وما الحيلة؟ فرعون خلفنا والبحر أمامنا. قال موسى: ﴿كَلَّا أَنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(١) فأوحى إليه: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾^(٢) فضربه فلم يُطعه، فأوحى الله إليه أن كته، فضربه موسى بعصاه وقال: انفلق أبا خالد بإذن الله، ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾^(٣) وظهر فيها اثنا عشر طريقاً لكلّ سبط طريق، وأرسل الله عزّ وجلّ الريح والشمس على مقر البحر حتى صار ييساً.

وقال سعيد بن جبير: أرسل معاوية الى ابن عباس فسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة؟ فكتب إليه: إنه المكان الذي انفلق منه البحر لبني إسرائيل^(٤).

فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبه الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا وقال كل سبط قد غرق كل إخواننا. فأوحى الله إلى حال الماء أن تشبكي، فصار الماء شبكات يرى بعضهم بعضاً، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين. فذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي فلقنا وميّزنا الماء يميناً وشمالاً.

﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ من آل فرعون والغرق.

﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وذلك إنّ فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منغلّقاً، قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا وأقتلهم، أدخلوا البحر، فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون أنثى، وإنما كانت كلها ذكور، فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدّمهم فحاض البحر، فلما شمّت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم في البحر، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم: إلحقوا بأصحابكم، حتى إذا خرج جبرائيل من البحر وهمّ أولهم أن يخرج، أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم والتطم عليهم فأغرقهم أجمعين؛ وذلك بمرأى من بني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾.

(٢) سورة الشعراء: ٦٣.

(١) سورة الشعراء: ٦٢.

(٣) سورة الشعراء: ٦٣.

(٤) البداية والنهاية: ٨ / ٣٣٤، وذكر تمام القصة.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم.

﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وذلك أَنَّ بني إسرائيل لما آمَنُوا من عدوهم، ودخلوا مصر، ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد الله عزَّ وجلَّ موسى أن ينزِّل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ مِيقَاتِ رَبِّي، وَأَتِيكُمْ بِكِتَابٍ فِيهِ تَبَيَانٌ مَا تَأْتُونَ وَمَا تَذَرُونَ، فَوَاعَدَهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً - ثَلَاثِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَعَشْرًا مِنْ ذِي الْحِجَةِ - وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ أَخَاهُ هَارُونَ.

فلما أتى الوعد جاء جبرئيل على فرس يُقال لها فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلاَّ حيي؛ ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرو واسمه ميخا - وقال ابن عباس: إسمه موسى بن ظفر، وكان رجلاً منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فدخل قلبه حبُّ البقر - فلما رأى جبرئيل على ذلك الفرس، قال: إِنَّ لِهَذَا شَأْنًا، وَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تَرَبَّةٍ حَافِرٍ فَرَسَ جَبْرِئِيلَ، وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ اسْتَعَارُوا حَلِيًّا كَثِيرًا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ حِينَ أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْ مِصْرَ لَغَلَّةٍ عَرَسَ لَهُمْ فَأَهْلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ فَبَقِيَتْ تِلْكَ الْحَلِيَّ فِي يَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فلما وصل موسى. قال السامري: إِنَّ الْأَمْتَعَ وَالْحَلِيَّ الَّتِي اسْتَعْرْتُمُوهَا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ غَنِيمَةٌ، وَلَا تَحْلَلْ لَكُمْ. فَاحْفَرُوا حُفْرَةً وَادْفِنُوهَا فِيهَا حَتَّى يَرْجِعَ مُوسَى، وَيَرَى فِيهَا رَأْيَهُ، ففعلوا ذلك.

فلما اجتمعت الحلبي صاغها السامري، ثم ألقى القبض التي أخذها من تراب فرس جبرئيل فيه، فخرج عجلًا من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون وخار خورة. قال السدي: كان يخور ويمشي [ويقول:] هذا آلهم واله موسى فَنَسِي، أي تركه ها هنا وخرج بطلبه.

وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدّوا اليوم واللييلة يومين، فلما مضت عشرون يوماً ولم يرجع موسى ﷺ ورأوا العجل وسمعوا قول السامري، أفتتن بالعجل ثمانية ألف رجل منهم، وعكفوا عليه يعبدونه من دون الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: (وعدنا) بغير ألف في جميع القرآن، وقرأ الباقر: (واعدنا) بالألف، وهي قراءة ابن مسعود. فمن قرأ بغير ألف قال: لأنَّ الله عزَّ وجلَّ هو المتفرد بالوعد والقرآن ينطق به كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾^(١) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعْدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾^(٢)، ومن قرأ بالألف قال: قد يجيء المفاعلة من واحد كقولهم: عاقبت اللص، وعافاك الله، وطارقت النعل.

(١) سورة النساء: ٩٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.

قال الزجاج: (واعدنا) جيد لأن بالطاعة والقبول بمنزلة المواعدة فكان من الله الوعد ومن موسى القبول.

وموسى: هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب.

﴿أربعين ليلة﴾ وقرأ زيد بن علي: (أربعين) بكسر الباء وهي لغة، و(ليلة) نصب على التمييز والتفسير، وإنما قرن التاريخ بالليل دون النهار؛ لأن شهور العرب وضعت على مسير القمر، والهلال إنما يهّل بالليل، وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء، والليل خُلِق قبل النهار. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾^(١) الآية.

﴿ثم اتخذتم العجل﴾ يقول أبو العالية: إنما سمّي العجل لأنهم تعجلوه قبل رجوع موسى ﷺ.

﴿من بعده﴾ من بعد انطلاق موسى إلى الجبل للميعاد.

﴿وأنتم ظالمون﴾ مشاؤون لأنفسكم بالمعصية، وواضعون العبادة في غير موضعها.

﴿ثم عفونا عنكم﴾ أي تركناكم فلم نستأصلكم، من قول له ﷺ: أحفوا الشوارب واعفوا للحي، وقيل: محونا ذنوبكم، من قول العرب: عفت الريح المنازل فعفت.

﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد عبادتكم العجل.

﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم، وصنيعي إليكم.

واختلف العلماء في ماهية الشكر، فقال ابن عباس: هو الطاعة بجميع الجوارح لربّ الخلائق في السر والعلانية.

وقال الحسن: شكر النعمة ذكرها، قال الله تعالى: ﴿وأمّا بنعمة ربك فحدث﴾^(٢).

الفضل: شكر كل نعمة ألاّ يُعصى الله بعد تلك النعمة.

أبو بكر بن محمد بن عمر الوراق: حقيقة الشكر: معرفة المُنعم، وأن لا تعرف لنفسك في النعمة حظاً بل تراها من الله عزّ وجلّ. قال الله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾^(٣) يدل عليه ما روى سيف بن ميمون عن الحسين: إنّ رسول الله ﷺ قال: «قال موسى ﷺ: يا ربّ كيف استطاع آدم أن يؤدي شكر ما أجريت عليه من نعمك، خلقتك بيدك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك؟ فأوحى الله إليه: إنّ آدم علم إنّ ذلك كله منّي ومن عندي فذلك شكر» [٨٥]^(٤).

(٢) سورة الضحى: ١١.

(١) سورة يس: ٣٧.

(٣) سورة النحل: ٥٣.

(٤) روضة الواعظين (الفتال النيسابوري): ص: ٤٧٣، الشكر لله - ابن أبي الدنيا - ص: ٧٠.

وعن إسحاق بن نجيج الملطي عن عطاء الخرساني عن وهب بن منبه قال: قال داود عليه السلام:
إلهي كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصلُ إلى شكرك إلاّ بنعمتك؟ فأوحى الله تعالى إليه: أأست
تعلم أنّ الذي بك من النعم منّي؟ قال: بلى يا ربّ، قال: أَرْضَى بِذَلِكَ لَكَ شُكْرًا.

وقال وهب: وكذلك قال موسى: يا ربّ أنعمت عليّ بالنعم السوابغ وأمرتني بالشكر لك
عليها، وإنما شكري لكل نعمة منك عليّ، فقال الله: يا موسى تعلّمت العلم الذي لا يفوته
علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منّي ومن عندي.

قال الجنيد: حقيقة الشكر: العجز عن الشكر.

وروى ذلك عن داود عليه السلام أنّه قال: سبحانه من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرًا،
كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

وقال بعضهم: الشكر أن لا يرى النعمة البتة بل يرى المنعم.

أبو عثمان الخيري: صدق الشكر: لا تمدح بلسانك غير المنعم.

أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي بكر الرازي عن الشبلي: الشكر: التواضع تحت رؤية
المنة.

وقيل: الشكر خمسة أشياء: مجانبة السيئات، والمحافظة على الحسنات، ومخالفة
الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة ربّ السموات.

قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سئل أبو الحسن علي بن عبد الرحيم القناد
في الجامع بحضرة أبي بكر بن عدوس وأنا حاضر: من أشكر الشاكرين؟ قال: الطاهر من
الذنوب، يعدّ نفسه من المذنبين، والمجتهد في النوافل بعداد الفرائض، يعدّ نفسه من
المقصرين، والراضي بالقليل من الدنيا، يعدّ نفسه من المفلسين، فهذا أشكر الشاكرين.

بكر بن عبد الرحمن عن ذي الثور: الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن
دونك بالإحسان والإفضال.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾

قال مجاهد والفراء: هما شيء واحد، والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه على
التوهم، وأنشد الفراء:

وقدّمت الأديم لـ **أَراهِشِيهِ** وألفى قولها كذباً وميئناً^(١)

وقال عنترة:

حيّيت من طلل تقادم^(١) عهده أقوى^(٢) وأقفر بعد أمّ الهيثم^(٣)
وقال الزجاج: وهذا هو القول؛ لأنّ الله عزّ وجلّ ذكر لموسى الفرقان في غير هذا
الموضع فقال: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾^(٤).

وقال الكسائي: الفرقان: نعت للكتاب، يريد: ﴿وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾ فرق
بين الحلال والحرام، والكفر والإيمان، والوعد والوعيد. فزيدت الواو فيه كما يُزاد في النعوت
من قولهم: فلان حسن وطويل، وأنشد:

إلى الملك العزم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم^(٥)
ودليل هذا التأويل قوله: ﴿ثمّ آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل
شيء﴾^(٦).

وقال قطرب: أراد به الفرقان، وفي الآية إضمار، ومعناه: وإذا آتينا موسى الكتاب ومحمّد
الفرقان.

﴿لعلكم تهتدون﴾ لهذين الكتابين، فترك أحد الإسمين، كقول الشاعر:

ترأه كأن الله يجده أنفه وعينيه إن مولاه بات له وفر^(٧)
وقال ابن عباس: أراد بالفرقان النصر على الأعداء، نصر الله عزّ وجلّ موسى وأهلك
فرعون وقومه، يدلّ عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى
الجمعان﴾^(٨) يوم بدر.

يمان بن رباب: الفرقان: انفراق البحر وهو من عظيم الآيات، يدلّ عليه قوله تعالى:
﴿وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم﴾.

﴿وإذا قال موسى لقومه﴾ الذين إتخذوا العجل. ﴿يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم﴾ أي ضررتم
أنفسكم ﴿بأتخاذكم العجل﴾ إلهاً، فقالوا: فأَي شيء نصنع وما الحيلة؟ قال: ﴿فتوبوا﴾.

(١) كذا في القرطبي

(٢) كذا في تفسير القرطبي.

(٣) تفسير القرطبي: ١ / ٣٩٩.

(٤) سورة الأنبياء: ٤٨.

(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٣٨٥.

(٦) سورة الأنعام: ١٥٤.

(٧) لسان العرب: ٨ / ٤١.

(٨) سورة الأنفال: ٤١.

فارجعوا. ﴿إلى بارئكم﴾ أي خالقكم، وكان أبو عمرو يختلس الهمزة الى الجزم في قوله: ﴿بارئكم﴾ و(يأمركم) وينصركم طلباً للخفة^(١) كقول امرؤ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمأ من الله ولا واغل^(٢)
وأنشد:

وإذا أعوججن قلت صاحب قوم بالدو أمثال السفين العموم^(٣)
قال: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ ليقتل البريء المجرم. ﴿ذلكم﴾ القتل. ﴿خير لكم عند بارئكم﴾ قال ابن جرير: فأبى الله عز وجل أن يقبل توبة بني إسرائيل إلاّ بالحال التي كرهوا أن يقتلوهم حين عبدوا العجل.

وقال قتادة: [جعل عقوبة] عبدة العجل القتل؛ لأنهم إرتدوا، والكفر يبيح الدم.

وقرأ قتادة: (فأقبلوا أنفسكم) من الأقالة أي استقبلوا العثرة بالتوبة، فلما أتهم موسى بالقتل قالوا: نصير لأمر الله تعالى فجلسوا بالأفنية مختبئين وأصلت القوم عليهم الخناجر وكان الرجل يرى ابنه وأباه وعمّه وقومه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لأمر الله وقالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً وقيل لهم من حلّ حيوته أو مدّ طرفه الى قاتله أو إتقى بيد أو رجل فهو طعون مردود توبته، فكانوا يقتلونهم الى المساء، فلما كثر فيهم القتل دعا هارون وموسى وبكياً وجزعاً وتضرّعاً وقالوا: يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية، فكشف الله عز وجل السحاب وأمرهم أن يرفعوا السلاح عنهم ويكفّوا عن القتل.

فتكشفت عن ألوف من القتلى، فاشتد ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة، وكان من قُتل منهم شهيداً ومن بقي منهم نكفر عنه ذنوبه، فذلك قوله: ﴿فتاب عليكم﴾ يعني ففعلتم بأمره فتاب عليكم وتجاوز عنكم.

﴿إنه هو التواب الرحيم﴾.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْشِي لَكَ حَيٌّ رَأَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّلَافَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مَوْسَى لَمَّا كُنْتُمْ تَمْكُورُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا مِنْهُ الْفَرِيقَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُحْبًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَعْفُ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَبِّحُوا الْحَمْدَ

(١) أي باختلاس الحركة، وروي عنه السكون وقرأ الباقون بغير اختلاس.

(٢) لسان العرب: ١٠ / ٤٢٦.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب: ٤ / ٢٢٥، ولسان العرب: ١٢ / ٤٣٢.

قَدْ لَبِثْتُ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ لَمَنْخُومَةٌ ﴿٥٥﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ الآية، وذلك أَنَّ الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختر سبعين رجلاً من خيارهم، وقال لهم: صوموا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم، ففعلوا ذلك، فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربّه، فلَمَّا وصل ذلك الموضع قالوا: اطلب لنا نسمع كلام ربّنا، فقال: أفعل، فلَمَّا دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشّى الجبل كلّه فدخل في الغمام وقال القوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلّمه ربّه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخرّوا سجّداً، وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه، وأسمعهم الله تعالى: إني أنا الله لا اله إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فأعبدوني ولا تعبدوا غيري.

فلَمَّا فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم، فقالوا له: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً. ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ وهي نارٌ جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً.

وقال وهب: أرسل الله عزّ وجلّ عليهم جنّداً من السماء فلما سمعوا بحسّها ماتوا يوماً وليلة. والصاعقة: المهلكة، فذلك قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ﴾ لَنْ نصدّقك ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١).

قرأه العامة بجزم الهاء، قرأ ابن عباس: (جهره) بفتح الهاء وهما لغتان مثل زُهره وزَهره. ﴿جَهْرَةً﴾ أي معاينة بلا ساتر بيننا وبينه، وأصل الجهر من الكشف.

قال الشاعر:

يجهر أجواف المياه السّدم^(٢) [وانتحابها على الحان] ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ قرأ عمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم): (الصعقة) بغير ألف، وقرأ الباقر (الصاعقة) بالألف وهما لغتان.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ وذلك أنهم لما هلكوا جعل [موسى]^(٣) يبكي

(١) بتفاوت في قصص الأنبياء لابن كثير: ٢ / ١٢٦.

(٢) سيرة النبي ﷺ - ابن هشام الحميري -: ٢ / ٣٧٧، والسدم: الندم.

(٣) سقطت في أصل المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

ويتضرّع ويقول: يا ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ولو شئت أهلكتهم من قبل، ويا ربّي ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾^(١) فلم يزل يناشد ربّه حتى أحياهم الله تعالى جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى:

﴿ثم بعثناكم﴾ أحييناكم ﴿من بعد موتكم﴾ لتستوفوا بقيّة آجالكم وأرزاقكم، وأصل البعث: إثارة الشيء من [مكمنه].

يقال: بعثت البعير، وبعثت النائم فانبعث.

﴿لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام﴾ في التيه تقيكم حرّ الشمس، وذلك أنهم كانوا في التيه ولم يكن لهم كنّ يستريحهم فشكوا ذلك الى موسى، فأنزل الله عليهم غماماً أيضاً رقيقاً وليس بغمام المطر بل أرقّ وأطيب وأبرد - والغمام: ما يغمّ الشيء أي يستره - وأظلمهم فقالوا: هذا الظل قد جعل لنا فأين الطعام، فأنزل الله عليهم المنّ.

واختلفوا فيه، فقال مجاهد: وهو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد. الضحّاك^(٢): هو الطرنجيين^(٣).

وقال وهب: الخبز الرقاق. السدي: عسل كان يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه.

عكرمة: شيء أنزله الله عليهم مثل الزيت الغليظ، ويقال: هو الزنجبيل.

وقال الزجاج: جملة المنّ ما يمنّ الله مما لا تعب فيه ولا نصب.

وروي عن النبي ﷺ: «الكماة من المنّ وماءوها شفاء للعين»^(٤) [٨٦].

وكان ينزل عليهم هذا المنّ كل ليلة تقع على أشجارهم مثل الملح، لكلّ إنسان منهم صاع كل ليلة قالوا يا موسى: مللنا هذا المنّ بحلاوته، فادع لنا ربّك أن يطعمنا اللحم، فدعا عليه السلام، فأنزل الله عليهم السلوى.

واختلفوا فيه، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو طائر يشبه السّماني.

أبو العالية ومقاتل: هو طير أحمر، بعث الله سحابة فمطرت ذلك الطير في عرض ميل وقدر طول رمح في السماء بعضه على بعض.

(١) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٢) نسبه في زاد المسير (١ / ٧١): الى ابن عباس ومقاتل، وذكر بقية الأقوال.

(٣) ويصح بالتاء (الترنجيين) راجع لسان العرب: ١٠ / ٩٦، وهو طل ينزل من الهواء ويجتمع على أطراف الشجر في بعض البلدان، وقيل: هو ندى شبيه العسل جامد متحبب ينزل من السماء، وقيل: يشبه الكماة. أقول: ولعله ما يجنيه النحل من الشجر وهو ما يسمى بـ(غبار الطلع) إلى صغارها على شكل حبوب صغيرة بأرجلها، وهو غير العسل وغير الهلام الملكي.

(٤) مسند أحمد: ١ / ١٨٧.

عكرمة: طير يكون بالهند أكبر من عصفور، المؤرخ: هو [المعسل] بلغه كنانه.
وقال شاعرهم:

وقاسمها بالله حقاً لأنتم الذّ من السلوى إذا ما نشورها^(١)
وكان يرسل عليهم المنّ والسلوى، فيأخذ كل واحد منه ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يوم الجمعة أخذ ما يكفيه ليومين لأنّه لم يكن ينزل إليهم يوم السبت، فذلك قوله: ﴿وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا﴾ أي وقلنا لهم كلوا.

﴿من طيبات﴾ حلالات. ﴿ما رزقناكم﴾ ولا تدّخروا لغد فخبأوا لغد فقطع الله عزّ وجلّ ذلك عنهم ودود وفسد ما أدّخروا، فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿وما ظلمونا﴾ ضرّونا بالمعصية.

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يصرون باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مؤونة، ولا مشقة في الدنيا، ولا تبعه ولا حساب في العقبى.

خلاص بن عمرو عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا بني إسرائيل لم يخزن الطعام ولم يخبث اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها»^(٢) [٨٧].

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ ابن عباس: هي أريحا وهي قرية الجبارين، وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عناق، وقيل: هي بلقا.
وقال ابن كيسان: هي الشام.

الضّحّاك: هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر.

مجاهد: بيت المقدس. مقاتل: إيليا.

﴿وكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ موسعاً عليكم.

﴿وادخلوا الباب﴾ يعني باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب.

﴿سجّداً﴾ منحنين متواضعين وأصل السجود الخضوع.

قال الشاعر:

بجمع يضلّ البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجّداً للحوافر^(٣)
وقال وهب: قيل لهم ادخلوا الباب، فاذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله عزّ وجلّ، وذلك

(١) كتاب العين: ٧ / ٢٩٨.

(٢) صحيح ابن حبان: ٩ / ٤٧٧.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧.

﴿وقولوا حطة﴾ قال قتادة: حطَّ عَنَّا خطايانا وهو أمرٌ بالاستغفار^(١).

وقال الزجاج : سألتنا حطة .

﴿تغفر لكم خطاياكم﴾ وقرأ أهل المدينة بياء مضمومة وأهل الشام بتاء مضمومة .

﴿وسنزيد المحسنين﴾ إحساناً وثواباً والسلام.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالمعصية، وقيل كفروا.

وقال مجاهد: كموطيء لهم الباب ليخفصوا رؤوسهم، فلم يخفصوا ولم يركعوا ولم يسجدوا، فدخلوا مترجعين على أشباههم.

﴿قولا﴾ يعني وقالوا قولاً. ﴿غير الذي قيل لهم﴾ وذلك إنهم أمروا أن يقولوا (حظة) فقالوا: (حطاً) [.....]^(٢) يعنون حنطه حمراء استخفافاً بأمر الله.

﴿فَانْزِلْ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ عَذَابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ظُلْمَةً وَطَاعُونًا فَهَلَكَ مِنْهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ أَلْفًا.

﴿بما كانوا يفسقون﴾ يعني يلعبون ويخرجون من أمر الله عز وجل.

[illegible]

(١) أحكام القرآن للجصاص: ١ / ٣٩.

(۲) کلمه غیر مقروءة.

﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ السِّينَ فِيهِ: سَيْنَ الْمَسْأَلَةِ، مِثْلَ اسْتَعْلَمَ وَاسْتَخْبَرَ وَنَحَوْهُمَا، أَيْ سَأَلَ السَّقْيَا لِقَوْمِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَطَشُوا فِي السِّينِ فَقَالُوا: يَا مُوسَىٰ مِنْ أَيْنَ لَنَا الشَّرَابُ، فَاسْتَسْقَىٰ لَهُمْ مُوسَىٰ فَأَوْحَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ:

﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وَكَانَ مِنْ آسِ الْجَنَّةِ طَوْلُهُ عَشْرَةُ أَذْرَعٍ عَلَى طَوْلِ مُوسَىٰ وَلَهُ شُعْبَتَانِ مَتَقَدَّتَانِ فِي الظِّلْمَةِ نُوراً وَاسْمُهُ غَلِيقٌ، وَكَانَ آدَمُ ﷺ حَمَلَهُ مَعَهُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ فَتَوَارَثَتْهُ الْأَصَاغِرُ عَنِ الْأَكَابِرِ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَى شُعَيْبٍ فَأَعْطَاهُ لِمُوسَىٰ.

﴿الْحَجَرَ﴾ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ وَهَبُ بْنُ مَنبَهٍ: كَانَ مُوسَىٰ ﷺ يَقْرَعُ لَهُمْ أَقْرَبَ حَجَرٍ مِنْ عَرْضِ الْحَجَارَةِ فَيَتَفَجَّرُ مِنْهَا لِكُلِّ سَبْطٍ عَيْنٌ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ سَبْطاً، ثُمَّ يَسِيلُ فِي كُلِّ عَيْنٍ جَدُولٌ إِلَى السَّبْطِ الَّذِي أَمَرَ سَقِيهِمْ، ثُمَّ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ فَقَدَ مُوسَىٰ عَصَاهُ، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَى مُوسَىٰ لَا تَقْرَعَنَّ الْحَجَارَةَ وَلَكِنْ كُلَّمَا تَطَعَكَ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ.

فَقَالُوا: كَيْفَ بَنَّا لَوْ أَفْضَيْنَا إِلَى الرَّمْلِ وَالْإَرْضِ الَّتِي لَيْسَتْ فِيهَا حَجَارَةٌ، فَحَمَلَ مُوسَىٰ مَعَهُ حَجَراً فَحَيْثُ نَزَلُوا أَلْقَاهُ.

وَقَالَ الْآخَرُونَ: كَانَ حَجَراً مَخْصُوصاً بَعِيْنَهُ، وَالِدَلِيلِ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الْحَجَرَ﴾ فَأَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ لِلتَّعْرِيفِ مِثْلَ قَوْلِكَ: رَأَيْتُ الرَّجُلَ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيهِ مَا هُوَ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ حَجَراً خَفِيفاً مَرَبَعاً مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ أَمَرَ أَنْ يَحْمِلَهُ وَكَانَ يَضَعُهُ فِي مَخْلَاتِهِ فَإِذَا إِحْتَاجُوا إِلَى الْمَاءِ وَضَعَهُ وَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ.

وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ: إِنَّهَا كَانَتْ رِخَافاً.

وَقَالَ أَبُو رَوْقٍ: كَانَ الْحَجَرُ مِنَ الْكَدَّانِ وَكَانَ فِيهِ اثْنَا عَشْرَةَ حَفْرَةً يَنْبَعُ مِنْ كُلِّ حَفْرَةٍ عَيْنٌ مَاءً عَذْبٌ فَرَاتٌ فَيَأْخُذُوهُ، فَإِذَا فَرَّغُوا وَأَرَادَ مُوسَىٰ حَمْلَهُ ضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَيَذْهَبُ الْمَاءُ وَكَانَ يَسْتَسْقِي كُلَّ يَوْمٍ سِتْمِائَةَ أَلْفٍ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي وَضَعَ مُوسَىٰ ثَوْبَهُ عَلَيْهِ لِيُغْتَسَلَ حِينَ رَمَوْهُ بِالْأَدْرَةِ^(١) فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ وَمَرَّ بِهِ عَلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّىٰ ظَهَرَ إِنَّهُ لَيْسَ بِأَدْرٍ، فَلَمَّا وَقَفَ الْحَجَرُ أَتَاهُ جَبْرِئِيلُ فَقَالَ لِمُوسَىٰ: إِنْ اللَّهُ يَقُولُ إِرْفَعْ هَذَا الْحَجَرَ فَإِنَّ فِيهِ قُدْرَةً، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعْجَزَةٌ، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(٢). فَحَمَلَهُ مُوسَىٰ وَوَضَعَهُ فِي مَخْلَاتِهِ فَكَانَ إِذَا إِحْتَاجَ إِلَى الْمَاءِ ضَرَبَهُ بِالْعَصَا، وَهُوَ مَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عِرَاءَ يَنْظُرُ

(١) الأدرّة: نفخ في الخصيتين.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٩.

بعضهم الى سواة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا إنه آدر قال: فذهب مرة يغتسل فوضع موسى ثوبه على حجر ففرّ الحجر بثوبه قال: فجمع موسى في أثره يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل الى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر إليه وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً» [٨٨] (١).

فقال أبو هريرة: وقد رأينا بالحجر ندباً ستة أو سبعة أثر ضرب موسى.

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: كانت ضربة موسى اثني عشرة ضربة، وظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة، ثم انفجر بالأنهار المطردة وهو قوله: «فانفجرت».

وفي الآية اضممار واختصار تقديرها: ضرب فانفجرت أي سالت، وأصل الانفجار: الانشقاق والانتشار، ومنه فجر النهار.

«منه اثنتا عشرة عينا» قرأ العامة بسكون الشين على التخفيف، وقرأ العباس بن الفضل الأنصاري بفتح الشين على الأصل، وقرأ أبو [.....] (٢) بكسر الشين.

«قد علم كل أناس مشربهم» موضع شربهم ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل، المخرج.

«كلوا واشربوا» أي قلنا لهم: كلوا من المنّ، واشربوا من الماء؛ فهذا كله من رزق الله الذي بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة.

«ولا تعثوا في الأرض مفسدين» يُقال: عثى يعثي عثياً، وعثا يعثو عثواً، وعاث يعث عثاً ويعوثاً [بثلاث لغات] وهو شدة الفساد.

قال ابن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا فيه المشيب لزرث أم القاسم (٣)

«وإذ قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد» الآية، وذلك أنهم ملّوا المنّ والسلوى وسئموا. قال الحسن: كانوا نتانى أهل كراث وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء (٤)، واشتأقت طباعهم إلى ما جرت عاداتهم عليه، فقالوا: لن نصبر على طعام واحد وكفّوا عن المنّ والسلوى، وإنما قالوا (واحد) وهما اثنان؛ لأن العرب تعبّر عن اثنين بلفظ

(١) مسند أحمد: ٢ / ٣١٥.

(٢) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٣) زاد المسير: ٢ / ١٥٥.

(٤) العكر: الأصل، وقيل العادة والديدن، والعكر بالتحريك: الصدا على السيف، راجع لسان العرب: ٤ /

الواحد، وبلغ الواحد عن الاثنين كقوله: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُوَّ وَالْمَرْجَانَ﴾^(١)، وإنما يخرجان من المالح منهما دون العذب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كانوا يعجنون المنّ والسلوى فيصير طعاماً واحداً فيأكلونه.

﴿فَادْعُ﴾ فسأل وادع. ﴿لَنَا﴾ لأجلنا. ﴿رَبِّكَ يَخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَائِهَا﴾ قراءة العامة بكسر القاف.

وقرأ يحيى بن وثاب، وطلحة بن مصرف، والأشيب العقبلي: وقَتَائِهَا بضم القاف، وهي لغة تميم.

﴿وَفُومَهَا﴾: قال ابن عباس: الفوم: الخبز، تقول العرب: فُومُوا لَنَا، أي اختبزوا لَنَا. عطاء وأبو مالك: هو الحنطة وهي لغة قديمة، قال الشاعر:

قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم^(٢)

[.....]^(٣): هو الحبوب كلها.

الكلبي والنضر بن شميل والكسائي والمعرج: هو الثوم، وأنشد المعرج لحسان:

وأنتم أناس لئام الأصول طعامكم الفوم والحوقل^(٤)

يعني الثوم والبصل؛ فالعرب تعاقب بين الفاء والثاء فتقول للصمغ العرفط: مغاثير ومغاير، وللقبر جدف وجدث، ودليل هذا التأويل أنها في مصحف عبدالله: وثومها.

﴿وَعَدْسُهَا وَبَصْلُهَا﴾ عن الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدّس وإنه يُرَقِّقُ القلب ويكثر الدمعة، وإنه بارك فيه سبعون نبياً آخرهم عيسى عليه السلام» [٨٩]^(٥).

فقال لهم موسى عند ذلك: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾ وفي مصحف أبي: أتبذلون.

﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أخس وأردى.

حكى الفراء عن زهير العرقبي: إنه قرأ (أدناء) بالهمزة، والعامة على ترك الهمزة، وقال بعض النحاة: هو أدون فقدّمت النون وحوّلت الواو ياء كقولهم: أولى من الويل.

(١) سورة الرحمن: ٢٢.

(٢) تاج العروس: ٩ / ١٥.

(٣) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٤) تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٥.

(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٧.

﴿بالذي هو خير﴾ أشرف وأفضل، ومعناه: أتركون الذي هو خير وتريدون الذي هو شر، ويجوز أن يكون هذا الخير والشر منصرفين إلى أجناس الطعام وأنواعه، ويجوز أن يكونا منصرفين إلى اختيار الله لهم، واختيارهم لأنفسهم.

﴿اهبطوا مصر﴾ يعني فإن أبيتم إلا ذلك فاهبطوا مصرًا من الأمصار، ولو أراد مصر بعينها لقال: (مصر) ولم يصرفه كقوله ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله﴾^(١) وهذا معنى قول قتادة. الضحاك: هي مصر موسى وفرعون.

وقال الأعمش: هي مصر التي عليها صالح بن علي ودليل هذا القول: قراءة الحسن وطلحة: (مصر) بغير تنوين جعلها معرفة، وكذلك هو في مصحف عبدالله وأبي بغير ألف، وإنما صرف على هذا القول لخفته وقلة حروفه مثل: دعد وهند وحمل ونحوها. قال الشاعر: وجاعل الشمس مصرًا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا^(٢) ﴿فإن لكم ما سألتكم﴾ من نبات الأرض.

﴿وضربت﴾ جعلت. ﴿عليهم﴾ وألزموا. ﴿الذلة﴾ الذل والهوان. قالوا: بالجزية، يدل عليه قوله: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٣) وقال [.....]^(٤): هو الكسطينج وزنة اليهودية.

﴿والمسكنة﴾ يعني ذي الفقر. [فتراهم] كأنهم فقراء وأن كانوا مياسير، وقيل: المذلة وفقر القلب فلا يرى في أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود، والمسكنة مفعلة من السكون، ومنه سُمي الفقير مسكيناً لسكونه وقلة حركاته. يُقال: ما في بني فلان أسكن من فلان، أي أفقر.

﴿وبأءوا بغضب من الله﴾ أي رجعوا في قول الكسائي وغيره. أبو روق: استحقوا والباء صلة.

أبو عبيدة: احتملوا وأقرأوا به، ومنه الدعاء المأثور: (أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، وغضب الله عليهم: ذمهم لهم وتوعدّه إياهم في الدنيا، وإنزال العقوبة عليهم في العقبى، وكذلك بغضه وسخطه.

(١) سورة يوسف: ٩٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٢ / ١٩٣، لسان العرب: ٥ / ١٧٥، والعبارة: (وجعل الشمس... الخ)..... فصلا.

(٣) سورة التوبة: ٢٩.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ بصفة محمد ﷺ وإنه الرحيم في التوراة والإنجيل والفرقان.

﴿ويقتلون﴾ قراءة العامة بالتخفيف من القتل، وقرأ السلمي بالتشديد من التقتيل.

﴿النبئين﴾ القراءة المشهورة بالتشديد من غيرهم، وتفرّد نافع بهمز النبیین، [ومدّه] فمن همز معناه: المخبر، من قول العرب: أنبأ النبي أنباءً، ونبأً ينبئ تنبئة بمعنى واحد، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فلما نبأها به قالت من أنباك هذا﴾^(١) ومن حذف الهمز فله وجهان: أحدهما: إنه أراد الهمز فحذفه طلباً للخفة لكثرة استعمالها، والوجه الآخر: أن يكون بمعنى الرّفع مأخوذ من النبؤة وهي المكان المرتفع، يقال: نبئ الشيء عن المكان، أي ارتفع^(٢).

قال الشاعر:

إنّ جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الظراب^(٣)
وفيه وجه آخر: قال الكسائي: النبي بغير همز: الطريق، فسَمّي الرسول نبياً، وإنما دقائق الحِصا لأنّه طريق إلى الهدى، ومنه قول الشاعر:

لاصبح رتما دقاق الحصى مكان النبي من الكائب^(٤)
ومعنى الآية: ويقتلون النبیین.

﴿بغير الحق﴾ مثل أشعيا وزكريا ويحيى وسائر من قتل اليهود من الأنبياء، وفي الخبر: إنّ اليهود قتلوا سبعين^(٥) نبياً من أوّل النهار [في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنان عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمرّوا من قتلهم بالمعروف ونهّوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من] آخر النهار [في ذلك اليوم]^(٦).

﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا﴾ يعني اليهود، واختلف العلماء في سبب تسميتهم به. فقال بعضهم: سمّوا بذلك لأنهم هادوا أي تابوا من عبادة العجل، كقوله أخباراً عنهم: ﴿إنّا هدنا إليك﴾^(٧).

(١) سورة التحريم: ٣. (٢) راجع تفسير القرطبي: ١ / ٤٣١.

(٣) كتاب العين: ٦ / ١٩٠.

(٤) كتاب العين: ٥ / ٣٥٢، والصاحح: ٦ / ٢٥٠١.

(٥) في المصدر: ثلاث وأربعين.

(٦) ما بين معكوفين زيادة عن تفسير الطبري: ٣ / ٢٩٤، وفي المخطوط العبارة مشوشة ولعلها: (وقامت عبادهم يقتلهم في).

(٧) سورة الأعراف: ١٥٦.

وأنشد أبو عبيدة:

إنني امرؤ من مدحه هائد^(١)

أي تائب.

وقال بعضهم: لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى. يُقال: هاد يهود هوداً: إذا مال. قال امرؤ القيس:

قد علمت سلمى وجاراتها^(٢) أنني من الناس لها هائد
أي إليها مائل.

وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة.

وقرأ أبو السماك العدوي واسمه قعنب: هادوا بفتح الدال من المهاداة، أي مال بعضهم إلى بعض في دينهم.

﴿والنصارى﴾ واختلفوا في سبب تسميتهم بهذا الاسم، فقال الزهري: سموا نصارى لأن الحواريين قالوا: نحن أنصار الله.

مقاتل: لأنهم تولوا قرية يُقال لها: ناصرة، فُتسبوا إليها.

وقال الخليل بن أحمد: النصارى: جمع نصران، كقولهم: ندمان وندامى.

وأنشد:

تراه إذا دار العشيّ محنّفاً ويضحى لربّه وهو نصران شامس^(٣)

فنسبت فيه ياء النسبة كقولهم لذي اللحية: لحياني، ورقابي لذي الرقبة.

فقال الزجاج: يجوز أن يكون جمع نصري كما يُقال: بعير جبري، وإبل حبارى، وإنما سموا نصارى لاعتزائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى وأمه.

﴿والصّابئين﴾ قرأ أهل المدينة بترك الهمزة من الصّابئين والصّابئون الصّابين والصّابون في جميع القرآن، وقرأ الباكون بالهمز وهو الأصل، يُقال: صبا يصبوا صبوءاً، إذا مال وخرج من دين إلى دين.

(١) لسان العرب: ٣ / ٤٣٩.

(٢) كتاب العين: ٥ / ٩٦: والعبارة كالتالي:

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٤.

قال الفرّاء: يُقال لكل من أحدث ديناً: قد صبأ وأصبأ بمعنى واحد، وأصله الميل، وأنشد:

إذا أصبأت هوادي الخيل عتّاً حسبت بنحرها شرق البعير
واختلفوا في الصّابئين من هم:

قال عمر: هم طائفة من أهل الكتاب ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب، وبه قال السدي.
وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم.

وقال مجاهد: هم قبيلة نحو الشّام بين اليهود والمجوس لا دين لهم^(١).

وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب، وهو رأي أبي حنيفة.

وقال قتادة ومقاتل: هم قوم يقرّون بالله عزّ وجلّ، ويعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور ويصلّون إلى الكعبة، أخذوا من كل دين شيئاً.

الكلبي: هم قوم بين اليهود والنصارى، يحلقون أوساط رؤوسهم ويحبّون ذاكرهم.

عبد العزيز بن يحيى: درجوا وانقرضوا فلا عين ولا أثر.

﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ اختلفوا في حكم الآية ومعناها، ولهم فيها طريقتان:

أحدهما: إنّه أراد بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على التحقيق وعقد التصديق، ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين من هم؟ فقال قوم: هم الذين آمنوا بـعيسى ثم لم يتهوّدوا ولم ينتصروا ولم يصبّثوا، وانتظروا خروج محمد ﷺ.

وقال آخرون: هم طلاب الدين، منهم: حبيب النّجار، وقيس بن ساعدة، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السّندي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ويحيى الراهب، ووفد النجاشي. آمنوا بالنبي ﷺ قبل مبعثه، فمنهم من أدركه وتابعه، ومنهم من لم يدركه.

وقيل: هم مؤمنو الأمم الماضية.

وقيل: المؤمنون من هذه الأمة.

﴿والذين هادوا﴾ يعني الذين كانوا على دين موسى ﷺ ولم يبدّلوا ولم يغيّروا.

﴿والنصارى﴾: الذين كانوا على دين عيسى ﷺ ولم يبدّلوا وماتوا على ذلك.

قالوا: وهذان اسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى (عليهما السلام)، حيث كانوا على الحق

فبقي الاسم عليهم كما بقي الإسلام على أمة محمد ﷺ والصابئين زمن استقامتهم من آمن منهم أي مات منهم وهو مؤمن؛ لأن حقيقة الإيمان المؤاخاة.

قال: ويجوز أن تكون الواو فيه مضمراً: أي ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة. والطريق الآخر: إن المذكورين في أول الآية بالإيمان إنما هو على طريق المجاز والتسمية دون الحكم والحقيقة، ثم اختلفوا فيه: فقال بعضهم: إن الذين آمنوا بالأنبياء الماضين والكتب المتقدمة ولم يؤمنوا بك ولا بكتابك.

وقال آخرون: يعني به المنافقين أراد: إن الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، والذين هادوا: أي اعتقدوا اليهودية وهي الدين المبدل بعد موسى ﷺ، والنصارى: هم الذين اعتقدوا النصرانية والذين المبدل بعد عيسى، والصابئين: يعني أصناف الكفار من آمن بالله من جملة الأصناف المذكورين في الآية.

وفيه اختصار وإضمار تقديره: من آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ لأن لفظ (من) يصلح للواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾^(١) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾^(٢) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾^(٣). قال ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ لَكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٤)، وقال الفرزدق في التشبيه:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ناديت يصطحبان^(٥)
﴿ولا خوف عليهم﴾ فيما قدّموا.

﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما خلفوا، وقيل: لا خوف عليهم بالخلود في النار، ولا يحزنون بقطيعه الملك الجبار، ولا خوف عليهم من الكبائر وإنّي أغفرها، ولا هم يحزنون على الصغائر فأني أكفرها.

وقيل: لا خوف عليهم فيما تعاطوا من الإجماع، ولا هم يحزنون على ما اقترفوا من الآثام لما سبق لهم من الإسلام الآثام.

(١) سورة الأنعام: ٢٥.

(٢) سورة يونس: ٤٣.

(٣) سورة يونس: ٤٢.

(٤) سورة الأحزاب: ٣١.

(٥) لسان العرب: ١٣ / ٤١٩.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمَلَتْهَا تَكَدُّلاً لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هَؤُلَاءِ قَالِ أَغُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَذْغِ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَذْغِ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْ هُمْأُ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثْهَا تَسْبُرُ النِّطْرِكُ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَذْغِ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَمةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَادَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاكَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يا معشر اليهود. ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم. وقالوا: ليس من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن. وقال أبو عبيدة والحُذَاق من العلماء: لا يجوز أن تكون في القرآن لغة غير لغة العرب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا﴾^(١) وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢) وإنما هذا وأشباهه وفاق بين اللغتين.

وقد وجدنا الطور في كلام العرب، وقال جرير:

فإن ير سليمان الجنَّ يستأنسوا بها
وإن ير سليمان أحب الطور ينزل
وقال المفسرون: وذلك أنَّ الله تعالى أنزل التوراة على موسى وأمر قومه بالعمل بأحكامه فأبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للأضرار والأثقال التي فيها، وكانت شريعته ثقيلة فأمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام بوضع جبلاً على قدر عسكره وكان فرسخاً في فرسخ ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل.

أبو صالح عن ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة.

عطاء عن ابن عباس: رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم

(١) سورة يوسف: ٢، سورة طه: ١١٣، سورة الزمر: ٢٨، سورة فصلت: ٣، سورة الشورى: ٧، سورة الزخرف: ٣.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٥

البحر الملح من خلفهم وقيل لهم: ﴿خذوا ما آتيناكم﴾ أي أعطيناكم.

﴿بقوة﴾ بجذ ومواظبة. وفيه إضمار، أي: وقلنا لهم: خذوا.

﴿واذكروا ما فيه﴾ أي احفظوه واعلموه واعملوا به و (في) حرف أولي فاذكروا بذال مشددة وكسر الالف المشددة و (في) حرف وانه وتذكروا ما فيه ومعناها اتعظوا به ﴿لعلمكم تتقون﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به وإلا رخصتكم بهذا الجبل وأغرقتكم في البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب لهم قبلوا لك وسجدوا خوفاً وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا، فصارت سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا: يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك.

﴿ثم توليتهم﴾ أعرضتم وعصيتهم.

﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل.

﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتأخير العذاب عنكم.

﴿لكنتم من الخاسرين﴾ لصرتم من المغلوبين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة.

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ وذلك أنهم كانوا من داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهم من الماء لأمنها، فإذا مضى السبت تفرقوا ولزم البحر فذلك قوله تعالى: ﴿إذ أتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستطيعون لا تأتيهم﴾ فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج لبعد عمقها وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا ينصبون الحبال والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً فكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة، فقست قلوبهم وأصرّوا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحلّ لنا، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية - وكانوا سبعين ألفاً - ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الذين نهوا إثنا عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قال الناهون: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسّموا القرية بجدار وغيروا بذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عزّ وجلّ عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا أبوابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطأوا تسوّروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قردة فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا فذلك قول عزّ وجلّ ﴿فقلنا لهم كونوا قردة﴾ أمر تحويل.

﴿خاسئين﴾ مطرودين صاغرين بلغة كنانة، قاله مجاهد وقتادة والربيع.

قال أبو روق: يعني خرساً لا يتكلمون، دليله قوله عز وجل ﴿قال اخسثوا فيها ولا تكلمون﴾^(١).

وقيل: مبعدون من كل خير.

﴿فجعلناها﴾ أي القردة، وقيل: القرية، وقيل: العقوبة.

﴿نكالا﴾ عقوبة وعبرة وفضيحة شاهرة، وأصله من النكل وهو القيد، وجمعه أنكال، ويقال للجم نكل.

﴿لما بين يديها وما خلفها﴾ قال أبو العالية والربيع: معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم.

قتادة: جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدّم من ذنوبهم قبل نهيهم عن الصيد وما خلفها من العصيان بأخذ الحيتان بعد التهي.

وقيل: لما بين يديها من عقوبة الآخرة وما خلفها من نصيحتهم في دنياهم فيذكرون بها إلى يوم قيام الساعة.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير؛ وتقديرها: فجعلناها وما خلفها ممّا أعدّ لهم من العذاب في الآخرة نكالا وجزاء لما بين يديها: أي لما تقدّم من ذنوبهم في اعتدائهم يوم السبت.

﴿وموعظة﴾ عظة وعبرة. ﴿للمتقين﴾ للمؤمنين من أمة محمد ﷺ فلا يفعلون مثل فعلهم.

﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ الآية: وذلك إنّه وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل ولم يدروا قاتله واختلفوا في قاتله والسبب في قتله فقال عطاء والسدي: كان في بني إسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلمّا طال عليه موته قتله ليرثه.

وقال بعضهم: وكان تحت عاميل بنت عم له لم يكن لها مثلاً في بني إسرائيل بالحسن والجمال فقتله ابن عمه لينكحها.

وقال ابن الكلبي: قتله ابن أخيه لينكح إبنته فلمّا قتله حمله من قريته إلى قرية أخرى وألقاه هناك.

وقيل: ألقاه بين قريتين.

عكرمة: كان لبني إسرائيل مسجد له إثنا عشر باباً لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط.

قيل: وجرّ إلى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان.

وقال ابن سيرين: قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب بثأره ودمه ويدّعيه عليه. قال: فجاء أولياء القتل إلى موسى وأتوه بناس وادّعوا عليهم القتل وسألوا القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا فاشتبه أمر القتل على موسى ووقع بينهم خلاف.

وقال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعوا الله ليبين لهم ذلك فسأل موسى ربّه فأمرهم بذبح بقرة. فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾.

﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هَزْوَاً﴾ يا موسى أي استهزئ بنا حين نسألك عن القتل وتأمّرنا بذبح البقرة وإنّما قالوا ذلك لتباعد الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه.

وقرأ ابن محيصن: أَيْتَخَذْنَا بِالْيَاءِ قَالَ: يعنون الله ولا يستبعد هذا من جهلهم لأنّهم الذين قالوا ﴿إِجْعَلْ لَنَا إِلْهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(١).

وفي هذا ثلاثة لغات هزواً: بالتخفيف والهمز ومثله كُفَواً وهي قراءة الأعمش وحمزة وخلف وإسماعيل.

وهزواً وكفواً مثقلان مهموزان وهي قراءة أبي عمرو وأهل الحجاز والشام واختيار الكسائي وأبي عبيد وأبي حاتم.

وهزواً وكفواً مثيلان بغير همزة وفي رواية حفص بن سليمان البرّاز عن عاصم وكلّهما لغات صحيحة معناها الاستهزاء فقال لهم موسى ﷺ: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين فلمّا علم القوم إنّ ذبح البقرة عزم من الله عزّ وجلّ سألوه الوصف.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم وإنّما كان تشديدهم تقديراً من الله عزّ وجلّ وحكمة، وكان السبب في ذلك على ما ذكره السّدي وغيره.

إنّ رجلاً في بني إسرائيل كان بارّاً بأبيه وبلغ من برّه به إنّ رجلاً أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل فقال للبائع أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأملهني حتّى يستيقظ وأعطيك الثمن. قال: فأيقظ أباك واعطني المال. قال: ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف فانتظرنني حتّى ينتبه أبي.

فقال الرّجل: فأنا أعطيتك عشرة آلاف إنّ أيقظت أباك وعجلت النقد. قال: وأنا أزيدك عشرين ألفاً إنّ انتظرت إنتباه أبي. ففعل ولم يوقظ الرجل أباه فأعقبه برّه بأبيه أن جعل تلك البقرة عنده وأمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها.

قال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وكان له عجل فأتى بالعجل الى غيضة وقال: اللهم إني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فسيبت العجلة في الغيضة وصارت عواناً وكانت تهرب من كل من رامها. فلما كبر الابن كان باراً بوالدته وكان الليلة يقسم ثلاثة أثلاث: يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثاً، وقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها الله عز وجل فانطلق إليها فادعُ اله ابراهيم واسماعيل وإسحاق بأن يردها عليك، وان من علامتها إنك إذا نظرت إليها يخيّل إليك إن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذقة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى وقال: أعزم عليك بآله ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة بأذن الله وقالت: أيها الفتى البار بوالدته إركبني فإن ذلك أهون عليك. فقال الفتى، إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذها بعنقها فقالت البقرة: بآله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً فانطلق فأثك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك. وسار الفتى فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع فقال: أيها الفتى إني رجل من رعاة البقر إشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضي حاجتي صعداً وسط الجبل وما قدرت عليه وإني أخشى على نفسي الهلاك، فإن رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجني من الموت واعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال: إذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين بلغك بلا زاد ولا راحلة فقال إبليس: فإن شئت فبعنيها بحكمك، وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة مثلها فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بهذا فبينما الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى بأسم آله ابراهيم فرجعت إليه البقرة فقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذي طار إنه إبليس عدو الله إختلطني أما إنه لو ركبني لما قدرت عليّ أبداً فلما دعوت آله ابراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردني إليك لبرك بوالدتك وطاعتك لها.

فجاء بها الفتى إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها. قال بكم أبيعها؟

قالت: بثلاثة دنائير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكانت ثمن البقرة في ذلك الوقت فانطلق بها الفتى إلى السوق فبعث الله ملكاً إنساناً خلقه بقدرته ليخبر الفتى كيف برّه بوالدته وكان الله به خبيراً فقال له الملك: بكم تباع هذه البقرة؟

قال: بثلاثة دنائير واشترط عليك رضا والدتي. فقال الملك: ستة دنائير ولا تستأمر أمك.

فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي فردّها إلى أمّه وأخبرها بالثمن فقالت: ارجع فبعها ستّة على رضي فإنطلق الفتى بالبقرة إلى السوق وأتى الملك وقال: استأمرت والدتك؟

فقال الفتى: أنّها أمرتني أن لا أنقصها من ستة على أن أستمرها. قال الملك: فأنتني أعطيك إثني عشر على أن لا تستأمرها.

فأتى الفتى ورجع إلى أمّه وأخبرها بذلك قالت: إنّ ذلك الرجل الذي يأتيك ويعطيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليجرّبك فإذا أتاك فقل له أأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ففعل ذلك فقال له الملك: إذهب إلى أمك وقل لها بكم هذه البقرة؟ فأنّ موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني إسرائيل فلا تبيعوها إلاّ بملء مسكها دنائير فأمسكوا البقرة، وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وأمرهم بها فقالوا يستوصفون ويصف لهم حتّى وصف تلك البقرة بعينها موافاة له على برّه بوالدته فضلاً منه.

فضلاً منه ورحمة وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿أدع لنا ربك﴾ أيّ سل وهكذا هو في مصحف عبدالله، سلّ لنا ربك يبين لنا ماهي؟ وما سنّها؟

قال موسى: إنّهُ يُعني إن الله يقول: ﴿إنّها بقرة لا فارض ولا بكر﴾ لا كبيرة ولا صغيرة وارتفع البكر والفاضر بأضمار هي إذ لا هي فارض ولا هي بكر.

مجاهد وأبو عبيدة والأخفش: الفارض الكبيرة المسنّة التي لا تلد يقال له: فرضت - تفروض - فروضاً.

قال الشاعر:

كملت بهيم اللون ليس بفارض ولا بعوان ذات لون مخصف^(١)
وقال الرّاجز:

يا ربّ ذي ضغن عليّ فارض له قروء كقروء الحائض^(٢)
أيّ حقد قديم، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط.

وقال السّدي: البكر: التي لم تلد إلاّ ولداً واحداً وحذف الحاء منها للاختصاص.

﴿عوان﴾ نصف بين سنين، وقال الأخفش: العوان التي نتجت مراراً وجمعه عون، ويُقال منه: عونت تعويئاً.

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٤٤٩، لسان العرب: ٧ / ٢٠٤.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ١ / ٤٤١.

﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ من ذبح البقرة ولا تكررُوا السؤال.

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾ محل (ما) رفع بالأبتداء و ﴿لونها﴾ خبر، وقرأ الضحاك ﴿لونها﴾ نصباً كأنه عمل فيه لسبين وجعل ما صلة.

﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾.

قال ابن عباس: شديد الصفرة وقال عدي بن زيد:

واني لأسقي الشرب صفراً فاقعاً كأن ذكي المسك فيها يعبق
قتادة وأبو العالية والربيع: صاف.

سعيد بن جبير: صفراء اللون والظلف.

الحسن: السوداء، والعرب تسمي الأسود أصفر. قال الأعشى:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب^(١)
قال القتبي: غلط من قال الصفراء هاهنا السوداء؛ لأن هذا غلط في نعوت البقر.

وإنما هو في نعوت الإبل؛ وذلك أن السوداء من الإبل شربت سوادها صفرة، والآخر إنه لو اراد السوداء لما أكد بالفقوع لأن الفاقع المبالغ في الصفرة. كما يقال: أبيض يفق وأسود حالك وأحمر قاني وأخضر ناضر.

﴿تسر الناظرين﴾ إليها وتعجبهم من حسنها وصفاء لونها؛ لأن العين تُسر وتولع بالنظر إلى الشيء.

الحسن قال: من لبس نعلًا صفراء قلّ همّه^(٢) لأن الله يقول: صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴿قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة أم عاملة.

﴿إن البقر﴾ هذه قراءة العامة، قرأ محمد ذو الشامة الأموي إن الباقر وهو جمع البقر كالجامل لجماعة الجمل وقال الشاعر:

مالي رأيتك بعد عهدك موحشاً خلقاً كحوض الباقر المتهدّم
قال قطرب: تجمع البقرة - بقرة، وباقر، وبقير، وبقور، وباقور. فأن قيل: لما قال تشابهه والبقر جمع فلم لم يقل تشابهت؟ قيل فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: إنه ذكر لتذكير بلفظ البقر، كقوله ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾^(٣).

(١) لسان العرب: ١ / ٣٥٥.

(٢) نسبه في تذكرة الموضوعات لابن عباس: ١٥٨.

(٣) سورة القمر: ٢٠.

وقال المبرد: سئل سيويه عن هذه الآية؟

[فقال:] كل جمع حروفه أقل من حروف واحد فإنَّ العرب تُدَّكره، واحتج بقول الأعشى:

ودَّع هـ ريرة إن الرِّكب مرتحل

ولم يقل مرتحلون، وقال الزجاج: معناه إنَّ جنس البقر تشابه علينا.

﴿تشابه علينا﴾ وفي تشابه سبع قراءات:

تشابه: بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين وهي قراءة العامة وهو فعل ماض ويذكر موحد.

وقرأ الحسن: تشابه: بقاء مفتوحة وهاء مضمومة وتخفيف الشين أراد تشابه.

وقرأ الأعرج: تشابه: بفتح التاء وتشديد الشين وضم الهاء على معنى يتشابه.

وقرأ مجاهد: تشبه، كقراءة الأعرج إلاَّ إنه بغير ألف لقولهم: تحمل وتحامل.

وفي مصحف أبي: تشابهت على وزن تفاعلت [فالتاء] لتأنيث البقر.

وقرأ ابن أبي إسحاق: تشابهت بتشديد الشين قال أبو حاتم: هذا غلط لأن التاء لا تدغم في هذا الباب إلاَّ في المضارعة^(١).

وقرأ الأعمش: متشابه علينا - جعله اسماً.

ومعنى الآية: إلتبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه.

﴿وإنَّا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى وصفها.

قال رسول الله ﷺ: «وأيُّم الله لئن لم يستبينوا لما تبينت لهم آخر الأبد» [٩٠].

﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ مدللة بالعمل - يُقال: رجل ذليل بين الدَّل، ودابة ذلولة بينة الدَّل.

﴿تثير الأرض﴾ أي مثلها للزراعة.

﴿ولا تسقي الحرث مُسلمة﴾ بريئة من العيوب، وقال الحسن: مسلمة القوائم ليس فيها أثر العمل.

﴿لا شية فيها﴾ قال عطاء: لا عيب فيها.

قال قتادة: لا بياض فيها أصلاً.

مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد.

(١) راجع تفسير القرطبي: ١ / ٤٥٢.

محمّد بن كعب: لا لون فيها يخالف معظم لونها.

فلما قال هذا ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالوصف التام البين.

قيل: كانت البقرة التي أحيا بها القتيل لوارثه الذي قتله، وكان أوّل من فتح السؤال عنها رجاء أن لا يجدوها فطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلّا عند الفتى البار. فاشتروها منه بماء مسكنها ذهباً.

وقال السدي: اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً.

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ من غلاء ثمنها.

وقال محمّد بن كعب: وما كادوا يجدونها بإجتمع أوصافها.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ يعني عاميل، وهذه الآية أوّل القصّة.

﴿فَادَارَأْتُمْ﴾ فاختلقتم ﴿فِيهَا﴾ قاله ابن عباس ومجاهد ومنه قول القائل في رسول الله ﷺ: كان يُزكى فكان خير شريك لا يداري ولا يُماري.

قال الضحاك: اختصمتم.

عبد العزيز بن يحيى: شككتم.

الربيع بن أنس: تدافعتم، وأصل الدراء: الدفع يعني ألقي ذلك على هذا وهذا على ذاك؛ فدافع كل واحد عن نفسه كقوله تعالى ﴿وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ الْسيِّئَةَ﴾^(١)، وقوله ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾^(٢)، وأصل قوله [.....]^(٣) والباء صلة.

أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدعاء المأثور [.....]^(٤) وأصل: فادارأتهم فتدارأتهم فأدغمت التاء في الدال وادخلت الألف ليسلم سكون الحرف الأولي بمثل قوله ﴿أَنَا قَتَلْتُمْ﴾^(٥).

﴿وَاللَّهُ مَخْرَجٌ مَا كُتِمَ تُكْتُمُونَ﴾ تخفون.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ يعني القتيل.

﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي ببعض البقرة: فاختلّفوا في هذا البعض ما هو؟

(١) سورة الرعد: ٢٢، سورة القصص: ٥٤.

(٢) سورة النور: ٨.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) كلمة غير مقروءة.

(٥) سورة التوبة: ٣٩.

فقال ابن عباس: اضربوه بالعظم الذي يلي الفخذين وهو المقتل.

الضحاك: بلسانها. قال الحسين بن الفضل: وهذا أولى الأقاويل لأن المراد كان من احياء القتل كلامه واللسان آله.

سعيد بن جبیر: ضربت بذنبها. قال يمان: وهو أولى التأويلات بالصواب لأن العصعص أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وأنه أول ما يخلق وآخر ما يُبلى.
مجاهد: بذنبها.

عكرمة والكلبي: بفخذها الأيمن.

السدي: بالبضعة التي بين كتفيها، وقيل: باذنبا.

ففعّلوا ذلك فقام القتل حياً بإذن الله وأوداجها تشخب دماً وقال: قتلني فلان. ثم سقط ومات مكانه، وفي الآية اختصار، وتقديرها: فقلنا اضربوه ببعضها فضرب فحيي كقوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١) يعني فافطر فعدة، وقوله ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾^(٢) أي فخلق ففدية.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ كما أحيّا عاميل بعد موته كذلك يُحيي الله الموتى.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل آياته. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقال الواقدي: كل شيء في القرآن فهو بمعنى لكي غير التي في الشعراء: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾^(٣) فإنه بمعنى: كأنكم تخلدون فلا تموتون.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُوقُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾
﴿أَنْظِمُوهُمْ أَنْ يَوْمُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْعَنُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَإِذَا لَعَنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَا بِغَضِهمْ إِلَى بَعْضِهمْ قَالُوا أَنُحَدِّثُهمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ لِيُخَاجِبَكُمْ بِهِ عَنْ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُكْتَبُونَ ﴿٧٩﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَنْظُرُونَ ﴿٨٠﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَبُوا بِهِ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ وَمِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهمْ قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يُكْتَبُونَ ﴿٨١﴾

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة: ١٩٦.

(٣) سورة الشعراء: ١٢٩.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ﴾ قال الكلبي: قالوا بعد ذلك لم نقتله، وأمكروا فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً لنبيهم منهم عند ذلك قال الله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الكلبي وأبو روق: يبست واشتدت وقال سائق البربري:

ولا أرى أثراً للذكر في جسدي والحبل في الجبل القاسي له أثر
أبو عبيدة: جَفَّتْ.

الواقدي: جَفَّتْ من الشدة فلم تلن.

المؤرخ: غلظت، وقيل: اسودت.

قال الزجاج: تأويل القسوة ذهاب اللين، [وقال سيبويه] والخشوع والخضوع.

﴿ذَلِكَ﴾ أي بعد ظهور الدلالات.

﴿فَنَهَى﴾ غلظها وشدتها.

﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أي بل أشد قسوة كقول الشاعر:

[بَدَتْ] مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أو أنت في العين أملح^(١)

أي بل، وقيل: هو بمعنى الواو والألف صلة أي وأشد قسوة. كقوله تعالى ﴿أَثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾^(٢) أي وكفوراً.

وقرأ أبو حية: أو أشد قساوة، وقال الكسائي: القسوة والقساوة واحد كالشقوة والشقاوة ثم عذر الحجارة وفضلها على القلب القاسي فقال ﴿وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون كقوله ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾^(٣)، وفي مصحف أبي: منها الأنهار - رد الكناية إلى الحجارة -.

﴿وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ﴾ أي يتشقق هكذا قرأها الأعمش.

﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله.

﴿مَنْ خَشِيَ اللَّهَ﴾ عز وجل وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد وتهديد أي بترك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أي فترجون يعني محمد ﷺ وأصحابه.

(١) مجمع البيان: ٢٨١/١.

(٢) سورة الإنسان: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ٦٠.

﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ لَنْ يَصَدِّقَكُمْ الْيَهُودُ.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ.

﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ يَعْنِي التَّوْرَةَ.

﴿ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ﴾ أَي يُغَيِّرُونَهُ أَي مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ.

﴿مَنْ بَعْدَ مَا عَقِلُوهُ﴾ عِلْمُوهُ وَفَهَمُوهُ كَمَا غَيَّرُوا آيَةَ الرَّجْمِ وَصَفَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ - هَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَعُكْرَمَةَ وَوَهْبٍ وَالسَّدي.

وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت هذه الآية في السبعين المختارين؛ وذلك إنهم لما ذهبوا مع موسى إلى الميقات وسمعوا كلام الله وما يأمره وما ينهاه رجعوا إلى قومهم فأما الضادقون فأدوا كما سمعوه وقالت طائفة منهم: سمعنا الله في آخر كلامه يقول: إِنَّ إِسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَفْعَلُوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فَافْعَلُوا فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَا تَفْعَلُوا وَلَا بِأَس.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ قَرَأَ ابْنُ السُّمَيْعِقِ لَاقُوا: يَعْنِي مُنَاقِي الْيَهُودَ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِالْأَسْتِثْمِ لَا بِقُلُوبِهِمْ أَبَا بَكْرٍ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ كَأَيْمَانِكُمْ وَشَهِدْنَا أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ نَجَدُهُ فِي كِتَابِنَا بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ.

﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رَجَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أَي كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَافِ وَكَعْبُ بْنُ أَسِيدٍ وَوَهْبُ بْنُ يَهُودَا وَغَيْرُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ وَلَا مُؤْمِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَ - ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قَالَ الْكَلْبِيُّ: بِمَا قَضَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا حَقٌّ وَقَوْلُهُ صَدَقَ، وَقَالَ الْقَاضِي الْفَتْاحُ الْكِسَائِيُّ: بِمَا بَيَّنَّ لَكُمْ فِي كِتَابِكُمْ [مَنْ الْعِلْمُ يَبْعَثُ مُحَمَّدًا وَالبشارة به].

الواقدي: بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَيْكُمْ نَظِيرَ ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) أَي أَنْزَلْنَاهُ.

أبو عبيدة والأخفش: بِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَعْطَاكُمْ.

﴿لِيَحَاجُّوكُمْ﴾ لِيَخَاصِمُوكُمْ وَيَحْتَجُّوا بِقَوْلِكُمْ عَلَيْكُمْ [يَعْنِي أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ].

﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَلَّمَا يَلْقَى قَرِينَهُ وَحَلِيفَهُ وَصَدِيقَهُ مِنَ الْيَهُودِ فَيَسْأَلُهُ عَنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُونَ إِنَّهُ لِحَقٍّ [فَيَقُولُونَ قَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ حَقٌّ فِي كِتَابِكُمْ ثُمَّ تَتَّبِعُونَهُ] وَهُوَ نَبِيٌّ. فَيَرْجِعُونَ إِلَى رُؤَسَائِهِمْ فَيُلَوِّمُونَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

قال السَّدي: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ آمَنُوا ثُمَّ نَافَقُوا وَكَانَ يَحْدِثُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا عُذِّبُوا بِهِ -

فقال لهم رؤسائهم: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أي أنزل من العذاب ليغيروكم به ويقولوا: نحن أكرم على الله منكم.

[ابن جرير عن] القاسم بن أبي برة: هذا قول يهود قريظة بعضهم لبعض حين سبهم النبي ﷺ: فقال: يا إخوان القردة والخنازير وعبد الطاغوت، فقالوا: من أخبر محمدًا بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم.

﴿أفلا تعقلون﴾ أفليس لكم ذهن الإنسانية.

قال الله ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ ما يخفون وما يدون يعني اليهود، وقرأ ابن محيصن «ما» على الخطاب ﴿ومنهم﴾ من اليهود.

﴿أمّتون﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني غير عارفين معاني الكتاب. يعلمونه حفظاً وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه.

وقال الكلبي: لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته ودليل هذا التأويل قول النبي ﷺ: «إنّا أمة أمّية لا نكتب ولا نحاسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا» [٩١].

وقال أهل المعاني: الأمّي منسوب إلى الأمة وما عليه العامة معنى الأمّي: العامي الذي لا تمييز له، أو هو جمع أمّي منسوب إلى الأمّ كأنه باق على [الحقيقة] حذفت منه هاء التأنيث لأنّها زائدة وباء النسبة زائدة، ونقلت فرقاً بينها وبين باء الأضافة.

﴿لا يعلمون الكتاب إلا أمانتي﴾ قرأ العامة بتشديد الباء.

وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة والأعرج ﴿أمانتي﴾ بتخفيف الباء في كلّ القرآن حذفوا إحدى اليائين استحقاقاً وهي باء الجمع مثل مفاتيح ومفاتيح.

وقال أبو حاتم: كل جمع من هذا الجنس واحد مشدّد فلك فيه التّضعيف والتّشديد مثل فخاتي وأماني وأغاني وغيرها واختلفوا في معنى الأمانتي، وقال الكلبي بمعنى لا يعلمون إلا ما تحدّثهم بهم علماؤهم.

أبو روق وأبو عبيدة: تلاوة وقراءة على ظهر القلب ولا يقرؤونها في الكتب، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته﴾^(١) وقرّانه.

قال الشاعر:

تمنّى كتاب الله أوّل ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

مجاهد وقتادة: كذباً وباطلاً.

الفرّاء: الأمازي: الأحاديث المفتعلة.

قال بعض العرب لابن [دلب]: أهذا شيء رويته أم تمنيته؟

وأراد بأمازي الأنبياء التي كتبها علماؤهم من قبل أنفسهم ثم أضافوها إلى الله عزّ وجلّ من تغيير نعت محمد ﷺ.

الحسن وأبو العالية: يعني يتمنون على الله الباطل والكذب مثل قولهم ﴿لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودة﴾^(١) وقولهم: ﴿لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً﴾^(٢)، وقولهم ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾^(٣).

﴿وان هم﴾ ما هم. ﴿لا يظنون﴾ ظناً ووهماً لا حقيقة. ويقيناً قاله قتادة والزبيح.

وقال مجاهد: [...] يكذبون.

﴿فويل﴾ روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ إلى قعره» [٩٢].

سعيد بن المسيب: واد في جهنم لو سرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حرّها.

ابن بريدة: جبل من قيح ودم.

ابن عباس: شدة العذاب.

ابن كيسان: كلمة يقولها كلّ مكروب.

الزجاج: كلمة يستغلّها كل واقع في الهلكة وأصلها العذاب والهلاك.

وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور.

﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ وذلك إنّ أحبار اليهود خافوا ذهاب ملكهم وزوال رئاستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة واحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة وكان صفته فيها حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العين، ربة فغيروها وكتبوا مكانها طويل أزرق، سبط الشعر. فإذا سألهم سفلتهم عن محمد ﷺ قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فيكذبونه قال الله تعالى: ﴿فويل لهم ممّا كتب أيديهم﴾ من تغيير نعت محمد.

(١) سورة البقرة: ٨٠.

(٢) سورة البقرة: ١١١.

(٣) سورة المائدة: ١٨.

﴿وويل لهم ممّا يكسبون﴾ من المأكول ولفظة الأيدي للتأكيد كقولهم مشيت برجلي ورأيت بعيني. قال الله تعالى: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾^(١).
قال الشاعر:

نظرت فلم تنظر بعينك منظرأ

وقال أبو مالك: نزلت هذه الآية في الكاتب الذي يكتب لرسول الله ﷺ وقد كان قرأ البقرة وآل عمران، وكان النبي ﷺ يملئ: غفوراً رحيماً، فيكتب: عليمأً حكيمأً، فيقول له النبي ﷺ: «اكتب كيف شئت» ويملي عليه: عليمأً حكيمأً، فيكتب: سميعأً بصيرأً، فيقول النبي ﷺ: «اكتب كيف شئت» قال: فارتدّ ذلك الرّجل عن الإسلام ولحق بالمشرّكين.

قال: أما يعلمكم محمّد ﷺ أن كنت لأكتب ما شئت أنا، فمات ذلك الرّجل فقال النبي ﷺ: «إن الأرض لا تقبله» [٩٣].

قال: فأخبرني أبو طلحة: إنّه أتى الأرض التي بات فيها فوجده منبوءأً، فقال أبو طلحة: ما شأن هذا؟ قالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض.

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ قُلُوبُكُمْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ كُلٌّ مِّنْ كَيْدِ سَيْفِكَ وَأَخْلَطْتَ بِهِ خَطِيئَتُهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ ثُمَّ أَفَرَضْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

﴿وقالوا﴾ يعني اليهود.

﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا معدودة﴾ قدرأً مقدراً ثم يزول عنا العذاب وينقطع، واختلفوا في هذه الأيام ماهي.

وقال ابن عباس ومجاهد: قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود يقولون: مدّة الدّنيا سبعة آلاف سنة وإنّما نعدّ بـ بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيّام، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد أبائهم فيها العجل وهي مدة غيبة موسى ﷺ عنهم.

الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرنا أقسم ليعذبنا أربعين ليلة ثم يدخلنا الجنة فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم فقال الله تعالى تكذيباً لهم: قل يا محمد ﴿قل أتخذتم﴾ ألف الاستفهام دخلت على ألف الوصل.

﴿عند الله عهداً﴾ موثقاً ألا يعذبكم إلا هذه المدة.

﴿فلن يخلف الله عهده﴾ وعده، وقال ابن مسعود: بالتوعد يدلّ عليه قوله تعالى ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾^(١) يعني قال: لا إله إلا الله مخلصاً ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ قال ﴿بلى﴾ «بل وبلى» حرفاً استدراكاً ولهما معنيان لنفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل، قال الكسائي: الفرق بين (بلى ونعم)، إن بلى: أقرار بعد جحود، ونعم: جواب استفهام بغير جحد، فإذا قال: ألسن فعلت كذا، فيقول: بلى، وإذا قال: ألم تفعل كذا؟ فيقول: بلى، وإذا قال: ل أفعلت كذا؟ فيقول: نعم.

قال الله تعالى ﴿الم يأتكم نذير قالوا بلى﴾^(٢) وقال ﴿ألسن برّبكم قالوا بلى﴾^(٣) وقال في غير الجحود ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم﴾^(٤) وقالوا أئنا لمبعوثون أو آباءنا الأولون؟^(٥) قل نعم وإنما قال هاهنا بلى للجحود الذي قبله وهو قوله ﴿لن تمسنا النار إلا أيتاماً معدودة﴾

﴿من كسب سيئة﴾ يعني الشرك.

﴿وأحاطت به خطيئته﴾ قرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع، وقرأ الباقون خطيئته على الواحدة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والاحاطة الاحفاف بالشيء من جميع نواحيه واختلفوا في معناها هاهنا.

وقال ابن عباس والضحاك وعطاء وأبو العالية والربيع وابن زيد: هي الشرك يموت الرجل عليه فجعلوا الخطيئة الشرك.

قال بعضهم: هي الذنوب الكثيرة الموجبة لأهلها النار.

(١) سورة مريم: ٨٧.

(٢) سورة الملك: ٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٤) سورة الأعراف: ٤٤.

(٥) سورة الصافات: ١٧.

أبو زرير عن الربيع بن خيثم في قوله تعالى: ﴿وَاحْاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قال: هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب ومثله قال عكرمة وقال مقاتل: أصرّ عليها.

مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنباً إرتفعت حتى تغطي القلب وهو الرين وعن سلام بن مسكين أنه سأل رجل الحسن عن هذه الآية؟

فقال السائل: يا سبحان الله إلا أراك ذا لحية وما تدري ما محاطة الخطيئة! انظر في المصحف فكل آية نهى الله عزّ وجلّ عنها وأخبرك إنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة.

الكلبي: أو بقتة ذنوبه دليله قوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾^(١): أي تهلكوا جميعاً.

وعن ابن عباس: أحيطت بما له من حسنة فأحبطته.

﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [وهذا من العام المخصوص بصور منها إلا من تاب بعد أن حمل على ظاهره]^(٢) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوراة. قال ابن عباس: الميثاق: العهد الجديد.

﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالياء قرأه ابن كثير وحميد وحمزة والكسائي.

الباقون: بالتاء وهو إختيار أبي عبيد وأبو حاتم.

قال ابو عمرو: ألا تراه يقول ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا﴾^(٣) فذلك المخاطبة على التاء.

قال الكسائي: إنما ارتفع لا يعبدون لأنّ معناه أخذنا ميثاق بني إسرائيل أن لا تعبدوا إلا الله فلمّا ألقى أن رفع الفعل ومثله قوله ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾، نظير قوله عزّ وجلّ ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾^(٤): يريد أن أعبد فلمّا حذفت التّأصبة عاد الفعل إلى المضارعة.

وقال طرفة:

ألا أيّهذا الزاجري احضر الوغى وأنّ أشهد اللذات هل أنت مخلدي^(٥)
يريد أن أحضر، فلمّا نزع (أن) رفعه.

(١) سورة يوسف: ٦٦.

(٢) عن هامش المخطوط.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

(٤) سورة الزمر: ٦٤.

(٥) مجمع البيان: ١/٢٩٧.

وقرأ أبي بن كعب: لا تعبدوا جزماً على النهي أي وقلنا لهم لا تعبدوا إلا الله ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ ووضينا هم بالوالدين إحساناً برّاً بهما وعطفاً عليهما. وأما قال بالوالدين واحدهما والدة؛ لأنّ المذكر والمؤنث إذا اقتربا غلب المذكر لخفته وقوته.

﴿وذى القربى﴾ أي وبذي القرابة، والقربى مصدر على وزن فعلى كالحسنى والشعرى. قال طرفة:

وقربت بالقربى وجدك له يني فتحايك امر للنكيثة أشهد.
﴿واليتامى﴾ جمع يتيم مثل ندامى ونديم وهو الطفل الذي لا أب له.
﴿والمساكين﴾ يعني الفقراء.

﴿وقولوا للناس حسناً﴾ اختلفت القراءة فيه فقرأ زيد بن ثابت وأبو العالية وعاصم وأبو عمرو ﴿حُسْناً﴾ بضم الحاء وجزم السّين وهو اختيار أبي حاتم دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿بوالديه حسناً﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا﴾^(٢).

وقرأ ابن مسعود وخلف حسناً بفتح الحاء والسّين وهو اختيار أبي عبيد وقوله: إنّما اخترناها لأنها نعت بمعنى قولاً حسناً.
وقرأ ابن عمر: حُسْناً بضم الحاء والسّين والتنوين مثل الرّعب والنّصب والسّحت والسّحق ونحوها.

وقرأ عاصم والجحدري: احساناً بالألف.

وقرأ أبي بن كعب وطلحة بن مصرف: حسنى وقرنت بالقربى بالتأنيث مرسله.

قال الثعلبي: سمعت القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عبدوس يقول: مجازه كلمة حسنى ومعناه قولوا للناس صدقاً وحقاً في شأن محمّد ﷺ فمن سألكم عنه فأصدقوه وبينوا له صفته ولا تكتموا أمره ولا تغيروا نعتة هذا قول ابن عباس وابن جبير وابن جريج ومقاتل دليله قوله ﴿الم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾^(٣) أي صدقاً.

وقال محمّد بن الحنفية: هذه الآية تشمل البرّ والفاجر.

وقال سفيان الثوري: ائمروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر.

(١) سورة العنكبوت: ٨.

(٢) سورة النمل: ١١.

(٣) سورة طه: ٨٦.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي أعرضتم عن العهد والميثاق ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ نصب على الاستثناء.

﴿وَأَنْتُمْ مَعْرُضُونَ﴾ وذلك أن قوماً منهم آمنوا.

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾ لا تريقون ﴿دِمَاءَكُمْ﴾ وقرأ طلحة بن مصرف تسفكون بضم الفاء وهما لغتان مثل يعرشون ويعكفون.

وقرأ أبو مجلز: تسفكون بالتشديد على التكرير.

وقال ابن عباس وقتادة: معناه لا يسفك بعضكم دم بعض بغير حق وإنما قال (دماءكم) لمعنيين: أحدهما إن كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة.

والآخر: هو أن الرجل إذا قتل غيره كأنما قتل نفسه لأنه يقاد ويقتص منه ﴿وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره [ولا تسبوا من جاوركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم]^(١).

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بهذا العهد إنه حق.

﴿وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود.

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ مِنْ دِيَارِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْعَلُونَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
وَالَّذِينَ وَلَدُوا بَنَاتٍ فَسُودَتْ لَهُنَّ أَفْقَادُ بَنَاتِهِمْ بَشِيرٌ لِّلْكَاثِبِ
وَتَكْفُورٌ يَنْصُرُ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا جُزَاءٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمٍ بِرَبِّهِمْ
إِنَّ أَشَدَّ عَذَابٍ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْمِلُ
عَنَّهُمُ الْمَكَادِبُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني يا هؤلاء فحذف النداء للإستغناء بدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿ذَرِيَّةٌ مِنْ حَمَلِنَا﴾^(٢) فهؤلاء للتنبيه ومبني على الكسرة مثل أنتم ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قراءة العامة بالتخفيف من القتل.

وقرأ الحسن: تقتلون بالثقل من الثقليل.

﴿وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ قراءة العامة وهم أهل الحجاز والشَّام وأبو عمرو ويعقوب: تظاهرون بتشديد الظاء، واختاره أبو حاتم ومعناه تظاهرون فأدغم التاء في الظاء مثل: أنا قتلتم وأداركوا.

(١) عن هامش المخطوط.

(٢) سورة الاسراء: ٣.

وقرأ عاصم والأعمش وحمزة وطلحة والحسن وأبو عبد الرحمن وأبو رجاء والكسائي: تظاهرون بتخفيف الظاء، واختاره أبو عبيد ووجه هذه القراءة: إنهم حذفوا تاء الفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله «ولا تعاونوا»^(١) وقوله «ما لكم لا تناصرون»^(٢).

وقال الشاعر:

تعاطسون جميعاً حول داركم فكلّكم يا بني حَمَان مزكوم.
وقرأ أبي ومجاهد: تظهرون مشدداً بغير ألف أي تتظهرون [...] جميعاً تعاونون، والظهر: العون سمي بذلك لإسناد ظهره إلى ظهر صاحبه.

وقال الشاعر:

تكثر من الإخوان ما استطعت [...] إذا إستنجدتهم فظهيرُ
وما بكثير ألف خل وصاحب وأنّ عدوّاً واحداً لكثيرُ
«بالإثم والعدوان» بالمعصية والظلم.

«وإن يأتوكم أسارى تفدوهم» قرأ عبد الرحمن السلمي ومجاهد وابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل والجحدري وأبو عمرو وابن عامر: (أسارى تفدوهم) بغير ألف، وقرأ الحسن: (أسرى) بغير ألف (تفادوهم) بالألف، وقرأ النخعي وطلحة والأعمش ويحيى بن رثاب وحمزة وعيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق: (أسرى تفدوهم) كلاهما بغير ألف وهي إختيار أبي عبيدة. وقرأ أبو رجاء وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وقتادة والكسائي ويعقوب: (أسارى تفادوهم) كلاهما بالألف، واختاره أبو حاتم.

فالأسرى: جمع أسير مثل جريح وجرحى، ومريض ومرضى، وصريع وصرعى، والأسارى: جمع أسير أيضاً مثل كُسالى وسُكاري، ويجوز أن يكون جمع أسرى نحو قولك: امرأة سُكرى ونساء سُكاري، ولم يفرق بينهما أحد من العلماء الأثبات إلا أبو عمرو.

روى أبو هشام عن جببر الجعفي عن أبي عمرو قال: ما أسر فهو أسارى ومالم يؤسر فهو أسرى، وروي عنه من وجه آخر قال: ما صار في أيديهم فهم أسارى، وما جاء مستأسراً فهو أسرى.

عن أبي بكر النقاش قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلب وقد قيل له هذا الكلام عن أبي عمرو فقال: هذا كلام المجانين. يعني لافرق بينهما.

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) سورة الصافات: ٢٥.

(٣) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

وحُكي عن أبي سعيد الضرير إنّه قال: الأسارى: هم المقيّدون المشدّدون والأسرى: هم المأسورون غير المقيدين. فأما قولهم تغدوهم بالمال وتنقذوهم بفدية أو بشيء آخر، وتغادوهم: تبادلوهم اراد مفاداة الأسير بالأسير، وأسرى: في محل نصب على الحال.

فأما معنى الآية - قال السّدي: إنّ الله عزّ وجلّ أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم فأبى عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام ثمنه فاعتقوه. فكانت قريظة خُلفاء الأوس، والنّضير خُلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون في حرب نمير. فيُقاتل بنو قريظة مع حلفائهم، وبنو النّضير مع حلفائهم، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها فإذا أُسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتّى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم فيُعيرهم العرب بذلك تقول: كيف يقاتلونهم ويفدونهم...! ويقولن: إنّنا قد أمرنا أن نفديهم وحُرّم علينا قتالهم. قالوا: فلم تقاتلونهم؟

قالوا: نستحي أن تستدل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تعالى فقال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ﴾ الآية، وفي الآية تقديم وتأخير نظمها: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثم والعدوان ﴿وهو محرّم عليكم إخراجهم﴾ وأن يأتوكم أسارى تغدوهم.

وكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتل، وترك الأخراج، وترك المظاهرة عليهم مع اعدائهم وفداء أسرائهم. فأعرضوا عن كل ما أمروا إلّا الفداء. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضُ﴾ فأيمانهم بالفداء وكفرهم بالقتل والأخراج والمظاهرة. قال مجاهد: يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته، وأنت تقتله بيدك، وقيل: معناه يستعملون البعض ويتركون البعض، تغادون أسراء قبيلتكم وتتركون أسراء أهل ملّتكم فلا تغادونهم.

قال الله عزّ وجلّ ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يا معشر اليهود ﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾ عذاب هوان.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فكان خزي قريظة القتل والسّبي، وخزي بني النّضير الجلاء والنفي عن منازلهم وجنانهم إلى أذرعات وريحا من الشّام.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ وهو عذاب النّار وقرأ أبو عبد الرحمن السّلمي وأبو رجاء والحسن: تُرَدُّونَ بالياء، لقوله ﴿أَفْتَوْمُنُونِ﴾.

﴿وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء مدني وأبو بكر ويعقوب الباقون: بالياء.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ استبدلوا.

﴿الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف﴾ يهون ويُرَفِّه.

﴿عنهم العذاب ولا هم يُنصرون﴾ يمنعون من عذاب الله.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبْتُمْ وَفَرِقًا نَقُولُ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْكَمَا أَشْبَرُوا بِوَعْدِ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَصِيانٍ عَلَى عَصِيٍّ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

﴿ولقد آتينا﴾ أعطينا.

﴿موسى الكتاب﴾ التوراة جملة واحدة.

﴿وقفينا﴾ أردفنا واتبعنا.

﴿من بعده بالرسول﴾ رسولا بعد رسول. يُقال: مضى أثره وقفا غيره؛ في التعدية وهو مأخوذ من قفا الإنسان قال الله ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾^(١)، وقال أمية بن الصلت:

قالت لأخت له قُصيه عن جنب وكيف تقفو ولا سهل ولا جدد

﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ العلامات الواضحات والدلالات اللايحات وهي التي ذكرها الله عز وجل في سورة آل عمران والمائدة.

﴿وأيدينا﴾ قويناه وأعناه من الآد والأيد^(٢)، مجاهد: أيدينا بالمد وهما لغتان مثل كرم وأكرم.

﴿بروح القدس﴾ خفف ابن كثير القدس في كل القرآن، وثقله الآخرون، وهما لغتان مثل الرعب والسحت ونحوهما، واختلفوا في روح القدس فقال الربيع وعكرمة: هو الروح الذي نفخ فيه إضافة إلى نفسه؛ تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله، وناقة الله وعبد الله، والقدس: هو الله عز وجل يدل عليه قوله تعالى ﴿وروح منه﴾^(٣) وقوله ﴿ونفخنا فيه من روحنا﴾

والآخرون: أرادوا بالقدس الطهارة يعني الروح الطاهر سمى روحه قدساً؛ لأنه لم يتضمنه

(١) سورة الاسراء: ٣٦.

(٢) راجع تفسير الطبري: ١ / ٥٦٨.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث إنّما كان أمراً من الله تعالى.

السّدي والضّحّاك وقتادة وكعب: الروح القدس: جبرئيل قال الحسن: القدس: هو الله وروحه جبرئيل.

السّدي: القدس: البركة وقد عظم الله بركة جبرئيل إذ أنزل الله عامة وحيه إلى أنبيائه على لسانه وتأيد عيسى ﷺ بجبرئيل هو أنّه كان قرينه يسير معه حيثما شاء والآخر أنّه صعد به إلى السّماء، ودليل هذا التأويل قوله تعالى ﴿قل نزلّه روح القدس من ربّك بالحقّ﴾^(١).

وقال ابن عبّاس وسعيد بن جبّير وعبيد بن عمير: هو اسم الله الأعظم وبه كان يُحيى الموتى ويُرى النّاس تلك العجائب.

وقال ابن زيد: هو الأنجيل جُعل له روحاً كما جعل القرآن لمحمّد ﷺ روحاً، يدلّ عليه قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا﴾^(٢) فلما سمعت اليهود بذكر عيسى ﷺ قالوا: يا محمّد لا مثل عيسى كما زعمت ولا كما يقصّ علينا من الأنبياء (عليهم السلام) قالوا: فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً.

فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أفكلّمنا جاءكم﴾ يا معشر اليهود ﴿رسولٌ بما لا تهوى﴾ لا تحب ولا توافق.

﴿أنفسكم استكبرتم﴾ تكبرتم وتعظمتن عن الإيمان به.

﴿ففريقاً﴾ طائفة سُميت بذلك لأنّها فرقت من الحملة.

﴿كذبتم﴾ عيسى ومحمّداً.

﴿فريقاً تقتلون﴾ أي قتلتم زكريا ويحيى وسائر من قُتلوا من الأنبياء.

﴿وقالوا﴾ يعني اليهود ﴿قلوبنا غلف﴾ قرأ ابن محيصن بضم اللام، وقرأ الباقر بن جزمه. فمن خففه فهو جمع الأغلف مثل أصفر وُصفر - وأحمر وُحمر وهو الذي عليه غطاء وغطاء بمنزلة الأغلف غير المختون فالأغلف والأغلف واحد ومعناه عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمّد.

قاله مجاهد وقتادة نظيره قوله عزّ وجلّ ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾^(٣)، ومن ثقل فهو جمع غلاف مثل حجاب وحجب وكتاب وكتب، ومعناه: قلوبنا أوعية لكلّ علم فلا نحتاج إلى علمك وكتابك. قاله عطاء وابن عبّاس.

(١) سورة النحل: ١٠٢.

(٢) سورة الشورى: ٥٢.

(٣) سورة فصلت: ٥.

وقال الكلبي: يريدون أوعية لكلّ علم فهي لا تسمع حديثاً إلاّ وعته إلاّ حديثك لا تفقهه ولا تعيه ولو كان فيه خيراً لفهمته ووعته.

قال الله عزّ وجلّ ﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ وأصل اللعن الطرد والأبعاد تقول العرب [نماء] ولعين أي بُعد. قال الشماخ:

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين^(١)
فمعنى قوله: لعنهم الله طردهم وأبعدهم من كل خير، وقال النضر بن شميل: الملعون المخزي المهلك.

﴿قليلاً ما يؤمنون﴾ معناه لا يؤمن منهم إلاّ قليلاً؛ لأنّ من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، قاله قتادة، وعلى هذا القول ما: صلة معناه قليلاً يؤمنون، ونصب قليلاً على الحال.

وقال معمر: معناه لا يؤمنون إلاّ بقليل بما في أيديهم ويكفرون بأكثره، وعلى هذا القول يكون ﴿قليلاً﴾ منصوباً بنزع حرف الصّفة وما صلة أيّ بقليل يؤمنون.

وقال الواقدي وغيره: معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، وهذا كقول الرجل لآخر: ما قل ما تفعل وكذا يريد لا تفعله البتة.

وروى الفراء عن الكسائي: مررنا بأرض قلّ ما ينبت الكراث والبصل يريدون لا ينبت شيئاً.

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ يعني القرآن.

﴿مُصَدِّقٌ﴾ موافق ﴿لما معهم﴾ وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة مصداقاً بالتّصّب على الحال.

﴿وكانوا﴾ يعني اليهود ﴿من قبل﴾ أي من قبل بعث محمّد ﷺ ﴿يستفتحون﴾ يستنصرون، قال الله تعالى ﴿أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾^(٢) أي أن تستنصروا فقد جاءكم النصّر.

وفي الحديث عن النبي ﷺ [أنه] كان يستفتح القتال بصعاليك المهاجرين.

﴿على الذين كفروا﴾ مشركي العرب وذلك إنهم كانوا يقولون إذا حزم أمر ودهمهم عدو:

«اللّهم انصرنا عليهم بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة» [٩٤]^(٣)، وكانوا يقولون زماناً لا عدائهم من المشركين قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا، ونقتلكم معه قبل عاد وأرم.

(٢) سورة الأنفال: ١٩.

(١) تفسير الطبري: ١ / ٥٧٤.

(٣) تفسير الجلالين للسيوطي: ١٩.

﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ يعني محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل، وعرفوا نعتة وصفته.
﴿كفروا به﴾ بغياً وحسداً.

﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ ﴿بشما اشتروا به أنفسهم﴾ بشس ونعم فعلا ماضيان وضعا للمدح والذم لا يتصرفان تصرف الافعال ومعنى الآية: بشس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق، والكفر بالإيمان.

وقيل: معناه بشس ما باعوا به حظ أنفسهم.

﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن.

﴿بغياً﴾ بالبغي وأصل البغي الفساد. يُقال: بغى الجرح إذا أمد وضمد.

﴿أن ينزل الله من فضله﴾ النبوة والكتاب.

﴿على من يشاء من عباده﴾ محمداً ﷺ.

﴿فباؤا بغضب على غضب﴾ أي مع غضب.

قال ابن عباس: الغضب الأول بتضييعهم التوراة، والغضب الثاني بكفرهم بهذا النبي الذي اتخذه الله تعالى.

فيهم قتادة وأبو العالية: الغضب الأول - بكفرهم ببعسى ﷺ والأنجيل - والثاني: كفرهم بمحمد ﷺ والقرآن.

السدي: الغضب الأول بعبادتهم العجل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ وتبديل نعتة.

﴿وللكافرين﴾ وللجاحدين [الدين] محمد ﷺ من الناس كلهم.

﴿عذاب مهين﴾ يُهانون فلا يُعزّون.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَقُولُونَ ءَنبِئَآءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَىٰ بِآلِهِنَا ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنشِرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْكَنُ يَوْمَ يَأْتُرْكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن.

﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني التوراة.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي بما سواه وبعده.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن.

﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال. ﴿لَمَّا مَعَهُمْ﴾ قل لهم يا محمد: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ ولم أصله ولما فحذفت الألف فرقاً بين الخبر والاستفهام كقولهم: فيم ويم ولم وممّ وعلام وحقام، وهذا جواب لقولهم: نؤمن بما أنزل علينا.

فقال الله عزّ وجلّ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة وقد ختم فيها من قتل الأنبياء ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات اللايحات - والعلامات الواضحات.

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ أي استجبوا واطيعوا سميت الطاعة سمعاً على المجاز لأنه سبب الطاعة والأجابة ومنه قولهم: سَمِعَ الله لمن حمده أي أجابه، وقال الشاعر:

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خَفْتُ أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ
أي يجب.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك. ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك [أو سمعنا بالآذان وعصينا بالقلوب] ^(١).

قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكن لما سمعوا الأمر وتلقوه بالعصيان نُسِبَ ذلك عنهم إلى القول أتساعاً، كقول الشاعر

وَمِنْهُلْ ذُبَابَةٌ فِي عَيْطَلٍ يَقْلُنُ لِلرَّائِدِ عَشِبَتٌ أَنْزَلَ
﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ﴾ أي حبّ العجل، كقوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ ^(٢)، وقال النابغة:

فَكَيْفَ يَوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَةَ كَأَنِّي مَرْحَبٌ
أي لخلاله أني مرحب، ومعناه أدخل في قلوبهم حبّ العجل، وخالطها ذلك كاشراب اللون لشدة الملازمة.

(١) عن هامش المخطوط.

(٢) سورة يوسف: ٨٢.

﴿يَكْفُرْهُمْ قُلُوبُهُمْ بِمَا يُأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ أَنْ تَعْبُدُوا الْعَجَلَ مِنْ دُونِ اللَّهِ [فَاللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ] ^(١).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بِزَعْمِكُمْ وَذَلِكَ إِنَّهُمْ قَالُوا: نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا، فَكَذِبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلِلَّهِ أَصْحَابُ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ وَمَنْ أَلَزَمَهُمْ تَوَلَّوْا لَهُمْ لَوْ يَصْحُرُ آلُكُمْ سَكَنُوا وَمَا هُوَ بِمُخْرِجِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية: إِنَّ الْيَهُودَ أَدْعَاوُ دَعَاوَى بَاطِلَةٍ، حَكَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ ^(٢).

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ ^(٣).

وقوله: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ^(٤) فَكَذِبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ. فَقَالَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ.

﴿خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ خَاصَّةٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿خَالِصَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ^(٥)، قَوْلُهُ ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ^(٦)، قَوْلُهُ ﴿خَالِصَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٧) أَيَّ خَاصَّةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ.

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ أَيَّ فَارِيدُو وَحَلَّوْهُ لِأَنَّ مِنْ عِلْمِ أَنَّ الْجَنَّةَ مَأْبَهُ حَزَنٌ إِلَيْهَا وَلَا سَبِيلَ إِلَى دُخُولِهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ فَاسْتَعْجَلُوهُ بِالْتَّمَنِ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ مُحَقِّقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ أَيَّ أَدْعَاوُ بِالْمَوْتِ عَلَى الْفِرْقَةِ الْكَاذِبَةِ.

رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرِقْعِهِ، وَمَا بَقِيَ

(٢) سورة البقرة: ٨٠.

(١) عن هامش المخطوط.

(٤) سورة المائدة: ١٨.

(٣) سورة البقرة: ١١١.

(٦) سورة الأعراف: ٣٢.

(٥) سورة الأنعام: ١٣٩.

(٧) سورة الأحزاب: ٥٠.

على وجه الأرض يهودي إلّا مات» [٩٥].

فقال الله تعالى ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُ أَيْدِيهِمْ﴾ لعلمهم إنهم في دعواهم كاذبون.
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يعني اليهود. هذا من أعجاز القرآن لأنّه تحداهم ثم أخبر أنّهم لا يفعلون بعد أن قال لهم هذه المقالة فكان على ما أخبر.

﴿وَلتَجِدْنَهُمْ﴾ اللام لام القسم والنون تأكيد القسم تقديره: والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود ﴿أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ وفي مصحف أبيّ على الحياة.
﴿وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قيل إنّ متصل بالكلام الأوّل.

معناه وأحرص من الذين أشركوا. قال الفراء: وهذا كما يُقال هو أسخى الناس ومن حاتم: أي وأسخى من حاتم.

وقيل: هو ابتداء وتمام الكلام عند قوله: على حياتهم ابتداءً بواو الاستئناف وأضمر (ليود) اسماً تقديره: ومن الذين أشركوا من ﴿يُود أَحَدَهُمْ﴾ كقول ذو الرّمة.
فظلوا ومنهم دمعهُ سابق له وآخر يذري دمعة العين بالهمل
أراد ومنهم من دمعهُ سابق، وأراد بالذين أشركوا المجوس.

﴿يُودُ﴾ يريد ويتمنى.

﴿أَحَدَهُمْ لَوْ يَعْمُرُ﴾ تقديره تعمير ألف.

﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال المفسّرون: هو تحية المجوس فيما بينهم عشر ألف سنة وكلمة ألف نيروز ومهرجان.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ من النَّار.

﴿أَنْ يَعْمُرَ﴾ أي تعميره: زحزحته فزحزح: أي بعدّته فتباعده يكون لازماً ومتعدياً. قال ذو الرّمة في المتعدي:

يا قابض الرّوح من نفسي إذا احتضرت
وغافر الذّنْب زحزحني عن النَّار
وقال الراجز، في اللازم: خليلي ما بال الدجى لا يزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتّوضّح. ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية

قال ابن عباس: إن حبراً من أحبار اليهود يُقال له عبدالله بن سوريا كان قد حاج النّبي ﷺ وسأله عن أشياء. فلما اتجهت الحُجّة عليه قال: أيّ ملك يأتيك من السّماء؟

قال: «جبرئيل ولم يُبعث الكتاب لأنبياء قط إلّا وهو وليه» [٩٦]. قال: ذلك عدونا من

الملائكة ولو كان ميكائيل مكانه لآمنّا بك؛ لأنّ جبرئيل ينزل بالعذاب والقتال والشقوة وإنّه عادانا مراراً كثيرة، وكان أشدّ ذلك علينا أنّ الله تعالى أنزله على نبينا ﷺ إنّ بيت المقدس سيُخرب على يد رجل يقال له: بخت نصر، وأخبرنا بالحين الذي يُخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلب بخت نصر ليقّتلّه فانطلق يطلبه حتّى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً ليست له قوة. فأخذّه صاحبنا ليقّتلّه فدفع عنه جبرئيل ﷺ وقال لصاحبنا: إنّ كان ربكم هو الذي أذن في هلاككم فلن تسلّط عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي حق تقتله. فصدقه صاحبنا ورجع ﷺ: فكبر بخت نصر وقوي وغرانا وخرّب بيت المقدس؛ فلهذا نتخذّه عدواً. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال مقاتل: قالت اليهود ان جبرئيل عدونا أمرنا أن تجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قتادة وعكرمة والسدي: فكان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود، وكان عمر إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم ويكلّمهم. فقالوا: يا عمر ما في أصحاب محمّد أحب إلينا منك. إنهم يمرّون هنا فيأذونا وأنت لا تؤذينا وأنا لنطمع فيك فقال عمر: والله ما أحبكم لحبكم، ولا أسألكم لأنّي شاك في ديني، وإنّما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمّد ﷺ وأرى آثاره في كتابكم. فقالوا: من نصّب محمّد من الملائكة؟ قال: جبريل. فقالوا: ذلك عدونا يطلع محمّد على سرنا، وهو صاحب عذاب وخسف وسنة وشدة، وإنّ ميكائيل جاء بالخصب والسلم. فقال لهم عمر: أتعرفون جبرئيل وتنكرون محمّداً؟! قالوا: نعم.

قال: فاخبروني عن منزلة جبرئيل وميكائيل من الله عزّ وجلّ؟

قالوا: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر: وإني أشهد أنّ من كان عدواً لجبرئيل فهو عدواً لميكائيل ومن كان عدواً لميكائيل فهو عدو لجبرئيل، ومن كان عدواً لهما فإنّ الله عدو له، ثمّ رجع عمر إلى رسول الله ﷺ فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآية وقال: «لقد وافقك ربك يا عمر» فقال عمر: لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر.

قال الله تعالى تصديقاً لعمر (رضي الله عنه) ﴿قل من كان عدواً لجبرئيل﴾ وفي جبرئيل سبع لغات:

(جبرئيل) مهموز، مشبع مفتوح الجيم والراء، وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر وخلف واختيار أبي عبيد، وقال: رأيت في مصحف عثمان الذي يُقال له: الإمام بالياء في جبريل وميكائيل [والياء قبل] الياء تدلّ على الهمزة، وقال الشاعر:

شهدنا فما يُلقى لنا من كتيبة مدى الدهر إلا جبرئيل امامها

(وجبرائيل) ممدود، مهموز، مشيع، على وزن جبراعيل، وهي قراءة ابن عباس وعلقة وابن وثاب.

(وجبرائيل) ممدود، مهموز، مختلس على وزن جبراعل وهي قراءة طلحة بن مصرف.

(وجبرئيل) مهموز، مقصور مختلس على وزن جبرعل، وهي قراءة يحيى بن آدم.

(وجبرائيل) مهموز، مقصور، مشدد اللام من غير ياء، وهي قراءة يحيى بن يعمر، وعيسى ابن عمر، والأعمش.

(وجبريل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وهي قراءة ابن كثير وأنشد لحسان:

وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس به خفاء

(وجبريل) بكسر الجيم والراء من غير همزة وهي قراءة علي، وأبي عبد الرحمن، وأبي رجاء، وأبي العالية، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومعظم أهل البصرة والمدينة، واختيار أبي حاتم، وقدروي عن النبي ﷺ ذلك.

وعن شبل عن عبد الله بن كثير قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقرأ جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز. فلا أقرأها إلا هكذا.

قال الثعلبي: والصحيح المشهور عن كثير ما تقدم والله أعلم.

أما التفسير فقال العلماء: جبر هو العبد بالسريانية وأيل هو الله عز وجل يدل عليه ما روى إسماعيل عن رجاء عن معاوية برفعه قال: إنما جبرئيل وميكائيل يقولك عبدالله وعبد الرحمن، وقيل جبرئيل مأخوذ من جيروت الله، وميكائيل من ملكوت الله.

﴿فإنه﴾ يعني جبرئيل. ﴿نزله﴾ يعني القرآن كتابه عن غير مذكور كقوله ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾^(١) يعني الأرض، وقوله ﴿حتى توارت بالحجاب﴾^(٢) يعني الشمس.

﴿على قلبك﴾ يا محمد ﴿ياذن الله﴾ بأمر الله.

﴿مصدقاً﴾ موافقاً.

﴿لما بين يديه﴾ لما قبله من الكتب.

﴿وهدي وبشرى للمؤمنين﴾ ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل﴾ أخرجهما بالذكر من جملة الملائكة ومواضعهم على جهة التفضيل والتخصيص، كقوله تعالى ﴿فيهما فاكهة ونخل وزمان﴾^(٣) وميكائيل أربع لغات:

(٢) سورة ص: ٣٢.

(١) سورة فاطر: ٤٥.

(٣) سورة الرحمن: ٦٨.

مدود، مهموز، مشبع على وزن ميكاعيل، وهي قراءة أهل مكة والكوفة والشام.
 ﴿وميكائل﴾ مدود، مهموز مختلس مثل ميكاعل، وهي قراءة أهل المدينة.
 و(ميكيل) مهموز مقصور على وزن ميكعل، وهي قراءة الأعمش وابن محيصن.
 و(ميكال) على وزن مفعال وهي قراءة أهل البصرة. قال الشاعر:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصير جبريل وميكال
 وقال جرير:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا^(١)
 ومعنى الآية من كان عدواً لأحد هؤلاء فإن الله عدو له والواو فيه بمعنى أو. كقوله تعالى
 ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه﴾ الآية لأن الكافر بالواحد كافر بالكل. فقال ابن صوريا: يا
 محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فتنبعك بها. فأنزل الله عز وجل:
 ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ واضحات مفصلات بالحلل والحرام والحدود والأحكام.
 ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ الحادون عن أمر الله.

أَوْكَلَّمَا عَلَيْهِمَا عَهْدًا بَدَّدَهُ قَرِيبٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّدَ قَرِيبٌ مِنْ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
 يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا
 نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لِمَنُوبَهُمْ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ حَدِيثٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿أوكلما﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام. كما يدخل على الفاء في قوله
 ﴿أفأنت تسمع الصم﴾^(٢) ﴿أفتتخذونه وذريته﴾^(٣) وعلى ثم كقوله تعالى ﴿أنتم إذا ما وقع﴾^(٤)
 ونحوها.

(١) مجمع البيان: ٣٢٤/١.

(٢) سورة يونس: ٤٢.

(٣) سورة الكهف: ٥٠.

(٤) سورة يونس: ٥١.

وقرأ ابن السَّمَاك العدوي: ساكنة الواو على النسق و (كلما) نصب على الظرف. ﴿عاهدوا عهداً﴾ يعني اليهود.

قال ابن عباس: لِمَا ذكر رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم وما عهد إليهم فيه.

قال مالك بن الصِّيف: إِنَّ الله ما عهد إلينا في محمد عهد ولا ميثاق فأنزل الله تعالى هذه الآية يوضحه قراءة أبي رجاء العطاردي: أوكلما عوهدوا عهداً لعنهم الله، دليل هذا التأويل قوله ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب﴾^(١) الآية.

وقال بعضهم: هو أَنَّ اليهود تعاهدوا لئن خرج محمد ليؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب، وننفيهم من بلادهم، فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به دليله ونظيره قوله عز وجل ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾^(٢).

وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير دليله قوله ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾^(٣).

﴿نبذه﴾ أي رفضه وفي قول عبدالله: نقضه.

﴿فريقٌ منهم﴾ طوائف من اليهود.

﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ فأصل النبذ الرمي والرفض له، وأنشد الزجاج:

نظرت إلى عنوانه فنبيذته كنبيذك نعلًا اخلقت من نعالكا
وهذا مثل من يستخف بالشيء ولا يعمل به، تقول العرب: أجعل هذا خلف ظهرك، ودبر اذنك، وتحت قدمك: أي أتركه واعرض عنه قال الله تعالى: ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾^(٤)، وأنشد الفراء:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعبأ عليَّ جوابها
قال الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به:

وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه في الحرير والديباج وحلّوه بالذهب والفضّة ولم يحلّوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ.

﴿واتبعوا﴾ يعني اليهود.

(١) سورة آل عمران: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: ١٠١.

(٣) سورة الأنفال: ٥٦.

(٤) سورة هود: ٩٢.

﴿ما تتلوا الشياطين﴾ أي ما تلت الشياطين.

كقول الشاعر:

فأذا مررت بقبره فاعقربه كؤم الحجان وكلّ طرف صالح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد بكوه أخدام وذبائح
وحكي عن الحسين بن الفضل أنّه سئل عن هذه الآية فقال: هو مختصر مضمّر تقديره
واتبعوا ما كانت تتلوا الشياطين أي تقرأه.

قال ابن عباس: يتبع ويعمل به.

عطاء وأبو عبيدة: يحدث ويتكلم به.

يمان: ترويه.

وقرأ الحسن: الشياطين بالواو في موضع الرفع في كل القرآن.

قال الثعلبي: وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا حامد الخارزنجي يقول:
وسئل عن قراءة الحسن؟

قال: هو فن وحسن عند أكثر أهل الأدب.

غير أن الأصمعي زعم أنّه سمع أعرابياً يقول: بستان فلان حوله بساتون.

﴿على ملك سليمان﴾ أي في ملكه وعهده كقول أبي النّجم:

فهي على الأفق كعين الأحول

أي في الأفق.

والملك تمام القدرة واستحكامها.

قال [. . . الزجاج]^(١): في قصّة الآية هي أنّ الشياطين كتبوا السّحر والنيرنجات على
لسان آصف. هذا ما علّم آصف ابن برخيا سليمان الملك ثمّ وضعوها تحت مصلاه حين نزع الله
ملكه ولم يشعر بذلك سليمان فلمّا مات استخرجوها من تحت مصلاه.

وقالوا النّاس: إنّما ملككم سليمان بهذا فتعلّموه فأما علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم
فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان وإنّ كان هذا علمه لقد هلك سليمان

وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان فأقبلوا على تعلّمه ورفضوا كتب أنبياءهم وفشت
الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتّى بعث الله تعالى محمّداً ﷺ وأنزل عذر سليمان ﷺ

(١) كلمة سقط في أصل المخطوط.

على لسانه وأظهر براءته عمّا رُمي به فقالوا: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ الآية. هذا قول الكعبي.

وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد السمع فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا كذباً وزوراً في كل سبعين كلمة سبعين كلمة ويخبرونهم بذلك فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث في الناس فجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشياطين تعلم الغيب إلاّ ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثّل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرأ من بني إسرائيل فقال: هل أدلكم على كنز لا ينفذ أبداً.

قالوا: نعم. قال: فأحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية وقالوا: أدن. فقال: لا ولكن ها هنا فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك إنهم لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلاّ احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها. قال الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجنّ والأنس والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب وفشا في الناس أنّ سليمان كان ساحراً فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب ولذلك فكثير ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد ﷺ خاصمه اليهود بها فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك وأنزل هذه الآية^(١).

وقال عكرمة: كان سليمان ﷺ لا يصبح يوماً إلاّ نبتت في محرابه في بيت المقدس شجرة فيسألها: ما اسمك؟

فتقول الشجرة: إسمي كذا، فيقول: لأيّ داء أنت؟

فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع وترفع في الخزانة وتغرس منها في البساتين حتى بعث الخرنوبة الشامية فقال لها: ما أنت؟

قالت أنا الخرنوبة. قال: لأيّ شيء نبت؟ قالت: لخراب مسجدك. قال سليمان: ما كان الله ليخرّبه وأنا حي أنت الذي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها فغرسها في حائط له فلم تنبت إلى أن توفي فجعل الناس يقولون في رضاهم: لو كان لنا مثل سليمان، وكتبت الشياطين كتاباً فجعلوه في مصلى سليمان. فقالوا للناس: من يذكركم على ما كان يداوي به فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر ورقّي فأنزل الله في هذه الآية ما تفعل الشياطين واليهود على نبيّه محمد ﷺ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾.

﴿وما كفر سليمان﴾ بالسحر فإنّ السحر كفر.

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ أهل الكوفة والشام بتخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في الإيمان ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾^(١) ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٢).

الباقون: بالتشديد ونصب ما بعده، ولكن كلمة لها معنيان نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل، وهي مبنية من ثلاث كلمات أصلها لا كان لا نفي والكاف خطاب وإنّ نصب ونسق فذهبت الهمزة استثقلاً وهي تثقل وتخفف فإذا ثقلت نصب بها ما بعدها من الاسماء كما تنصب بأن الثقلة فإذا خففها رفعت بها ما ترفع بأن الخفيفة.

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾ قال بعضهم: السحر العلم والخطابة دليله قوله: بأن السّاحر: أي العالم.

وقال بعضهم: هو التمويه بالشيء حتّى يتوهم المتوهم أنّه شيء ولا حقيقة له كالسرّاب غير من رآه وأخلف من رجاء قال الله تعالى: ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(٣).

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ﴾ محل ما بعد اتباع التعليم عليه معناه لا يعلمون الذي أنزل على الملكين أي [.....]^(٤) ويجوز أن يكون نصباً بالاتباع تقديره: واتبعوا ما أنزل على الملكين، وجعل بعضهم ما جحداً وحيث لا محل له يعني لم ينزل السّحر على الملكين كما زعم اليهود، وإنّما يعلمونهم [..... من ذات]^(٥) أنفسهم والقول الأوّل أصح.

وقرأ ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى بن أبي كثير: ملكين بكسر اللام، وقالوا: هما رجلان ساحران كانا ببابل من الملائكة لا يعلمون الناس السحر، وفسرهما الحسن فقال: غلجان ببابل وهي بابل عراق وسّمى بابل لتبليل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود أي تفرقها.

أو ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقى بتعلم السحر منهما فيكفر به ومن سعد بتركه فيبقى على الإيمان فيزداد المعلمان بالتعليم عذاباً ففيه ابتلاء المعلم والمتعلّم والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء كما يشاء فله الأمر والحكم.

وقال الخليل بن أحمد: إنّما سمّيت بابل لأنّ الله تعالى حين أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحاً فحفرتهم من كل أفق إلى بابل فبيلل الله ألسنتهم فلم يدري أحد ما يقول الآخر، ثمّ فرقهم تلك الرّيح في البلاد وهو لا ينصرف؛ لأنّه اسم موضع معروف.

﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ اسمان سريانيان في محل خفض على تفسير الملكين بدلاً منهما إلّا أنّهما نصباً لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتهما على ما ذكره ابن عباس والمفسرون: إنّ

(٣) سورة طه: ٦٦.

(١) و (٢) سورة الأنفال: ١٧.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٥) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن إدريس فعبروهم بذلك، ودعّث عليهم قالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم فهم يعصونك. فقال الله عزّ وجلّ لهم: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لرتكبتهم ما ارتكبوه. فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك. قال الله تعالى: اختاروا ملكين من خياركم ثمّ اهبطوهم إلى الأرض. فاختاروا هاروت وما روت وكانا من أصلح الملائكة وأخصهم.

قال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اختاروا ثلاثة: عزّا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت. غير اسمهما لما قارفا الذنب كما غير اسم إبليس وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم. فاهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحقّ، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحقّ والزنا وشرب الخمر - وأما عزائيل فأثّه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربّه، وسأله أن يرفعه إلى السّماء، فأقاله ورفعه، فسجد اربعين سنة، ثمّ رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطأاً رأسه حيّاءاً من الله عزّ وجلّ.

وأما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يغضبان من النّاس يومهما فإذا أمسياً ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السّماء.

قال قتادة: فما مرّ عليهما شهر حتّى افتتنا قالوا جميعاً وذلك انهم اختصم عليهما ذات يوم الزهرة، وكانت من أجمل النّساء. قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وكانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها. فلمّا رآياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها وانصرفت، ثمّ عادت في اليوم الثاني. ففعلا مثل ذلك. فأبت وقالت: لا إلّا أن تعبدا ما أعبد وتُصليا لهذا الصّنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها. فانصرفت ثمّ عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها. فراوداها عن نفسها. فعرضت عليهما ما قالت بالأمس. فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النّفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فانتعشا ووقعا بالمرأة وزنيا. فلما فرغا رأهما أنسانا فقتلاه.

قال الربيع بن أنس: سجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكباً وقال عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) والسّدي والكلبي: إنّها قالت لهما: لن تدركاني حتّى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السّماء. فقالا: بسم الله الأكبر. قالت: فما أنتما تدركاني حتّى تعلمانيه. فقال أحدهما لصاحبه: علّمها. قال: فأني أخاف الله.

قال الآخر: فأين رحمة الله فعلماهما ذلك. فتكلّمت به وصعدت إلى السّماء فمسخها الله كوكباً.

فعلى قول هؤلاء هي الزّهرة بعينها وقيدوها. فقالوا: هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسيّة ناهيد، وبالنبطية بيذخت يدلّ على صحة هذا القول ما روى جابر عن الطفيل عن علي

(رضي الله عنه) قال: كان النبي ﷺ إذا رأى سهيلاً قال: لعن الله سهيلاً إنه كان عشاراً باليمن ولعن لله الزهرة فإنها فتنت ملكين.

وقال مجاهد: كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي: أرمق بالكوكبة يعني الزهرة فإذا طلعت فأيقظني. فلما طلعت أيقظته فجعل ينظر إليها ويستبها سباً شديداً. فقلت: رحمك الله سببت نجماً سامعاً مطيعاً ماله ليسب؟ فقال: إن هذه كانت بغياً. فلقى ملكان منها مالياً.

وقال ابن عمر إذا رأى الزهرة قال: لا مرحباً بها ولا أهلاً وروى أبو عثمان [المرندي] عن ابن عباس: إن المرأة التي فتنت بها الملكان مُسخت فهي هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة قال: وكان يسميها بيذخت. وأنكر الآخرون هذا القول. قالوا: ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواماً للعالم وأقسم بها فقال: ﴿فلا أقسم بالخنس والجوار الكنس﴾^(١). قلنا كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى زهرة من جمالها فلما بغت مسحها الله تعالى شهاباً فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلعنها، وكذلك سهيل العشار ولما رأى رسول الله ﷺ النجم ذكره فلعنه ويدل عليه ما روى قيس ابن عباد عن ابن عباس في هذه القصة:

قال: كانت امرأة فضّلت على الناس كما فضّلت الزهرة على سائر الكواكب، ومثله قال كعب الأحبار والله أعلم.

قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حلّ بهما فقصدا إدريس النبي ﷺ فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عزّ وجلّ فقالا له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربك؟

ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فأختارا عذاب الدنيا إذ علما إنه ينقطع فهما يبابل يعذبان.

واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبدالله بن مسعود: هما معلّقان بشعورهما إلى قيام الساعة.

قتادة: كبّلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما.

مجاهد: إن جباً ملئت ناراً فجعلها فيها حضيف معلّقان منكسان في السلاسل.

عمير بن سعد: منكوسان يضربان بسياط الحديد.

ويروى إن رجلاً أراد تعلّم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدهما معلّقين بأرجلهم

مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله إلا الله وقد نهى عن ذكر الله فلمّا سمعا كلامه قالاً له: من أنت؟ قال: رجل من الناس. قالاً: ومن أيّ أمة أنت؟

قال: من أمة محمد ﷺ. قالاً: وقد بعث محمد؟ قال: نعم قالاً: الحمد لله وأظهرها الاستبشار. فقال الرجل: ومِمَّ استبشاركما؟

قالاً: لأنّه نبي السّاعة وقد دنا إنقضاء عذابنا. قالوا ومن ثمّ استغفار الملائكة لبي آدم. وعن الأوزاعي قال: المعنى إنّ جبرئيل أتى النبي ﷺ فقال له: «يا جبرئيل صف لي النّار؟ فقال: إنّ الله أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتّى احمرّت ثمّ أوقد عليها ألف عام حتّى اصفرّت ثمّ أوقد عليها ألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة لا يضي لهيبها ولا جمرها، والذي بعثك بالحقّ لو أنّ ثوباً من ثياب أهل النّار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً ولو أنّ ذنوباً من سراياها صبّت في الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أنّ ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلتّ ولو إنّ رجلاً دخل النّار ثمّ أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي ﷺ وبكى جبرئيل لبكائه وقال: أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر! قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» [٩٧]، ولم بكيت يا جبريل وأنت الرّوح الأمين أمين الله على وحيه؟ قال: أخاف أن أبتلّي بما أبتلّي هاروت وماروت. فهو الذي منعني عن اتكالي على منزلتي عند ربّي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبيكان حتّى نوديا من السّماء أنّ يا جبرئيل ويا محمد إنّ الله قد أمنكما أن تعصياه فيعذبكما^(١) فضّل محمد على الأنبياء كفضل جبرائيل على ملائكة السّماء.

﴿وما يعلمان﴾ يعني الملكين ﴿من أحد﴾ من صلة لا يعلمان السحر أحداً حتّى ينصحاها أولاً وينهاها ويقولوا ﴿إنّما نحن فتنة﴾ إبتلاء ومحنة.

﴿فلا تكفر﴾ بتعلم السّحر وأصل الفتنة الاختبار.

تقول العرب: فتنت الذهب إذا أدخلته النّار لتعرف جودته من رداءته.

وفتنت الشمس الحجر إذا سودته.

وإنّما وحدّ الفتنة وهما إثنان؛ لأنّ الفتنة مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع كقولهم: ﴿وعلى سمعهم﴾ وفي مصحف أبي: وما يعلم الملكان من أحد حتّى يقولوا إنّما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرّات.

قال السدي وعطاء: فإن أباي إلا التعلّم قالوا له: إتت هذا الرّماذ فُبّل عليه فيخرج منه نور ساطع في السّماء فتلك المعرفة وينزل شيء أسود حتّى يدخل مسامعه يشبه الدّخان وذلك غضب الله عزّ وجلّ.

قال مجاهد: إنّ هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة إختلافة واحدة.

وقال يزيد بن الأصم: سئل المختار: هل يرى اليوم أحد هاروت وماروت؟

قال: أما منذ أئتفتك بابل إئتفاكها الآخر لم يرها أحد.

قال قتادة: السحر سحران: سحرٌ تعلّمهم الشياطين وسحرٌ يعلمه هاروت وماروت وهو قوله تعالى ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْقَحُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وهو أن يؤخذ كلّ واحد منهما عن صاحبه ويبيّض كل واحد إلى صاحبه.

وفي (المرء) أربع قراءات: قرأ الحسن: المرّ بفتح الميم وتشديد الرّاء جعله عوضاً عن الهمزة.

وقرأ الزهري: المرء بضم الميم والهمزة.

وحكى يعقوب عن جدّه: بكسر الميم والهمزة.

وقرأ الباقر: بفتح الميم والهمزة.

وأما كيفية تعليمهما السّحر فقد ورد فيه خبر جامع وهو ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ: أنّها قالت: قدمت عليّ امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغي رسول الله ﷺ بعد موته حدّاثه ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السّحر قالت عائشة لعروة: يا ابن أخي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ وكانت تبكي حتّى إنّي لأرحمها بقولي واني لأخاف أن تكون قد هلكت، قالت كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز وشكوت إليها ذلك فقالت: إنّ فعلت ما أمرك به فأجعله يأتيك فلمّا كان الليل جائتني بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن حتّى وقفنا على بابل، فإذا برجلين معلّقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ فقلت أتعلّم السّحر.

فقالا: إنّما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فأبيت فقلت: لا.

قالا: فأذهبي إلى ذلك التّور فبُولي فيه فذهبت ففرغت ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا: فعلت، قلت: نعم. فقالا هل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً.

فقالا: لم تفعل ارجعي إلى بلدك ولا تكفري فأبيت، فقالا: اذهبي إلى التّور فبُولي فيه.

فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقلت قد فعلت. قالا: فما رأيتي؟

قلت: لم أر شيئاً.

فقالا: كذبت لم تفعلني، ارجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك. فأبيت.
فقالا: اذهبي إلى ذلك الثَّور فُبُولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارساً مقنعاً بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وقد غاب عني حتى لم أراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا: فما رأيت؟

قلت: رأيت فارساً مقنعاً بالحديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه. قالا: صدقت ذلك إيمانك خرج منك إذهبي إلى المرأة وقول لها: والله ما أعلم شيئاً وما قال لي شيئاً، قالت بلى، قالا: لن تريدي شيئاً إلا كان. خذي هذا القمح فأبذري فبذرت فقلت: إطعني فطلعت فقلت: إحقلي فحقلت ثم قلت إفركي فأفركت ثم قلت اطحني فطحنت ثم قلت اخبزي فخبزت فلما رأيت إني لا أريد شيئاً إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً.

فأما كيفية جواز تعليم السَّحَر على الملائكة ووجه الآية وحملها على التأويل الصحيح:

فقال بعضهم: إنهما كانا لا يعتمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه واعلم وعلم بمعنى واحد وفي هذا حكمة: وهي إن سائلاً لو سأل عن الزنا لوجب أن يوقف عليه ويعلم أنه حرام، وكذلك إعلام الملكين الناس وأمرهما باجتنابه بعد الاعلام والأخبار إنه كفر حرام فيتعلم الشقي منهما وفي حلال صفتها وترك موعظتهما ونصيحتهما ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفرة وإنما يكون العمل به كفراً كما إن من عرف الزنا لم يأتهم إنما يأتهم العامل به، والقول الآخر والأصح: إن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر فيكفر بتعلمه ويؤمن بترك التعلم، لأن السحر كان قد كثر في كل الأمة ويزداد المعلمان عذاباً بتعليمه فيكون ذلك ابتلاء للمعلم والمتعلم ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني إسرائيل بالتهر في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَبْتَلِكُمْ بَنَهْرٌ﴾^(١) يدل عليه قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وهذان حكاهما الزجاج واعتمدهما. قال الله تعالى:

﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي أحداً ومن صلة.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [أو إلّا بقضاء الله أو إلّا بإذن الله أي بمرأى ومسمع]^(٢) أي بعلمه وقضائه ومشيئته وتكوينه [والساحر يسحر ولا يكون شيء]^(٣).

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) عن هامش المخطوط.

(٣) عن هامش المخطوط.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي السحر وقرأ عبيد بن عمير: ما يضرهم من أضر يضر.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ يعني اليهود ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ اختار السحر.

﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي في الجنة ﴿مِنْ خَلَقٍ﴾ من نصيب.

وقال الحسن: ماله في الآخرة من خلاق من دين ولا وجه عند الله.

ابن عباس: من قوام، وقيل من خلاص.

قال أمية: يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا السراويل من قطر وإغلال، أي لا خلاص

لهم.

﴿وَلِبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ﴾ باعوا به حظ ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ حين اختاروا السحر والكفر على الدين

والحق.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿وَاتَّقُوا﴾ اليهودية والسحر.

﴿لِمَثُوبَةٍ﴾ [ويجوز المثوبة بفتح الميم وفتح الواو كمثورة وكمشورة وهي مصدر من

الثواب]^(١) ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لكان ثواب الله عز وجل أياهم.

﴿خَيْرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِكَثِيرٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشِّرْكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا تَسْخَرُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسُخَةٍ نَاسٍ يَخَيَّرُ مِنْهَا أَوْ يُلْهِئُهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ الآية: وذلك إن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا

رسول الله وأرعنا سمعك يعنون من المراعاة، وكانت هذه اللفظة سباً مبيحاً بلغة اليهود، وقيل:

كان معناه عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هو إلحاد إلى الرعونة لما سمعتها اليهود اغتتموها،

وقالوا فيما نسب بعضهم إلى محمد سراً. فاعلنوا الآن بالشتم، وكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا

محمد ويضحكون فيما بينهم. فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها، وكان يعرف لغتهم. فقال

للإهود: عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده يامعشر اليهود إن سمعنا من رجل منكم يقولها لرسول

الله ﷺ لضربت عنقه. فقالوا: أولستم تقولونها؟

فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ.

وفي هذه اللفظة ثلاث قرأت:

قرأ الحسن راعناً بالتنوين أراد قولاً راعناً: أي حقاً من الرعونة فحذف الاسم وأبقى الصفة. كقول الشاعر:

ولا مثل يوم في قدار ظله كأني وأصحابي على قرن أعفرا
أراد قرن ظبي أعفر. حذف الاسم وأبقى النعت.
وقرأ أبي بن كعب: راعونا بالجمع.

وقرأت العامة: راعنا بالواحد من المراعاة. يُقال: أرعى إلى الشيء وارعاه وراعاه. إذا أصغى إليه واستمعه. مثل قولهم: عافاه الله وعافاه.
قال مجاهد: لا تقولوا راعنا: يعني خلافاً.
يمان: هجراً.

الكسائي: شراً.

﴿وقولوا انظرونا﴾ قال أبي بن كعب: انظرونا بقطع الألف أي أخرنا، وقرأت العامة موصولة أي انظر إلينا. فحذف حرف التعدية كقول قيس بن الحطيم:
ظاهرات الجمال والحسن ينظرون كما ينظر الأراك الظبّا
أي إلى الأراك، وقيل: معناه انتظرونا وتأننا. كقول امرؤ القيس:
فانكما أن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب
وقال مجاهد: معناه فهّمنا، وقال يمان: بيّن لنا

﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به، والمراد به اطيعوا لأنّ الطاعة تحت السمع.

﴿وللکافرين عذاب أليم﴾ يعني اليهود.

﴿ما يؤدّ الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ الآية: وذلك إنّ المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن عليه ولو [هدانا]^(١) لكان خيراً. فأنزل الله تعالى تكذيباً لهم (ما يؤدّ): يريد ويتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود.

(١) كلمة غير مقروءة في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

﴿ولا المشركين﴾^(١) مجرور في اللفظ بالنسق على من مرفوع المعنى بفعله كقوله عز وجل ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾^(٢) ﴿أن ينزل عليكم من خير﴾ أي خير كما نقول: ما أتاني من أحد من فيه، وفي جوابها صلة، وهي كثيرة في القرآن.

﴿والله يختص﴾ والاختصاص أوكد من الخصوص لأن الاختصاص لنفسك والخصوص لغيرك.

﴿برحمته﴾ بنبوته. ﴿من يشاء﴾ يخص بها محمداً ﷺ.

﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ [أي ابتداء لعل... خبر علة أو المراد من الرحمة الإسلام والهداية^(٣)] ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ الآية وذلك إن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر لم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع فيه غداً، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقول من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً. فأنزل الله ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾^(٤)، وأنزل أيضاً ﴿ما ننسخ من آية﴾ ثم بين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية.

وأعلم إن النسخ في اللغة شيان:

الوجه الأول: بمعنى التغيير والتحويل قال الفراء: يُقال: مسخه الله قرداً ونسخه قرداً، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فينقل ما فيه إليه قال الله تعالى ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾^(٥): أي نأمر الملائكة بنسخها.

قال ابن عباس في هذه الآية: أُلْتُمَ قوماً عرباً هل يكون نسخه إلا من أصل كان قبل ذلك؟ وعلى هذا الوجه القرآن كله منسوخ؛ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ فأنزل على النبي ﷺ.

روى عبد الوهاب بن عطاء عن داود عن عكرمة عن ابن عباس: أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزله جبرائيل على محمد آياً بعد آي، وكان فيه ما قال المشركون ورد عليهم.

والوجه الثاني: بمعنى رفع الشيء وإبطاله يُقال: نسخت الشمس الظل: أي ذهبت به وأبطلته [...] عني بقوله ما ننسخ من آية وعلى هذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخاً ومنسوخاً وهي ما تعرفه الأمة من ناسخ القرآن ومنسوخه وهذا أيضاً يتنوع نوعين:

(١) في هامش المخطوطة: والمراد مشركو العرب كأبي سفيان.

(٢) سورة الأنعام: ٣٨.

(٣) عن هامش المخطوط.

(٤) سورة النحل: ١٠١.

(٥) سورة الجاثية: ٢٩.

أحدهما: إن ثبت خط الآية، وينسخ علمها والعمل بها. كقول ابن عباس في قوله ﴿ما ننسخ من آية﴾ قال: ثبت خطها وتبدل حكمها. ومنها رفع تلاوتها وبقاء حكمها مثل آية الرجم. الثاني: أن تُرفع الآية أصلاً أي تلاوتها وحكمها معاً فتكون خارجة من خط الكتاب، وبعضها من قلوب الرجال أيضاً، والشاهد له ما روي أبو أمامة سهل بن حنيف في مجلس سعيد ابن المسيب: إن رجلاً كانت معه سورة. فقام يقرأها من الليل فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها. فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها. فأصبحوا فأتوا رسول الله ﷺ فقال بعضهم: يا رسول الله قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها، وقال الآخر: يا رسول الله ما جئت إلا لذلك، وقال الآخر: وأنا يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «إنها نُسخَت البارحة» [٩٨] (١).

ثمَّ إعلم أن النَّسخَ إمَّا يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار؛ إذا نُسخ صار المخبر كذاباً، وإنَّ اليهود حاولوا نسخ الشرائع وزعموا إنَّه بدءا فيقال لهم: أليس قد أباح الله تزويج الاخت من الأخ ثمَّ حظره وكذلك بنت الأخ وبنت الاخت؟ أليس قد أمر إبراهيم ﷺ بذبح ابنه، ثمَّ قال له لا تذبحه؟

أليس قد أمر موسى بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد العجل منهم وأمرهم برفع السيف عنهم؟ أليست نبوة موسى غير متعبد بها، ثمَّ تُعبد بذلك؟ أليس قد أمر حزقيال النبي بالختان، ثمَّ نهاه عنه؟ فلما لم يلحقه بهذه الأشياء بدءا فكذلك في نسخ الشرائع لم يلحقه بدءا بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم؛ لضرب من المصلحة إظهار لحكمته وكمال مملكته وله ذلك وبه التوفيق.

فهذه من علم النَّسخ وهو نوع كثير من علوم القرآن، لا يسع جهله لمن شرع إلى التفسير. وعن أبي عبد الرحمن السلمي: إنَّ علياً ﷺ مرَّ بقاص يقصُّ في جامع الكوفة بباب كندة فقال: هل تعلم النَّاسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلك (٢).

وأما معنى الآية لقوله ﴿ما ننسخ من آية﴾ قرأت العامة بفتح النون والسين من النَّسخ. وقرأ ابن عامر: بضم النون وكسر السين.

قال أبو حاتم: هو غلط وقال: بعضهم له وجهان، أحدهما نجعله نسخه من قولك نسخت الكتاب إذا كتبه وأنسخته غيري إذا جعلته نسخة له ومعناها ما مسختك.

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٣٤، والدر المنثور: ١٠٥/١.

(٢) المصنف لعبد الرزاق: ٣/٢٢١ ح ٥٤٠٧، والناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥.

والوجه الثاني: تجعله في جملة المنسوخ كقولك: طردت الرجل إذا نفيت وأطردته جعلته طريداً. قال الشاعر:

طردتني حسد الهجاء حيفاء واللات والأصنام ما قالوا تنل
أو ننسها^(١): فيه تسع قراءات:

قرأ سعيد بن المسيب وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب: ننسها بضم النون وكسر السين. وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم أي: ننسها نسياً قاله أكثر المفسرين.

قال الحسن: هو ما أنسى الله رسوله ﷺ.

قال ابن عباس: أي تركها ولا نبذلها قال الله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ﴾^(٢) وقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٣). كل هذا من الترك كأنه جعل أنسى ونسي بمعنى واحد.

قال الكلبي وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا منصور الأزهري يقول: معناه أو نأمر بتركها يقال أنسيت الشيء أي أمرت بتركه.

قال الشاعر:

جرت عليّ قصة أقصيتها لست بنا سيها مَجْمَع ولا منسيها
أي ولا أمر بتركها.

وقرأ أبي بن كعب: أو ننسيك.

وقرأ عبدالله: ننسيك من آية أو ننسخها.

قرأ سالم مولى حذيفة: أو ننسكها.

وقرأ أبو رجاء: أو ننسها بالتشديد، وقرأ الضحّاك: أو ننسها بضم التاء وفتح السين على مجهول، وقرأ سعد بن أبي وقاص: أو ننسها بقاء المفتوحة من النسيان، وعن القاسم بن الربيع ابن فائق؛ قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: بالنسخ من آية أو ننسها.

قال: فقلت له: إن سعيد بن المسيّب يقرأ: ننسها. قال: إن القرآن لم ينزل على آل المسيّب.

(١) في هامش المخطوطة: عن قلبك أي تركها. (٢) سورة التوبة: ٦٧.

(٣) سورة طه: ١٢٦. (٤) سورة الأعلى: ٦.

(٥) سورة الكهف: ٢٤.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿سَنَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(١) ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾^(٢).

وقرأ مجاهد: (أو ننسها) بفتح النون مخففة أي نتركها.

وقرأ عمر بن الخطاب وابن عباس وعبيد بن عمير وعطاء وابن كثير وابو عمرو والنخعي: أو ننساها بفتح النون الأول وفتح السين مهموزة فلا نؤخرها فلا نبذلها ولا ننسخها، يقال: نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله، ومنه النسيئة في البيع.

وقال أبو عبيد: ننسأها مجازة نمضيها لذكر ما فيه، قال طرفة:

أمون كألواح الاران نسأتها على لا حب كأته ظهر برجد^(٣)

أي لسقتها وأمضيها، وقال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما ننسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعله من النسخة، أو ننساها نؤخرها فلا يكون وهو ما لم ينزل.

﴿ناتٍ بخير منها﴾^(٤) أي بما هو أجدى وأنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم لا أن آية خير من آية؛ لأن كلام الله عز وجل واحد ولكنها في المنفعة المثوبة وكله خير.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾
أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَارِئًا حَسَبًا مِنْ عِنْدِ
أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْطَفُوا حَتَّى بَاتَى اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾^(٥) قادر قال الزجاج: لفظه استفهام ومعناه توفيق

وتقرير.

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم﴾ يا معشر الكفار عند نزول

العذاب.

﴿من دون الله من وليّ قريب وصديق.

﴿ولا نصير﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ الآية. قال ابن عباس: نزلت في عبدالله بن أمية

(١) مجمع البيان: ٣٤٦/١.

(٢) في هامش المخطوطة: وكل مانسخ إلا اليسير فالنسخ أسهل في العمل.

(٣) في هامش المخطوطة: من النسخ والتبديل.

المخزومي ورهط من قريش قالوا: يا محمد أجعل لنا الصفا ذهباً ووسّع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك.

فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أَمْ تَرِيدُونَ﴾ يعني أتريدون والميم صلة لأنّ أم إذا كان بمعنى العطف لا تكون ابتداء ولا تأتي إلاّ مردودة على استفهام قبلها، وقيل معناه: بل يريدون كقول الشاعر:
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أم أنت في العين أملح^(١)
أي بل أنت.

﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ محمّداً.

﴿كما سئل موسى من قبل﴾ سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، وقال مجاهد: لما قالت قريش هذا لرسول الله ﷺ قال: «نعم وهو كالمائدة لبني إسرائيل إن لم تؤمنوا عذبتم» [٩٩] فأبوا ورجعوا، والصحيح أن شاء الله إنها نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد أثنتا بكتاب من السماء تحمله، كما أتى موسى بالتوراة، لأنّ هذه السورة مدنية، وتصديق هذا القول قوله تعالى:
﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾^(٢) في سئل ثلاث قراءات:

بالهمز: وهي قراءة العامة، و(سئل) بتليين الهمزة وهي قراءة أبي جعفر و(سئل) مثل (قيل) وهي قراءة الحسن.

﴿ومن يتبدّل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل﴾ أخطأ وسط الطريق.

﴿ودّ كثير من أهل الكتاب﴾ الآية نزلت في نفر من اليهود منهم: فنحاص بن عازورا وزيد ابن قيس؛ وذلك إنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تري ما أصابكم ولو كنتم على الحقّ ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدي منكم سيلاً. فقالوا لهم: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد.

قال: فإني قد عاهدتُ ألاّ أكفر بمحمّد ﷺ ما عشتُ. فقالت اليهود: أمّا هذا فقد صبر، وقال حذيفة: وأمّا أنا فقد رضيت بالله ربّاً وبمحمّد نبياً وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين أخواناً.

ثمّ أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال: «أصبتما الخير وأفلحتما» [١٠٠]^(٣). فأنزل الله تعالى ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب﴾ أي تمنى وأراد كثير من اليهود.

(١) مجمع البيان: ٢٨١/١.

(٢) سورة النساء: ١٥٣.

(٣) تفسير الكشاف: ١٧٦/١.

﴿لو يردونكم﴾ يا معشر المؤمنين .

﴿من بعد إيمانكم كفاراً﴾ في انتصابه وجهان قيل : بالرد وقيل : بالحال . ﴿حسداً﴾ وفي نصبه أيضاً وجهان : قيل على المصدر أي يحسدونكم حسداً ، وقيل : بنزع حرف الصلة تقديره للحسد . وأصل الحسد في اللغة الالفاظ بالشيء حتى يחדشه وقيل : للمسحاة محسد وللغراد حسدل زيدت فيه اللآم كما يقال للعبد : عبدل .

﴿من عند أنفسهم﴾ أي من تلقاء أنفسهم لم يأمر الله عز وجل بذلك .

﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ في التوراة إنَّ محمداً صادق ودينه حق .

﴿فاعفوا﴾ فاتركوا . ﴿واصفحوا﴾ وتجاوزوا .

﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ بعذابه القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير قاله ابن عباس .

وقال قتادة : هو أمره بقتالهم في قوله تعالى : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ إلى ﴿وهم صاغرون﴾^(١) .

وقال ابن كيسان : بعلمه وحكمه فيهم حكم بعضهم بالإسلام ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية ، وقيل : أراد به القيامة فيجازيهم بأعمالهم .

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ .

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ آمَانِيُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا﴾ تسلفوا .

﴿لأنفسكم من خير﴾ طاعة وعمل صالح .

﴿تجدوه﴾ تجدوا ثوابه ونفعه . ﴿عند الله﴾ وقيل : بالخبر الحال كقوله عز وجل ﴿إن ترك

خيراً^(١) ومعناه وما تقدّموا لأنفسكم من زكاة وصدقة تجدوه عند الله أي وتجدوا الثمرة واللقمة مثل أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ورد في الحديث: إذا مات العبد قال الله: ما خلف؟ وقال الملائكة: ما قدّم؟

وعن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ دخل علي بن أبي طالب ﷺ الدار فأنشأ يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل
ثم دخل المقابر فقال: السلام عليكم يا أهل القبور أموالكم قسّمت ودوركم سكنت
وأزواجكم نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندهم؟ فهتف هاتف: وعليكم السلام ما أكلنا
ربحاً وما قدّمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا^(٢).

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ قال الفراء: أراد يهودياً فحذف الياء الزائدة ورجعوا إلى الفعل من اليهودية.

وقال الأخفش: اليهود جمع هايد مثل عائِد وعود وحائل وحول وعائط وعوط وعائِد وعود، وفي مصحف أبي: إلا من كان يهودياً أو نصرانياً ومعنى الآية وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا دين اليهودية وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا النصرانية قال الله تعالى: ﴿تلك أمانيهم﴾ شهواتهم التي يشتهوها ويتمنوها على الله عزّ وجلّ بغير الحقّ وقيل أباطيلهم بلغة قريش.

﴿قل﴾ يا محمّد. ﴿هاتوا﴾ وأصله أتوا فقلبت الهمزة هاء.

﴿برهانكم﴾ حجتكم على ذلك وجمعه براهين مثل قربان قربابين وسلطان وسلاطين.

﴿إن كنتم صادقين﴾ ثم قال ردّاً عليهم وتكذيباً لهم ﴿بلى﴾ ليس كما قالوا بل يدخل الجنة من أسلم وجهه لله ﴿مقاتل﴾ أخلص دينه وعمله لله وقيل: فوض أمره إلى الله. وقيل: خضع وتواضع لله.

وأصل الإسلام والاستسلام: الخضوع والانقياد وإنما خصّ الوجه لأنّه إذا جاد بوجهه في السجود لم ييخل بسائر جوارحه.

قال زيد بن عمرو بن نفيل: أسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالاً

واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن يحمل عذبا زلا^(١)
﴿وهو محسن﴾ في عمله، وقيل: مؤمن، وقيل: مخلص.

﴿فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ **﴿وقالت اليهود﴾** نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران؛ وذلك إن وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فنظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والأنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة. فأنزل الله تعالى **﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾** وقالت النصارى ليست اليهود على شيء.

﴿وهم يتلون الكتاب﴾ وكلا الفريقين يقرأون الكتاب أي لتبين في كتابكم سر الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم مافيه على أنهم على الباطل.

وقيل: كان سفيان الثوري إذا قرأ هذه الآية قال: صدقوا جميعاً والله كذلك.

﴿قال الذين لا يعلمون﴾^(٢) يعني أباءهم الذين مضوا.

﴿مثل قولهم﴾ قال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد ﷺ وأصحابه ليسوا على شيء من الدين.

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: (كذلك قال الذين لا يعلمون) من هم؟

قال: أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ونحوهم، قالوا في نبيهم إنه ليس على شيء وأن الدين ديننا.

﴿فالله يحكم بينهم﴾ يقضي بين المحق والمبطل يوم القيامة.

﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من الدين.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَسَمِعَ اللَّهُ إِنْكَارَ اللَّهِ وَسَمِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَبْلُئِنَّوْنَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا هُوَ آمُرًا فَايْمَا يَقُولُ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ نزلت في ططيوس بن استيسانوس

(١) مجمع البيان: ٣٥٦/١.

(٢) في هامش المخطوطة: هم عوام اليهود لأنهم غير متعلمين.

الرّومي وأصحابه؛ وذلك إنّهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرّقوا التّوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيّام عمر بن الخطّاب.

قتادة والسّدي: هو بخت نصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النّصارى ططّوس وأصحابه من أهل الرّوم.

قال السّدي: من أجل إنّهم قتلوا يحيى بن زكريّا، وقال قتادة: حملهم بعض اليهود على معاونة بخت نصّر البابلي المجوسي فأنزّل الله إخباراً عن ذلك: ﴿ومن أظلم﴾ أي أكفر وأغثا ﴿ممن منع مساجد الله﴾ يعني بيت المقدس ومحاربه. (أنّ يذكر) في محل نصب المفعول الثاني لأنّ المنع يتعدّى إلى مفعولين تقديره ممّن منع مساجد الله. الذّكر، وإن شئت جعلت نصباً بنزع حرف الصّفة أي: من أن يذكر.

﴿وسمى في خرابها﴾ أي في عمل خرابها.

﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين﴾ وفي مصحف أبي الأخيّاء.

قال ابن عبّاس: لا يدخلها بعد عمارتها رومي إلّا خائفاً لو علم به قُتل.

قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلّا متنكراً مشارفه لو قدر عليه عوقب ونهك ضرباً.

السّدي: أخيفوا بالجزية، وقال أهل المعاني: هذا خبر فيه معنى للأمر كقول: اجهضوهم بالجهاد كي لا يدخلها أحد منهم إلّا خائفاً من القتل والسّبي نظيره قوله: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...﴾ إلى ﴿أبدأ﴾^(١) نهاهم عن لفظ الخبر فمعنى الآية: ما ينبغي لهم ولكم وهذا وجه الآية.

﴿لهم في الدّنيا خزي﴾ عذاب وهوان.

قال قتادة: هو القتل للحربي والجزية للذّمي.

مقاتل والكلبي: فتح مدائنهم الثلاثة: قسطنطينية ورومية وعمورية.

السّدي: هو أنّه إذا قام المهدي [في آخر الزمان] فتحت قسطنطينية فقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم فذلك خزيهم في الدّنيا.

﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو النّار.

إسماعيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: لا تقوم الساعة حتى تفتح مدينة هرقل ويؤذن فيها المؤمنون ويقسم فيها المال بالترضية فينقلبون بأكثر أموال رآها الناس قط فبينما هم كذلك إذا أتاهم إن الدجال قد خلفكم في أهليكم فيلقون ما في أيديهم ويجيئونهم ويقاثلونه.

وقال عطاء وعبد الرحمن بن عوف: نزلت هذه الآية في مشركي عرب مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا محمداً ﷺ وأصحابه من حجّه والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من تعميره بذكر الله عز وجل فقد سعوا في خرابه يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾^(١) الآية ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يعني أهل مكة يقول: أفتحها عليكم حتى تدخلوها أو تكونوا أولى بها منهم ففتحها الله عليهم وأمر رسول الله ﷺ: منادياً فنادى: ألا لا يحجّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان فطفق المشركون يقولون: اللهم إنا قد منعنا أن نشرك بهذا لهم في الدنيا خزي الذل والقتل والسبي والتقي ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

﴿ولله المشرق والمغرب﴾ الآية: اختلفوا في سبب نزولها فقال ابن عباس: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر وذلك قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فاصابهم الضباب فحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلّوا فمنهم من صلّى إلى المشرق ومنهم من صلّى إلى المغرب. فلما ذهب الضباب استبان لهم إنهم لم يصيبوا. فلما قدموا سألو رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت هذه الآية بذلك.

وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة: كنّا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلاً فجعل الرجل يتخذ أحجاراً فيعمل مسجداً يصلّي فيه، فلما أصبحنا إذا نحن قد صلّينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول الله: لقد صلّينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة فأنزل الله هذه الآية.

قال عبد الله بن عمر: نزلت في صلاة المسافر يصلّي حيثما توجّهت به راحلته تطوعاً، وكان رسول الله ﷺ يصلّي على راحلته جائئاً من مكة إلى المدينة.

وعن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلّي على راحلته في السفر حيثما توجّهت به^(٢).

قال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة لما حوّلت إلى الكعبة. فأنزل الله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب﴾.

﴿فأينما تولوا﴾ أيها المؤمنون في سفركم وحضركم.

﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ قبله الله التي وجهكم إليها فاستقبلوها يعني الكعبة، وقال أبو العالية: لما غيّرت القبلة إلى الكعبة عيّرت اليهود المؤمنين في انحرافهم من بيت المقدس. فأنزل الله تعالى هذه الآية جواباً إليهم.

عطاء وقتادة: نزلت في النجاشي وذلك إنه توفي، فأتى جبرئيل النبي ﷺ فقال: إن أخاكم النجاشي قد مات فصلّوا عليه. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: كيف نُصَلِّي على رجل مات وهو يُصلي إلى غير قبلتنا؟ وكان النجاشي يُصلي إلى بيت المقدس حتّى مات. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد والحسن والضحاك: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) قالوا أين ندعوه؟ فنزلت ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا﴾ تحوّلوا وجوهكم ﴿فَتَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾.

وقال الكلبي والقتبي: معناه فتَمَّ الله عليم يرى والوجه صلة كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي يريدونه بالدُّعاء، وقوله ﴿كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢). أي إلا هو، وقوله تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾^(٣) أي ويبقى ربّك، وقوله ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهَ اللَّهِ﴾^(٤) أي لله.

وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان: فتَمَّ قبله الله أضافها إلى نفسه تخصيصاً وتفصيلاً، كما يُقال: بيت الله، وناقة الله، والوجه والجهة والوجهة: القبلة.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ قال الكلبي: واسع المغفرة لا يتعاضم مغفرته ذنب ذليله قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾^(٥).

أبو عبيدة: الواسع الغني يُقال: يُعطي فلان من سعة أي من غنى قال الله ﴿لَيَنْفَقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾^(٦) قال الفراء: الواسع الجواد الذي يسع عطاءه كل شيء. دليله قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٧) وقيل: الواسع العالم الذي يسع علمه كل شيء. قال الله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٨) أي علمه.

﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم حيثما صلّوا ودعّوا، وقال بعض السلف: دخلت ديراً فجاء وقت الصلوة فقلت لبعض من في الدّير: دلّني على بقعة طاهرة أصلي فيها. فقال لي: طهر قلبك عمّن سواه، وقف حيث شئت. قال: فخجلت منه.

(٥) سورة النجم: ٣٢.

(١) سورة غافر: ٦٠.

(٦) سورة الطلاق: ٧.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٧) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٣) سورة الرحمن: ٢٧.

(٨) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٤) سورة الإنسان: ٩.

﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ نزلت في يهود أهل المدينة حيث قالوا: عُزيراً بن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح بن الله وفي مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله. (سبحانه) نَزَّه وعظم نفسه.

﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ عبيداً وملكاً.

﴿كل له قانتون﴾ مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون دليله قوله تعالى ﴿والقانتين والقانتات﴾^(١).

عكرمة ومقاتل ويمان: مقرون بالعبودية.

ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت: القيام، وسُئِلَ رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» [١٠١]^(٢)، وقيل: مصلون دليله قوله ﴿أمن هو قانت أثناء الليل﴾^(٣) وقال رسول الله ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله مثل القانت الصائم» [١٠٢]. أي المُصَلِّي^(٤).

وقيل: داعون. دليله قوله تعالى ﴿قوموا لله قانتين﴾^(٥) واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال بعضهم: هو خاص، ثمَّ سلكوا في تخصيصه طريقين: أحدهما هو راجع إلى عُزير والمسيح والملائكة، وهو قول مقاتل ويمان.

القول الثاني قالوا: هو راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين وهذا قول ابن عباس والفراء، وقال بعضهم: هو عام في جميع الخلق ثمَّ سلكوا في الكفار الجاحدين طريقتين أحدهما: إنَّ ظلالهم تسجد لله وتطيعه، وهذا قول مجاهد دليله قوله عزَّ وجلَّ ﴿يتفيثوا ظلاله عن اليمين﴾^(٦) الآية. قال الله تعالى ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾^(٧).

والثاني: هذا يوم القيامة قاله السدي وتصديقه قوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾^(٨).

﴿بديع السموات والأرض﴾ أي مبتدعها ومنشؤها من غير مثال سبق ﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي بيده وأراد خلقه وأصل القضاء إتمام الشيء وإحكامه.

قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أوصنع السوابغ تبّع

(١) سورة الأحزاب: ٣٥. (٢) مسند أحمد: ٣/٣٠٢، وسنن الدارمي: ٢٣٩/١ ح ٣٨٥.

(٣) سورة الزمر: ٩. (٤) مسند أحمد: ٢/٤٣٨، ومجمع الزوائد: ٥/٢٧٥.

(٥) سورة البقرة: ٢٣٨. (٦) سورة النحل: ٤٨.

(٧) سورة الرعد: ١٥. (٨) سورة طه: ١١١.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغِلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّىٰ تَلَاثْنِيَهُ أُنْزِلَتْكَ الْيُحُسُوبَةُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَتَنَبَّأُ بِإِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ يعني اليهود قاله ابن عباس.

مجاهد: هم النصاري. قتادة: هم مشركو العرب. ﴿لولا﴾ هاء ﴿يكلّمنا الله﴾ عياناً بأنك رسوله.

﴿أو تأتينا آية﴾ دلالة وعلامة على صدقك.

قال الله تعالى: ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ أي كفّار الأمم الخالية ﴿مثل قولهم تشابهت قلوبهم﴾ أشبه بعضها بعضاً في الكفر والفرقة والقسوة.

﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ ﴿إنا أرسلناك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ بالصدق من قولهم فلان محق في دعواه إذا كان صادقاً دليلاً قوله تعالى ﴿ويستنبئونك﴾^(١) أحقّ هو؟ أي صدق. مقاتل: معناه لن نرسلك عبثاً بغير شيء بل أرسلناك بالحق، دليلاً قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾^(٢) وهو ضد الباطل.

ابن عباس: بالقرآن دليلاً قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾^(٣).

ابن كيسان: بالاسلام دليلاً قوله عز وجل: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾^(٤) ﴿بشيراً﴾ مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم.

﴿ونذيراً﴾ منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم.

﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ عطاء وابن عباس: وذلك إنّ النبي ﷺ، قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي» [١٠٣] فتزلت هذه الآية^(٥).

(١) سورة يونس: ٥٣. (٢) سورة الأحقاف: ٣.

(٣) سورة ق: ٥. (٤) سورة الإسراء: ٨١.

(٥) تفسير القرآن لعبد الرزاق: ٥٩/١، وتفسير الطبري: ٧١٩/١.

وقال مقاتل: هو إنّ النبي ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لأمنوا» [١٠٤]^(١). فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ وفيه قراءتان: بالجزم على النهي وهي قراءة نافع وشيبة والأعرج ويعقوب ووجهها القول الأول في سبب نزول الآية.

وقرأ الباقر: بالرفع على النفي يعني: ولست بمسؤول عنهم دليلها قراءة ابن مسعود: ولن تسأل وقراءة أبي: وما نسألك عن أصحاب الجحيم ولا تؤخذ بذنبهم والجحيم وهو الجحيم والجحمة: معظم النار.

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ وذلك إنهم كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه ويرون أنّه إن هادنهم إتبعوه ووافقوه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس: هذا في القبله وذلك إنّ يهود أهل المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم فلما صرف الله القبله إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع﴾ دينهم وقبلتهم، وزعم الزجاج: إنّ الملة مأخوذة من التأثير في الشيء كما تؤثر الملة في الموضع الذي يختبئ فيه.

﴿ولئن أتبت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ البيان بأنّ دين الله هو الإسلام وقبله إبراهيم ﷺ هي الكعبة.

﴿مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ قال ابن عباس: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكانوا أربعين رجلاً وإثنا وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا.

وقال الضحاك: من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه وسعيّة بن عمرو ويمام بن يهودا وأسيد وأسد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن سوريا.

قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ.

وقيل: هم المؤمنون عامّة.

﴿يتلون حقّ تلاوته﴾ الكلبي: يصفونه في كتبهم حقّ صفته لمن سألهم من الناس وعلى هذا القول الهاء راجعة إلى محمد ﷺ.

وقال آخرون: هي عائدة إلى الكتاب ثمّ اختلفوا في معنى قوله ﴿يتلون حقّ تلاوته﴾ سعيد عن قتادة قال: بلغنا عن ابن مسعود في قوله ﴿يتلون حقّ تلاوته﴾ قال: يحلّون حلاله ويحرمون حرامه، ويقرأونه كما أنزل، ولا يحرفونه عن مواضعه، وقال الحسن: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون علم ما أشكل عليهم منه إلى عالمه.

(١) أسباب النزول للواحد: ٢٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ١/١٢١، وراجع تفسير القرطبي: ٩٢/٢.

مجاهد: يتبعونه حق اتباعه.

﴿أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون * يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأتي فضلكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ إلى قوله ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه﴾.

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِن أَمْنٍ مِّنْهُم بِأَلْفٍ مِّنْهُم بِاللَّهِ وَالْقَوْمِ الْأَخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَفِيهِ الصِّيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَانْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

قرأ أبو الشعثا جابر بن زيد: ﴿إبراهيم﴾ ربه إبراهيم رفعا وربه نصباً على معنى سأل ودعا فقبل له ومن اين لك هذا؟ فقال: أقرانيه ابن عباس. وهذا غير قوي لأجل الباء في قوله ﴿بكلمات﴾ وقرأ الباقر بالنصب، وجعلوا معنى الابتلاء الاختيار والامتحان في الأمر، وهو الصحيح، وفي ﴿إبراهيم﴾ أربع لغات: قرأ ابن الزبير: ابرهام بألف واحد بين الهاء والميم، وقرأ أبو بكر إبراهيم وكان زيد بن عمر يقول في صلاته: إني عدت بما عاذ به إبراهيم، إذ قال: إني لك اللهم عان راغم^(١)

وقرأ عبد الله بن عامر اليحصبي: ابراهام بألفين، وقرأ الباقر: إبراهيم... قال يحيى بن سعيد^(٢) الأنصاري: أقرأ ابراهام وإبراهيم. فإن الله عز وجل أنزلهما كما أنزل يعقوب وإسرائيل، وعيسى والمسيح ومحمد وأحمد.

الربيع ابن عامر: مصحفه مكتوب في مصاحف أهل الشام إبراهيم بالألف وفي غيرها بالياء.

وإبراهيم إسم أعجمي ولذلك لا يجري وهو إبراهيم بن نازح بن ناحور بن ساروخ بن ارخوا بن فالغ بن منابر بن الشالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح. فاختلفوا في مسكنه، فقال بعضهم: كان [بكشكر]^(٣) وقال قوم: حران؛ ولكن أباه نقله إلى بابل أرض نمرود بن كنعان

(١) ومطلعه: مستقبل القبله وهو قائم. (٢) مجموعة كلمات سقط في المخطوط.

(٣) كذا في المخطوط.

واختلفوا في الكلمات التي ابتلى إبراهيم عليه السلام:

عن ابن عباس: هي ثلاثون سهماً، وهي شرائع الإسلام، ولم يبتل أحد بهذا الدين كله فأقامه كله إلا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام).

﴿فأتمهن﴾ فكتب له البراءة. فقال: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ وهي عشرة في براءة ﴿التائبون العابدون﴾ الآية وعشرة في الأحزاب ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية، وعشرة في المؤمنين ﴿وسأل سائل﴾ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾، وقوله ﴿إلا المصلين﴾.

وروى طاووس عن ابن عباس قال: ابتلاه بعشرة أشياء هي من الفطرة والظاهرة خمس في الرأس وخمس في الجسد فالتى في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، والتي في الجسد: تقليم الأظافر ونتف الأبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء.

مجاهد: هي الآيات التي في قوله: ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً﴾ إلى آخر القصة.

الربيع وقتادة: مناسك الحج.

الحسن: ابتلاه بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن في ذلك وعلم أن ربه دائم لا يزول وابتلاه بالنار فصبر على ذلك، وابتلاه بذبح ابنه فصبر على ذلك وبالختان فصبر على ذلك وبالهجرة فصبر عليه.

سعيد بن جبیر: هي قول إبراهيم وإسماعيل حين يرفعان البيت ﴿ربنا تقبل منا﴾^(١) فرفعا بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

يمان: هي حاجة قومه قال الله: ﴿وحاجه قومه﴾ إلى قوله تعالى ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾^(٢).

أبو روق: هي قوله ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ الآيات

وقال بعضهم: هي إن الله ابتلاه في ماله وولده ونفسه فسلم ماله إلى الضيفان، وولده إلى القربان، ونفسه إلى النيران، وقلبه إلى الرحمن فاتخذة خليلاً، وقيل: هي سهام الإسلام وهي عشرة: شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة والصلاة وهي القنطرة. قال: [والزكاة]^(٣) وهي الطهارة والصوم وهو الجنة والحج وهو الشريعة، والغزو وهو النصرة، والطاعة وهي العصمة، والجماعة وهي الألفة، والأمر بالمعروف وهو الوفاء والنهي عن المنكر وهو الحجة. فأتمهن. قال قتادة: أذاهن.

(٢) سورة الأنعام: ٨٣.

(١) سورة البقرة: ١٢٧.

(٣) كلمة غير مقروءة والظاهر ما أثبتناه.

الربيع: وفي بهن.

الضّحّاك: [...] أيّمانهن^(١)، يمان: عمل بهن. قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ يا إبراهيم ﴿لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ليقندي بك وأصله من الأم وهو القصد.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ومن أولادي أيضاً. فاجعل أئمة يُقندي بهم وأصل الذرية الأولاد الصغار مشتق من الذر لكثرتة، وقيل: من الذرر وهو الخلق فخفف الهمز وأدخل التشديد عوضاً عن الهمز كالبرية.

قيل: من الذرو وفيها ثلاث لغات:

ذرية بكسر الذال، وهي قراءة زيد بن ثابت، وذرية بفتحها وهي قراءة أبي جعفر، وذرية بضمها وهي قراءة العامة.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿لَا يَنَالُ﴾ أي لا يصيب.

﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وفيه ثلاث قراءات: عهدي الظالمون، وهي قراءة ابن مسعود وطلحة ابن مصرف، وعهدي الظالمين مرتجلة الياء، وهي قراءة أبي رجاء والأعمش وحمزة، وعهدي الظالمين بفتح الياء وهي قراءة العامة، واختلفوا في هذا العهد فقال عطاء بن أبي رباح: رحمتي.

الضّحّاك: طاعتي دليله قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِي بِعَهْدِكُمْ﴾^(٢).

السّدي: [التوفي] دليله قوله ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾^(٣).

مجاهد: ليس الظالم أن يطاع في ظلمه.

أبو حذيفة: أمانتي دليله قوله ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾^(٤).

أبو عبيد: أمانتي دليله قوله: ﴿فَاتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ﴾^(٥)، وقيل: إيماني دليله عز وجل ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٦).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ يعني الكعبة.

﴿مَثَابَةً﴾ مرجعاً والمثاب والمثابة واحد كالمقام والمقامة قال ابن عباس: يعني معاذاً وملجأً.

مجاهد وسعيد بن جبير والضّحّاك: [يَتَّبِعُونَ] إليه من كلّ جانب ويحجّون ولا يملّون منه فما من أحد قصده إلاّ وهو يتمنى العود إليه.

(٢) سورة البقرة: ٤٠.

(٤) سورة النحل: ٩١.

(٦) سورة يس: ٦٠.

(١) كلمة غير مقروءة.

(٣) سورة البقرة: ٢٧.

(٥) سورة التوبة: ٤.

قتادة وعكرمة: مجعاً، وقرأ طلحة بن مصرف: ماثبات على الجمع.

﴿لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ مَأْمَنًا يَأْمَنُونَ فِيهِ.

قال ابن عباس: فمن أحدث حدثاً خارج الحرم ثم التجأ إلى الحرم أمن من أن يهاج فيه ولكن لا يؤوى ولا يخالط ولا يبايع ويوكل به فاذا خرج منه أقيم عليه الحد ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحد فيه.

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قرأ شيبه وابن عامر ونافع والأعرج والحسن وابن أبي إسحاق وسلام: واتخذوا بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون: بالكسر على الأمر.

قال ابن كيسان: ذكروا أن رسول الله ﷺ مرَّ بالمقام ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: «بلى» قال: أفلا نتخذة مصلى؟ قال: «لم أؤمر بذلك» [١٠٥] ^(١).

فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وعن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقني ربي في ثلاث. قلت: لو أتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت يا رسول الله: يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين فأنزل الله آية الحجاب قال: وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستنفرنتهن فجعلت أقول لهن: لتكفن عن رسول الله أو استبدلته أزواجاً خيراً منك حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين.

وقالت أم سلمة: يا عمر أما في رسول الله ما يغبط نساءه حتى يعظهن مثلك وأمسكت فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ أَنْ يَبَدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ﴾ ^(٢) الآية.

واختلفوا في معنى قوله ﴿مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم. يمان: المسجد كله مقام إبراهيم.

قتادة ومقاتل والسدي: هو الصلاة عند مقام إبراهيم أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله.

وأما قصته وبدء أمره.

فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة ولبت على ذلك مدة، ونزلها الجوهميون وتزوج إسماعيل امرأة منهم، ومات هاجر. فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل. فقدم إبراهيم وقد مات هاجر

(١) مسند أبي الجعد: ٣٧، تفسير ابن كثير: ١٧٤/١.

(٢) سورة التحريم: ٥.

فذهب إلى بيت إسماعيل. فقال لامرأته: أين صاحبك؟

قال: ليس هاهنا. ذهب للصيّد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع. فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي ولا عندي أحد.

قال إبراهيم: إذا جاء زوجك فأقرئيه السّلام، وقولي له: فليغير عتبة بابه، وذهب إبراهيم، فجاء إسماعيل ووجد ريح أبيه. فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟

قالت: جاءني شيخ صفته كذا، كالمستخفة بصفته. قال: فما قال لك؟

قالت: قال لي أقرئي زوجك مني السّلام، وقولي له: فليغير عتبة بابه. فطَلَقَهَا، وتزوج أخرى. فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، وجاء إبراهيم حتّى أتى إلى بيت إسماعيل.

فقال إبراهيم لامرأته: أين صاحبك؟

قالت: ذهب يتصيّد وهو يجيء الآن إنشاء الله فأنزل يرحمك الله.

قال لها: هل عندك ضيافة؟

قالت: نعم فجاءت باللّبن واللّحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أرض الله برّاً وشعيراً وتمراً وقالت له: إنزل حتّى أغسل رأسك فلم ينزل فجاء بالمقام فوضعت تحت شقه الأيمن فوضع قدمه عليه وغسلت شقّ رأسه الأيمن ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر فبقى أثر قدمه عليه فغسلت شقّ رأسه الأيسر فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئه السّلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك. فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن النّاس شبهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها: ذلك إبراهيم عليه السلام ^(١).

وقال أنس بن مالك: رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير أنّه أذهب مسح النّاس بأيديهم.

نافع بن شيبه يقول: سمعت عبدالله بن عمر يقول: أشهد ثلاث مرّات أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب» [١٠٦] ^(٢).

﴿عهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أي أمرناهما وأوصينا إليهما.

(١) تاريخ الطبري: ١٨١/١ ط. الأعلمي بيروت.

(٢) المجموع للنووي: ٣٦/٨، ومسند أحمد: ٢١٣/٢.

﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ الكعبة أي إبنياه على الطَّهارة والتوحيد.

وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمر وعطاء ومقاتل: طَهَّرَا بَيْتِي من الأوثان والربِّ وقول الزور، وسمع عمر رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال: ما هذا أتدري أين أنت؟

الأوزاعي عن عهدة بن أبي لبابة عن زر بن حبیش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ يَا أَخَ الْمُرْسَلِينَ يَا أَخَا الْمُنْذِرِينَ إِنْذِرْ قَوْمَكَ أَلَّا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بَيْوتِي إِلَّا بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ وَأَلْسِنٍ صَادِقَةٍ وَأَيْدٍ نَقِيَّةٍ وَفُرُوجٍ طَاهِرَةٍ وَلَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بَيْوتِي وَلَا أَحَدٌ عَنْهُمْ مَظْلَمَةٌ فَإِنِّي أَلْعَنُهُ مَا دَامَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيَّ يَصَلِّي حَتَّى يَرُدَّ تِلْكَ الظَّلَامَةَ إِلَى أَهْلِهَا فَأَكُونُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَأَكُونُ بَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ وَيَكُونُ مِنْ أَوْلِيَائِي وَأَصْفِيَائِي وَيَكُونُ جَارِيٍّ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ» [١٠٧] ^(١).

وقال يمان بن رثاب: معناه بخَّراه وخلقه ^(٢).

مكحول عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: «جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ غُلَمَانَكُمْ» ^(٣) - يعني صبيانكم ومجانينكم - وسلَّ سيوفكم ورفع أصواتكم وحدودكم وخصومكم وبيعكم وشراءكم وحمروها يوم جمعتكم واجعلوا على أبوابها بظاهركم» [١٠٨] ^(٤).

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وجعفر وأهل المدينة: (بَيْتِي) بفتح الياء وقرأ الآخرون: باسكانه واضافته تعالى إلى نفسه سبحانه تخصيصاً وتفضيلاً.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ حوله وهم النزاح إليه من آفاق الأرض. ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ أي المقيمين فيه وهم سَكَّانُ الْحَرَمِ. ﴿وَالرَّكَّعَ﴾ جمع الرَّاكِعِ. ﴿السَّجُودَ﴾ جمع السَّاجِدِ مثل قاعد وقعود.

قال عطاء: إذا كان طائفاً فهو من الطائفين وإذا كان جالساً فهو من العاكفين وإذا كان مصلياً فهو من الركَّع السجود.

الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَشْرِينَ وَمِائَةً رَحْمَةً يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَسْتَوْنَ لِلطَّائِفِينَ وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ وَعَشْرُونَ لِلنَّاطِرِينَ» [١٠٩] ^(٥).

(١) كنز العمال: ٩٣٣/١٥، وتفسير القرطبي: ١١٥/٢.

(٢) راجع تفسير القرطبي: ١١٤ / ٢.

(٣) في المصادر لا يوجد غلمانكم وما هو موجود: جنبا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم...

(٤) المجموع للنووي: ١٣٢/٢٠، وسنن ابن ماجه: ٢٤٧/١ ح ٧٥٠ ز

(٥) تاريخ دمشق: ٣٨٨/٣٤.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ يعني مكة أو الحرم.

﴿بِلَدٍّ آمِنًا﴾ أي مأموناً فيه يأمن أهله.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال الأخفش: من آمن بدل من أهله على البيان، كما يُقال: أخذت المال ثلثيه ورأيت القوم ناساً منهم، وهذا ابدال البعض من الكل كقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١).

﴿قَالَ﴾ الله. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا﴾ فسأرزقه آلى منتهى أجله لأنه تعالى وعد الرزق للخلق كافة كافرهم ومؤمنهم وقيد بالقلة لأن متاع الدنيا قليل. قرأ معاوية وابن عامر: فامتعه بضم الألف وجزم الميم خفيفة، وقرأ أبي: فامتعه قليلاً ثم نظطره بالنون.

﴿ثُمَّ اضْطَرَّهُ﴾ موصولة الألف مفتوحة الرائ على عهد الدعاء من إبراهيم ﷺ، وقرأ الباقر: فامتعه بضم الألف مشددة ثم اضطره على الخبر أي الجنة في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع تصير إليه.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ روى الرواة من أسانيد مختلفة في بناء الكعبة جمعت حديثهم ونسقته ليكون أحسن في المنطق وأقرب إلى الفهم.

قالوا: خلق الله عز وجل موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، فكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها. فلما أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض كان رأسه يمس السّماء حتى صلع وأورث أولاده الصّلع ونفرت من طوله دواب الأرض فصارت وحشاً من يومئذ، وكان يسمع كلام أهل السّماء ودُعاءهم وتسييحهم، يأنس إليهم فهابته الملائكة واشتكت نفسه. فنقصه الله عز وجل إلى ستين ذراعاً بذراعه. فلما فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسييحهم استوحش، وشكا ذلك إلى الله عز وجل. فأنزل الله ياقوته من يواقيت الجنة. الكلام مقطوع له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فأنزل الله فيه قناديل من الجنة. فوضعه على موضع البيت إلى الآن ثم قال: يا آدم إني أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلّي عنده كما يصلّي عند عرشي.

فأنزل عليه الحجر. فمسح به دموعه وكان أبيض فلما لمستّه الحِيض في الجاهلية أسود.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْحَجَرُ يَاقُوتَةٌ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ وَلَوْلَا مَا مَسَّهُ الْمَشْرُكُونَ بِأَنْجَاسِهِمْ مَا مَسَّهُ ذُو عَاهَةٍ إِلَّا شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى» [١١٠]^(٢).

فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً وقِيض^(٣) الله له ملكاً يدلّه على البيت.

(٢) في هامش المخطوطة: قِيض: تقدير.

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) بتفاوت في الجامع الصغير: ٥٨٧/١ ح ٣٨٠٣، والعهد المحمدية: ٢٢٤.

قال لمجاهد: يا أبا الحجاج ألا كان يركب؟

قال: فأى شيء كان يحمله فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام وكلّ موضع وضع عليه قدمه عمران وما تعدّاه مفاوز وقفار فأتى مكة وحجّ البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقّته الملائكة فقالوا: برّحك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

قال ابن عباس: حجّ آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجله فهذا بدء أمر الكعبة فكانت على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وبعث الله جبرائيل حتّى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة عن الغرق فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام ثم إنّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت له يعبد ويذكر فيه فلم يدر إبراهيم أين خبيء فسأل الله تعالى أن يبيّن له موضعه فبعث الله إليه السكينة ليدلّه على موضع البيت وهي ريح جموح لها رأسان شبه الحيّة فتبعها إبراهيم إلى أن أتيا مكة فطوّق الله السكينة على موضع البيت كتطويق الحيّة الحجفة وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبناه وهذا قول علي والحسن بن أبي الحسن، وقال ابن عباس: بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلمات إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت، ونودي: أن يا إبراهيم ابني على ظلّها لا يزد ولا تنقص فبنى بخيالها.

وقال بعضهم: أرسل الله جبرائيل ليدلّه على موضع فذلك قوله ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^(١) فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، جعل إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجارة.

قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن أحمد القطان البلخي وكان عالماً بالقرآن يقول: كان إبراهيم يفهم بالسريانية وإسماعيل بالعربية وكلّ واحد منهما يعرف ما يقول صديقه وما يمكن التفوّه به وكان إبراهيم يقول لإسماعيل: هبلي كنيا يعني: ناولني الحجر، ويقول إسماعيل: هاك الحجر خذه.

قالوا: فبقي موضع الحجر فذهب إسماعيل إليه فجاء جبرئيل بحجر من السماء فأتى إسماعيل وقد ركب إبراهيم الحجر في موضعه فقال له: من آتاك بهذا؟

فقال: آتاني به من لم يتكلّ على بناءك فأقاما البيت فذلك قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(٢).

قال ابن عباس: يعني أصول البيت التي كانت قبل ذلك.

(١) سورة الحج: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ١٢٧.

الكلبي وأبو عبيدة: أساسه واحدته قاعدة فبنياه من خمسة أجبل طور سيناء [...] وطور سينا والجودي^(١) وبنيا قواعده من حرّاء، فلّما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل: جثني بحجر حسن يكون للناس علماً فأتاه بحجر فقال له: جثني بحجر أحسن من هذا، فمضى إسماعيل بطلبه فصاح أبو قبيس^(٢) يا إبراهيم إنّ لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود ووضعه مكانه.

وقيل: إنّ الله تعالى مدّ لإبراهيم وإسماعيل سبعة أملاك يعينونهما على بناء البيت فلّما فرغا من بنائه قالوا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ﴾ أي تقبل مِنّا بناءنا البيت. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾ موخّدين مطيعين مخلصين ﴿لَكَ﴾.

وقرأ عون بن أبي جميلة: مسلمين بكسر الميم على الجمع.

﴿وَمَنْ ذَرَيْتُنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ وَأَرْنَا﴾ علمنا نظيره قوله ﴿لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ أي: علّمك الله وفيه أربع قراءات:

عبد الله بن مسعود: وأرهم مناسكهم رده إلى الأمة.

وقرأ عمر بن عبدالعزيز وقتادة وابن كثير ورويس بسكون الرّاء كل القرآن.

وقرأ أبو عمرو: باختلاس كسره للواو.

وقرأ الباقون: بكسر الرّاء والأصل فيها أَرَانَا بالهمز فحذفت استخفافاً.

فمن قرأ بالجزم قال: ذهبت الهمزة وذهبت حركتها وبقيت الرّاء ساكنة على حالها واستدل بقول السدي: أَرْنَا أداة عبدالله نملأها من ماء زمزم إنّ القوم قد ظمّوا.

ومن كسر فأنّه نقل حركة الهمزة المحذوفة إلى الرّاء.

وأما أبو عمرو فطلب الخفة.

وأخبر القاسم بن سلام عن شجاع بن أبي نصر قال، وكان أميناً صدوقاً: إنّهُ رأى النبي ﷺ في المنام فذكره أشياء من حرف أبي عمرو فلم يردّ عليه إلّا حرفين أحدهما هذا والآخر: ما ننسخ من آية أو ننسأها مهموزة.

﴿مَنَّا سَكَنًا﴾ شرائع ديننا وإعلام حجّتنا.

وقال مجاهد: مذابحنا والنسك: الذّبيحة، وأصل النسك: العبادة يقال للعابد ناسك قال

(١) كلمات غير مقروءة.

(٢) في هامش المخطوطة: وهو جبل بمكة.

الشاعر:

وقد كنت مستوراً كثير تنسك فتهتكت أستاري ولم يبق لي نسكاً
فأجاب الله دعاءهما وبعث جبرئيل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال
لإبراهيم: عرفت يا إبراهيم؟

قال: نعم فسَمي الوقت عرفة والموضع عرفات.

﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ تجاوز عنا وارجع علينا بالرفقة والرحمة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ﴾ المتجاوز الرجاء بالرحمة على عبادك. ﴿الرَّحِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل.

وقيل: في أهل مكة ﴿رَسُولاً﴾ أي مرسلأ وهو فعول من الرسالة.

وقال ابن الأنباري: يشبه أن يكون أصله من قولهم ناقة مرسال ورساله إذا كانت سهلة السير ماضية أمام النواق.

ويقال للجماعة المهملة المرسلة: رسل وجمعه أرسال.

ويقال: جاء القوم ارسالاً أي: بعضهم في أثر بعض، ومنه قيل للبن رُسلأ لأنه يرسل من الضرع^(١).

﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ ﴿عليهم آياتك﴾ كتابك جمع الآية وهي العلامة.

وقيل: الآية جماعة الحروف.

وقال الشيباني: هي قولهم: خرج القوم بما فيهم أي بجماعتهم.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فقال بعضهم: الآية هاهنا الكتاب فنسق عليه خلاف اللفظين كقول الحطيئة:

ألا حبّذا هند وأرض بها هند وهند تفصيل اتى من دونها التأني والبعد مجاهد: يعني الحكمة فهم القرآن.

مقاتل: هي مواظب القرآن وما فيه من الأحكام وبيان الحلال والحرام.

ابن قتيبة: هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهما.

وعن أبي بكر محمد بن الحسن البريدي: كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى

مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم، ومنه قول النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً» [١١١] (١).

وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب: الحكمة كل صواب من القول ورث فعلاً صحيحاً أو حالاً صحيحاً.

يحيى بن معاذ: الحكمة جند من جنود الله يرسلها إلى قلوب العارفين حتى يروّج عنها وهج الدنيا، وقيل: هي وضع الأشياء مواضعها، وقيل: الحكمة والحكم كلما وجب عليك فعله.

قال الشاعر:

قد قلت قولاً لم يعتف قائله الصمت حكم وقليل فاعله
أي واجب العمل بالصمت.

وقيل: هي الشرك والذنوب، وقيل: أخذ زكاة أموالهم.

وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا الأنبياء بالبلاغ، دليله قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ ابن عباس: العزيز الذي لا يوجد مثله، بيانه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٣).

الكلبي: العزيز المنتقم ممن يشاء بيانه قوله ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (٤).

الكسائي: العزيز الغالب بيانه قوله ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾ (٥): أي غلبنني.

وقيل في المثل: من عزيز.

ابن كيسان: العزيز الذي لا يعجزه شيء بيانه قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٦).

المفضل بن سلمة: العزيز المنيع الذي لا تناله الأيدي فلا يردّ له أمر ولا يغلب فيما أراد بيانه قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَاعِلٌ لَمَّا يَرِيدُ﴾ (٧).

(١) كثر العمال: ٨٦٥/٣، ولسان العرب: ١٤١/١٢.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) سورة الشورى: ١١.

(٤) سورة آل عمران: ٤.

(٥) سورة ص: ٢٣.

(٦) فاطر: ٤٤.

(٧) سورة هود: ١٠٧.

وقيل: بمعنى المعزّ فعليل بمعنى مفعول بيانه قوله ﴿وتعزّ من تشاء﴾^(١).

وقيل: هو القوي بيانه قوله ﴿فعرزنا بثالث﴾^(٢) أي قوّينا. فأصل العزّة في اللغة الشدّة يقال تعزز لحم الثاقة إذا اشتدّ ويقال: عزّ عليّ أي شقّ عليّ وأشدت، وأنشد أبو عمرو:

أجد إذا ضمّرت تعزّز لحمها وإذا نشد بتسّعها لا تيسّن

فاستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث فيهم محمّداً سيّد الأنبياء ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إني عبدالله في أم الكتاب لخاتم النبيّن وإنّ آدم لمجدل في طينة»^(٣) وسوف أنبئكم بذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى (عليهما السلام) قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنّه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك ترى أمّهات النبيّن» [١١٢] (٤).

سعيد بن سويد عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلّا من سفه نفسه﴾ الآية.

وذلك إنّ عبد الله بن سلام دعا إبني أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما إنّ الله عزّ وجلّ قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجراً أن يسلم فأنزل الله تعالى:

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّي الْعَلِيِّن ﴿١٣٢﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَنْبِيُّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهُمَا وَحَدًّا وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٤﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُشْغَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَمَعُولُونَ ﴿١٣٥﴾

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلّا من سفه نفسه﴾ أي يترك دينه وشريعته.

يقال: رغب في الشيء إذا أردته ورغبت عنه إذا تركته.

وأصل الرّغبة: رفع الهمة عن الشيء وإليه يقال: رغب فلان في فلان وإليه إذا همّت نفسه إليه، والأصل فيه الكرة فمعنى قوله تعالى ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ أي يرفع همّته عنها ﴿إلّا من سفه نفسه﴾.

(٢) يس: ١٤.

(١) سورة آل عمران: ٢٦.

(٤) بتفاوت في مسند أحمد: ١٢٧/٤، وفتح الباري: ٤٢٦/٦.

(٣) في المصادر: طيته.

قال ابن عباس: حير نفسه.

حيان عن الكلبي: ظلّ من [جهة] نفسه^(١).

أبو روق: عجز رأيه عن نفسه.

يمان: حمق رأيه، ونفسه منصوب في هذه الأقاويل بنزع حرف الصفة.

وقال الفراء: نصب على التفسير، والأصل: سفهت نفسه فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسّرة ليعلم موضع السفه كما يقال: ضقت به ذرعاً معناه: ضاق ذرعي به، ويقال: ألم زيد رأسه ووجع بطنه.

وقال أبو عبيدة: سفه نفسه: أي أوبق نفسه وأهلكها.

هشام وابن كيسان: جهل نفسه.

وحكى المفضل بن سلمة عن بعضهم سفه. حقّر نفسه.

والنفس على هذه الأقوال نصب لوقوع الفعل عليه وهذا كما جاء في الخبر: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» [١١٣]^(٢).

وأصل السفه والسفاهة: الخفة والجهل وضعف الرأي يقال سفه يسفه وسفه يسفه.

«ولقد اصطفيناه» اخترناه «في الدنيا» وأصل الطاء فيه تاء حوّلت طاء لقرب مخرجها ولتطوع اللسان به.

«وإنه في الآخرة لمن الصالحين» الفائزين. قال الزجاج وقال ابن عباس: يعني مع آبائه الأنبياء في الجنة بيانه قوله: خطابه عن يوسف «توفني مسلماً وألحقني بالصالحين»^(٣).

وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها لقد إصطفىناه في الدنيا والآخرة بأنه لمن الصالحين نظيرها في سورة النحل. «إذ قال له ربه أسلم» أي استقم على الإسلام أو أثبت عليه لأنه كان مسلماً كقوله تعالى «فاعلم أنه لا إله إلا الله»^(٤) أي أثبت على علمك.

وقال ابن عباس: إنما قال له ذلك حين ألقي في النار، وعن ابن كيسان: أخلص دينك لله بالتوحيد.

عطاء: أسلم نفسك إلى الله، وفوّض أمورك لله، وقيل: إخضع وإخشع.

(١) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ١٣٢ ونسبه للزجاج.

(٢) مناقب الخوارزمي: ٣٧٥، وفيض القدير: ٦٤/٥ ح ٦٤١٦.

(٣) سورة يوسف: ١٠١. (٤) سورة محمد: ١٩.

﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ ﴿ووصى﴾ في مصحف عبد الله: فوصى، وقال أهل المدينة والشام: وأوصى بالألف، وكذلك هو في مصاحفهم.

قال أبو عبيد: وكذلك رأيت في مصحف عثمان، وقرأ الباقون «ووصى» مشدداً، وهما لغتان، يُقال: أوصيته قد وصيته به إذا أمرته به مثل: أنزل ونزل. قال الله ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾^(١)، وتصديق الأيضاء قوله ﴿يوصيكم الله﴾^(٢)، وقوله ﴿يوصين﴾^(٣)، ودليل التوصية قوله ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾^(٤)، وقوله ﴿فلا يستطيعون توصية﴾^(٥).

الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الأحاد لا إله إلا الله، وقال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم وأن شئت رددتها إلى الوصية.

وقال المفضل: بالطاعة كناية عن غير مذكور، كقوله ﴿حتى توارت بالحجاب﴾^(٦)، وقال طرفة:

على مثلها الحواء إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك عنها وافتدي
أي من الفلاة.

﴿بها إبراهيم بنيه﴾ التمنية: إسماعيل وأمه هاجر القبطية، وإسحاق وأمه سارة، ومدين و... [سراين]^(٧) ونقشان، وآتون، ويشبق، وشوخ، وأمهم جميعاً - قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة.

وقوله تعالى ﴿ويعقوب﴾ وسُمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره فأخذ يعقبه. قاله ابن عباس وقد مضت القصة.

وقيل: سُمي يعقوب لكثرة عقبه، وعن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثَ على أثر ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل» [١١٤] ^(٨).

ومعنى الآية: ووصى بها أيضاً، ويعقوب: بنيه الأثني عشر وهم روفيل أكبر ولده وشمعون ولاوي وهودا وفريالون وسجر ودان ومفتالي وجاد واشرب^(٩) ويوسف وابن يافين.

(١) سورة الطارق: ١٧. (٢) سورة النساء: ١١.

(٣) سورة النساء: ١٢. (٤) سورة العنكبوت: ٨.

(٥) سورة يس: ٥٠.

(٦) سورة ص: ٣٢.

(٧) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٨) كنز العمال: ٤٨٣/١١ ح ٣٢٢٨٠، والبداية والنهاية: ١٨٣/٢.

(٩) في تفسير الطبري (١ / ٧٩٠): لاوي ويهوذا وريالون ويشجر ونفتالي وجاد واشرب ويوسف ويعقوب وشمعون ودان وبنيامين.

﴿يا بني﴾ معناه أن يا بني، وكذلك في قراءة أبي وابن مسعود، وقال الفراء: إنما قال ذلك لأن الوصية قول وكان تقديره وقال: يا بني كقوله ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾^(١) أي وقال لهم لأن العبرة بالقول وقال ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر﴾^(٢) معناه ويقول للذكر مثل حظ الأنثيين.

وقال الشاعر:

إني سأبدي لك فيما أبدي من شجنان شجن نجد وشجن لي ببلاد الهند
أي وأقول لأنّ الابداء في المعنى كالقول باللسان.

وحكى ابن مجاهد عن بعضهم ويعقوب أيضاً نسقاً على بنيه لأنه في جملة الموصين.

﴿إن الله إصطفى لكم الدين﴾ اختار لكم الإسلام.

﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ مؤمنون وقيل: مخلصون وقيل: مفوضون وعن الفضيل ابن عياض في قوله: ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ أي محسنون بربكم الظن.

﴿أم كنتم شهداء﴾ حضوراً.

﴿أذ حضر يعقوب الموت﴾ الآية نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: أأنت تعلم إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية^(٣)؟ وعلى هذا القول [.....]^(٤) بن الخطاب لليهود.

وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران فجمع ولده وخاف عليهم ذلك.

﴿أذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ قال عطاء: إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال: أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل الله ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ أي من بعد موتي.

﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم﴾ الآية، وقرأ أبي: إلهك وإله إبراهيم وإسماعيل.

وقرأ يحيى بن يعمر الجحدري: وإله أهلك على الواحد، قالوا: لأن إسماعيل عم يعقوب لا أبوه.

وقرأ العامة: آبائك على الجمع وقالوا: عم الرجل صنو أبيه.

(١) سورة المائدة: ٩.

(٢) سورة النساء: ١١.

(٣) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ١٣٣.

(٤) كلمة غير مقروءة.

قال النبي ﷺ: «هذا بقية آبائي» [١١٥]، وقال أيضاً: «ردّوا عليّ أبي فأني أخشى أن يفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود» [١١٦]. يعني العباس.

والعرب تسمي العمّ أباً وتسمي الخالة أمّاً قال الله تعالى ﴿ورفع أبويه على العرش﴾^(١) يعني يعقوب وليّا وهي خالة يوسف.

﴿إلهاً واحداً﴾ أي نعرفه ونعبده إلهاً واحداً.

﴿ونحن له مسلمون﴾ ﴿تلك أمة﴾ جماعة ﴿قد خلت لها ما كسبت﴾ من الدين والعمل.

﴿ولكم ما كسبتم﴾ منها.

﴿ولا تُسئلون عَمَّا كانوا يعملون﴾ وإنّما تسألون عَمَّا تعملون أنتم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَّا إِلَهُهُ وَإِبْرَاهِيمَ لَتَتَّبِعْنَاهُ وَإِنْ أَتَيْنَا بِشَيْءٍ وَجْهٍ رَءِيسٍ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَوْفَى الَّذِينَ يَنْتَوُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ كَفَرُوا فَلَا مَآئِدَ لَهُمْ فِي شِقَاقِ نَسَبِكُمْ اللَّهُ لَهُ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْعَلِيمُ ﴿١٢٨﴾

﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤوس يهود أهل

المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن المصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى أهل نجران: السيّد والعاقب وأصحابهما وذلك إنهم خاصموا المسلمين في الدين كلّ فرقة تزعم إنّها أحقّ بدين الله من غيرها فقالت اليهود ديننا خير الأديان ونبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وكفرت بعيسى والأنجيل ومحمّد والقرآن.

وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الأنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمّد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلّا ذلك دعوهم إلى دينهم إلا الحنيفية. فقال الله تعالى: قل يا محمّد ﴿بل ملّة﴾ أي بل نتبع ملّة إبراهيم ﴿وقرأ الأعرج﴾: (بل ملّة) رفعاً على الخبر.

﴿حنيفاً﴾ نصب على القطع. أراد بل ملّة إبراهيم الحنيف فلمّا أسقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة. فانقطع منه فنصب قاله نحاة الكوفة، وقال أهل البصرة: نصب على الحال قال ابن عباس: الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصلها من الحنف وهو ميل وعوج في القدم ومنه سُمّي أحنف بن قيس.

مقاتل: مُخلصاً.

كثير بن زياد قال: سألت الحسن عن الحنيفة فقال: هي حج هذا البيت.

الضحاك: إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن فهو المسلم.

قتادة: من الحنيفة الختان، وترك نكاح الأخت.

﴿وما كان من المشركين﴾ علم المسلمين مجرى التوحيد وطريق الأيمان. فقال ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل إلى إبراهيم﴾ وهو عشر صحف.

﴿واسمعي وإسحق ويعقوب والأسباط﴾ يعني أولاد يعقوب واحد هم سبط. سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة من الناس وسبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين (عليهما السلام) سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط من بني إسرائيل كالقباثل من العرب، والشعوب من العجم.

وعن أبي سعيد الضرير: إن أصل السبط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الأغصان فسمي الأسباط بها لكثرتها. فكما إن الأغصان من شجرة واحدة كذلك الأسباط كانوا من يعقوب، وكان في الأسباط أنبياء، وكذلك قال ﴿وما أنزل إليهم﴾ وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء.

﴿وما أوتي موسى﴾ يعني التوراة.

﴿وعيسى﴾ الانجيل. ﴿وما أوتي﴾ أعطي.

﴿النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى.

﴿ونحن له مسلمون﴾ فلما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ على اليهود والنصارى وقال: «إن الله أمرني بهذا» [١١٧] فلما سمعت اليهود بذكر عيسى أنكروا وكفروا به وكفرت النصارى وقالوا: لأن عيسى ليس بمنزلة سائر الأنبياء ولكنه ابن الله فأنزل الله تعالى ﴿فإن آمنوا﴾ يعني اليهود النصارى.

﴿بمثل ما آمنتكم به﴾ أي بجميع ما آمنتكم كإيمانكم، وقيل مثل صلة أي بما آمنتكم به، وهكذا كان يقرأها ابن عباس ويقول: إقرؤا (فإن آمنوا بما آمنتكم به) فليس لله مثل ونظيره قوله: ﴿وليس كمثله شيء﴾: أي كهو. قال الشاعر:

يا عاذلي دعني من عذلكا مثلي لا يقبل من مثلكا
أي أنا لا أقبل منك.

﴿فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾ قال ابن عباس وعطاء والأخفش: في خلاف يقال: شاق يشاق مشاقّة إذا خالف كان كل واحد أخذ في شقّ غير شقّ صاحبه دليله قوله ﴿لا يجرمكم شقاقي﴾^(١) أي خلافي وأنشد:

فكان إليها والذي إصطاد بكرها شقاقاً وبعضهن أو لطم وأهجرا
وقال ابن سلمة والسدي: في عداوة كان كل واحد منهما أخذ في شقّ صاحبه أي في جهده وما يشق عليه من قوله ﴿إلا بشق الأنفس﴾^(٢) دليله قوله: ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾^(٣) أي عادوا الله ورسوله.

قال بشر بن أبي حازم:

ولاً فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما حيننا في شقاق
أي في عداوة.

مقاتل وابو عبيدة: في ضلال واختلاف بيانه قوله ﴿وإن خفتهم شقاق بينهما﴾^(٤) أي اختلاف بينهما.

قال الشاعر:

إلى كم نقتل العلماء قسراً ونفجر بالشقاق وبالنفاق
أي بالضلال والاختلاف.

الكسائي: هي خلع الطاعة بيانه قوله ﴿ومن يشاقق الرسول﴾^(٥).

الحسن: في بعاد وفراق إلى يوم القيامة.

﴿فسيكفيكم الله﴾ يا محمد يعني اليهود والنصارى.

﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم.

﴿العليم﴾ بأحوالهم وكفاهم الله تعالى أمرهم بالقتل والسبي في بني قريظة والجللاء والنفي في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجران محتوى الجزء الأول من كتاب تفسير الثعلبي.

(١) سورة هود: ٨٩.

(٢) سورة النحل: ٧.

(٣) سورة الأنفال: ١٣.

(٤) سورة النساء: ٣٥.

(٥) سورة النساء: ١١٥.

محتوى الجزء الأول من كتاب تفسير الثعلبي

٥	ترجمة الثعلبي
٧	التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
٧٣	مقدمة المصنف
٨٩	تفسير فاتحة الكتاب
٩٢	التفسير وبالله التوفيق
١٠١	في أن التسمية من الفاتحة أو لا ؟
١٠٥	الكلام في جزئية البسملة من باقي السور
١٠٥	حكم الجهر بالبسملة في الصلاة
١٠٩	في إعراب ﴿الحمد لله﴾
١١٤	الفرق بين ملك ومالك
١١٩	الاختلاف في قراءة الصراط
١٢٣	في معنى الغضب
١٢٤	فصل في آمين
١٢٦	فصل في أسماء هذه السورة
١٣٥	سورة البقرة
١٤٢	فصل في التقوى
١٤٥	فصل في الإيمان
١٦٥	القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما
١٧٧	فصل في معنى الخليفة
١٧٩	القول في حد الاسم وأقسامه

طَبَعَ عَلَى مَطَابَعِ
وَلَاةِ عَمَّانَ الشَّرَافِ الْعَرَبِيِّ

الكشف والبيان

المعروف

تفسير الثعلبي

للإمام الهمام أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي
ت ٤٢٧ هـ

دراسة وتحقيق

الإمام أبي محمد بن عاشر

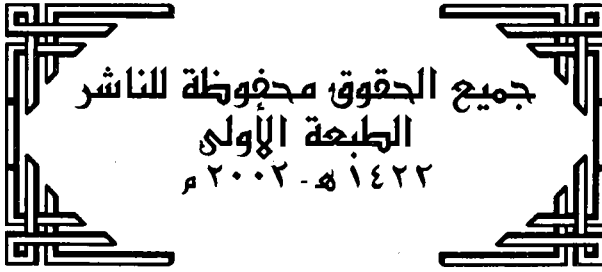
مراجعة وتدقيق

الأستاذ فخر الساعدي

الجزء العاشر

دار الحياة التراث العربي

بيروت - لبنان



DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI

Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ٧٩٥٧/١١

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

الكشف والبيان
المعروف
تفسير الثعلبي

سورة القلم

مَكِّيَّة، وهي اثنان وخمسون آية، وثلاث مائة كلمة،
وَألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً

أخبرنا محمد بن القيم أخبرنا محمد بن طه حَدَّثَنَا إبراهيم بن شريك حَدَّثَنَا أحمد بن عبد الله حَدَّثَنَا سلام بن سليم حَدَّثَنَا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن ابنه عن أبي أمامة بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة نون والقلم أعطاه الله تعالى ثواب الذين حَسَنَ الله أخلاقهم» [١] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لِّكَ يَمْحُورُ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ وَلَئِنْ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ فَسَتَبْصُرُ وَتُبْصِرُونَ ٥

﴿ن﴾ اختلف القراء فيه، فأظهر بعضهم نونه، وأخفاها الآخرون، وقرأ ابن عباس (ن) بكسر النون على إضمار حرف القسم، وقرأ عيسى بن عمر بالفتح على إضمار فَعَلَ، واختلف المفسرون في معناه، فقال مجاهد ومقاتل ومرة الهمداني وعطاء الخراساني والسدي والكلبي: هو الحوت الذي يحمل الأرض، وهي رواية أبي طيسان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن، ثم رفع فخلق الماء فخلق منه السماوات، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهر النون، فتحرّكت النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنّ الجبال لتفخر على الأرض، ثم قرأ ابن عباس: ﴿نون والقلم وما يسطرون﴾ واختلفوا في اسمه:

فقال الكلبي ومقاتل: يهيموت، وقال أبو اليقظان والواقدي وأبو كعب: لوسا، وقال عليّ ابن أبي طالب عليه السلام: يلهوت، وقال الراجز:

ما لي أراكم كلكم سكوتاً والله ربي خالق اليلهوتا (٢)
قالت الرواة: لما خلق الله تعالى الأرض وفتقها بعث الله سبحانه من تحت العرش ملكاً،

(١) مجمع البيان: ٨٢/١٠.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٢٤/١٨ وفيه: البهيموتا.

فهبط إلى الأرض حتّى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه، إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب باسطين قابضتين على الأرضين السبع، حتى ضبطها ولم يكن لقدمه موضع قرار، فأهبط الله تعالى من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر قدماه، فاحدر الله تعالى ياقوته حمراء من أعلى درجة في الفردوس، غلظها مسيرة خمس مائة عام، فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض، ومنخراه في البحر، فهو يتنفس كل يوم نفساً فإذا تنفس مد البحر، وإذا مدّ نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق الله صخرة خضراء كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها، وهي الصخرة التي قال لقمان لأبنيه: ﴿فتكن في صخرة﴾ الآية^(١)، فلم يكن للصخرة مستقر، فخلق الله تعالى نوناً وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرة على ظهره وبسائر جانبه، والحوت على البحر على متن الريح، والريح على القدرة وثقل الدنيا كلّها بما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار: كوني، فكانت.

وقال كعب الأحبار: إنّ إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض كلّها فوسوس إليه، وقال: أتدري ما على ظهرك يا لوتيا من الأمم والدواب والشجر والجمال وغيرها لو نفضتهم ألقيتهم من ظهرك أجمع، قال: فهم لوتيا أن يفعل ذلك، فبعث الله تعالى دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فضج الحوت إلى الله تعالى منها، فأذن لها فخرجت، قال كعب: والذي نفسي بيده لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت.

وقال بعضهم: هي آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس قال: ألر وحـم ونون، حروف الرحمن تبارك وتعالى مقطعة.

وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون: الدواة، وهي رواية ثابت اليماني عن ابن عباس، وقال فيه الشاعر:

إذا ما الشوق يرح بي إليهم ألقى النون بالدمع السجوم
وقال معاوية بن قرة: هو لوح من نور، ورفعته إلى النبي ﷺ^(٢).

وقال ابن زيد: هو قسم أقسم الله تعالى به، ابن كيسان: فاتحة السورة، عطاء: افتتاح اسمه نور وناصر ونصير^(٣) [القرظي]: أقسم الله تعالى بنصرته المؤمنين بيانه قوله: ﴿وكان حقاً

(١) سورة لقمان: ١٦.

(٢) راجع تفسير الطبري: ٢٩/٢١.

(٣) في تفسير القرطبي (١٥ / ٢٨٩): الحاء افتتاح اسمه: حميد وحنّان وحليم وحكيم، والميم افتتاح اسمه: ملك ومجيد ومثّان ومتكبر ومصور.

علينا نصر المؤمنين^(١)، جعفر الصادق: هو نهر في الجنة^(٢).

﴿والقلم﴾ وهو الذي كتب به الذكر، وهو قلم من نور ما بين السماء والأرض ويقال: لما خلق الله تعالى القلم وهو أوّل ما خلقه نظر إليه فانشقّ نصفين، ثم قال: اجر، فقال: يا ربّ بم أجري، فقال: بما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى على اللوح المحفوظ بذلك.

قال عطا: سألت الوليد بن عباد بن الصامت، كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت؟ قال: دعاني فقال: أي بني اتق الله واعلم أنّك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر خيره وشره، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أوّل ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: يا ربّ وما أكتب؟ فقال: اكتب العلم^(٣) وقال: فجرى القلم في تلك الساعة وما هو كائن إلى الأبد» [٢] ^(٤).

وحكي أنّ ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموماً، وقال له: رُوح عني يا بن الزيات، فأنشأ يقول:

اللهم فضل والقضاء غالب وكان الخطّ في اللوح
انتظر الروح وأسبابه أيئس ما كنت في الروح^(٥)

وهل أراد بالقلم الخط والكتابة الذي امنّ الله تعالى على عباده بتعليمه إياهم؟ ذلك كما قال: ﴿علم بالقلم﴾.

وقد أكثر الحكماء والبلغاء في وصف القلم ونفعه فلم أراد إخلال هذا الكتاب عن تدبر فصوصه؟

فقال ابن هيثم: من جلالة القلم أنّه لم يكتب لله تعالى كتاب إلّا به لذلك أقسم الله تعالى به. وقيل: الأقلام مطايا الفطن ورسل الكرام.

وقيل: القلم الظلم الأكبر. وقيل: البيان اثنان: بيان لسان وبيان بنان، وفضل بيان البنان أنّ ما تشبه الأقلام باق على الأيام، وبيان اللسان تدرسه الأعوام.

وقال بعض الحكماء: قوام أمور الدين والدنيا شيثان: القلم والسيف، والسيف تحت العلم وفيه يقول شاعرهم:

(١) سورة الروم: ٤٧.

(٢) زاد المسير: ٨ / ٦٥.

(٣) في المصدر: القدر.

(٤) السنن الكبرى: ٣/٩.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ١٦٥.

له الرقاب ودانت دون حذره الأمام
ما زال يتبع ما يجري به القلم
إن السيوف لها مذ أرهفت خدم^(١)

أمضى من الرمح الطويل الأثيف
ومن المهتد للصقال المرهف^(٢)
يكوي القلوب إذا بدا في الموقف
أنشدني عبد السميع الهاشمي، قال: أنشدني ابن صفون

أمضى وأبلغ من رقيق حُسام
سفكوا الدماء بأسنة الأقالم

ثم استمدّوا بها ماء المنيات
ما لا ينالوا على المشرفيات

أمضى على النائبات من قلمه

نبلاً وناهيك من كفّ به اتّشحا
فما المقادير إلا ما وحى ومحا

وجثمانه صامت أجوف
وبالشام منطقه يُعرف

ويحفي ويقوى عدوه حين يقطع

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت
فالموت والموت لا شيء يغالبه
كذا قضى الله للأقلام مذ بُرئت
وللصنوبري:

قلم من القصب الضعيف الأجوف
ومن النصال إذا بدت لقيتها
وأشدّ إقداماً من الليث الذي
أنشد أبو القيم السدوني، قال: أنشدني عبد السميع الهاشمي، قال: أنشدني ابن صفون
لأبي تمام في معناه:

ولضربة من كاتب في بيانه
قوم إذا عزموا عداوة حاسد
وللبحتري:

قوم إذا أجدوا الأقلام عن غضب
نالوا بها من أعاديهم وأن كثروا
وقال آخر:

ما السيف غضباً يضيء رونقه
ولأبن الرومي:

في كفّه قلم ناهيك من قلم
يمحو ويثبت أرزاق العباد به
قال: وأنشد بعضهم في وصفه:

وأخرس ينطق بالمحكمات
كلّه ينطق في جفنه
والآخر في وصفه:

نحف الشوى بعد ما على أم رأسه

(١) تفسير مجمع البيان: ٨٥/١٠.

(٢) المرهف: النصل الرقيق (لسان العرب ١٢ / ٩٩).

لَجَّ ظلاماً في نهار لسانه
 اخذه وما شجرات نابتات بفقره
 لهن بكاء العاشقين ولونهم
 آخر:

هذا هو البيت الأول للبيتين التاليين.

ينسأ نحدّه الأفراد طرّاً
 بمشيّه حيّة وبلون جان
 قوله: ﴿وما يسطرون﴾ يكتبون، ويجوز أن يكون معناه ويسطرهم يعني السفرة. وقيل:
 جمع الكتبة ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ يعني أنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك
 بالنبوة. وقيل: بعصمة ربك.

وقيل: هو كما يُقال: ما أنت بمجنون والحمد لله. وقيل: معناه ما أنت بمجنون والنعمة
 لربك كقولهم: سبحانه اللهم وبحمدك، أي والحمد لك. وقال لبيد:
 وأفردت في الدنيا بفقد عشيرتي وفارقني جار بأريد نافع^(٢)
 أي: وهو أريد.

وقال النابغة:

لم يحرموا حسن الغداء وأمهم
 أي: وهو ناتق.

﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ غير مقطوع ولا منقوص من قولهم: حبل منين إذا كان غير
 متين.

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم، وقال الحسن: كان خلقه
 آداب القرآن، ونقلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ ورضي عنها فقالت: كان خلقه القرآن.
 وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله، وقال جنيد: سمي خلقه
 عظيماً لأنه لم يكن له همة سوى الله.

وقال الواسطي: لأنه جاد بالكونين عوضاً عن الحق. وقيل: لأنه عاشرهم بخلقهم وزايلهم

(١) كذا في المخطوط.

(٢) تفسير القرطبي: ١٨ / ٢٢٦ مورد الآية.

(٣) تفسير القرطبي: ١٨ / ٢٢٦.

بقلبه، فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق، وأوصى بعض الحكماء رجلاً فقال: عليك بالحق مع الخلق والصدق مع الحق. وقيل: لأنه امتثل بالدنيا لله تعالى إياه بقوله: ﴿خُذْ الْعَفْوَ﴾^(١) الآية. وقيل: عظم له خلقه حيث صغر الألوان في عينه ليعرف لهذه مكونها.

وقيل: سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه تدلّ عليه ما أخبرنا أبو القيم الحسن ابن محمد المفسر، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار، حدّثنا ابن أبي الرما حدّثنا الدراوردي، عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتُمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» [٣] (٢).

وقال: «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي» [٤] (٣).

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي الفرابي جد أبو العباس الأصم، حدّثنا ابن عبد الحكم أخبرنا أبي وشعيب، وأخبرنا الليث عن عمر بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَدْرِكُ بِحَسَنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ» [٥] (٤).

قال: وأخبرنا أحمد بن أبي الفرابي، أخبرنا منصور بن محمد السرخسي، حدّثنا محمد بن أيوب الرازي حدّثنا أبو الوليد حدّثنا شعبة عن القاسم وأبي قرّة قال: سمعت عطاء الكيخاراني عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال النبي ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ» [٦] (٥).

أخبرنا أحمد بن السري العروضي في درب الحاجب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد ابن جعفر العماني، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، حدّثني أبي، حدّثنا علي بن موسى الرضا حدّثنا أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله: «عَلَيْكُمْ بِحَسَنِ الْخُلُقِ فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ فِي الْجَنَّةِ لَا مُحَالَ، وَإِيَّاكُمْ وَسُوءَ الْخُلُقِ فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ فِي النَّارِ لَا مُحَالَ» [٧] (٦).

أخبرنا ابن فنجويه حدّثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدّثنا سمعان عن ابن الجارود

(١) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٢) السنن الكبرى: ١٠/١٩٢.

(٣) الجامع الصغير: ١/٥١.

(٤) مسند أحمد: ٦/٦٤.

(٥) مسند أحمد: ٦/٤٤٦.

(٦) تفسير مجمع البيان: ١٠/٨٧.

حَدَّثَنَا صَالِحٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ الْيَهْرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ ^(١) أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمَوْطُونُ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَأَبْغَضُكُمْ إِلَى اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمَفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَخْوَانِ ^(٢) الْمَلْتَمِسُونَ لِلْبَرَاءِ الْعَنْتِ» [٨] ^(٣).

بِأَيْتِكُمُ الْمُفْتُونُ ⑥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ⑦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ⑧ فَلَا تُطِيعِ الْمَكِيدِينَ ⑨ وَذُرَّا لَوْ تَذَهَبَ فِئْدَهُنَّ ⑩ وَلَا تُطِيعِ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ ⑪ هَئِذَا مَشَاءَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ⑫ لَنُخْرِجَنَّ مِنْكَ مُعْتَدٍ نَجِيبٍ ⑬ نَعْتَلُ بَعْدَ ذَلِكَ رِزْقًا ⑭ أَنْ كَانُوا مَالًا وَنَسِيخًا ⑮ إِذَا تَنَلَّى عَلَيْكَ أَيْنُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ⑯ سَنَسِفُهُمْ عَلَى الْخُرُوطِ ⑰

﴿فستبصر﴾ فسترى يا محمد ﴿ويبصرون﴾ ويرون يعني الذين رموه بالجنون. ﴿بأيكم المفتون﴾ اختلف المفسرون في معنى الآية ووجهها، فقال قوم: معناه بأيكم المجنون، وهو مصدر على وزن المفعول كما يقال: ما لفلان مجنون ومعقود ومعقول أي جلادة وعقد وعقل، قال الشاعر:

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرَكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِفَوَادِهِ مَعْقُولًا ^(٤)
أي عقلا، وهذا معنى قول الضحاك: ورواية العوفي عن ابن عباس.

وقيل: الباء بمعنى في مجازة: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك يا محمد أو في فريقهم.

والمفتون: المجنون الذي فتنه الشيطان. وقيل: تأويله بأيكم المفتون وهو الشيطان، وهذا معنى قول مجاهد.

وقال آخرون: معناه: أيكم المفتون والباء زائدة لقوله تعالى: ﴿تَنبِتُ بِالْذُّهْنِ﴾ ^(٥) و ﴿يشرب بها عباد الله﴾ ^(٦) وهذا قول قتادة والأخفش [وأبي عبيد] ^(٧).

وقال الراجز:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

(١) في المصدر: إليّ.

(٢) في المصدر: الأحبة.

(٣) المعجم الأوسط: ٣٥٠/٧.

(٤) فتح القدير: ٢٦٨/٥.

(٥) سورة المؤمنون: ٢٠.

(٦) سورة الإنسان: ٦.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٢٩/١٨.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ * فلا تطع المكذبين ﴿فِيمَا دَعَاكَ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِمُ الْخَبِيثِ﴾، نزلت في مشركي قريش حين دعوه إلى دين آبائه، ﴿وَدَّوْا لَوْ تَدَّهَنَ فَيَدْهَنُونَ﴾ قال عطية والضحاك: لو تكفر فيكفرون.

وقال ابن عباس: برواية الوالبي لو ترخص فيرخصون، قال الكلبي: لو تلتن لهم فيلننون، الحسن: لو تصانعههم دينك فيصانعون في دينهم، زيد بن مسلم: لو تنافق وترائي فيناقفون، أبان ابن تغلب: لو تحابهم فيحابوك، وقال العوفي: لو تكذب فيكذبون، عوف عن الحسن: لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم، ابن كيسان: لو تقاربهم فيقاربوك.

﴿وَلَا تَطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل يعني: الوليد بن المغيرة وقيل: الأسود بن عبد يغوث، وقيل: الأخفش بن شديق. ﴿مُهِينٍ﴾ ضعيف حقير.

وقال ابن عباس: كذاب وهو قرين منه؛ لأنَّ الرجل إنما يكذب لمهانة نفسه عليه. وقال قتادة: المكثار في الشر. ﴿هَمَّازٍ﴾ مغتاب يأكل لحوم الناس. وقال الحسن: هو الذي يعيب ناحية في المجلس لقوله: همزة. ﴿مُشَاءً بَنِمِيمٍ﴾ قتادة: يسعى بالنميمة يفسد بين الناس.

﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ قال ابن عباس: يعني للإسلام يمنع ولده وعشيرته من الإسلام ويقول: لأن دخل واحد منكم في دين محمد لا انفعه بشيء أبداً. وقال الآخرون: يعني بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق.

﴿مَعْتَدٌ﴾ غشوم ظلوم. ﴿أَنِيمٌ﴾ فاجر.

﴿عَتَلٌ﴾ قال ابن عباس: العتل: الفاتك الشديد المنافق. وقال عبيد بن عمير: العتل الأكل الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعره، يدفع الملك من أولئك سبعين ألف دفعة.

وقال عليّ والحسن: العتل: الفاحش الخلق السيئ الخلق. وقال يمان: هو الجافي القاسي اللثيم العشرة. وقال مقاتل: الضخم. وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكلّ شديد عند العرب عتل وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي مع ذلك ﴿زَنِيمٌ﴾ وهو الدعي الملحق النسب الملتصق بالقوم وليس منهم. قال الشاعر:

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ^(١)
وقال حسان بن ثابت:

وأنت دعي نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد^(١)
وقال آخر:

زنيم ليس يعرف مَنْ أبوه بغبي الام ذو حسب لئيم^(٢)
فقال مرة الهمداني: إنما ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، هذا قول أكثر المفسرين.
وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: الزنيم: الذي لا أصل له. وقيل: هو الذي له زنمة كزنمة الشاة.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: في هذه الآية الكريمة نعت فلم يعرف حتّى قيل زنيم
فعرف، وكانت له زنمه في عنقه يعرف بها. وقال عكرمة: الزنيم: المعروف [بلؤمه] كما تعرف
الشاة بزنمتها. وقال الشعبي: هو الذي له علامة في [الشر] تعرف كما تعرف الشاة بزنمتها.
وقال القرطبي وسعيد بن جبير و[عكرمة]: هو الكافر الهجين المعروف بالشرّ المريب^(٣).
وقال الوالي عن ابن عباس: الزنيم: الظلوم.

أخبرنا أبو عبد الله ابن فنجويه حدّثنا أبو بكر بن مالك القطيفي حدّثنا عبد الله بن أحمد
ابن حنبل حدّثني أبي حدّثنا وكيع حدّثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن
عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتلّ الزنيم فقال: «هو الشديد الخُلُق المصحح الأكل
الشروب الواجد للطعام والشروب الظلوم للناس رحيب الجوف» [٩]^(٤).

أخبرنا ابن فنجويه حدّثنا محمد بن الحسن بن عليّ القطيفي حدّثنا أحمد بن عبد الله بن
رزين العقيلي حدّثنا صفوان بن صالح حدّثنا الوليد بن مسلم حدّثني أبو شيّة إبراهيم بن عثمان
عن عثمان بن عمير عن شهر بن حوشب عن سداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل
الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل ولا زنيم» قال: قلت: فما الجواظ؟

قال: «كلّ جمّاع منّاع».

قلت: فما الجعظوي؟

قال: «الفظ الغليظ».

قلت: فما العتل الزنيم؟

(١) لسان العرب: ٤٢٠/٧.

(٢) جامع البيان للطبري: ٣٢/٢٩.

(٣) راجع تفسير القرطبي: ١٨ / ٢٣٤.

(٤) مجمع الزوائد: ١٢٨/٧.

قال: «كلّ رحب الجوف بثر الحلق أكل شروب غشوم ظلوم» [١٠] (١).

أخبرنا ابن فنجويه حدّثنا ابن حبش المقرئ حدّثنا ابن زنجويه حدّثنا سلمة حدّثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿زَنِيمٌ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «تبكي السماء من رجل أصبح الله جسمه وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا مقضماً - في المصدر بعضاً - فكان للناس ظلوماً، فذلك العتل الزنيم، قال: وتبكي السماء من الشيخ الزاني ما تكاد الأرض تقله» [١١] (٢).

وروي الثمالي عن مجاهد في الزنيم قال: كانت له ست أصابع في يده في كل إبهام له أصبع زائدة. وأكثر العلماء على أن الزنيم الدعي الشرير، وقد ورد في هذا الباب أخبار غرائب نذكر من بعضها وبالله التوفيق:

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين بن عبد الله المقرئ حدّثنا محمد بن الحسن بن بشير حدّثنا ابن خوصا، أخبرنا ابن خنيق حدّثنا يوسف بن أسباط عن أبي إسرائيل الملائي، عن فضيل ابن عمر والفقي عن مجاهد عن ابن عمر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة ولد زنى ولا ولده ولا ولد ولده» [١٢] (٣).

أخبرنا الحسين بن محمد حدّثنا محمد بن الحسن بن بشر، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الطواسعي، حدّثنا أبو بدر عباد بن الوليد حدّثنا حيّان بن هلاك حدّثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد بن عياض عن عيسى بن حطان عن عبد الله بن عمر أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ أولاد الزنى يُحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير» [١٣] (٤).

أخبرنا الحسن بن محمد، حدّثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الرازي، حدّثنا سلمة بن الفضل حدّثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي رافع عن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال أمّتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى فإذا فشا فيهم ولد الزنى فيوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب» [١٤] (٥).

أخبرنا الحسن بن محمد حدّثنا الفضل بن الفضل الكندي حدّثنا إبراهيم بن الحسن الآدمي حدّثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي حدّثنا سعيد بن أوس حدّثنا أبو الأشهب - هو العطاردي - قال: سمعت عكرمة يقول: إذا كثر أولاد الزنى قلّ المطر.

(١) تفسير القرطبي: ٢٣٣/١٨ بتفاوت.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٣٤/١٨.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٣٤/١٨.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٣٤/١٨.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٣٤/١٨.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب ﴿أَنْ﴾ بالمد واختاره أبو حاتم وقرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر ﴿أَنْ﴾ بهمزتين، وغيرهم بالجرّ.

فمن قرأ بالاستفهام فله وجهان: أحدهما: الآن كان ذا مال وبنين ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾، والآخر: الآن كان ذا مال وبنين تطيعه. ومن قرأ على الخبر فمعناه: فلا تطع لأيّ كان.

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَتَوْا لِيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿١٨﴾ قَطَّافٌ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اقْدُوا عَلَيْنَا حَرْبَ لِّكُمُ مَّدِينٍ ﴿٢٢﴾ فَأَتَقَلَّصُوا وَهُمْ يَكْهَنُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مَّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حَرٍِّ قَدِيدٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُا قَالَوَا إِنَّا لَمَصَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلُو أَفَلْ لَّكُم مَّا لَا تَشْعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَوَا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنَهُ ﴿٣٠﴾ قَالَوَا يَبْرَأْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَا حَزْبَهُمَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَلَّآ الْآخِرَةُ أَكْثَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَنَّتِ الْتَعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُتَشَبِهِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَّكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَّكُم كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِذْ لَّكُم فِيهِ مَا تُخَبِّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَّكُم أَمْنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةُ الْيَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَّكُم مَّا تُحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلَّمْتُمْ أَنفُسَكُم بِمَا تَبَدَّلْتُمْ فِي الْأَرْضِ غَافِلِينَ ﴿٤٠﴾ فَتَنَادَوْا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾

﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال ابن عباس: سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه قال: فقاتل يوم بدر: فخطم بالسيف بالقتال^(١)، وقال قتادة: سنخلق به شيئاً، يقول العرب للرجل يسب الرجل سبة قبيحة باقية: قد وسمه ميسم سوء، يريدون الصق به عاراً لا يفارقه، كما أن السمة لا تنمحي ولا يعفو أثرها. قال جرير:

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث^(٢) جدعت أنف الأخطل^(٣) أراد به الهجاء.

وقال أبو العالية ومجاهد: سنسمه على أنفه ونسود وجهه فنجعل له علامة في الآخرة يعرف سواد وجهه، الضحاك والكسائي: يشكونه على وجهه. وقال حريز بن محمد بن جرير: سنبن أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ما يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم. قال الفراء: وإن كان الخرطوم قد خص بالسمة فإنه في مذهب الوجه. لأن بعض الشيء يعبر به عن كله، وقد مرّ هذا الباب.

(١) تفسير الطبري: ٢٩ / ٣٥.

(٢) البعيث: هو خدّاش بن بشر ويقال: بشير.

(٣) تفسير القرطبي: ١٨ / ٢٣٧.

قال النضر بن شميل: معناه سنحدّه على شربه الخمر، والخرطوم: الخمر وجمعه خراطيم. وقال الشاعر:

تظّل يومك في لهو وفي طرب وأنّت بالليل شرّاب الخراطيم^(١)
 قوله: ﴿إنا بلوناهم﴾ يعني اختبرنا وامتحنا أهل مكّة بالقحط والجوع. ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾.

أخبرنا أبو عمرو الفراءي أخبرنا أبو موسى أخبرنا الحريري حدّثنا فارس بن عمر حدّثنا صالح بن محمد حدّثنا محمد بن مزوان عن الكليني عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ قال: بستان باليمن يقال لها القيروان دون صنعاء بفرسخين، يطأه أهل الطريق، وكان غرسه قوم من أهل الصلاة، وكانت لرجل فمات فورثه بنين له، فكان يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم تجده، فإذا طرح من فوق المنجل أملى البساط، فكل شيء يسقط على البساط فهو أيضاً للمساكين، فإذا حصدوا زروعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين، وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينثر، فلما مات الأب ورثها هؤلاء الأخوة عن أبيهم، فقالوا: والله إنّ المال لقليل وإنّ العيال لكثير إنّما كان يفعل هذا الأمر إذا كان كثيراً والعيال قليلاً، فأما إذا قلّ المال وكثر العيال فإنّنا لا نستطيع أن نفعل هذا، فتحالفوا بينهم يوماً ليعدون عدوة قيل خروج الناس فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا - لم يقولوا إن شاء الله - فغدا القوم بسدف من الليل إلى جنتهم ليصرموها فأوها مسودة، وقد طاف عليها من الليل طائف من عذاب أصابها فأحرقها فأصبحت كالصريم فذلك قوله تعالى: ﴿إذ أقسموا﴾ حلفوا، ﴿ليصرمتها﴾ لتجديها ولتقطع ثمرها، ﴿مصبحين﴾ إذ أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿ولا يستثنون﴾ لا يقولون إن شاء الله، ﴿فطاف عليها طائف﴾ عذاب ﴿من ربك﴾ ولا يكون الطائف إلّا بالليل، وكان ذلك الطائف ناراً أنزلت من السماء فأحرقها. ﴿وهم نائمون﴾ فأصبحت كالصريم كالليل المظلم الأسود، قال الشاعر:

تطاول ليلك الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم^(٢)

وقال الحسن: صرم عنها الخير فليس فيها شيء، ابن كيسان: كالجرة السوداء، ابن زيد: كالأرض المصرومة، الأخفش: كالصبح انصرم من الليل، وقال المروّج: كالرملة انصرمت من معظم الرمل، وأصل الصريم: المصروم، وكلّ شيء قطع من شيء فهو صريم، فالليل صريم والصبح صريم، لأنّ كلّ واحد منهما ينصرم عن صاحبه.

قال ابن عباس: كالرماد الأسود بلغة حذيم.

(١) تفسير القرطبي: ٢٣٨/١٨.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٤٢/١٨.

﴿فتنادوا﴾ نادى بعضهم بعضاً ﴿مصبحين﴾ * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين *
فانطلقوا ﴿فمضوا إليها﴾ ﴿وهم يتخافتون﴾ يتشاورون يقول بعضهم لبعض: ﴿أن لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين﴾ * وغدوا على حرد قادرين.

قال ابن عباس: على قدرة قادرين في أنفسهم. وقال أبو العالية والحسن: على جد
وجهد. وللنخعي والقرطبي ومجاهد وعكرمة: على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم. وروى معمر
عن الحسن قال: على فاقة، وقيل: على قوّة، وقال السدي: الحرد: اسم الجنة. وقال سفيان:
على حق وغضب، ومنه قول الأشهب بن رملة:

أسود شرى لاقت أسود خفية تساقوا على حرد دماء الأساود^(١)
وفيه لغتان حرد وحرد، مثل الدرك والدرك، وقال أبو عبيدة والقتبي: على منع والحرد،
والمحاردة: المنع، تقول العرب: حاردت السنة، إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الناقة إذا لم
يكن لها لبن.

قال الشاعر:

فلإذا ما حاردت أو بكأت فت عن حاجب أخرى طينها^(٢)
وقيل: على قصد، قال الراجز:

وجاء سيل كان من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة^(٣)
وقال آخر:

إما إذا حردت حردى فمجربة ضبطاء تسكن غيلا غير مقروب^(٤)
﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ لمخطئوا الطريق فليس هذه بجنتنا. فقال بعضهم: ﴿بل
نحن محرومون﴾ حرمتنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الإستهناء ﴿قال أوسطهم﴾ أعدلهم
وأعقلهم وأفضلهم، ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ هلا تستثنون، قال أبو صالح: إستهناءهم:
سبحان الله. وقيل: هلا تسبحون الله وتقولون: سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل:
هلا تستغفرونه من فعلكم.

﴿قالوا سبحان ربنا﴾ ننزهه على أن يكون ظالماً، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إنا
كنا ظالمين﴾ * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴿في منعنا حق
الفقراء وتركنا الاستهناء، وقال ابن كيسان: طغينا نعم الله فلم نشكرها.

(١) جامع البيان للطبري: ٤٠/٢٩.

(٢) لسان العرب: ١٣ / ٥١ وفيه: فك عن، جامع البيان للطبري: ٤٠/٢٩.

(٣) جامع البيان للطبري: ٤١/٢٩.

(٤) الصحاح: ٢٣٠١/٦.

﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها﴾، قرأ الحسن وعاصم والأخفش وابن محيص بالتخفيف، وغيرهم بالتشديد، وهما لغتان وفرق قوم بينهما، فقال: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم، والابدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه.

قال عبد الله بن مسعود: بلغني أنّ القوم أخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق، فأبدلهم بها جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منها عنقوداً. وقال بكر بن سهل الدماطي: حدثني أبو خالد اليمامي أنه رأى تلك الجنة، وقال: رأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم.

﴿إنّا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب﴾ أي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدّى حدودنا وخالف أمرنا.

﴿وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * إنّ للمتقين عند ربهم جنات النعيم * أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب﴾ نزل من عند الله سبحانه وتعالى. ﴿فيه تدرسون﴾ تقرأون ما فيه. ﴿إنّ لكم فيه﴾ في ذلك الكتاب ﴿لما تخيرون﴾ تختارون وتشتبهون ﴿أم لكم إيمان﴾ عهد ومواثيق ﴿علينا بالغة﴾ كما عهدناكم علمه ووعدناكم فاستوثقتم بها منا، فلا ينقطع عهدكم ﴿إلى يوم القيامة إن لكم﴾ كسر ﴿إن﴾ لدخول اللام فيه في ذلك العهد. ﴿لما تحكمون﴾ تقضون وتريدون فيكون لكم حكمكم. ﴿سلمهم أيهم بذلك﴾ الذي ذكرت ﴿زعيم﴾ كفيل، والزعيم: الرسول ها هنا - قاله الحسن وابن كيسان - قائم بالحجة والدعوى ﴿أم لهم شركاء﴾ أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدّعون. ﴿فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤١﴾ خَشَعَتِ أُنْفُسُ زُجُجَهَا وَذَلَّتْ وَقَدَّ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ وَهُمْ سَلَامُونَ ﴿٤٢﴾ فَذَرَوْا مِنَ الْكُذْبِ يُهْدَى الْوَيْدِيَّ سَتَرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأُمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٤﴾ أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَىٰ فَهُمْ مِنْ مَّغْرَرٍ مُّقْطَوْنَ ﴿٤٥﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكُنُونَ ﴿٤٦﴾ فَأَصْرَارُ يُكْرَرُ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٧﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ رَحْمَةً مِن رَّبِّهِ لَئِذَا بِالْعَبَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٨﴾ فَأَخْبَتْهُ رَبُّهُ فَبَعَلَهُ مِنَ الْأَصْلَاحِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِ لَنَا يَتَّبِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمُنْجُونَ ﴿٥٠﴾ وَمَا هُمْ إِلَّا ذُكَّرٌ لِلْغَائِبِينَ ﴿٥١﴾

﴿يوم يكشف عن ساق﴾ أي عن أمر شديد فظيع، وهو إقبال الآخرة. قرأه العامة بياء مضمومة، وقرأ ابن عباس بياء مفتوحة، أي يكشف القيامة عن ساقها. وقرأ الحسن بياء مضمومة ﴿عن ساق﴾ أي عن أمر شديد فظيع، وهو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا وهذا من باب الإستعارة، يقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى جد وجهد ومعاناة ومقاساة للشدة: شمر عن ساقه، فاستعير الساق في موضع الشدة.

قال دريد بن الصمة يرثي رجلا:

كميش الازار خارج نصف ساقه صبور على الجلاء طلاع أنجد^(١)
ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم وظهر وزالت عماه: كشف عن ساقه، وهذا جائز في اللغة،
وإن لم يكن للأمر ساق وهو كما يقال: أسفر وجه الأمر، واستقام صدر الرأي. قال الشاعر
يصف حرباً:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح^(٢)
وأنشد ابن عباس:
اصبر عناق أنه شرّ باق قد سنّ لي قومك ضرب الأعناق^(٣)
وقامت الحرب بنا على ساق.
وقال آخر:

قد كشفت عن ساقها فشدّوا وجدت الحرب بكم فجذّوا^(٤)
والعرب تقول له: الحرب كشفت عن ساقها.
قال الشاعر:

عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومن طراد الطير عن أرزاقها^(٥)
في سنة قد كشفت عن ساقها حمراء تبزي اللحم عن عراقها^(٦)
ونحو ذلك قال أهل التأويل.

أخبرنا أبو بكر بن عبد أوس، أخبرنا أبو الحسن محفوظ، حدّثنا عبد الله بن هاشم،
حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفير عن عاصم، عن سعيد بن جبیر: ﴿يوم يكشف عن
ساق﴾ قال: عن شدة الأمر. وقال ابن عباس: هي أشد ساعة في يوم القيامة.

وقال الربيع عن العطا: أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا أحمد بن جعفر بن سلم الجتلي، حدّثنا
محمد بن عمر وابن مسعدة البيروتي، حدّثنا محمد بن الوزير السلمي، حدّثنا الوليد بن مسلم،
حدّثنا روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري، عن

(١) لسان العرب: ١١٧/١١.

(٢) لسان العرب: ١٦٨/١٠.

(٣) الدر المنثور: ٢٥٤/٦.

(٤) فتح القدير: ٢٧٥/٥.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٤٨/١٨.

(٦) الغرّاق: بالضم العظم بغير لحم، والعرق بالفتح ما اشتمل على اللحم.

النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: «نور عظيم يَخْرُونَ له سَجْدًا» [١٥] (١).

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الرومي يقرأ أبي عليه في مسجده يوم السبت لأربع بقين من ذي الحجة سنة ست وثمانين وثلاثمائة، حدَّثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدَّثنا زهير بن محمد، حدَّثنا عبد الرحمن بن المبارك، حدَّثنا قريش بن حيان العجلي، حدَّثنا بكر بن وائل عن الزهري عن أبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟».

قلنا: لا.

قال: «فهل تضارون في القمر ليلة البدر؟».

قلنا: لا.

قال: «فإنكم ترون كذلك، إذا كان يوم القيامة جُمع الأولون والآخرون، ونادى مناد: من كان يعبد شيئاً فليزمه، وترفع لهم آلهتهم التي كانوا يعبدون فتمضي ويتبعونها حتى يقذفهم في النار، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيقال لهم: ذهب الناس وبقيتم فيقولون: لنا رب لم نره بعد، قال: يقول هل تعرفونه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه آية إذا رأيناه عرفناه، فيكشف لهم عن ساق فيخرون له سجداً، ويبقى أقوام ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون» [١٦] (٢).

أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم - قراءة عليه في جمادي الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، أخبرنا أبو بكر الشافعي، حدَّثنا أبو قلابة الرقاشي، حدَّثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدَّثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأخذ الله تعالى للمظلوم من الظالم، حتى لا يبقى مظلومة عند أحد حتى أنه يكلف شائب اللبن بالماء ثم يتبعه أن يخلص اللبن من الماء، فإذا فرغ من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحدٌ عبد شيئاً من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل الله ملكاً من الملائكة على صورة عزيز، ويجعل الله ملكاً من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم، فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصراني، ثم يلونهم، وقيل: تلونهم آلهتهم إلى النار، وهم الذين يقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَهِ لَمَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾» (٣) فإذا لم يبق إلا المؤمنون، وفيهم المنافقون قال الله لهم: ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون.

(٢) جامع البيان للطبري: ٥١/٢٩ بتفاوت.

(١) مجمع الزوائد: ١٢٨/٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٩٩.

فيقولون: ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره، فينصرف الله تعالى فيمكث ما شاء أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره، فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمتهم ما يعرفون أنه ربهم، فيخرون سجداً على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه يجعل الله أصلابهم كصياصي البقر، ثم يضرب الصراط بين ظهري جهنم» [١٧] (١).

أخبرنا عقيل بن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادي القاضي، أخبرهم عن أبي جعفر الطبري، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث، حدثنا خالد بن يزيد بن أسلم عن أبي هلال، قال أبو جعفر: وحدثني موسى بن عبد الرحمن بن المسروقي، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا هشام بن سعيد، حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا ليلحق كل أمة بما كانوا يعبدون (فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم)» (٢) فلا يبقى أحد كان يعبد صنماً ولا وثناً ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطون في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب يحطم بعضها، بعضاً ثم يدعى اليهود فيقال: ماذا كنتم تعبدون؟ فيقولون: عزير بن الله فيقول: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تريدون؟ فيقولون: أي ربنا ظمئنا أسقنا فيقول: أفلا تردون فيذهبون حتى يتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقول: ماذا كنتم تعبدون؟

فيقولون: المسيح ابن الله فيقول: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون: أي ربنا ظمئنا اسقنا، فيقول: أفلا تردون فيذهبون فيتساقطون في النار، فيبقى من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، ثم يأتي الله تعالى جل جلاله لنا في صورة غير صورته التي رأيناها فيها أول مرة، فيقول: أيها الناس لحقت كل أمة بما تعبد، ونحن ننظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، فيقول: هل بينكم وبين الله من آية تعرفونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فيخرون سجداً لله تعالى أجمعون، ولا يبقى من كان سجد في الدنيا سمعةً ورياءً ولا نفاقاً إلا صار ظهره طبقاً واحداً، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يدفع برّنا ومسيئتنا وقد عاد لنا في صورته التي رأيناها فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعم أنت ربنا ثلاث مرّات» [١٨] (٣).

(١) الدر المثور: ٣٤١/٥ بتفاوت.

(٢) غير موجود في المصدر.

(٣) جامع البيان للطبري: ٥٠/٢٩.

وبه قال أبو جعفر بن جرير الطبري، حدثنا أبو لهب، حدثنا أبو بكر، حدثنا الأعمش، عن المنهال عن قيس بن بكر، قال: حدثني عبد الله وهو عند عمر قال: إذا كان يوم القيامة يقوم الناس بين يدي رب العالمين أربعين عاماً، شاخصة أبصارهم إلى السماء، حفاة عراة يلجمهم العرق، ولا يكلمهم بشيء أربعين عاماً، ثم ينادي مناد: يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوّركم ورزقكم ثم عبدتم غيره أن يولي كل قوم ما تولوا؟ قالوا: نعم، قال: فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونها حتى تقذفهم في النار، فيبقى المسلمون والمنافقون فيقال: ألا تذهبون قد ذهب الناس؟ فيقولون: حتى يأتينا ربنا، قال: وتعرفونه؟ قالوا: إن اعترف لنا، قال: فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلى لهم فيخبر من كان يعبد ساجداً ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأَنَّ في ظهورهم السفايف فيذهب بهم إلى النار ويدخل هؤلاء الجنة، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السَّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة * وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم ووجوههم أشد بياضاً من الثلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين. ﴿وقد كانوا يدعون﴾ في الدنيا. ﴿إلى السجود وهم سالمون﴾ أصحاب فلا يأتونه ويأبونه.

قال إبراهيم: التيمي: يدعون إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة فيأبونه. وقال سعيد بن جبير: كانوا يسمعون حيّ على الفلاح فلا يجيئون. قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلّفون عن الجماعات.

ويروى أن ربيع بن الجثم عرض له الفالج فكان يتهادى^(١) بين رجلين إلى المسجد، ف قيل له: يا أبا يزيد لو جلست فإن لك رخصة، قال: من سمع حيّ على الفلاح فليجب ولو حبواً. قيل لسعيد بن المسيب: إن طارقاً يريد قتلك فتغيّب، فقال: أحيث لا يقدره عليّ الله، ف قيل له: فاجلس، فقال: أسمع حيّ على الفلاح فلا أجيب^(٢).

﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ أي فدعني والمكذّبين بهذا القرآن. ﴿سنستدرجهم﴾ سنأخذهم ﴿من حيث لا يعلمون﴾ فيعذبوا يوم بدر. وقيل: معناه سنزيدهم حزناً وخذلاناً فيزدادوا عصياناً وطغياناً.

وقال سفيان الثوري: يسبغ عليهم النعم وينسيهم الشكر. وقال [العباد]^(٣): لم نعاقبهم في وقت مخالفتهم فيستيقظوا بل أمهلناهم ومددنا لهم في النعم حتى زال عنهم خاطر التدبير، فكانوا منعمين في الظاهر مستدرجين في الحقيقة.

(١) في المخطوط: تهادى.

(٢) تفسير القرطبي: ١٨ / ٢٥١.

(٣) كذا في المخطوط.

وقال الحسن: كم مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه.

﴿وأُملي لهم إن كيدي متين * أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴿في الضجر والغضب والعجلة وهو يونس (عليه السلام).

﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ مغموم ﴿لولا أن تداركه﴾ أدركه، وفي مصحف عبد الله (تداركته) بالياء. ﴿نعمة من ربه﴾ حين رحمه وتاب عليه ﴿لنبد بالعراء وهو مذموم﴾ مليم مجرم. ﴿فاجتبه ربه فجعله من الصالحين * وإن يكاد الذين كفروا﴾ وذلك أن الكفار أرادوا أن يعينوا رسول الله ﷺ ويصيبوه بالعين، فظفر إليه قوم من قريش، وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه.

وقيل: كانت العين في بني أسد، حتى أن كانت الناقة السمينية والبقرة السمينية تمرّ بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية خذي المكيل والدرهم فاتينا بلحم من لحم هذه البقرة، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر.

وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول: لم أر كالיום إبلا ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قريباً حتى يسقط منها طائفة وعدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك^(١)، فأجابهم وأنشد:

قد كان قومك يحسبونك سيداً وأخال أنك سيد معيون^(٢)

فعصم الله تعالى نبيه ﷺ، وأنزل ﴿وإن يكاد الذين كفروا﴾ يعني: ويكاد الذين كفروا. ﴿ليزلقونك﴾ دخلت اللام لمكان إن، وقرأ الأعمش وعيسى ﴿ليزهقونك﴾، وهي قراءة ابن عباس وابن مسعود أي يهلكونك، وقرأ أهل المدينة بفتح الياء ﴿ليزلقونك﴾، وقرأ غيرهم بضمه، وهما لغتان، يقال: زلقه زلقاً، أزلقه تزلقه إزلاقاً بمعنى واحد، واختلفت^(٣) عبارات المفسرون في تأويله.

قال ابن عباس: يقدفونك بأبصارهم ﴿لما سمعوا الذكر﴾.

ويقال: زهق السهم وزلق إذا نفذ، وقال قتادة، بمعنى يزهقونك، معمر عن الكلبي: يصرعونك، حيان عنه: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة، عطية: يرجونك، المؤرخ:

(١) أسباب النزول للواحي: ٢٤٩.

(٢) الصحاح: ٢١٧١/٦.

(٣) في المخطوط: واختلف.

يزيلونك، النضر بن شميل والأخفش: يعينونك، قال عبد العزيز بن يحيى: ينظرون إليك نظراً شزراً بتحديق شديد يروّعنك به ويظهرون العداوة لك. السدي: يصيبونك بعيونهم، ابن زيد: ليمسوك، جعفر: ليأكلونك، الحسن وابن كيسان: ليقتلونك، وهذا كما يقال: صرعني بطرفه وقتلني بعينه، وقال الشاعر:

ترميك مزلفة العيون بطرفها وتكلّ عنك نصال نبل الرامي
وقال آخر:

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يزيل مواطئ الأقدام^(١)
وقال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية. وقد قال رسول الله ﷺ:
العين حق «وأن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر» [١٩]^(٢).
﴿ويقولون إنه لمجنون * وما هو﴾ يعني محمداً، وقيل: القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾.

(١) تفسير القرطبي: ٢٥٦/١٨.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٢٦/٩.

سورة الحاقة

مكية: وهي ألف وأربعة وثمانون حرفاً،
وست وخمسون كلمة، واثنان وخمسون آية

أخبرنا كامل بن أحمد، وأخبرنا محمد بن مسلم، قال: حدثنا إبراهيم بن شريك، قال: حدثنا أحمد بن يونس، قال: حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً» [٢٠] (١).

وأخبرنا أبو الحسين الخبازي، قال: حدثنا أبو الشيخ الحافظ، قال: حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا أبو زرعة، قال: حدثنا عمرو بن عثمان، قال: حدثنا محمد بن حميد عن فضالة بن شريك عن أبي الزاهرية، قال: سمعته يقول: من قرأ إحدى عشرة آية من سورة الحاقة أجبر من فتنه الدجال، ومن قرأها كان له نوراً من فوق رأسه إلى قدمه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ ۝٤ بِالْقَارَةِ ۝٥ فَأَمْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٦ وَأَمَّا عَادُ فَأَمْلَكُوا بِرَبِّعِ مَرَصِرٍ عَالِيَةٍ ۝٧ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَعْنِينَةَ ۝٨ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ ۝٩ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝١٠ وَمَاءُ يَرْعَوْنَ وَمِنْ قَبْلِهِمُ النَّوْفَكَاتُ ۝١١ فَتَقَعْنَ بِالْمِلْطَةِ ۝١٢ فَفَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاغْدُؤْهُمْ أَغْدَةً ۝١٣ وَإِنَّا لَنَّا مُلَعَا الْمَاءِ حَمَلَكُوكُمْ ۝١٤ فِي الْمَارِيَةِ ۝١٥ لِنَجْلِيهَا لَكُمْ لَذِكْرًا ۝١٦ وَفِيهَا أَذُنٌ ۝١٧ وَفِيهَا رَصِيدٌ ۝١٨ فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ ۝١٩ وَحْدَةٌ ۝٢٠ وَجُلَّتِ الْأَرْضُ ۝٢١ وَلِلْجِبَالِ فَكُكًا ۝٢٢ وَحْدَةٌ ۝٢٣ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝٢٤ وَالشَّقَقِ السَّمَاءِ فِيهِ يُوْثِقُونَ ۝٢٥ وَهَيْبَةٌ ۝٢٦ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ۝٢٧ وَيَجُلُّ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِيَّةٌ ۝٢٨

﴿الحاقة * ما الحاقة﴾ أي القيامة، وسميت حاقة لأنها حقّت فلا كاذبة لها. ولأن فيها حواق الأمور وحقائقها. ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال أي يجب، فيقال: حق عليه الشيء

إذا وجب بحق حقواً، قال الله سبحانه: ﴿ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾^(١) وقال الكسائي والمؤرخ: الحاقة: يوم الحق، يقول العرب: لما عرفت الحق مني.

والحاقة والحقّة هي ثلاث لغات بمعنى واحد، والحاقة الأولى رفع بالإبتداء وخبره فيما بعده، وقيل: الحاقة الأولى مرفوعة بالثانية؛ لأنّ الثانية بمنزلة الكتابة عنها كأنه عجب منها وقال: الحاقة ما هي؟ كما تقول: زيد ما زيد، والحاقة الثانية مرفوعة بما، وما بمعنى أي شيء، وهو رفع بالحاقة الثانية، ومثله ﴿القارعة ما القارعة﴾^(٢)، ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾^(٣)، ونحوهما.

﴿وما أدريك ما الحاقة * كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ أي بالعذاب الذي نزل بهم حين وعدهم نبيهم حتى هجم عليهم ففرع قلوبهم. وقال ابن عباس وقتادة: بالقيامة.

﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ أي بطغيانهم وعصيانهم، وهي مصدر كالحاقة، وقيل: هي نعت مجازة: بفعلتهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد وابن زيد، ودليل هذا التأويل قوله سبحانه: ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾^(٤) وقال قتادة: يعني بالصيحة الطاغية التي جاوزت مقادير الصباح فاهمدهم.

﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ عتت على خزائنها فلم تطعمهم وجاوزت المقدار.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا محمد بن حمدان بن سعد قال: حدّثنا أبو زرعة الرازي قال: حدّثنا المعافى بن سلمان البحراني قال: حدّثنا موسى بن عمر عن سعيد عن موسى بن المسيب عن شهر بن خوشب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «ما أرسل الله سبحانه من ريح إلا بمكيال، ولا قطرة من ماء إلا بمكيال، إلا يوم عاد ويوم نوح، فإن الماء يوم نوح طغى على الخزائن فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: بريح صرصر عاتية» [٢١] ^(٥).

﴿سخرها﴾ أرسلها وسلطها. ﴿عليهم﴾ والتسخير استعمال الشيء بالاعتقاد. ﴿سبع ليال وثمانية أيام﴾ قال وهب: هي الأيام التي سمّاها العرب: أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة وإنما نسبت هذه الأيام الى العجوز؛ لأن عجوزاً دخلت سرباً فتبعته الرياح فقتلها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب في اليوم الثامن.

(١) سورة الزمر: ٧١.

(٢) سورة القارعة: ١ - ٢.

(٣) سورة الواقعة: ٢٧.

(٤) سورة الشمس: ١١.

(٥) جامع البيان للطبري: ٦١/٢٩.

وقيل: سميت أيام العجوز؛ لأنها في عجز الشتاء ولها أسامي مشهورة. أنشدني أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أنشدنا محمد بن طاهر الوزير قال: أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمد ابن يحيى الصفار قال: أنشدنا محمد بن القيم بن بشار قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب الشاعر في وصف أيام العجوز:

كُسِّعَ^(١) الشتاء بسبعة غُبر أيام شهلتننا^(٢) من الشهر
فبأمر وأخيه مؤتمر ومعلل وبمطفئ الجمر^(٣)
ذهب الشتاء مولياً عاجلاً وأتتك وأقدة من النجر^(٤)
واسم اليوم الثامن: مكفي الظعن.

﴿حسوماً﴾ قال ابن عباس: تباعاً، ومجاهد وقتادة: متتابعة ليس فيها فترة، وعلى هذا القول هو من جسم الكي وهو أن تتابع عليه بالمكواة، وقال مقاتل والكلبي: دائمة، والضحاك: كاملة لم تفتقر عنهم حتى أفنتهم، عطية: شؤماً كأنها حسمت الخير عن أهلها، الخليل: قطعاً لدابرهم، والحسم: القطع والمنع ومنه حسم الداء وحسم الدفاع، قال يمان والنظر بن شميل: حسمهم فقطعهم وأهلكهم وهو نصب على الحال والقطع.

﴿فترى القوم فيها﴾ أي في تلك الليالي والأيام، ﴿صرعى﴾ هلكى جمع صريع ﴿كأنهم أعجاز﴾ أصول ﴿نخل خاوية﴾ ساقطة، وقيل: خالية الأجواف. ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ بقاء.

﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ قرأ أبو عمرو والحسن والسلمي والحجري والكسائي ويقعوب: بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم اعتبار: بقراءة عبد الله وأبي ومن معه، وقرأ أبو موسى الأشعري: ومن تلقاه، وقرأ الآخرون: ومن قبله بفتح القاف وجزم الباء، أي ومن تقدمه من القرون الخالية.

﴿والمؤتفكات﴾ قراءة العامة بالألف، وقرأ الحسن والمؤتفكة: بغير ألف ﴿بالخاطئة﴾ بالخطيئة والمعصية وهي الكفر ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ نامية عالية غالية. قال ابن عباس: شديدة، وقيل: زائدة على عذاب الأمم.

﴿إننا لما طغى الماء﴾ أي عتا فخرج بلا وزن ولا كيل. قال قتادة: طغى الماء فوق كل

(١) الكسع: شدة المَر.

(٢) الشهلة: العجوز.

(٣) الصحاح: ٨٨٤/٣.

(٤) النجر: الحر.

شيء خمسة عشر ذراعاً ﴿حملناكم في الجارية﴾ السفينة ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ عبرة وموعظة ﴿وتعيها﴾ قرأ طلحة بإسكان على العين تشبها بقوله: ﴿وارنا﴾، واختلف فيه عن عاصم وابن بكر وهي قراءة رديئة غير قوية، الباقون: مشيع.

﴿أذن واعية﴾ عقلت عن الله ما سمعت.

الفاربي بن فنجويه، قال: حدثنا ابن حيان قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال: حدثنا أبي قال: حدثنا إبراهيم بن عيسى قال: حدثنا علي بن علي قال: حدثنا أبو حمزة الثمالي قال: حدثني عبد الله بن الحسن قال: حين نزلت هذه الآية ﴿وتعيها أذن واعية﴾ قال رسول الله ﷺ: «سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي» [٢٢] (١) قال علي: فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنساه.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثني ابن حسن قال: حدثنا أبو القيم بن الفضل قال: حدثنا محمد بن غالب بن الحرب قال: حدثني بشر بن آدم قال: حدثني عبد الله بن الزبير الأسدي قال: حدثنا صالح بن ميثم قال: سمعت بريرة الأسلمي يقول: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إن الله عز وجل أمرني أن أذكرك ولا أقصبك، وأن أعلمك وأن تعي وأن حقاً على الله سبحانه أن تعي» قال: ونزلت ﴿وتعيها أذن واعية﴾ [٢٣] (٢).

﴿إذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ وهي النفخة الأولى ﴿وحملت الأرض﴾ وما عليها ﴿والجبال﴾ وما فيها ﴿فدكتنا دكة واحدة﴾ فكسر ودقنا دقة واحدة فصارتا هباءً منبثاً، وإنما قال: فدكتنا ولم يقل: دككن؛ لأنه جعل الأرض كالشيء الواحد، وجعل الجبال كالشيء الواحد.

﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ ضعيفة ﴿والملك﴾ يعني الملائكة ﴿على أرجائها﴾ نواحيها وأقطارها، بلغة هذيل واحدها رجاء وتثنيته رجوان ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾.

قال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عددهم إلا الله، وقال رسول الله ﷺ: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين، فكانوا ثمانية» [٢٤] (٣).

وأخبرنا الإمام أبو منصور الحمادي قال: حدثنا الإمام أبو الوليد قال: حدثنا جعفر قال: حدثنا علي بن حجر قال: حدثنا شريك عن سماك عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد

(١) كتر العمال: ١٣/١٧٧، ح ٣٦٥٢٦.

(٢) كتر العمال: ١٣/١٣٦، ح ٣٦٤٢٦.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢٩/٧٣.

المطلب في قوله سبحانه: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ قال: ثمانية أملاك على صورة الأوعال. وفي الحديث: «إن لكل ملك منهم أربعة أوجه: وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر» [٢٥] (١).

وقيل: أنشد بين يدي رسول الله ﷺ قول أمية بن أبي الصلت:

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد
والشمس تصبح كل آخر ليلة حمراء تصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد (٢)
قال رسول الله ﷺ: «صدق» [٢٦].

وروى عن علي بن الحسن أنه قال: إن الله سبحانه خلق العرش رابعاً لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء: الهواء، والقلم، والنور، ثم خلق من ألوان أنوار مختلفة، من ذلك نور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرت الصفرة، ونور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أبيض فهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار ثم جعله سبعين ألف ألف طبق ليس من ذلك طبق إلا يسبح بحمده ويقدسه بأصوات مختلفة لو أذن للسان منها أن تسمع لهدم الجبال والقصور ولخسف البحار.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أَوْرَثَ كَلْبَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كَلْبَهُ (١٩)
إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِي (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي حَسْبِهِ عَالِمٌ (٢٢) فَطُوفُهَا دَائِمَةٌ (٢٣) كُؤُوفٌ
وَأَشْرَبُوا حَيْثُ مَا أَسْلَفَتْ (٢٤) فِي الْأَنْبَاءِ لَقَالَيْه (٢٥) وَأَمَّا مَنْ أَوْرَثَ كَلْبَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأَرْثَ كَلْبَهُ (٢٦)
وَلَوْ أَدْرَمَا حَسْبِي (٢٧) يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٨) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي (٢٩) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي (٣٠) خَذُوهُ فَقُلُوهُ
(٣١) ثُمَّ لِحْجِيمَ صَلْوِهِ (٣٢) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٣) إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٤)
وَلَا يَخْضَعُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٥) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٣٦) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَنِينٍ (٣٧) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا
الْخَاطِئُونَ (٣٨) فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُصَرِّفُونَ (٣٩) وَمَا لَا تُصَرِّفُونَ (٤٠) إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤١) وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ
قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤٢) وَلَا يَقُولُ كَافٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٣) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ
الْأَقَابِلِ (٤٥) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٦) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٧) فَمَا يَسْكُرُ مِنْ أَمَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ (٤٨) وَإِنَّهُ
لَتَذَكُّرٌ لِلْمُذَكِّرِينَ (٤٩) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥١) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥٢)
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٣)

(١) تفسير القرطبي: ٢٦٦/١٨.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٦٦/١٨.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تُخْفَى﴾ بالياء كوفي غير عاصم والباقون بالتاء ﴿مَنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ في الحديث قال: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداً وخصومات»^(١) ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله [٢٧]»^(٢).
 ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ﴾ أي تعالوا ﴿اقْرَأُوا كِتَابِيهِ﴾ ها الوقف وأخواته مثله ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ علمت وأيقنت ﴿أَنِّي مَلَأْتُ حِسَابِيهِ﴾.

أخبرنا الحسن قال: حدَّثنا عبد الله بن يوسف قال: حدَّثنا أبو القَيم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: حدَّثنا عمر بن إبراهيم بن خالد عن عبد الرحمن قال: حدَّثنا مرحوم بن أبي أرطبان ابن عم عبد الله بن عون قال: حدَّثنا عاصم الأحول عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس» فقليل له: فأين أبو بكر؟ قال: «هيهات هيهات زَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٣).

أخبرنا الحسن، حدَّثنا منصور بن جعفر بن محمد النهاوندي، قال: حدَّثنا أبو صالح أحمد ابن محمد بن أسعد البروجدي، قال: حدَّثنا أسد بن عاصم، قال: حدَّثنا إبراهيم بن محمد، قال: حدَّثنا أبو عمر الضرير عن حماد عن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَائِشَةُ كُلِّ النَّاسِ يَحَاسِبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ» [٢٨]»^(٤).

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مرضية كقوله: ﴿مَاءٌ دَافِقٌ﴾^(٥) وقيل: ذات رضا مثل لأبن وتأمين ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ رفيعة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ثمارها قريبة ينالها القائم والقاعد والمضطجع، يقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴿قَدْ مَتَّمْ لَأَخْرَجَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ وَهِيَ الدُّنْيَا﴾.

أخبرني الحسين قال: حدَّثنا القطيعي قال: حدَّثنا عبد الله قال: أخبرت عن عبد الله بن أبي بكر بن عليّ المقدمي قال: حدَّثنا عبد الله بن جعفر قال: سمعت يوسف بن يعقوب الخيفي يقول: بلغنا أن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة: يا أوليائي طال ما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

(١) غير موجودة في المصدر.

(٢) مسند أحمد: ٤/٤١٤.

(٣) تفسير القرطبي: ١٨/٢٦٩.

(٤) كنز العمال: ١١/٥٥٨، ح ٣٢٦٣٥، وح ٣٢٦٣٦ بتفاوت.

(٥) سورة الطارق: ٦.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ قال ابن الثابت: تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع من صدره إلى خلف ظهره ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرَمَا حَسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ يقول: يا ليت الموتة التي مَتَّها في الدنيا كانت القاضية الفارغة من كل ما بعدها، فلم أبعث بعده، والقاضية موت الأحياء بعدها. وقيل: معناه يا ليتني مَتُّ فاسترحت. قال قتادة: تمَّت الموت ولم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي * هَلِكْ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ ذهب عَنِّي حَجَّتِي عن أكثر المفسرين، وقال ابن زيد: زال عَنِّي ملكي وقولي فيقول الله لخزنة جهنم: ﴿خُذُوهُ﴾، ويروى أَنَّهُ يجتمع على شخص واحد من أهل النار مائة ألف من الزبانية، فيقطع في أيديهم قال: فلا يرى على أيديهم منه إِلَّا الودك، ثم يعاد خلقاً جديداً.

﴿فَغَلَّوْهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ﴾ أدخلوه ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوْهُ﴾ فأدخلوه في ذراع الملك، فيدخل دبره ويخرج من منخره. وقيل: يدخل من فيه ويخرج من دبره.

روى سفيان عن بسر بن دعلوق عن نوف البكالي قال: كلّ ذراع سبعون باعاً والباع أبعد ممّا بينك وبين مكّة، وكان في رجة الكوفة^(١).

وقال سفيان الثوري: كلّ ذراع من سبعين ذراعاً سبعون ذراعاً وقال: بأيّ ذراع هو؟، وقال عبد الله بن عمر وابن العاص: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه - وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض فهي مسيرة خمسمائة سنة بلغت الأرض قبل الليل، ولو أَنّهَا أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها» [٢٩] (٢).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبش قال: حدّثنا ابن زنجويه قال: حدّثنا موسى بن محمد قال: حدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا سلمة قال: حدّثنا عبد الرزاق قال: حدّثنا بكار ابن عبد الله عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن حنظلة عن كعب في قوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوْهُ﴾ قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا موسى بن محمد قال: حدّثنا الحسن بن علويه قال: حدّثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدّثنا المسيب قال: حدّثنا سويد بن يحيى قال: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرّها.

(١) تفسير الطبري: ٢٩ / ٧٨.

(٢) مسند أحمد: ١٩٧ / ٢.

﴿إِنَّهٗ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ صديق، وقيل: قريب يعينه، وقيل: هو مأخوذ من الحميم، وهو الماء الحار كأنه الصديق الذي يرق ويحترق قلبه له. ﴿وَلَا طَعَامٌ﴾ وليس له اليوم طعام. ﴿إِلَّا مَنْ غَسَّلِينَ﴾ وهو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم، وقال الضحاك والربيع: هو شجر يأكله أهل النار. ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ المذنبون وهم الكافرون.

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ ترون وما لا ترون، وأراد جميع المكونات والموجودات، وقيل: الدنيا والآخرة. وقيل: ما في ظهر السماء والأرض وما في بطنها. وقيل: الأجسام والأرواح.

وقيل: النعم الظاهرة والباطنة.

وقال جعفر الصادق: بما تبصرون من صني في ملكي وما لا تبصرون من برّي بأوليائي. وقال الجنيد: ما تبصرون من آثار الرسالة والوحي على حسن محمد وما لا تبصرون من السر معه ليلة الإسراء. وقيل: ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم، وما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً.

وقيل: ما تُبْصِرُونَ: الإنس وما لا تبصرون: الجن والملائكة. وقال ابن عطا: ما تبصرون من آثار القدرة وما لا تبصرون من أسرار القرية.

﴿إِنَّهٗ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي تلاوة محمد وتبليغه، وقيل: لقول مرسل رسول كريم فحذف كقوله ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْةُ﴾^(١).

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب أبو حاتم: يؤمنون ويذكرون بالياء، وغيرهم بالتاء فيهما ﴿تَنْزِيلٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ تخرّص واختلق ﴿عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قيل: من صلة مجازة: لعاقبناه وانتقمنا منه بالحق كقوله: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ﴾^(٢) أي من قبل الحق.

وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة، كقول الشاعر:

إِذَا مَا رَايَةَ رَفَعْتَ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا غَرَابَةً بِالْيَمِينِ^(٣)

وقيل: معناه لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه، وهو مثل معناه لأذللناه وأهناه، وهذا

(١) سورة يوسف: ٨٢.

(٢) سورة الصافات: ٢٨.

(٣) الصحاح: ١٨٠/١.

كقوله: ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه، واهانته لبعض أعوانه، خذ بيده فاقمه، واعتمد ابن جرير هذا التأويل.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ نياط القلب، عن ابن عباس وأكثر الناس، وقال قتادة: جبل القلب، وقال مجاهد: الجبل الذي في الظهر. وقيل: هو عرق بين العلاء والحلقوم.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ مانعين يحجزوننا عن عقوبته وما نفعله به وإنما جمع وهو فعل واحد رداً على معناه كقوله: ﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(١)، وقال (عليه السلام): «لم تحل الغنائم لأحد»^(٢) سود الرؤوس [ممن] قبلكم» [٣٠]^(٣) لفظه واحد ومعناه الجميع.

﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿تَذَكُّرٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ إِنَّ مِنْكُمْ مَكْدُوبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب متابعيه وقد خالفوه. ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ إضافته إلى نفسه لاختلاف اللفظين ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الذي كل شيء في جنب عظمته صغير.

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) في بعض المصادر: لقوم.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٧٦/١٨، وأحكام القرآن للجصاص: ٦٠ / ٣.

سورة الماعج

مكية، وهي ألف ومائة وستون حرفاً،
واثنان وست عشرة كلمة، وأربعة وأربعون آية

أخبرني محمد بن القيم، قال: حدّثنا إسماعيل بن مُجيد قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن سعد قال: حدّثنا سعد بن حفص قال: قرأت على معقل بن عبيد الله عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون» [٣١] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ (٤) وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٥) فَأَصْبَحَ صُتُورًا خَمِيلاً (٦) إِنَّهُمْ يَرُوفُونَ بِعِيدَا (٧) وَزَيْنَهُ قَرِيْبًا (٨) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ (٩) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (١٠) وَلَا يَشْعُلُ حِمِيمٌ خَمِيْمًا (١١)

﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ قرأ أهل المدينة والشام سأل بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، فمن قرأه بالهمز فهو من السؤال لا غير وله وجهان: أحدهما أن تكون الباء في قوله ﴿بعذاب﴾ بمعنى عن كقوله سبحانه: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ (٢) أي عنه، وقال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فأنّي بصير بأدواء النساء طبيب (٣)
أي عن النساء.

ومعنى الآية: سأل سائل عن عذاب واقع نازل: على من ينزل؟ ولمن هو؟ فقال الله سبحانه مجيباً له:

(١) تفسير مجمع البيان: ١١٦/١٠.

(٢) سورة الفرقان: ٥٩.

(٣) لسان العرب: ٥٥٤/١.

﴿للكافرين﴾ وهذا قول الحسن وقتادة قالاً: كان هذا بمكة، لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ إليهم وخوفهم بالعذاب والنكال، قال المشركون بعضهم لبعض: من أهل هذا العذاب أسألوا محمداً لمن هو وعلى مَنْ ينزل وبمَنْ يقع، فبيّن الله سبحانه وأنزل سأل سائل عذاباً واقعاً للكافرين أي على الكافرين، اللام بمعنى على، وهو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق لأتّه نزل به ما سأل يوم بدر، فقتل صبراً ولم يقتل من الأسرى يومئذ غيره وغير عقبه بن أبي معيط، وهذا قول ابن عباس ومجاهد، وسئل سفيان بن عيينة عن قول الله سبحانه: ﴿سأل سائل﴾ فيمن نزلت، فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألتني أحد قبلك.

حدّثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه، فقال: لما كان رسول الله ﷺ بغدير خم، نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ ﷺ فقال: «مَنْ كُنْتُ مولاه فعليّ مولاه»^(١).

فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان القهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقه له حتّى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثم أتى النبي ﷺ وهو في ملأ من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصليّ خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟

فقال: «والذي لا إله إلا هو هذا من الله» فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اتتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه: ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع﴾ [٣٢]^(٢).

ومَنْ قرأ بغير همز فله وجهان: أحدهما أنّه لغة في السؤال، تقول العرب: سأل سائل وسأل سال مثل نال ينال، وخاف يخاف، والثاني: أن يكون من السيل، قال زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، سال واد من أودية جهنم يقال له سائل.

﴿من الله ذي المعارج﴾. قال ابن عباس: يعني ذي السماوات، وقال ابن كيسان: المعارج الفتق الذي بين سمائين وأرضين، قتادة: ذي الفواصل والنعم، سعد بن جبيرة: ذي الدرجات، القرطبي: ذي الفضائل العالية، مجاهد: معارج الملائكة.

(١) مسند أحمد: ١ / ٨٤، و ٥ / ٣٤٧، والمستدرک: ٣ / ١١٠، ومصنّف ابن أبي شيبة: ٧ / ٤٩٥.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٧٩ / ١٨، مورد الآية.

﴿تعرج﴾ بالياء الكسائي وهي قراءة ابن مسعود واختيار أبي عبيد، وغيرهم بالتاء ﴿الملائكة والروح﴾ هو جبريل ﴿إليه﴾ إلى الله عز وجل ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ من سنين الدنيا، لو صعد غير الملائكة وذلك أنها تصعد من منتهى أمر الله من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السماء السابعة.

وروى ليث عن مجاهد ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال: من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ﴿ويوم كان مقداره ألف سنة﴾ يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقدار ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة قبل أن يقطعوه.

وقال الحكم بن عكرمة: هو مدة عمر الدنيا من أولها إلى آخرها، خمسون ألف سنة لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا الله. وقال قتادة: هو يوم القيامة.

وقال الحسن: هو يوم القيامة وليس يعني أن مقدار طوله هو دون عمره، ولو كان ذلك لكانت له غاية نعني فيها الجنة والنار، ولكنه يوم موقفهم للحساب، حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا، وذلك أن ليوم القيامة أولاً وليس له آخر. لأنه يوم ممدود ولو كان له آخر كان منقطعاً.

وقيل: معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، وهي رواية محمد بن الفضيل عن الكلبي قال: يقول: لقد لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والإنس وطالت محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة، وأنا أفرغ منه في ساعة من النهار.

وقال يمان: هو يوم القيامة فيه خمسون موطناً، كل موطن ألف سنة، وفيه تقديم وتأخير، كأنه قال: ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يعرج الملائكة والروح إليه.

وروى أبو الجوزاء وابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة فأراد أن أهل الموقف يستطيّلون ذلك اليوم.

وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدّثنا القطيعي، قال: حدّثنا عبد الله قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا حسن قال: حدّثنا ابن لهيعة قال: حدّثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمنين حتى يكون أخف عليهم من صلاة مكتوبة تصلحها في الدنيا» [٣٣] (١).

وقال إبراهيم التيمي: ما قدر ذلك اليوم على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر.

﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ * إنهم يرونه ﴿يعني العذاب﴾ * بعيداً * ونراه قريباً؛ لأن ما هو آت قريب ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ كعكر الزيت، وقيل: كالفلز المذاب وقد مر تفسيره. ﴿يوم تكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف المصبوغ، ولا يقال عهن إلا للمصبوغ. وقال مقاتل: كالصوف المنفوش. قال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف، وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهياً، ثم عنها منفوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً.

﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ قريب قريباً لشغله بشأن نفسه، وقرأ: ولا يسأل بضم الياء، أي لا يسأل حميم عن حميم.

يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوِ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَهُمْ بَيْنِهِ (١١) وَصَاحِبَتَهُ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتَهُ الَّتِي تُتَوَبَعُ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّمَا لَطْفٌ (١٥) نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى (١٦) قَدَعُوا مِنْ أدَبٍ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الصَّالِينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُبْذَرُونَ بِوَجْهِ أَلَيْنٍ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ يُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ (٣٥)

﴿يبصرونهم﴾ يرونهم وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عن صاحبه من الجن والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرباته وعشيرته ولا يسأله، ويبصر الرجل حميمه فلا يكلمه لا اشتغالهم بأنفسهم.

قال ابن عباس: يتعارفون مدة ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك، وقال السدي: يبصرونهم يعرفونهم، أما المؤمن فلبياض وجهه، وأما الكافر فلسواد وجهه.

﴿يود المجرم﴾ يتمنى المشرك ﴿لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه﴾ * وصاحبه ﴿زوجته وأخيه﴾ * وفصيلته ﴿عشيرته التي فصل منهم، أبو عبيدة: فخذ، ثعلب: آبائه الأدين. غيره:

أقربائه الأقربين ﴿التي تؤيه﴾ مجاهد قبيلته ﴿ومَن في الأرض جميعاً ثم يُنْجيه﴾ ذلك الفداء من عذاب الله سبحانه ﴿كلاً﴾ ليس كذلك لا يُنْجيه من عذاب الله شيء.

ثم ابتداء فقال: ﴿إِنهَا لَطَى﴾ وقيل: معناه حقاً إِنهَا لَطَى، فيكون متصلاً ولطى اسم من أسماء جهنم، ولذلك لم يجر، وقيل: هي الدركة الثانية سُمِّيَتْ بذلك لَأَنهَا تَتَلَطَّى، قال الله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتَكُمْ نَاراً تَلَطَّى﴾^(١).

﴿نَزَاعَةٌ﴾ قراءة العامة بالرفع على نعت اللطى، وروى حفص عن عاصم بالنصب على الحال والقطع ﴿لِلشَّوَى﴾ قال الكلبي: لأمر الرأس بأكل الدماغ، ثم يعود الدماغ كما كان، ثم يعود لأكله فذلك دائها، وهي رواية أبي ظبيان عن ابن عباس، عطية عنه: يعني الجلود والهام، سعيد بن جبير عنه: للعصب والعقب، مجاهد: لجلود الرأس، ودليل هذا التأويل قول كثير عزة: لأصبحت هدتك الحوادث هذه لها فشواة الرأس باد قتيورها^(٢)

إبراهيم بن مهاجر: اللحم دون العظم، الهام يحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده نصيحاً، أبو صالح: للحم الساق، ثابت البناني: لمكارم وجهه، قتادة: لمكارم خلقه وأطرافه، أبو العالية: لمحاسن وجهه، يمان: خلاعة للأطراف، مرة: للأعضاء، ابن زيد: لأذاب العظام، الضحَّاك: تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً، الكسائي: للمفاصل، ابن جرير: الشوى جمع شواة وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً يقال: رمى فاشوى إذا لم يصب مقتلاً، وقال بعض الأئمة: هي القوائم والجلود، قال امرؤ القيس:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النساء^(٣)

وقال الأعشى:

قالت قتيلة ماله قد جللت شيباً شواته^(٤)

﴿تدعوا﴾ إلى نفسها ﴿من أدبر﴾ عن الإيمان ﴿وتولَّى﴾ عن الحق فتقول إليّ إليّ.

قال ابن عباس: تدعوا الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح، ثم تلتقطهم كما تلتقط الطير الحب، وقال تغلب: تدعوا أي تهلك يقول العرف: دعاك الله أي أهلكك الله، وقال الخليل: إنه ليس كالدعاء تعالوا ولكن دعوتها إياهم تمكّنها من تعذيبهم وفعلها بهم ما تفعل.

﴿وجمع﴾ المال ﴿فأوعى﴾ أمسك ولم يود حق الله منه.

(١) سورة الليل: ١٤.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٨٨/١٨.

(٣) الصحاح: ١٧٩٤/٥.

(٤) الصحاح: ٢٣٩٦/٦.

أخبرني وقيل: إنّ أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير قال: حدّثنا محمد بن منصور قال: حدّثنا أبو فطن قال: حدّثنا المسعودي عن الحكم قال: كان عبد الله بن حكيم لا يربط كيسه ويقول: سمعت الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وجمع فأوعى﴾.

﴿إنّ الإنسان خلق هلوعاً﴾.

أخبرنا عبد الخالق قال: حدّثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن يزداد الرازي، قال: حدّثنا أبو الحسن طاهر الخثعمي، قال: حدّثنا إسماعيل بن موسى، قال: أخبرنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله: ﴿هلوعاً﴾ قال: الحريص على ما لا يحلّ له.

وروى عطية عنه قال: هو الذي قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إذا مسّه الشرّ جزوعاً * وإذا مسّه الخير منوعاً﴾ وقال سعيد بن جبیر: شحيحاً، عكرمة: ضجوراً، الضحاك والحسن: بخيلاً، حصين: حريصاً، قتادة وابن زيد: حزوناً، مجاهد: شرهاً، وعن الضحاك أيضاً: الهلوع الذي لا يشبع، مقاتل: ضيق القلب، ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحب ما يُسرّه ويرضيه ويهرب مما يكرهه^(١) ويسخطه ثمّ تعبده بإنفاق ما يحب ويلذ والصبر على ما يكره، عطا: عجولاً وقيل: جهولاً، سهل: متقلّباً في شهواته وهواه، وسمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القيمّ البزاز يقول: قال ابن عطاء: الهلوع: الذي يرضى عند الموجود ويسخط عند المفقود، أبو الحسن الوراق: نساء عند النعمة دّعاء عند المحنة، وعن سهل أيضاً: إذا افتقر جزع وإذا أيسر منع، أبو عبيدة وثعلب: هو الذي إذا مسّه الخير لم يشكر وإذا مسّه الشرّ لم يصبر، وقيل: طموحاً يرضيه القليل من الدنيا ويسخطه مثلها، والهلع في اللغة: أشدّ الحرص وأسوأ الجزع.

قال النبي ﷺ: «شرّ ما أعطى العبد شح هالغ وجبن خالغ» [٣٤]^(٢).

وتقول العرب: ناقة هلوع إذا كانت سريعة السير خفيفة. قال الشاعر:

صكاء علبة إذا استديرتها حرج إذا استقبلتها هلوعاً^(٣)

ثمّ استثنى سبحانه وتعالى ﴿إلاّ المصلّين﴾ قيل: هم الصحابة خاصّة وهم المؤمنون عامّة فإنّهم يغلبون فرط الهلع بحكم الشرع لثقتهم برّبهم ويقينهم بقدرته، واستثنى الجمع من الواحد. لأنّ الإنسان اسم الجنس فهو في معنى الجمع.

﴿الذين هم على صلواتهم دائمون﴾.

(١) في المخطوط: يكره.

(٢) الفايق في غريب الحديث: ٤٠٤/٣.

(٣) لسان العرب: ٣٧٥/٨.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا الْقُطَيْبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِي عَنْ حَيَّوَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَسْبٍ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبِزْنِي: أَنَّ عَقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قَالَ لَهُمْ: الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ دَائِمُونَ.

قال: قلنا: الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ يَصَلُّونَ؟ فَقَالَ: لَا وَلَكِنَّ الَّذِينَ إِذَا صَلَّوْا لَمْ يَلْتَفِتُوا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمًا يَوْمَ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ يَعْنِي يَقِيمُونَهَا وَلَا يَكْتُمُونَهَا وَلَا يَغَيِّرُونَهَا.

وقال سهل: قَائِمُونَ بِحِفْظِ مَا شَهِدُوا بِهِ مِنْ شَهَادَةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا يَشْرِكُونَ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ وَحَفْصٌ بِشَهَادَاتِهِمْ بِالْأَلْفِ عَلَى الْجَمْعِ، الْبَاقُونَ بِشَهَادَتِهِمْ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾.

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَبْطَمَعَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّنا خَلَقْنَهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَيَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَوِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْزَنُونَ وَلَعَلُّوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْمَانِ يَرْكَبًا كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ يُوقِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَصْرَهُمْ رَهْفُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَمَا بِهِمْ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ ^(١) وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ^(٢).

﴿قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ مُقْبِلِينَ مُسْرِعِينَ عَلَيْكَ مَادِّي أَعْنَاقِهِمْ مَدِيمِي النَّظَرِ إِلَيْكَ مُتَطَلِّعِينَ نَحْوِكَ. وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ الْإِهْطَاعِ وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ حَلَقًا وَفَرَقًا عَصْبَةً عَصْبَةً وَجَمَاعَةً جَمَاعَةً مُتَفَرِّقِينَ، وَالْعِزِينَ: جَمَاعَاتٌ فِي تَفَرُّقَةٍ، وَاحْدَتُهَا عِزَّةٌ وَنَظِيرُهَا فِي الْكَلَامِ ثَبَتُهُ وَثَبْتَيْنِ وَكَرِهَ وَكَرِينَ وَقَلَّ وَقَلَيْنِ، قَالَ عَتْرَةُ:

وَقَرْنٌ قَدْ تَرَكْتَ لِذِي وَلِيٍّ عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْعُضْبِ الْعَزِينِ ^(٣)
وقال الراعي:

(١) سورة النساء: ٨٨.

(٢) سورة المدثر: ٤٩.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٩٤/١٨.

أَخْلَيْفَةُ الرَّحْمَنِ إِنَّ عَشِيرَتِي أَمْسَى سَوَائِمُهُمْ عَزِينَ فَلَوْلَا^(١)
وقال آخر:

كَأَنَّ الْجَمَاجِمَ مِنْ وَقْعِهَا خَنَاطِيلُ^(٢) يَهُونُ شَتَى عَزِينَا^(٣)
وأخبرني عقيل أن المعافى أخبرهم عن ابن جرير، قال: حَدَّثَنَا بَكَارُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمِّلُ قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ حَلَقٌ حَلَقٌ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَزِينَ» [٣٥]^(٤).

قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ ويتسمعون كلامه ولا ينتفعون به، بل يكذبونه ويكذبون عليه ويستهزؤون به وبأصحابه، ويقولون: دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد، فلندخلها قبلهم وليكون لنا فيها أكثر مما لهم فأنزل الله سبحانه: ﴿أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ قرأ الحسن وطلحة بفتح الياء وضم الخاء، ومثله روى المفضل عن عاصم، الباقر ضده ﴿كَلَّا﴾ لا يدخلونها ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي من نطفة ثم علقه ثم مضغه فلا يستوجب الجنة أحد منهم بكونه شريفاً؛ لأن مادة الخلق واحدة بل يستوجبونها بالطاعة، قال قتادة في هذه: إِنَّمَا خَلَقْتَ يَا بَنَ آدَمَ مِنْ قَدَرٍ فَاتَّقِ إِلَى اللَّهِ.

أخبرني ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرْزَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ابْنَ الْحَرِثِ الْبَاغِنْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَارِمُ أَبُو النِّعَمِينَ السُّدُوسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِذَا خَطَبَنَا ذَكَرَ مَنَاتِنَ ابْنَ آدَمَ فَذَكَرَ بَدْءَ خَلْقِهِ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ مَخْرَجِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقَعُ فِي الرَّحْمِ نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مَضْغَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَيَتَلَوُّ فِي بَوْلِهِ وَخَرَاهُ حَتَّى يَقْدِرَ أَحَدُنَا نَفْسَهُ.

وأخبرني ابن فنجويه، قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرِيَابِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَثْمَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنْ جَبْرِ بْنِ نَفِيرٍ عَنْ بَسْرِ بْنِ جَحَاشٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَصُقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ وَوَضَعَ عَلَيْهَا أَصْبَعَهُ فَقَالَ: «يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ بَنِي آدَمَ أَنِّي تَعَجَزَنِي وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بَرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجُمِعْتَ وَمَنَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ وَأَنْتَى أَوْانَ الصَّدَقَةِ» [٣٦]^(٥).

(١) جامع البيان للطبري: ١٠٧/٢٩.

(٢) الخناطيل: لا واحد لها من جنسها، وهي جماعات من الوحش والطير في تفرقة.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٩٣/١٨.

(٤) مسند أحمد: ٩٣/٥.

(٥) مسند أحمد: ٢١٠/٤.

وقيل: إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب فحذف أجل، كقول الشاعر:

أزمنت من آل ليلي احتكاراً وشطت على ذي هوى أن تزارا^(١)
أي من أجل آل ليلي.

وقيل: «ما» بمعنى من، مجازة: إنا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كلبهائم. «فلا أقسم برب المشارق والمغارب» قرأ أبو حيوه برب المشرق والمغرب «إنا لقادرون * على أن نبذل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين» نظيره في سورة الواقعة.

«فذرهم يخوضوا» في باطلهم «ويلعبوا» ويلهو في دنياهم «حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون» نسختها آية القتال «يوم يخرجون» قراءة العامة بفتح الياء وضم الراء، وروى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم بضم الياء وفتح الراء «من الأجداث» القبور «سراعاً» إلى إجابة الداعي «كانهم إلى نصب» قراءة العامة بفتح النون وجزم الصاد يعنون إلى شيء منصوب، يقال: فلان نصب عيني.

قال ابن عباس: يعني إلى غاية وذلك حين سمعوا الصيحة الأخيرة. الكلبي: إلى علم وزواية، وقال أبو العلاء: سمعت بعض العرب يقول: النصب الشبكة التي يقع فيها الصيد فيتسارع إليها صاحبها مخافة أن يفلت الصيد منها، وقرأ زيد بن ثابت وأبو رجاء وأبو العالية ومسلم البطين والحسن وأشهب العقيلي وابن عامر «إلى نصب» بضم النون والصاد، وهي رواية حفص عن عاصم واختيار أبي حاتم.

قال مقاتل والكسائي: يعني إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. وقال الفراء والأخفش: النُصْب جمع النُصْب مثل رُهن، والأنصاب جمع النُصْب فهي جمع الجمع. وقيل: النُصْب والأنصاب واحد.

«يوفضون» يسرعون. قال الشاعر:

فوارس ذبيان تحت الحديد كالجن يوفضن من عبقر^(٢)

وقال ابن عباس وقتادة: يسعون، وقال أبو العالية ومجاهد: يستبقون، ضحاك: يطلعون. الحسن بيتدرون. القرطبي يشتدون «خاشعة» ذليلة خاضعة «أبصارهم» بالعذاب، قال قتادة: سواد الوجوه «ترهقهم ذلة» يغشاهم هوان، ومنه غلام مراهم إذا غشى الإحتلام «ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون» وهو يوم القيامة.

(١) لسان العرب: ١٤٤/٨.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٩٧/١٨.

سورة نوح

مكية وهي تسعمائة وتسعة وعشرون حرفاً،
ومائتان وأربع وعشرون كلمة، وثمان وعشرون آية.

أخبرني محمد بن القيم قال: حدثنا محمد بن محمد بن شاذه قال: حدثنا أحمد بن محمد ابن الحسن قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا سليم بن فتية عن شعبة عن عاصم بن تهملة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرّكهم دعوة نوح» [٣٧] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ ﴿٤﴾ وَإِذَا جَاءَ لَا يَخْرُجُوا مِنْهَا لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبَّاءَ وَهَبَا ﴿٦﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٧﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ فَاصْبِرْ ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَتَلَّتْ لَهُمْ وَانْتَرْتُ لَهُمْ إِشْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَتُسَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ السَّمْعَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَتْلَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نباتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَادَيْتُكَ وَابْنُكِ هَؤُلَاءِ قَوْمِي هَؤُلَاءِ ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْدَرُنَّ آلَ الْهَتَكِ وَلَا تَنْدَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَافُوثَ وَنَعُوقَ وَشَارًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَصْلَحُوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ وَمِمَّا حَقَّبَتْهُمْ طُغْيَانُهُمْ أَنْ غَرِقُوا فَاذْخُلُوا فِيهَا فَاسْجُدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دَبَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجْرًا كَافًّا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَاتًا ﴿٢٨﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ * ﴿مَنْ﴾ * صِلَةٌ * وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ * وَهُوَ الْمَوْتُ فَلَا يَهْلِكُكُمْ بِالْعَذَابِ﴾ * ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ * نَفَارًا * وَإِدْبَارًا عَنْهُ﴾ * وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ * لَثَلَا يَسْمَعُوا دَعْوَتِي﴾ * وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ * غَطَوْا بِهَا وُجُوهَهُمْ لَثَلَا يَرُونِي وَلَا يَسْمَعُوا صَوْتِي﴾ * وَأَصْرُوا﴾ * عَلَى الْكُفْرِ﴾ * وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ * الدَّعْوَةَ﴾ * وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ * .

أخبرني الحسين قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهِ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ عَنْ مَطْرِفٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْاسْتِغْفَارِ حَتَّى رَجَعَ، فَقَالُوا لَهُ: مَا رَأَيْتُكَ اسْتَسْقَيْتَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ لِمَحَاوِجِ السَّمَاءِ الَّتِي يَسْتَنْزِلُ مِنْهَا الْمَطَرُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ * .

﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ * بِسَاتِينَ﴾ * وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ * جَارِيَةً، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوهُ زَمَانًا طَوِيلًا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمَطَرَ، وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَهَلَكْتَ أَمْوَالُهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ، فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ إِنْ آمَنُوا أَنْ يَرْدَ عَلَيْهِمْ .

وروى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن فشكا إليه الجدوبة، فقال له الحسن: استغفر الله، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر، فقال له: استغفر الله، وأتاه آخر فشكا إليه جفاف بساتينه فقال له: استغفر الله فقلنا أذاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فقال: ما قلت من ذات نفسي في ذلك شيئاً إنما اعتبرت فيه قول الله سبحانه حكاية عن نبيه نوح (عليه السلام) إنه قال لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ * .

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ * . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: مَا لَكُمْ لَا تَرَوْنَ لِلَّهِ عَظَمَةً، سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: مَا لَكُمْ لَا تَعْظُمُونَ لِلَّهِ حَقَّ عَظَمَتِهِ . مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ: لَا تَبَالُونَ لِلَّهِ عَظَمَتِهِ . الْعُوفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا تَعْلَمُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً . قَتَادَةُ: لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ عَاقِبَةً، ابْنُ زَيْدٍ: لَا تَرَوْنَ لِلَّهِ طَاعَةً . الْكَلْبِيُّ: لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً . ابْنُ كَيْسَانَ: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَنْ يَثْبُكَكُمْ عَلَى تَوْفِيرِكُمْ إِيَّاهُ خَيْرٌ، الْحَسَنُ: لَا تَعْرِفُونَ لِلَّهِ حَقًّا وَلَا تَشْكُرُونَ لَهُ نِعْمَةً . سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ أَيْضًا: لَا يَرْجُونَ لِلَّهِ ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا، وَالرَّجَاءُ مِنَ الْأَضْدَادِ يَكُونُ أَمَلًا وَخَوْفًا .

﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ تارات ومرات حالا بعد حال، نطفة ثم علقة ثم مضغة، إلى تمام الخلقة ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً * وجعل القمر فيهن نوراً﴾.

﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ قال الحسن: يعني في السماء الدنيا. وهذا جائز في كلام العرب، كما يقال: أتيت بني تميم وأتاني بعضهم، ويقول: فلان متوار في دور بني فلان، وإنما هو في دار واحدة. وقال مقاتل: هو معناه وجعل القمر معهن نوراً لأهل الأرض، ﴿في﴾ بمعنى مع. وقال عبد الله بن محمد: وإن الشمس والقمر وجوهما قبل السموات وضوء الشمس ونور القمر منها وأقفيتهما قبل الأرض، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله سبحانه ﴿وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ مصباحاً مضيئاً.

وقيل لعبد الله بن عمر: ما بال الشمس تُصلينا أحياناً وتبرد علينا أحياناً، فقال: إنها في الصيف في السماء الرابعة وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن، ولو كانت في السماء الدنيا لما قام لها شيء.

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ وكان حقّه إنباتاً ولكنه مصدر مخالف للصدر، وقال الخليل: مجازة: فنبت نباتاً ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ أمواتاً ﴿ويخرجكم﴾ منها أحياء ﴿إخراجاً﴾ * والله جعل لكم الأرض بساطاً ﴿مهاداً يحملكم ويسترکم أمواتا﴾ ﴿تسلکوا منها سبلا فجاجاً﴾ طرقاً مختلفة. ﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾ وهم القادة والأشراف ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ عظيماً يقال: كبر كبار بالتخفيف وكبار بالتشديد، كلها بمعنى واحد ونظيره في كلام العرب، أمر عجيب وعجاب وعجاب، ورجل حسان وحسان، وكمال وكمال، وقراء للقاري ووضاء للوضي، وأنشد ابن السكيت:

بيضاء تصطاد القلوب وتستبي وبالخُسن قلب المسلم القراء^(١)
وقال آخر:

والمرء يلحقه بقيتان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء^(٢)

وقرأ ابن محيص وعيسى: كبارا بالتخفيف، واختلفوا في معنى مكروهم.

فقال ابن عباس: قالوا قولاً عظيماً. الحسن: مكروا في دين الله وأهله مكراً عظيماً.

الضحاك: افترؤا على الله وكذبوا رسله. وقيل: حرّشوا أسفلتهم على قتل نوح.

﴿وقالوا﴾ لهم ﴿لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً﴾ قرأ أهل المدينة بضم الواو، وغيرهم بفتحها^(٣) وهما لغتان ﴿ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق﴾ قراءة العامة غير مجرى فيهما، قال أبو

(٢) تفسير القرطبي: ٣٠٧/١٨.

(١) تفسير القرطبي: ٣٠٦/١٨.

(٣) في المخطوط: بفتح.

حاتم: لأنهما على بناء فعل مضارع وهما مع ذلك أعجميان. وقرأ الأعمش وأشهب العقيلي: ولا يغوثاً ويعوقاً مصروفين ﴿ونسراً﴾.

أخبرني الحسين قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: حدثنا محمد بن بكار بن المرقان، قال: حدثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب، قال: كان لآدم (عليه السلام) خمس بنين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكانوا عباداً فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزناً شديداً، فجاءهم الشيطان، فقال: هل لكم أن أصور لكم في قبلكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه، قالوا: نكره أن يجعل في قبلتنا شيئاً نصلي إليه، قال: فأجعله في مؤخر المسجد. قالوا: نعم فصوره لهم من صفر ورصاص، ثم مات آخر فصوّره لهم، ثم مات آخر فصوّره لهم، قال: فنقصت الأشياء كما ينقصون اليوم وأقاموا على ذلك ما شاء الله، ثم تركوا عبادة الله سبحانه فأتاهم الشيطان فقال: ما لكم لا تعبدون شيئاً، قالوا: من نعبد؟ قال: هذه آلهتكم وآلهة آبائكم لا ترونها مصوّرة في مصالكم، قال: فعبدوها من دون الله عزّوجل، حتّى بعث الله عزّوجلّ نوحاً فدعاهم إلى عبادة الله سبحانه، فقالوا: ﴿لا تذرنا آلهتكم﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ونسراً﴾.

وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس، ﴿ولا تذرنا ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح (عليهما السلام)، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا، قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنّما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم.

قال ابن عباس: كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند، يحول بين الكافرين وبين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إنّ هؤلاء يفخرون عليكم فيزعمون أنّهم بنو آدم دونكم وإنّما هو جسد وأنا أصور لكم مثله تطوفون^(١) به، فنحت خمسة أصنام وحملهم على عبادتها وهي ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فلما كان أيام الغرق دفن الطوفان تلك الأوثان وطمّها التراب، فلم تزل مدفونة حتّى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، فاتخذت قضاة ودّاً فعبدوها بدومة الجندل، ثم توارثه بنوه الأكابر فالأكابر حتّى صارت إلى كلب فجاء الإسلام وهو عندهم، وأخذ أعلى وأنعم وهما من طي يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً، ثم إن بني ناجية أرادوا أن ينزعوه من أعلى وأنعم، ففروا به إلى الحصين أخي بني الحرث بن كعب، وأما يعوق فكان لكهلان، ثم توارثه بنوه الأكبر فالأكبر، حتّى صار إلى همدان، وأما نسر فكان لخنعم يعبدونه، وأما سواع فكان لآل ذي الكلاع يعبدونه^(٢).

(١) في المخطوط: تطيفون.

(٢) راجع تفسير القرطبي: ١٨ / ٣٠٨.

وقال عطاء وقتادة والثمالي والمسيب: صارت أوثان قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل، وكان سواع برهاط لهذيل، وكان يغوث لبني غطف من مراد بالجوف، وكان يعوق لهمدان، وكان نسر لآل ذي الكلاع من حمير، وأما اللات فلثقيف، وأما العزى فلسليم وغطفان وخثعم ونصر وسعيد بن بكر، وأما مناة فكانت لقديد، وأما أساف ونائلة وهبل فلاهل مكة، وكان أساف حيال الحجر الأسود، وكانت نائلة حيال الركن اليماني، وكان هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعاً.

وقال الواقدي: كان ودّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير.

﴿وقد أضلّوا كثيراً﴾ أي ضلّ بعبادتها وبسببها كثيراً من الناس نظيره ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كثيراً من الناس﴾^(١) ﴿ولا تزد الظالمين إلاّ ضلّالا * فمما خطيئتهم﴾ أي من خطاياهم^(٢) و(ما) صلة وقرأ أبو عمرو خطاياهم ﴿أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ وقرأ أبو حيوة والأعمش: مما خطتهم على الواحد، وروى أبو روق عن الضحاك في قوله سبحانه: ﴿أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾ قال: يعني في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب.

أنشدنا أبو القيمّ الحسن قال: أنشدنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رمح، قال: أنشدنا أبو بكر بن الأنباري:

الخلق مجتمع طوراً ومفترق والحادثات فنون ذات أطوار
لا تعجبن لأضداد إن اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار
﴿وقال نوح﴾ قال مقاتل: نوح بالسريانية الساكن، وإنما سمّي نوحاً؛ لأنّ الأرض سكنت إليه ﴿رَبِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾. أحداً يدور في الأرض فيذهب ويحيى، وهو فيعال من الدوران مثل القيام أصله قيوام وديّوار.

وقال القتيبي: أصله من الدارأي نازل داراً ﴿إِنَّكَ إِن تذرهم يضلّوا عبادك﴾ قال ابن عباس: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنّه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه.

﴿ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً﴾ يعني: من سيكفر ويفجر. قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد: إنّما قال نوح (عليه السلام) هذا حين أخرج الله تعالى كلّ مؤمن

(١) سورة إبراهيم: ٣٦.

(٢) في المخطوط: خطيئتهم.

أصلا بهم وأرحام نسائهم وأيس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة، وقيل: سبعين سنة وأخبر الله سبحانه وتعالى نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً، فحينئذ دعا عليهم نوح، فأجاب الله سبحانه دعاءه فأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب.

وقال أبو العالية والحسن: لو أهلك أطفالهم معهم لكان عذاباً من الله لهم، ولكن الله تعالى أهلك ذريتهم وأطفالهم بغير عذاب ثم أهلكهم، والدليل عليه قوله سبحانه: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾^(١) وقد علمنا أن الأطفال لم يكذبوا الرسل وإنما وقع العذاب على المكذبين.

﴿رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات﴾ عامة وقال الكلبي: من أمة محمد ﷺ ﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ هلاكاً ودماراً.

سورة الجن

مكية وهي ثمان مائة وسبعون حرفاً،
 وخمس وثمانون كلمة، وثمانون آية

أخبرنا نافل بن راقم بن أحمد بن عبد الجبار البابي، قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي، قال: حدّثنا عمرو بن محمد الكرباسي، قال: حدّثنا أسباط بن اليسع البخاري، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الله السلمي، قال: حدّثنا نوح بن أبي مريم عن عليّ بن زيد عن أبي ابن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة الجنّ أعطي بعدد كلّ جنّي وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة» [٣٨] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُضِلَّنَا أَتَيْنَا بِكَ الْبَيِّنَاتِ وَأَنَّا لَمُتَّكِلُونَ (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينًا عَلَىٰ اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلَمَّتَةً حَرِيسًا شَدِيدًا فِي شَبَهِهَا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ آلَانٍ يَحْدِثْ لَهَا شَيْهَانَا رَصْدًا (٩) وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَا مِنَّا الضَّالُّونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا (١١) وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُمْ هَرَا (١٢) وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)

﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وكانوا تسعة من جن نصيبين استمعوا قراءة النبي ﷺ وقد مرّ خبرهم (٢).

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠/١٤٠.

(٢) راجع مسند أحمد: ١/٤٥٨.

قال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنهم من بني الشيطان وهم أكثر الجن عدداً وهم عامة جنود إبليس. ﴿فقالوا﴾ لما رجعوا إلى قومهم ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً * وأنه ﴿بافتح قرأه أهل الشام والكوفة إلا حفصاً.﴾

وفتح أبو جعفر ما كان مردوداً على الوحي، وكسر ما كان حكاية عن الجن، وجرها كلها الباقون.

﴿تعالى جد ربنا﴾ حدثنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن مهدي العدل، قال: حدثنا الأصم، قال: حدثنا أحمد بن حازم، قال: حدثنا عبد الله بن سفيان عن السدي في قوله: ﴿جد ربنا﴾ قال: أمر ربنا.

وبإسناده عن سفيان عن سلمان التيمي عن الحسن، قال: غنى ربنا ومنه قيل: للحظ جد ورجل مجدود. وقال ابن عباس: قدرة ربنا. مجاهد وعكرمة: جلاله. قتادة: عظمته. ابن أبي نجيح عن مجاهد: ذكره. ضحاك: فعله. القرظي: آلاؤه ونعمه على خلقه. الأخفش: علا ملك ربنا. ابن كيسان: علا ظفره على كل كافر بالحجة. والجد في اللغة: العظمة، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد في أعيننا أي عظم.

وقال ابن عباس: لو علمت أن في الإنس جدّاً ما قالت تعالى جد ربنا، وقال أبو جعفر الباقر وابنه جعفر والربيع بن أنس: ليس لله جد وإنما وليه الجد بالجهالة فلم توخذوا به.

﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ وقرأ عكرمة: ﴿تعالى جد ربنا﴾ بكسر الجيم على ضد الهزل، وقرأ ابن السميع: (جدي ربنا) وهو الجدوى والمنفعة.

﴿وأنه كان يقول سفيهاً﴾ جاهلنا، وقال مجاهد وقاتة: هو إبليس لعنه الله ﴿على الله شططاً﴾ عدواناً وقولا عظيماً ﴿وإننا ظننا﴾ حسبنا ﴿أن لن نقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ أي كنّا نظنّهم صادقين في قولهم: إنّ لله صاحبة وولداً حتّى سمعنا القرآن ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ وذلك قول الرجل من العرب إذا أمسى بالأرض القفر: أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه، فبييت في أمن وجوار حتّى يصبح.

قال مقاتل: أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن، ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك في العرب.

أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: حدثنا أبو القيم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي، قال: حدثنا موسى بن سعيد بن النعمان بطرطوس، قال: حدثنا فروة بن معراء الكندي، قال: حدثنا القيم بن مالك عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصاري، قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر

رسول الله ﷺ بمكة فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف النهار جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي، فقال: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا نراه يقول: يا سرحان أرسله، فأتانا الحمل يشتد حتى دخل الغنم، ولم يصبه كدمة، قال، وأنزل الله سبحانه على رسوله بمكة: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾.

﴿فزادوهم رهقاً﴾ يعني: [إن الإنس زادوا الجن طغياناً باستعاذتهم]^(١) فزادتهم رهقاً.

قال ابن عباس: أثماً. معمر عن قتادة: خطيئة. سعيد عنه: جراً^(٢). مجاهد: طغياناً. ربيع: فرقاً. ابن زيد: خوفاً. إبراهيم: عظمة، وذلك أنهم قالوا: [سدنا] الجن والإنس. مقاتل: غياً. الحسن: شراً. ثعلب: خساراً. والرهق في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم، ورجل مرهق: إذا كان كذلك. وقال الأعشى:

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقاً^(٣)
﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم﴾ يا معشر الكفار من الإنس ﴿أن لن يبعث الله أحداً﴾ بعد موته
﴿وأنا لمنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً﴾ من الملائكة ﴿وشهباً﴾ من النجوم ﴿وأنا كنا نقعد منها﴾ من السماء ﴿مقاعد للسمع فمن يسمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾ * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض ﴿برمي الشهب﴾ * أم أراد بهم رتيم رشداً * وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق دداً ﴿أهواء مختلفة وفرقاً شتى، منا المؤمن ومنا الكافر.

قال سعيد بن جبیر: ألواناً شتى. الحسن: قدداً مختلفين، الأخفش: ضروباً، أبو عبيدة: أصنافاً، المؤرخ: أجناساً، النضر: مللاً، ابن كيسان: شيعاً وفرقاً لكل فرقة هوى كأهواء الناس، وقال الفراء: تقول العرب: هؤلاء طريقة قومهم أي ساداتهم ورؤساؤهم، المسيب: كنا مسلمين ويهوداً ونصارى.

أخبرني ابن فنجويه، قال: حدّثنا محمد بن عمرو بن الخطاب، قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن نحتويه، قال: حدّثنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم الصوري بأنطاكية، قال: حدّثنا محمد بن المتوكل بن أبي السراي، قال: حدّثنا المطلب بن زياد، قال: سمعت السدي يقول في قول الله سبحانه: ﴿كنا طرائق قدداً﴾، قال: الجن مثلكم فيهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة.

واحد القد: قدة، وهي الفرقة وأصلها من القد وهو القطع. قال لبيد يرثي أخاه أريد:

لم تبلغ العين كل نهمتها ليلة تمشي الجياد كالقد

(١) التقويم عن تفسير القرطبي: ١٩ / ١٠.

(٢) في تفسير القرطبي: سعيد بن جبیر: كفراً.

(٣) لسان العرب: ١٢٩ / ١٠.

وقال آخر:

ولقد قلت وزيد جاسر يوم ولّت خيل عمرو قددا
 ﴿وَأَنَا ظَنَّا﴾ علمنا ﴿أَنْ لَّنْ نَعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ إِنْ أَرَادَ بِنَا أَمْرًا ﴿وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ إِنْ
 طَلَبْنَا ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ قَرَأَهُ الْعَامَّةُ بِالْأَلْفِ، وَقَرَأَ
 الْأَعْمَشُ فَلَا يَخْفَفُ بِالْجَزْمِ ﴿بِخُسًا﴾ نَقْصًا ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظَلَمًا، يَقُولُ: لَا يَخَافُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ
 حُسْنَاتِهِ، وَلَا أَنْ يَزْدَادَ فِي سَيِّئَاتِهِ، وَلَا أَنْ يُوْخَذَ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ، وَلَا أَنْ يَعَاقِبَ بِغَيْرِ جَرَمٍ، وَقِيلَ:
 رَهَقًا: مَكْرُوهًا يَغْشَاهُ، وَقِيلَ: ذَهَابَ كُلُّهُ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظَلَمًا وَلَا
 هَضَمًا﴾^(١).

﴿وَأَنَا مَتَا الْمُسْلِمُونَ وَمَتَا الْقَاسِطُونَ﴾ الْجَائِرُونَ الْعَادِلُونَ عَنِ الْحَقِّ. يَقَالُ: أَقْطَسَ الرَّجُلُ
 فَهُوَ مُقْطَسٌ إِذَا عَدَلَ، قَالَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ: ﴿وَأَقْطَسُوا إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْطَسِينَ﴾^(٢)، وَقُطِطَ يَقْطُطُ
 قُطُوطًا إِذَا جَادَ. قَالَ الشَّاعِرُ:

قَوْمَ هَمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنُودَ عَمْرَأَ وَهَمْ قَسَطُوا عَلَى النِّعْمَانِ^(٣)
 وَأَنْشَدَ ابْنُ زَيْدٍ:

قَسَطْنَا عَلَى الْأَمْلَاكِ فِي عَهْدِ تَبَعٍ وَمَنْ قَبْلَ مَا أَدْرَى النُّفُوسُ عِقَابَهَا^(٤)
 وَنَظِيرُهُ فِي الْكَلَامِ الْمَتْرَبُ: الْفَقِيرُ، وَالْمَتْرَبُ: الْغَنِيُّ.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأَوْلُكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أَيِ قَصَدُوا وَأَعَدُّوا وَتَوَخَّوْا وَمِنْهُ بِتَحَرَّى الْقِبْلَةِ لِمَنْ
 عَمِيَ عَلَيْهِ. وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

دِيْمَةُ هِطْلَاءٍ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقَ الْأَرْضَ تَحَرَّى وَتَدَرَّ^(٥)
 ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

وَالَّذِي اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا ﴿١٦﴾ لَنَفْسِهِمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ
 عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ
 عَلَيْهِ لِيَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي

(١) سورة طه: ١١٢.

(٢) سورة الحجرات: ٩.

(٣) تفسير القرطبي: ١٧/١٩.

(٤) جامع البيان للطبري: ١٤١/٢٩.

(٥) الصحاح: ١٥١٢/٤.

لَنْ يُخْرِقَ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢١﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ أَذْرَبْتُ أَقْرَبْتُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَمْحَلُّ لَمْ رَقِيَ أَمَدًا ﴿٢٤﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٦﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا﴾ قراءة العامة لو: بكسر الواو. وقرأ الأعمش: لو استقاموا بضم الواو.

﴿على الطريقة﴾ اختلف المفسرون في تأويلها، فقال قوم: معناها وأن لو استقاموا على طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين. ﴿لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾، قال عمر رضي الله عنه في هذه الآية: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة، يعني أعطيناهم ما لا كثيراً وعيشاً رغيداً ووسعنا عليهم في الرزق وبسطنا لهم في الدنيا ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنتخبرهم كيف شكرهم فيما خولوا وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن رباح والضحاك وقتادة وعبيد بن عمير وعطية ومقاتل والحسن، قال: كان والله أصحاب رسول الله ﷺ سامعين لله مطيعين فتحت عليهم كنوز كسرى وقيسر، ففتنوا بها فوثبوا بإمامهم فقتلوه يعني عثمان بن عفان.

ودليل هذا التأويل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾^(١) وقوله سبحانه: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾^(٤) الآيات.

وقال آخرون: معناها وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة وكانوا كفاراً كلهم لأعطيناهم ما لا كثيراً ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجاً، حتى يفتنوا فيعذبهم. وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي والثمالى ويमान بن رباب وابن كيسان وابن مجلد، ودليل هذا التأويل قوله سبحانه: ﴿فلما نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾^(٥)

(١) سورة المائدة: ٦٦.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) سورة النحل: ٩٧.

(٤) سورة نوح: ١٠ - ١١.

(٥) سورة الأنعام: ٤٤.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾^(١).
 وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).
 وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(٣).

﴿وَمَنْ يَعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يُولََّ سُلْكَهٗ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب وأيوب بالياء وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد. وقرأ مسلم بن جندب: نُسلْكه بضم النون وكسر اللام. وقرأ الآخرون بفتح النون وضم اللام وهما لغتان سلك واسلك بمعنى واحد أي يدخله.

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال ابن عباس: شاقاً. السدي: مشقة. قتادة: لا راحة فيه. مقاتل: لا فرج فيه. الحسن: لا يزداد إلا شدة.

ابن زيد: متعباً. والأصل فيه أن الصعود يشقّ على الإنسان، ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعد في خطبة النكاح، أي ما شقّ عليّ. وقال عكرمة: هو جبل في النار. وقال الكلبي: يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد في النار جبلاً من صخرة ملساء حتى يبلغ أعلاها يجذب من أمامه بالسلاسل، ويضرب بمقامع الحديد حتى يبلغ أعلاها ولا يبلغه في أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها أجر إلى أسفلها، ثم يكلف أيضاً صعودها فذلك دأبه أبداً، وهو قوله: ﴿سَأْرَهْقَه صَعُودًا﴾^(٤).

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ قال سعيد بن جبیر: قالت الجن لنبي الله كيف لنا أن نأتي المسجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين أن يخلصوا له الدعوة إذا دخلوا المساجد، وأراد بها المساجد كلها.

وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها وذلك، أن الأرض جعلت للنبي ﷺ مسجداً، وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية إذا دخل أحدهم المسجد قال: أشهد أن لا إله إلا الله والسلام على رسول الله.

وقال سعيد بن جبیر وطلق بن حبيب: أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد وهي سبعة: القدمان والركبتان واليدان والوجه. وسمعت محمد بن الحسن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبو القیّم البزاز يقول: قال ابن عطاء: مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها.

(٢) سورة الشورى: ٢٧.

(١) سورة الزخرف: ٣٣.

(٣) سورة العلق: ٦ - ٧.

(٤) سورة المدثر: ١٧.

وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن زكريا غير مرة، قال: أخبرنا ابن الشرقي، قال: حدّثنا حمدان السلمي، قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل ومعلّى بن أسيد ومسلم بن إبراهيم، قالوا: حدّثنا وهيب، قال: حدّثنا ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة: أعظم الجبهة - وأشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين، وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً» [٣٩] (١).

وأخبرنا أبو بكر الجوزقي، قال: أخبرنا عمرو بن عبد الله البصري، قال: حدّثنا أحمد بن سلمة، قال: حدّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا بكر بن مضر عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن العباس بن عبد المطلب، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سجد العبد سجد معه سبعة» [٤٠] (٢) فإن جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجداً بكسر الجيم، وإن جعلت الأعضاء فواحدها مسجداً بفتح الجيم. وقال الحسن: «وأن المساجد لله» يعني الصلوات فلا تدعوا مع الله أحداً أي أفردوا له التوحيد وأخلصوا له العبادة. وقيل: معناه فردوها لذكر الله وعبادته فلا تتخذوها متجراً ولا مجلساً ولا طرقات ولا تجعلوها فيها لغير الله نصيباً.

«وأنه لما قام عبد الله» يعني: محمداً ﷺ «يدعوه» يقول: لا إله إلا الله ويدعوا إليه ويقرأ القرآن «كادوا» يعني: الجن «يكونون عليه لبداً» أي يركبون بعضهم بعضاً، ويزدحمون ويسقطون حرصاً منهم على استماع القرآن. قاله الضحاك ورواه عطية عن ابن عباس.

سعيد بن جبيرة عنه: هذا من قول النفر من الجن لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله ﷺ له واهتمامهم به في الركوع والسجود واقتنائهم به في الصلاة. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني لما قام عبد الله بالدعوة تلبّدت الجن والإنس، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به، ويطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم هذا الأمر وينصره ويظهره على من ناواه.

وأصل اللبد: الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه قيل للجراد الكبير: لبدٌ، وتلبد الشعر إذا تراكم. ومنه سمي اللبد لبداً، كما ويقال للشعر على الأسد: لبدة وجمعها لبدٌ، قال زهير: لدى أسد شاك السلاح خبان له لبد أظفاره لم تُقلّم (٣) وفيه أربع لغات: لَبَدٌ بكسر اللام وفتح الباء و[هي] قراءة العامة واختيار أبي عبيدة وأبي

(١) مسند أحمد: ٢٩٢/١.

(٢) كتاب المسند للشافعي: ٤٠.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٤/١٩.

حاتم واحدتها لبدة بكسر اللام، ولُبد بضم اللام وفتح الباء وهي قراءة مجاهد وابن محيص وواحدتها لبدة بضم اللام، ولُبد بضم اللام والباء وهي قراءة أبي حيوه واحدتها لبيد، ولُبد بضم اللام وتشديد الباء وهي قراءة الحسن وأبي جعفر وواحدتها لابد مثل راعع رُكع وساجد وسُجد.

﴿قل﴾ يعني رسول الله ﷺ وبه قرأ أكثر القراء، وقرأ أبو جعفر والأعمش وعاصم وحمزة ﴿قل﴾ على الأمر ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ * قل إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قل إِنِّي لَنْ يَجْبِرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي ملجأ أميل إليه وقال قتادة: نصرأ. الكلبي: مدخلا في الأرض مثل السرب، السدي: جرأ.

قال مقاتل: قال كفار قريش للنبي ﷺ: إِنَّكَ أَتَيْتَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِهِ، وَقَدْ عَادَيْتِ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَارْجِعْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَنَحْنُ نَجْزِيكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْآيَاتِ. وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي عَتَا (وَلَا رَشَدًا).

﴿إِلَّا بِلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ فَإِنَّ فِيهِ الْحَوَارِ وَالْأَمْنَ وَالنَّجَاةَ قَالَهُ الْحَسَنُ.

وقال قتادة: إِلَّا بِلَاغًا مِنَ اللَّهِ فَذَلِكَ الَّذِي أَمْلَكَهُ بَعَوْنُ اللَّهِ وَتَوْفِيقُهُ، فَإِنَّمَا الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ فَلَا أَمْلَكُهُمَا.

وقيل: لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا لَكِنْ أَبْلَغُ بِلَاغًا مِنَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَنَا مَرْسَلٌ وَمَبْلَغٌ لَا أَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَتْ.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ * حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني العذاب.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ * قل إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ يعني العذاب وقيل: القيامة ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ أَجَلًا وَغَايَةً تَطُولُ مَدَّتُهَا ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ﴾ رَفَعَ عَلَى نَعْتِ قَوْلِهِ رَبِّي، وَقِيلَ: هُوَ عَالَمُ الْغَيْبِ. ﴿فَلَا يُظْهَرُ﴾ يُطْلَعُ ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ * إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ اصْطَفَىٰ ﴿مَنْ رَسُولٌ﴾ فَإِنَّهُ يَصْطَفِيهِ وَيُطْلِعُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْغَيْبِ. ﴿فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ذَكَرَ بَعْضُ الْجِهَاتِ دَلَالَةَ عَلَى جَمِيعِهَا ﴿رَصْدًا﴾ حَفَظَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَاسْتِمَاعَ الْجَنِّ لَيْلًا يَسْتَرْقُوهُ فَيَلْقُوهُ إِلَى كَهْتَمِهِ.

قال سعيد بن المسيب: ﴿رَصْدًا﴾ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَفَظَةٌ. قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة جبرائيل يخبره، فبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويتردون الشيطان، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك، قالوا: هذا شيطان فاحذر، وإذا جاءه ملك، قالوا: هذا رسول ربك.

﴿لِيَعْلَمَ﴾ قرأ ابن عباس ويعقوب بضم الياء، أي ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا، وقرأ الآخرون بفتح الياء أي ليعلم الرسول أن الملائكة ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ فلم يخفَ عليه شيئاً^(١) ونصب عدداً على الحال وإن شئت على المصدر أي عد عدداً.

(١) في المخطوط: عليهم شيء.

سورة المزمل

هي مكيّة إلا قوله سبحانه: ﴿إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى آخر السورة، وهي ثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفاً، ومائتان وخمس وثمانون كلمة، وعشرون آية في الكوفي

أخبرني أبو الحسن الماوردي، قال: حدّثنا أبو محمد بن أبي حامد، قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الأصفهاني، قال: حدّثنا المؤمل بن إسماعيل، قال: حدّثنا سفيان الثوري، قال: حدّثنا أسلم المعري عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزي عن أبيه عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة المزمل رُفِعَ عنه العسر في الدنيا والآخرة» [٤١] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ① قُرِ الْبَلَّ إِلَّا قَلِيلًا ② نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ وَرَكِلَ الْقُرْآنَ قَرِيْلًا ④ إِنَّا سَتَلْقَىٰ عَلَيْكَ قَوْلًا نَفِيْلًا ⑤ إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيْلًا ⑥

﴿يا أيُّها المزمل﴾ المتلفف بثوبه، وأصله المتزمل فأدغم التاء في الزاء، ومثله يقال: تزمل وتذر بثوبه إذا تغطى به، وزمل غيره إذا غطاه.

قال امرؤ القيس:

كبير أناس في بجاد مزمل (٢)

قال أبو عبد الله الجدلي: سألت عائشة عن قوله سبحانه: ﴿يا أيُّها المزمل﴾ ما كان تزمله ذلك؟ قالت: كان مرطاً طوله أربع عشر ذراعاً نصفه عليّ وأنا نائمة ونصفه على رسول الله ﷺ، وهو يصلي.

قال أبو عبد الله: فسألتها ما كان؟

قالت: والله ما كان جزاً ولا قرأً ولا مرعزي ولا إيريسم ولا صوفاً كان سداه شعراً ولحمته وبراً.

(١) تفسير مجمع البيان: ١٥٧/١٠.

(٢) لسان العرب: ٢٥٥/١٠.

وقال السدي: أراد يا أيها النائم قم فصل. وقال عكرمة: يعني: يا أيها الذي زُمِّل هذا الأمر أي حُمِّلَه، وكان يقرأ المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها. وقالت الحكماء: إنما خاطبه بالمزمل والمدثر في أول الأمر؛ لأنه لم يكن أدنى بعد شيئاً من تبليغ الرسالة.

﴿قم الليل﴾ قراءة العامة بكسر الميم، وقرأ أبو السماك العدوي: بضمه لضمة القاف ﴿إلا قليلاً﴾ ثم بين فقال: ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً﴾ إلى الثالث ﴿أو زد عليه﴾ على النصف إلى الثلثين، خيره بين هذه المنازل، فلما نزلت هذه الآية صَلَّى النبي ﷺ وأصحابه واشتد ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ حتى شقَّ عليهم وانتفخت أقدامهم وانتفعت ألوانهم، فرحمهم الله سبحانه وخفف عنهم ونسخها بقوله: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾^(١) الآية. وكان بين أول السورة وآخرها سنة.

وقال سعيد بن جبير: لما نزل قوله: ﴿يا أيها المزمل﴾ مكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله تعالى، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله سبحانه بعد عشر سنين ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى﴾^(٢) الآية. فخفف عنهم بعد عشر سنين.

وقال مقاتل وابن كيسان: كان هذا قبل أن يفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس. وقال ابن عباس: لما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحو من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها سنة. وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة، قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلِّي عليه من الليل، فتسامع الناس به، فاجتمعوا فلما تكثرت جماعتهم، كره ذلك وخشى أن يكتب عليهم قيام الليل، فدخل البيت كالمغضب، فجعلوا يتنحنحون ويشغلون حتى خرج إليهم، فقال: «يا أيها الناس اكلفوا»^(٣) من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملّ من الثواب حتى تملّوا من العمل وإن خير العمل أدومه وإن قلَّ»^(٤) فنزلت عليه: ﴿يا أيها المزمل قم الليل﴾ فكتبت عليهم وانزلت بمنزلة الفريضة حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به، فمكثوا ثمانية أشهر، فلما رأى الله ما يكلفون ويبتغون به وجه الله ورضاه رحمهم فوضع ذلك عنهم فقال: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثله﴾ الآية. فردّهم إلى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل إلا ما تطوعوا به.

وقال الحسن: في هذه الآية الحمد لله تطوع بعد فريضة.

﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾. قال الحسن: اقرأه قراءة، بيّنه تبياناً، وعنه أيضاً: اقرأه على

(١) سورة المزمل: ٢٠.

(٢) سورة المزمل: ٢٠.

(٣) اكلفوا: تحمّلوا: النهاية لابن الأثير.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٧/١٩.

هينتك ثلاث آيات وأربعاً وخمساً. قتادة: تثبت فيه تثبتاً. ابن كيسان: تفهّمه تالياً له. وقيل: فصله تفصيلاً ولا تعجل في قراءته، وهو من قول العرب: ثُغِرَ رَتْلٌ ورَتْلٌ إذا كان مفلجاً. أبو بكر ابن طاهر: دَبَّرَ في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالإقبال عليه.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن مالك، قال: حدّثنا عبد الله، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ، قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتل كما ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها» [٤٣] (١).

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال الحسن: إنّ الرجل ليهيئُ السورة ولكن العمل به ثقیل. وقال قتادة: ثقیل والله فرائضه وحدوده. ابن عباس: شديداً. أبو العالية: ثقیلاً بالوعد والوعيد والحلال والحرام. محمد بن كعب: ثقیلاً على المنافقين. الفراء: ثقیلاً ليس بالخفيف السفساف؛ لأنه كلام ربّنا. عبد العزيز بن يحيى: مهيباً، ومنه يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح.

وسمعت الأستاذ أبا القیم بن جندب يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت الحسين بن الفضل وسئل عن هذه الآية، فقال: معناها أنا سنلقي عليك قولاً خفيفاً على اللسان ثقیلاً في الميزان. وقال أبو بكر بن طاهر: يعني قولاً لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد. وقال القیم: في هذه الآية سماع العلم من العالم مرّ واستعماله ثقیل لكنه يأتي بالفرح إذا استعمله العبد على جد السّنة وتمام الأدب. وقيل: عنى بذلك أن القرآن عليه ثقیل محمله. قال ابن زيد: هو والله ثقیل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الموازين يوم القيامة.

أخبرنا أبو الحسين ابن أبي الفضل القهندري، قال: أخبرنا مكي قال: حدّثنا محمد بن يحيى فقال: وفيما قرأت على عبد الله عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن الحرث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّ عليّ فينفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل الملك رجلاً فأعرف ما يقول» [٤٤] (٢).

قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فينقصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقاً.

(١) فتح الباري: ٣٤٩/١٣، السنن الكبرى: ٢٢/٥، ح ٨٠٥٦.

(٢) مسند أحمد: ١٥٨/٦، تفسير القرطبي: ٣٩/١٩.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى العبدى، قال: حدّثنا أحمد بن نجدة، قال: حدّثنا يحيى الحماني، قال: حدّثنا ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فيضرب بجرافها.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي ساعاته كلّها، وكل ساعة منه فهي ناشئة سميت بذلك؛ لأنها تُنشأ، ومنه نشأت السحابة إذا بدت انشاها الله وجمعها ناشيات.

أنبأني عقيل، قال: أخبرنا المعافى، قال: أخبرنا ابن جرير، قال: حدّثني يعقوب، قال: حدّثنا ابن عليّة قال: أخبرنا حاتم بن صفيرة، قال: قلت لعبد بن أبي مليكة: ألا تحدّثني أيّ الليل ناشئة؟ فقال: على الثبت سقطت سألت عنها ابن عباس فزعم أنّ الليل كلّهُ ناشئة. وسألت ابن الزبير عنها فأخبرني مثل ذلك. وقال سعيد بن جبير وابن زيد: أي ساعة قام من الليل فقد نشأ، وهو بلسان الحبش نشأ إذا قام. وقال عكرمة: ما قمت من أوّل الليل فهو ناشئة.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن ماجة، قال: حدّثنا ابن أيوب، قال: حدّثنا ابن أبي زياد، قال: حدّثنا سيار، قال: حدّثنا جعفر عن الجرير عن بعض أشياخه عن عليّ بن الحسين أنّه كان يصلّي بين المغرب والعشاء ويقول: أما سمعتم قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ هذا ناشئة الليل.

وقال أبو مجلد وقتادة: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة. وقال عبيد بن عمير: قلت لعائشة: رجل قام من أوّل الليل أيقال له قام ناشئة؟ قالت: لا، إنّما الناشئة القيام بعد النوم. وقال يمان وابن كيسان: هي القيام من آخر الليل.

﴿هي أشد وطئاً﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر وابن محيص: وطأ بكسر الواو ممدوداً، واختاره أبو عبيد على معنى المواطاة والمواقفة، وهو أن يواطىء قلبه وسمعه وبصره لسانه. وقرأ الباكون بفتح الواو مقصوراً، أي فراغاً للقلب. قال ابن عباس: كانت صلواتهم أوّل الليل هي أشدّ وطئاً، يقول: هو أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أنّ الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ.

وقال قتادة: أثبت في الخير أحفظ للقراءة. الفراء: أثبت قياماً. القرطبي: أشدّ على المصلّي من صلاة النهار، دليله قول النبي ﷺ: «اللّهُمَّ أَشَدُّ وَطْأَتَكَ عَلَى مُصْرٍ» [٤٥].

ابن زيد: أفرغ له قلباً من النهار، لأنّه لا تعرض له حوائج ولا شيء. الحسن، أشدّ وطأً في الخير وأمنع من الشيطان.

﴿وأقوم قِيلاً﴾ وأصوب قراءة، وعبادة الليل أشدّ نشاطاً وأتم إخلاصاً وأكثر بركة.

إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ أَنَّم رَّبُّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْمُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَبِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصْنٍ وَغَدَاةً آيَمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْفًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ نُنْفِذُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَتُلَظِّقُ مِنَ اللَّيْلِ مَعَهُ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ لَوْ تَحْصُوهُ قَاتَبَ عَلَيْكُمْ فَافْرَوْا مَا يَنْتَسِرُ مِنَ الْقُرْآنِ عِلْمَ أَنْ سَكُونُ مِنْكُمْ مَرَجَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَافْرَوْا مَا يَنْتَسِرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا يَقْبِضُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ قراءة العامة: بالحاء غير معجمة، أي فراغاً وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك، وأصل السبح سرعة الذهاب. ومنه السباحة في الماء، وفرس سابح شديد الجري. قال الشاعر:

أباحوا لكم شرق البلاد وغربها ففيها لكم يا صاح سبح من السبح
وقرأ يحيى بن يعمر: سبخاً بالخاء المعجمة، أراد خفة وسعة واستراحة، ومنه قول النبي لعائشة وقد دعت على سارق سرقها: «لا تسبخي عنه بدعائك عليه» [٤٦] أي لا تخففي، والتسبيخ توسيع القطن والصوف وتنفيشها، يقال للمرأة: سبّخي قطنك، ويقال لقطع القطن إذا ندف: سابخ.

قال الأخطل يصف القناص والكلاب:

فأرسلوهن يذرّين التراب كما يذري سبائخ قطن ندف أوتار^(١)
قال تغلب: السبخُ التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي ﷺ: «الحمى من قبح جهنم فسبّخوها بالماء» [٤٧]^(٢) أي سكنوها.

﴿وادكر اسم ربك﴾ بالتوحيد والتعظيم، وقال سهل اقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلواتك توصلها بركة قرابها إلى ربك وتقطعك عن كل ما سواه.

﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ قال ابن عباس وأكثر الناس: أخلص إليه إخلاصاً. الحسن: اجتهد. ابن زيد: تفرغ لعبادته. شفيق: توكل عليه توكلًا.

وسمعت محمد بن الحسن السليمي، يقول: سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت أبا القَيمَ البزاز يقول: قال ابن عطاء: انقطع إليه انقطاعاً، وهو الأصل في هذا الباب، يقال: بتلت الشيء أي وقطعته، وصدقة بته بتلة أي بائلة مقطوعة من صاحبها لا سبيل له عليها، ودار تبتل أي منقطعة عن الدور، قال امرؤ القيس:

تبضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل
ونهى رسول الله ﷺ عن التبتل ومنه قيل لمريم العذراء البتول.

وقال أبو القَيم: اتصل به اتصالاً ما رجع من رجع إلّا من الطريق، ما وصل إليه أحد فرجع عنه. محمد بن عليّ: ارفع اليدين في الصلاة. زيد بن أسلم: التبتل: رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله^(١).

﴿ربّ المشرق والمغرب﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وأيوب وحفص برفع الباء على الإبتداء. وقيل: على إضمار هو، وقرأ الباقر بالخفض على نعت الربّ في قوله سبحانه: ﴿واذكر اسم ربّك﴾ الآية.

﴿لا إله إلّا هو فاتخذهُ وكيلًا﴾ قَيِّماً بأمورك ففوّضها إليه ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلًا﴾ نسختها آية القتال.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا السني، قال: حدّثنا حاتم بن شعيب، قال: حدّثنا سريح بن يونس، قال: حدّثنا سعيد بن محمد الوراق عن الأحوص بن حكيم عن أبيه عن أبي الزاهرية أنّ أبا الدرداء قال: إنا لنكثّر في وجوه أقوام ونضحك إليهم، وإنّ قلوبنا لتقلّهم أو لتلعنهم.

﴿وذرنِي والمكذّبين أولي النعمة ومهلّم قليلاً﴾ نزلت في صناديد قريش المكذّبين المشتهرين. وقال مقاتل بن حيان: نزلت في المطعمين ببدر وهم عشرة - ذكرناهم في الأنفال - والنعمة التنعم والنعمة المروّة والمنّة أيضاً، والنعمة بضم النون: الميسرة يقال: نعم ونعمة عَيْن ونعمى عين.

﴿إنّ لدينا أنكالًا﴾ عندنا في الآخرة قيوداً عظماً لا تفكّ أبداً واحداً نكل، قال الشعبي: ترون أن الله يجعل الأنكال في أرجل أهل النار لأنّه خشي أن يفروا؟ ولكن إذا أراد أن يرتفعوا استفلت بهم. ﴿وجحيماً وطعاماً ذا غصّة﴾ غير سائغة تأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع. ﴿وعذاباً أليماً﴾.

أخبرني عقيل: أنّ أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير، قال: حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا

وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قرأ: ﴿أَنْ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ فصعق.

وأخبرني ابن فنجويه، قال: حَدَّثَنَا ابن ماجه، قال: حَدَّثَنَا الحسن بن أيوب، قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي زياد، قال: حَدَّثَنَا سيار، قال: حَدَّثَنَا صالح، قال: حَدَّثَنَا خالد بن حسان، قال: أَمْسَى عِنْدَنَا الْحَسَنُ وَأَمْسَى صَائِمًا، فَأَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ فَعَرَضْتُ لَهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ فقال: أرفع الطعام، فلما كانت الليلة الثانية أتيناه أيضاً بطعام فعرضت له هذه الآية، فقال: أرفعه، فلما كانت الليلة الثالثة أتينته فعرضت له هذه الآية، فقال: أرفعوا، فانطلق ابنه إلى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فحدثهم بحديثه، فجاءوا معه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سوق. ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أي تتحرك وتضطرب بمن عليها ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا﴾ وهو الرمل المجتمع ﴿مَهِيلاً﴾ سائلاً متناثراً إذا مسته تتابع، وأصله مهول وهو مفعول من قول القائل: هلت الرمل فأنا أهيله، وذلك إذا حرك أسفله فانهاه عليه من أعلاه، يقال: مهيل ومهول ومكيل ومكيول ومعين ومعيون، قال النبي ﷺ لأصحابه وهم يشكون الجدوية: «أتكيلون أم تهيلون؟»

قالوا: نهيل.

قال: «كيلوا ولا تهيلوا» [٤٨] (١).

وقال الشاعر:

واخال أنك سيّد معيون (٢)

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ شديداً صعباً ثقيلاً، ومنه يقال: كلاً مستوبل وطعام مستوبل إذا لم يُستمرأ، ومنه الوبال وقالت الخنساء:

لقد أكلت بجيلة يوم لاقت
فوارس مالك أكلا وبيلاً (٣)

وتقول العرب: لقد أوبل عليه الشراء أي توبع.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ أي فكيف لكم بالتقوى في القيامة إذا كفرتم في الدنيا، يعني: لا سبيل لكم إلى التقوى ولا تنفعكم التقوى إذا وافيتم القيامة. وقيل: معناه فكيف تَتَّقُونَ عذاب يوم، وكيف تنجون منه إذا كفرتم. وقرأ ابن مسعود وعطية: فكيف يَتَّقُونَ يوماً يجعل الولدان شياً أن كفرتم.

(٢) الصحاح: ٢١٧١/٦.

(١) الفايق في غريب الحديث: ٤١٦/٣.

(٣) تفسير القرطبي: ٤٩/١٩.

وقرأ أبو السماك العدوي: فكيف يتقون بكسر النون على الإضافة.

﴿يوماً يجعل الولدان﴾ الصبيان ﴿شيئاً﴾ شمطاً من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم: قم فابعث بعث النار من ذريتك.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن بشر، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الخطيب، قال: حدثني محمد بن غالب، قال: سمعت عثمان بن الهيثم، يقول: مررت بأبن السري وهو قائم في الطريق، فسأله إنسان ﴿يوماً يجعل الولدان شيئاً﴾، قال: هم أولاد الزنا. وقيل: أولاد المشركين.

﴿السماء منفطر﴾ مثقل مشقق ﴿به كان وعده مفعولاً إن هذه﴾ السورة أو هذه الآيات ﴿تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بالإيمان والطاعة ﴿إنّ ربك يعلم أنّك تقوم أدنى﴾ أقرب ﴿من ثلثي الليل﴾ روى هشام عن أهل الشام ثلثي مخفف غير مشع ﴿ونصفه وثلثه﴾ نصبها أهل مكة والكوفة على معنى وتقوم نصفه وثلثه، وخففهما الباقي عطفاً على ثلثي. ﴿وطائفة من الذين معك﴾ أيضاً يقومونه.

﴿والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه﴾ تطبيقاً قيام الليل ﴿فتاب عليكم﴾ تجاوز عنكم ورجع لكم إلى التخفيف عليكم ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ قال السدي: مائة آية. قال الحسن: من قرأ مائة آية في ليله لم يحاجه القرآن. وقال كعب: من قرأ في ليله مائة آية كتب من القانتين. وقال سعيد: خمسون آية. وروى الربيع بن صبيح عن الحسن: ﴿فاقرءوا ما تيسر منه﴾ قال: يعني في صلاة المغرب والعشاء.

﴿علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ فسوى بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعلى العيال وللإحسان والإفضال.

أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن سلم، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الخالق، قال: حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد الحجاج، قال: حدثني أبو الفتح، قال: قال أبو نصر بشر بن الحرث، قال: حدثنا المعافى بن عمران وعيسى بن يونس عن فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود، قال: أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله سبحانه بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبد الله ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾.

وأخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا موسى بن محمد بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن عثمان ابن أبي شيبة، قال: حدثنا عبد الحميد بن صالح، قال: حدثنا أبو غنبل عن القيم بن عبيد الله

عن أبيه، قال: سمعت ابن عمر، يقول: ما خلق الله عزّ وجلّ موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحبّ إليّ من أن أموت بين شعبي رجل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله.

﴿فاقرءوا ما تيسر منه﴾ سمعت محمد بن الحسن السلمي، يقول: سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت أبا القيم الأسكندراني، يقول: سمعت أبا جعفر الملطّي، يقول: عن عليّ ابن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد في هذه الآية، قال: ما تيسر لكم منه خشوع القلب وصفاء السر [٤٩] ^(١).

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تُقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً﴾ من الشح والتقصير ﴿وأعظم أجراً﴾ من ذلك الذي قدّمتموه لو لم تكونوا قدّمتموه، ونصب ﴿خيراً وأعظم﴾ على المفعول الثاني، وهو فصل في قول البصريين، وعماد في قول الكوفيين لا محل له من الإعراب. ﴿واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم﴾.

سورة المدثر

مكية، وهي ألف وعشرة أحرف،
ومائتان وخمسون كلمة، وست وخمسون آية

أخبرني محمد بن القاسم بن أحمد قال: حدّثنا عبدالله بن أحمد بن جعفر قال: حدّثنا أبو عمر والخيري وعمر بن عبدالله البصري قالاً: حدّثنا محمد بن عبدالوهاب قال: حدّثنا أحمد ابن عبدالله بن يونس قال: حدّثنا سلام بن سليم قال: حدّثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المدثر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد مَنْ صدّق بمحمد وكذبه بمكة» [٥٠] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ ﴿٣﴾ وَبِإِلَهِكَ فَطَعِّزْ ﴿٤﴾ وَالْأُخْرَىٰ فَاهْبِزْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَسْ
سُكُّنَهُ ﴿٦﴾ وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾: أي المدثر في قطيفه. أخبرنا أبو نعيم الاسفرائيني، بها قال: أخبرنا أبو عمران بن موسى بن العباس الارادواري بها، قال: أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي ببيروت قال: أخبرني أبي قال: حدّثنا أبو عمرو الأوزاعي قال: حدّثنا، أبو نصر يحيى ابن أبي كبير العطار اليماني قال: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني جاورت بحراء شهراً فلما قضت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وشمالني فلم أر شيئاً، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء فأخذتني وحشة، فأمرتهم فدثروني فأنزل الله سبحانه: يا أيها المدثر، حتى بلغ: وثيابك فطهر» [٥١] (٢).

وأخبرنا أبو نعيم قال: حدّثنا أبو عمران قال: حدّثنا جعفر بن عامر البغدادي قال: حدّثنا سعد أبو محمد قال: حدّثنا شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال:

(١) تفسير مجمع البيان: ١٧١/١٠.

(٢) صحيح مسلم: ٩٩/١. بتفاوت.

أخبرني جابر بن عبدالله إنَّ أوَّل شيء نزل من القرآن يا أيها المدثر، وقال جابر: ألا أخبرك ما سمعت عن النبي (عليه السلام) سمعته يقول: «جاورت بحراء فلما قضيت جوارى أقبلت في بطن الوادي فناداني مناد فنظرت عن يميني وشمالي وخلفي وأمامي فلم أرَ شيئاً، ثم ناداني فنظرت فوقِّي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض فجثتُ منه فرقاً فأقبلت إلى خديجة، فقلت: دثروني وصّبوا عليّ ماءً بارداً فأُنزل الله سبحانه يا أيها المدثر» [٥٢] (١).

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر بن يزيد الصيرفي قال: حدَّثنا عليّ بن حرب الموصلي قال: حدَّثنا عبدالرحمن بن يحيى المدني عن يونس عن الزهري قال: سمعت أبا سلمة بن عبدالرحمن يقول: أخبرني جابر أنه سمع رسول الله (عليه السلام) يقول: «فنزعني الوحي مرّةً فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي أتاني بحراء قاعد على الكرسي بين السماء والأرض فجثت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض فجثت إلى أهلي فقلت زمّلوني فأُنزل الله سبحانه يا أيها المدثر» [٥٣] (٢).

﴿قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر﴾ قال: عكرمة سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: معناه لا يلبسها على معصية ولا على غدره ثم قال: قول غيلان بن سلمة الثقفي:

إنني بحمد لله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره اتقنع
والعرب تقول للرجل إذا وفى وصدق: إنه طاهر الثياب، وإذا غدر ونكث: إنه لدنس الثياب.

وقال أبي بن كعب: لا يلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على أكم (٣) البسها وأنت طاهر، وقال قتادة وإبراهيم والضحاك والشعبي والزهري ويमान: وثيابك فطهر من الذنب والإثم والمعصية، وقال أهل المعاني: أراد طهر نفسك عن الذنوب فكنى عن الجسم بالثياب لأنها تشتمل عليه، كقول عترة:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم (٤)
أي نفسه، وقال آخر:

ثياب بني عوف طهارى نقية وأوجههم بيض المسافرين غران (٥)

(١) جامع البيان للطبري: ١٧٩/٢٩.

(٢) سنن الترمذي: ١٠٠/٥، أسباب نزول الآيات: ٧. بتفاوت.

(٣) الأكم: المتشخّ قال أبو نخيلة: بين النقاء والأكم المستأكم، لسان العرب: ١٢ / ٢١.

(٤) لسان العرب: ٥٠٦/٤.

(٥) لسان العرب: ٢٤٦/١.

أي أنفس بني عوف.

وقال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً: إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجراً: إنه لخبيث الثياب. قال الشاعر:

لا هم إن عامر بن جهم أو ذم حجا في ثياب دسم^(١)
يعني متدنس بالخطايا.

أبو زوق عن الضحاك: وعملك فأصلح، وهي رواية فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد.

سعيد بن جبير: وقلبك وبيتك فطهر، ودليل هذا التأويل قول امرؤ القيس:

وإن تك قد ساءت مئتي خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل^(٢)
أي قلبي من قلبك.

وقال الحسن والمقرظي: وخلقت فحسن، ودليلهما قول الشاعر:

ويحيى لا يلام بسوء خلق ويحيى طاهر الأثواب حر^(٣)
أي حسن الأخلاق.

عطية عن ابن عباس: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائل، وقال ابن زيد وابن شريك نث ثيابك واغسلها بالماء وطهرها من النجاسة وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون فأمره أن يطهر ثيابه.

قال الفراء: وسمعت بعضهم يقول: طهرها بالأشنان.

وقال طاوس: وثيابك فقصر وشمر، لأن تقصير الثياب طهرة لها، وقيل: وأهلك فطهره من الخطايا بالوعظ والتأديب؛ والعرب تسمي الأهل ثوباً ولباساً وإزاراً، وقد مضى ذكره. يحيى ابن معاذ: طهر قلبك من مرض الخطايا وأشغال الدنيا تجد حلاوة العبادة، فإن من لم يضمن الجسم لا يجد شهوة الطعام، وقيل: طهر قلبك عما سوى الله.

﴿والرّجز فأهجر﴾ قرأ الحسن وعكرمة ومجاهد وحמיד وأبو جعفر وشيبة ويعقوب (والرّجز) بضم الراء ومثله روى الفضل وحفص عن عاصم واختاره أبو حاتم وقرأ الباقر بكسر الراء واختاره أبو عبيد قال لأنها أفشى اللغتين وأكثرهما، وهما لغتان لمعنى واحد.

(١) الصحاح: ٢٠٥٠/٥. والدم: المتلطف بالذنوب.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٧٠/٤. والدم: المتلطف بالذنوب.

(٣) تفسير القرطبي: ٦٤/١٩.

قال ابن عباس: اترك المأثم، مجاهد وقتادة وعكرمة والزهري وابن زيد: والأوثان فأهجر ولا تقربها وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، وقيل الزاي فيه متقلبة عن السين والعرب تعاقب بين الزاي والسين لقرب مخرجهما ودليل هذا التأويل قوله سبحانه: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾^(١).

أبو العالية والربيع: الرُّجْز بالضم الضَّم، وبالكسر: النجاسة والمعصية، وقال الضحاك: يعني الشرك، ابن كيسان: يعني الشيطان، وقال الكلبي: يعني العذاب، ومجاز الآية: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال، وقيل: أتسقط حب الدنيا عن قلبك؛ فإنها رأس كل خطيئة، وقيل: ونفسك فخالفها.

﴿ولا تمنن﴾ قراءة العامة باظهاره التضعيف وقرأ أبو السماك العدوي ولا تمنن مدغمة مفتوحة مؤكدة ﴿تستكثر﴾ قرأ الحسن بالجزم على جواب النهي وهو ردي؛ لأنه ليس بجواب.

وقرأ الأعمش بالنصب على توهم لام كي كأنه قال: لتستكثر، وقرأ الآخرون بالرفع واختلفوا في معنى الآية فقال أكثر المفسرين ولا تُعْطِ شيئاً لتعطى أكبر منه، قال قتادة: لا تعط شيئاً طمعاً لمجازاة الدنيا ومقارضتها، القرظي: لا تعط مالك مصانعة، قال الضحاك ومجاهد: كان هذا للنبي ﷺ خاصة، وقال الضحاك: هما رياءان: حلال وحرام، فأما الحلال فالهدايا وأما الحرام فالربا.

وقال الحسن: ولا تمنن على الله بعملك فتستكثره، الربيع: لا يكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل، ابن كيسان: لا تستكثر عملك فتراه من نفسك أنما عملك منه من الله سبحانه عليك، إذ جعل لك سبيلاً إلى عبادته [فله]^(٢) بذلك الشكر أن هداك له، خفيف عن مجاهد: ولا تضعف أن تستكثر من الخير من قولهم: جبل متين إذا كان ضعيفاً، ودليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر، وقال ابن زيد: معناه ولا تمنن بالنبوة على الناس فنأخذ عليها منهم أجراً وعرضاً من الدنيا. زيد بن أسلم: إذا أعطيت عطية فاعطها لربك واصبر حتى يكون هو الذي يثيبك عليها، وقال مجاهد: واصبر لله على ما أوديت، ابن زيد: حملت أمراً عظيماً محاربة العرب ثم العجم فاصبر عليه لله، وقيل: على أوامر الله ونواهيه، وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله، وقيل: فارق الملامة والسامة، وقيل: فاصبر على البلوى فإنه يمتحن أعباءه وأصفياءه.

فَإِذَا بُرِّرَ فِي النَّافُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ذَرَفِي وَمَنْ حَلَقَتْ

(١) سورة الحج: ٣٠.

(٢) في المخطوط: فعليه.

وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾
 كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيَّتُنَا غَنِيًا ﴿١٦﴾ سَاءَ هُفْمُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّمَا مَكَرٌ وَقَدَرٌ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ
 قَدَرٌ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُخْبِرُهُ سَقَرًا ﴿٢٦﴾ وَمَا أَزِيدُكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تَنْفِي وَلَا تَنْذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاقِعُ الْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا
 تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْبَبَ النَّارَ إِلَّا مُلْكِيكَ وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ وَيَرْجِدُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يُزَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ
 اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

﴿فإذا نقر في الناقور﴾ أي نفخ في الصور.

حدثنا أبو محمد المخلدي قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الحفوطي قال: حدثنا
 عبدالله بن هشام قال: حدثنا أسباط بن محمد القرشي عن مطرف عن عطية عن ابن عباس في
 قوله سبحانه: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد
 التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ» [٥٤] ^(١) وقال أصحاب رسول الله كيف نقول ؟
 قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا» [٥٥] ^(٢).

﴿فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾

أخبرنا أبو جعفر [محمد] الحلقي ^(٣) قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن هارون الفقيه قال:
 حدثنا عمران بن موسى قال: حدثنا هدية بن خالد القيسي، قال: حدثنا أبو حباب القصاب قال:
 أمنا زرار بن أوفى فلما بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ الآية: خر ميتاً ^(٤).

﴿ذرني ومن خلقت﴾ أي خلقت في بطن أمه ﴿وحيداً﴾ فريداً لا مال له ولا ولد. نزلت في
 الوليد بن المغيرة المخزومي. قال ابن عباس وكان يسمى: الوحيد في قومه.

﴿وجعلت له مالا ممدوداً﴾ أي كثيراً وقيل: ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة
 واختلفوا في مبلغه. فقال: مجاهد وسعيد بن جبیر: ألف دينار. قتادة: أربعة آلاف دينار. سفيان
 الثوري: ألف ألف. النعمان بن سالم: كان ماله أرضاً. ابن عباس: سبعة آلاف مثقال فضة.
 مقاتل: كان له بستاناً بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفاً، دليله ﴿وظل ممدود﴾ ^(٥).

(١) مسند أحمد: ١/ ٣٢٦.

(٢) مسند أحمد: ١/ ٣٢٦.

(٣) كذا في المخطوط ولعله: الزرقاني.

(٤) تفسير القرطبي: ١٩ / ٧٠، وتفسير الثعالبي: ٥ / ٥١٢.

(٥) سورة الواقعة: ٣٠.

وروى ابن جريح عن عطاء عن عمر في قوله سبحانه: ﴿وجعلت له مالا ممدوداً﴾ قال: غلة شهر. بشهر.

﴿وبنين شهوداً﴾ حضوراً معه بمكة لا يغيبون عنه. قال سعيد بن جبیر: كانوا ثلاثة عشر ولداً. مجاهد وقتادة: كانوا عشرة. مقاتل: كانوا سبعة كلهم رجال، وهم: الوليد بن الوليد وخالد بن الوليد وعماره بن الوليد وهشام بن الوليد والعاص بن الوليد وقيس بن الوليد وعبد شمس بن الوليد، أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام وعماره، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك.

﴿ومهدت له تمهيداً﴾ أي بسطت له في العيش بسطاً، وقال ابن عباس: يعني المال بعضه على بعض كما تمهد الفرش ﴿ثم يطعم﴾ يرجو ﴿أن أزيد﴾ مالا وولداً أو تمهيداً في الدنيا ﴿كلاً﴾ قطع الرجاء عما كان يطعم فيه ويكون متصلاً بالكلام الأول وقيل: قسم أي حقاً وتكون ابتداء آية.

﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ معناداً ﴿سأرهقه صعوداً﴾ سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حمدان قال: حدثنا ابن سعيد قال: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنا عبدالله بن وهب قال: أخبرني عمرو بن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي (عليه السلام) ﴿سأرهقه صعوداً﴾ قال: «هو جبل في النار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت» [٥٦]^(١).

﴿إنه فكر وقدر﴾ الآيات، وذلك أن الله سبحانه لما أنزل على النبي (عليه السلام) ﴿حم﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴿إلى قوله﴾: ﴿إليه المصير﴾^(٢) قرأها النبي (عليه السلام) في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبي (عليه السلام) لإستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حذاء مجلس قومه بني مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلو.

ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش: صبا والله الوليد والله ليصبأ قريش كلهم وكان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال: لهم أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق فقعده إلى جنب الوليد حزينا، فقال: له الوليد مالي أراك حزينا يابن أخي، قال: وما يمعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٧٢.

(٢) سورة غافر: ١ - ٢ - ٣.

لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك [تؤمن] بكلام محمد وتدجل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم، فغضب الوليد وقال: ألم تعلم قريش أنني أكثرهم مالا وولداً وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنوناً فهل رأيتموه يخنق قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا. قال: تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ قالوا: لا، وكان رسول الله (عليه السلام) يسمي: الأمين قبل النبوة من صدقه. فقالت: قريش: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال: ما هو إلا ساحراً، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر، وما يقوله سحر. فذلك قوله سبحانه ﴿إِنَّهُ فَكَّرْ﴾ في محمد والقرآن وقدّر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما. ﴿فَقَتْلَ﴾ لعن، وقال الزهري: عذّب ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ على طريق التعجّب والإنكار والتوبيخ. ﴿ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ثم نظر ثم عبس وبسر ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا﴾ ما هذا الذي يقرأه محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يروى ويحكى.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ يعني يساراً وجبراً فهو مأثرة عنهما. وقيل: يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة، وقيل: يرويه عن أهل بابل.

﴿سَأَصْلِيهِ﴾ سأدخله ﴿سَقَرٍ﴾ لم يصرفه، لأنه اسم من أسماء جهنم.

أخبرني الحسين قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا سعدان قال: حدّثنا أحمد بن صالح قال: حدّثنا ابن وهب قال: أخبرنا عمرو أن أبا السمع حدّثه عن ابن حجره عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «قال موسى لربّه عزّ وجلّ: أي عبادك أفقر؟ قال: صاحب سقر» [٥٧]»^(١).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ فيها شيئاً إلا أكلته وأهلكته قال مجاهد: يعني لا تمت ولا تحيي يعني أنها لا تبقي من فيها حيّاً ولا تذر من فيها ميتاً، ولكنها تحرقهم كلّما جدد خلقهم، وقال السدي: لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً، وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئاً وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تغنيهم، ولكل شيء فترة وملاة إلا لجهنم.

﴿لَوْ آخِذَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ مغيرة للجلود. تقول العرب: لآخته الشمس ولوّحته. قال الشاعر:

تقول لشيء لوّحته السمائم^(٢)

وقال رؤبة:

(١) تفسير القرطبي: ٧٧/١٩.

(٢) فتح القدير: ٥ / ٣٢٧ ومطلعه: وتعجب هذا أن رأني شاحباً.

لوح منه بعد بدّن وسق تلويحك الضامر يُطوى للسبق^(١)

قال مجاهد: يلفح الجد فتدعه أشدّ سواداً من الليل، وقال ابن عباس وزيد ابن أسلم: محرقة للجلد، وقال الحسن وابن كيسان: يعني تلوح لهم جهنم متى يروها عياناً. نظيره ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾^(٢)، ولوّاحة رفع على النعت، سقر في قوله ﴿وما أدريك ما سقر﴾ وقرأ عطية العوفي في ﴿لواحة للبشر﴾ بالنصب والبشر جمع بشره وجمع البشر أبناء.

﴿عليها تسعة عشر﴾ من الخزنة ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر صنفاً ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر صفاً، ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر نقيباً، ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر ملكاً بأعيانهم وعلى هذا أكثر المفسرين. ولا يستنكر هذا فإن ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلق كان أخرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلق.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن لؤلؤ قال: أخبرنا الهيثم بن خلف قال: حدّثنا إبراهيم ابن إبراهيم قال: حدّثنا حجاج بن جريح قال: حدّثنا مرفوعاً إلى النبي (عليه السلام) «إنه نعت خزنة النار فقال: كأن أعينهم البرق، وكان أفواههم الصياصي يجرّون أشعارهم، لأحدهم من القوة مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبتة جبل فيرميهم في النار، ويرمي بالجبل عليهم» [٥٨]^(٣).

وقال عمرو بن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. قال ابن عباس وقتاده والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل: لقريش ثكلتكم أمهاتكم اسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم ألدهم - أي الشجعان - أفتعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم، فقال أبو الأشدين كلدة بن خلف بن أسد الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملئكة﴾ لا رجلاً إذ من فمّن ذا يغلب الملائكة ﴿وما جعلنا عدّتهم﴾ عددهم ﴿إلاّ فتنة للذين كفروا﴾ لتكذيبهم بذلك وقول بعضهم أنا أكفيكموه. ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ لأنّه مكتوب في التوراة والإنجيل أنّهم تسعة عشر.

﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب﴾ يشكّ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق قاله أكثر المفسرين، وقال الحسين بن الفضل: السورة مكّيّة ولم يكن بمكة البتة نفاق فالمرض في هذه الخلاف لا النفاق.

(١) تفسير القرطبي: ٧٨/١٩.

(٢) سورة الشعراء: ٩١.

(٣) تفسير القرطبي: ٧٩/١٩.

﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ إنما قاله مشركو مكة ﴿كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك﴾ جموع ربك ﴿إلا هو﴾ قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر.

أخبرنا الحسين قال: حدّثنا عمران أحمد بن القاسم قال: حدّثنا محمد بن أحمد الصباح قال: حدّثنا محمد بن عبيدة الوراق أبو مخدورة قال: حدّثنا حسين بن الحسن الأشقر قال: حدّثنا هاشم عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين وجبرئيل إلى جنبه، فأتاه ملك فقال: إنّ ربك يأمر بكذا وكذا قال: فخشي النبي عليهم أن يكون شيطان فقال: «يا جبريل أتعرفه» [٥٩]^(١) قال: هو ملك، وما كل ملكة ربك أعرف.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبه قال: حدّثنا عبد بن مرداس قال: حدّثنا سلمة ابن شعيب قال: حدّثنا عبد القدوس قال: سمعت الأوزاعي يقول: قال موسى عليه السلام: يا رب من معك في السماء؟ قال: ملائكتي، قال: كم عددهم؟ قال: إثنا عشر سبطاً، قال: كم عدة كل سبط؟ قال: عدد التراب.

﴿وما هي﴾ يعني النار ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ عظة للناس.

كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَفْرَ (٣٤) إِنَّمَا يَخْشَى الْكُفْرَ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لَمَنْ شَاءَ يَنْكَرُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْآلَيْنِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَمْشَوْنَ فِيهَا (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُضِلِّينَ (٤٣) وَلَوْ نَكُنَّ نَافِعِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْفَاضِينَ (٤٥) وَكَأَنَّهُمْ كَلِذِّبِ يَوْمَ الْآلِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا نَعْمُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُمْ تَذْكَرُونَ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكُرُوا (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ (٥٦)

﴿كَلَّا والقمر والليل إذ أدبر﴾ يعني ولّى ذاهباً، واختلفت القراءة فيه فقرأ ابن محيضر ونافع وحزمة وخلف ويعقوب وحفص ﴿إذ﴾ بغير ألف. ﴿أدبر﴾ بالالف، غيرهم هم ضده، واختاره أبو عبيد قال: لأنها أشد موافقه للحرف الذي يليه، ألا تراه قال: ﴿والصبح إذا أسفر﴾ فكيف يكون في أحدهما إذا وفي الآخر إذ، وأبو حاتم قال: لأنه ليس في القرآن لجنبه إذ وأنما الأقسام بجنبها إذا.

قال قطرب من قرأ ﴿والليل إذ أدبر﴾: يريد أقبل، من قول العرب دبر فلان أي جاء خلفي، فكأنه دبر خلف النهار. قال أبو الضحى: كان ابن عباس يعيب على من يقرأ دبر ويقول: إنما يدبر ظهر البعير، وقال الفراء: هما لغتان دبر وأدبر. قال الشاعر:

صدعت غزالة قلبه بفوارس تركت مسامعه كأمس الدابر^(١)
وقال أبو عمرو: دبر لغة قریش.

﴿والصبح إذا أسفر﴾ قرأه العامة بالألف أي أضاء وأقبل، وقرأ ابن السميع وعيسى ابن الفضل سفر بغير ألف، وهما لغتان يقال: سفر وجه فلان وأسفر، إذا أضاء، ويجوز أن يكون من قولهم: سمرت المرأة إذا ألت خمارها عن وجهها، ويحتمل أن يكون معناه نفي الظلام كما سفر البيت أي يكنس ويقال للمكنسة المسفرة.

﴿إنها لأحدى الكبر﴾ يعني أن سفر لإحدى الأمور العظام وواحد الكبر كبرى: ﴿نذيراً للبشر﴾ يعني أن النار نذير للبشر قال الحسن: والله ما أندر الله بشيء أدهى منها، وهو نصب على القطع من قوله: ﴿لأحدى الكبر﴾؛ لأنها معرفة ونذيراً نكرة.

قال الخليل: النذير مصدر كالنكير، فلذلك وصف به المؤنث، وقيل: هو من صفة الله سبحانه مجازة: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة، نذيراً للبشر أي إنذاراً لهم. قال أبو رزين: أنا لكم منها نذير فاتقوها، وقيل: هو صفة محمد (عليه السلام)، ومعنى الكلام: يا أيها المدثر قم نذيراً للبشر فأنذر، وهو معنى قول ابن زيد، وقرأ إبراهيم عن أبي غيلة نذير للبشر بالرفع على إضمار هو.

﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾ في الخير والطاعة ﴿أو يتأخر﴾ عنها في الشر والمعصية نظيره ودليله ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ يعني في الخير ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ عنه قاله الحسن، وهذا وعيد لهم كقوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^(٢) يعني أنه نذير لهما جميعاً. ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرتهنة بكسبها مأخوذة بعملها. ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم لا يحاسبون ولا يرتنون بذنوبهم ولكن يغفرها الله لهم ويتجاوزها عنهم كما وعدهم. قال قتادة: غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين واختلفوا فيهم.

فأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن [شنبه]^(٣) قال: حدثنا رضوان بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي اليقظان عن زاذان عن علي في قوله: ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ قال: هم أطفال المسلمين.

(١) بلاغات النساء: ١٢٩. وفيه: مناظره كأمس الدائر، وفي تاريخ دمشق (٤٣ / ٤٩٧): قرعت العابر.

(٢) سورة الكهف: ٢٩.

(٣) غير مقروءة في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

تدل عليه ما أخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حسن قال: حدّثنا البغوي قال: حدّثنا علي ابن الجعد قال: أخبرنا أبو عقيل عن نُهيّة عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المؤمنين أين هم؟ قال: ﴿في الجنة﴾ وسألته عن ولدان المشركين فقال: ﴿إن شئت سمعتك تضاعفهم في النار﴾ [٦٠] (١).

وقال أبو ظبيان: عن ابن عباس: هم الملائكة، وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر قال: نحن وشيعتنا أصحاب اليمين، وقال مقاتل: هم أهل الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق حين قال لهم الله سبحانه: هؤلاء في الجنة ولا أبالي.

وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون، وعنه أيضاً: هم الذين كانوا ميّامين على أنفسهم. ابن كيسان هم المؤمنون الصالحون ليسوا مرتّنين لأنهم أدّوا ما كان عليهم. يمان: هم الذين أمكنوا رهونهم، وقال الحكيم: هم الذين أختار الله سبحانه بخدمته فلم يدخلوا في الرهن، لأنهم خدّام الله سبحانه وصفوته وكسبهم لم يضرهم، وقال القاسم: كلّ نفس مأخوذة بكسبها من خير وشر إلا من اعتمد الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة فكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فإنه غير مأخوذ.

وسمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمرو البخاري يقول: في قوله سبحانه: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ قال: فأين الفرار من القدر وكيف الفرار على الخطر؟.

﴿في جنت يتساءلون عن المجرمين﴾ المشركين ﴿ما سلككم في سقر﴾ قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * في الباطل. ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ حتى أتانا اليقين * يعني الموقن به وهو الموت.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فما تنفعهم شفعة الشّفعين﴾ قال عبدالله بن مسعود: يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا قوله سبحانه: ﴿لم يك من المصلين﴾ إلى قوله ﴿يوم الدين﴾ قال الحسن: كنا نتحدّث أن الشهيد يُشفع في سبعين من أهل بيته.

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا ابن ماهان قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدّثنا حماد قال: حدّثنا ثابت عن الحسن أن رسول الله (عليه السلام) قال: «يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة أي ربي عبدك فلان سقاني شربة من الماء في الدنيا فشفعني فيه، فيقول اذهب فاخرجه من النار فيذهب فيتجسس النار حتى يخرج منه» [٦١] (٢).

وبإسناد عن حماد عن خالد الحذاء عن عبدالله ابن شقيق عن رجل من بني تميم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليشفعن رجل من أمتي لأكثر من بني تميم» [٦٢] (١).

وأخبرنا الحسن قال: حدثنا عمر بن نوح البجلي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا عبدالله بن عمر قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا داود بن أبي هند عن عبدالله بن قيس الأسدي عن الحرث بن أقشن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أمتي من سيدخل الله بشفاعته الجنة أكثر من مضر» [٦٣] (٢).

﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ نصب على الحال، وقيل: صاروا معرضين. ﴿كأنهم حمر﴾ جمع حمار ﴿مستنفرة﴾ قرأ أهل المدينة والشام وأيوب بفتح الفاء أي منفرة مذعورة، ومثله روى المفضل عن عاصم وأختاره أبو عبيد، وقرأ الآخرون بالكسر أي نافرة يقال: نفرت واستنفرت بمعنى واحد، وأنشد الفراء:

أمسك حمارك إنه مستنفر في الشر أحمره عمدن لغرت (٣)

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا أبو حامد المستملي قال: حدثنا محمد بن حاتم الذمي قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: سألت أبا سراب الغنوي وكان إعرابياً فصيحاً قارئاً للقرآن فقلت: حمر ماذا؟ قال: حمر مستنفرة طردها قسورة، قلت: إنما هي فرت من قسورة فقال: أفرت، قلت: نعم قال: فمستنفرة.

﴿فرت من قسورة﴾ اختلفوا فيه فقال مجاهد وقتادة والضحاك وابن كيسان: هم الرُماة وهي رواية عطاء عن ابن عباس وأبي ظبيان عن أبي موسى الأشعري، وقال سعيد بن جبير: هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس.

وأخبرني الحسين قال: حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي قال: حدثنا محمد بن أيوب قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع عن شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس: فرت من قسورة قال: عُصب الرجال.

وأخبرني عقيل قال: أخبرنا المعافى قال: أخبرنا محمد بن جرير قال: حدثنا ابن المثنى قال: حدثني عبدالصمد بن عبدالوارث قال: سمعت أبي تحدث قال: حدثني داود قال: حدثني عباس بن عبدالرحمن مولى بني هاشم قال: سئل ابن عباس عن القسورة فقال: هي جمع الرجال ألم تسمع ما قالت فلانة في الجاهلية:

(١) مسند أحمد: ٣٦٦/٥ بتفاوت.

(٢) مسند أحمد: ٣١٣/٥ بتفاوت.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢٩/٢١٠.

يا بنت كوني خيرة لخيرة أخوالها الحي وأهل القسورة^(١)
 وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا محمد بن عمران قال: حدّثنا أبو
 عبيد الله المخزومي قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو وعن عطاء عن ابن عباس في قوله
 سبحانه ﴿فرت من قسورة﴾ قال: هي ركز الناس.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبش قال: حدّثنا أبو يعلي الموصلي قال: حدّثنا
 يحيى بن معين قال: حدّثنا عبدالرحمن بن مهدي عن إسماعيل بن مسلم العبدي عن أبي المتوكل
 في قوله سبحانه: ﴿فرت من قسورة﴾ قال: هو لغط القوم، وقال أبو هريرة: هي الأسد.

وأخبرني بن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا ابن ماهان قال: حدّثنا موسى بن
 إسماعيل قال: حدّثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سليمان بن قتة عن ابن عباس ﴿فرت
 من قسورة﴾ قال: هو بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبش: القسورة، وبلسان فارس: شير،
 وبلسان النبط: أريا. وقيل: هو فعولة من القسر وهو القهر، سمي بذلك لأنه يقهر السباع كلّها.

وأخبرني الحسين قال: حدّثنا محمد بن علي بن الحسن الصوفي قال: حدّثنا محمد بن
 صالح بن ذريح قال: حدّثنا حبارة بن مغلس قال: حدّثنا عبدالأعلى بن أبي المساور عن عكرمة
 عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فرت من قسورة﴾ قال: من حبال الصيادين، وقال عكرمة: من
 ظلمة الليل، وقيل: هي سواد أول الليل ولا يقال لسواد آخر الليل: قسورة، وقال زيد بن أسلم:
 أي من رجال أقوياء، وكلّ ضخم شديد عند العرب فهو قسور وقسورة. قال لبيد:

إذا ما هتفنا هتفة في ندينا أتانا الرجال العائذون القساور^(٢)
 ﴿بل يريد كلّ أمرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن سرّك أن
 تتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان من ربّ العالمين نؤمر فيه باتباعك، نظيره قوله: ﴿ولن
 نؤمن لرقيتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾^(٣). بادان عن ابن عباس يقول: كان المشركون
 يقولون: لو كان محمد صادقاً فليصح عند كل رأس رجل منا صيحة فيها براءته وأمنه من النار.
 قال مطر الوراق: كانوا يريدون أن يؤتوا براءة من غير عمل، وقال الكلبي: إن المشركين قالوا:
 يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل يصبح مكتوب عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك،
 فكرهه رسول الله ﷺ، وأنزل الله سبحانه هذه الآية ﴿كلا﴾ ليس كما تقولون وتريدون وقيل:
 حقاً وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه ﴿بل لا يخافون الآخرة كلاًّ إنّه﴾ يعني القرآن ﴿تذكّره﴾
 وليس بسحر ﴿فمن شاء ذكره وما يذكرون﴾ بالتاء نافع، يعقوب وغيرهما بالياء ﴿إلا أن يشاء الله

(١) فتح القدير: ٥ / ٣٣٣.

(٢) تفسير القرطبي: ١٩ / ٨٩.

(٣) سورة الإسراء: ٩٣.

هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴿ هو أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه .

أخبرني ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا عمر بن الخطاب قال: حَدَّثَنَا عبدالله بن الفضل قال: حَدَّثَنَا هدية بن خالد قال: وَحَدَّثَنَا عبدالله بن عبدالرحمن الدقاق وهارون بن محمد قالا: حَدَّثَنَا محمد بن عبدالعزيز قال: حَدَّثَنَا هدية قال: حَدَّثَنَا موسى بن محمد بن علي قال: حَدَّثَنَا الحسن ابن علي المعمري قال: حَدَّثَنَا هدية قال: حَدَّثَنَا سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال هذه الآية: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾: قال ربكم عزَّوجلَّ: أنا أهل أن اتقى ولا يشرك بي غيري وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بي أن أغفر له [٦٤] (١).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا ابن مالك قال: حَدَّثَنَا ابن حنبل قال: حَدَّثَنَا أبي قال: حَدَّثَنَا عبدالقدوس بن بكر قال: سمعت محمد بن النظر الجارقي يذكر في قوله سبحانه: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ قال: أنا أهل أن يتقيني عبدي فإن لم يفعل كنت أنا أهلاً أن أغفر له .

سورة القيامة

مكية، وهي ستمائة وإثنان وخمسون حرفاً،
ومائة وتسع وتسعون كلمة، وأربعون آية

أخبرني محمد بن القيم الفقيه قال: حدّثنا محمد بن يزيد المعدّل قال: حدّثنا أبو يحيى البزاز قال: حدّثنا محمد بن منصور قال: حدّثنا محمد بن عمران بن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: حدّثني أبي عن مجاهد عن عبدالواحد عن الحجاج بن عبدالله عن أبي الخليل وعن علي ابن زيد وعطاء بن أبي ميمونة عن زرّين حبش عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبرائيل له يوم القيامة أنه كان مؤمناً بيوم القيامة وجاء وجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة» [٦٥]^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۖ أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۚ بَلْ قَدَرِينَا عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۚ

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قراءة العامة مقطوعة الألف مهموزة.

﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ مثلها، وقرأ الحسن وعبدالرحمن الأعرج لا قسم بغير ألف موصله. ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ﴾ بالألف مقطوعة على معنى أنه أقسم باليوم ولم يقسم بالنفس، ومثله روى القواس عن شبل عن ابن بكير، والصحيح أنه قسم بهما جميعاً ومعنى قوله لا أقسم بيوم القيامة اختلفوا فيه فقال: بعضهم ﴿لَا﴾ صلة أي أقسم بيوم القيامة وإليه ذهب سعيد بن جبير وقال أبو بكر بن عباس: هو تأكيد للقسم كقولك لا والله، وقال الفراء في قوله ﴿لَا﴾: رد لكلام المشركين ثم ابتداء القسم فقال أقسم بيوم القيامة، وقال: وكل يمين قبلها رد فلا بد من تقديم ﴿لَا﴾ قبلها ليفرق بين اليمين التي تكون جحداً واليمين التي تستأنف، ألا ترى أنك تقول مبتدئاً: والله إن الرسول لحق، فإذا قلت: لا والله إن الرسول لحق، فكأنك أكدت قوماً أنكروه.

أخبرنا عقيل أن المعافى أخبرهم عن ابن جرير قال: حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سَفْيَانَ وَمُسْعَرٍ عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: لَا يَقُولُونَ الْقِيَامَةَ الْقِيَامَةَ وَإِنَّمَا قِيَامَةُ أَحَدِهِمْ مَوْتُهُ، وَبِهِ عَنْ سَفْيَانَ وَمُسْعَرٍ عَنْ أَبِي قَيْسٍ قَالَ: شَهِدَتْ جَنَازَةٌ فِيهَا عُلُقَمَةٌ فَلَمَّا دُفِنَ قَالَ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ.

﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ قال: سعيد بن جببر وعكرمة: تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء. مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه وتقول لو فعلت ولو لم أفعل. قتادة: اللوامة: الفاجرة. ابن عباس: هي المذمومة، وقال الفراء: ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلاّ وهي تلوم نفسها إن كانت عملت خيراً قالت: هلاًّ زدت، وإن كانت عملت سوءاً قالت: يا ليتني لم أفعل. الحسن: هي نفس المؤمن، قال: إنّ المؤمن والله ما تراه إلاّ يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلتي ما أردت بحديث نفسي وإنّ الفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه ولا [يعاتبها]^(١). مقاتل: هي نفس الكافر تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا، وقيل: لومها قوله سبحانه: ﴿فَتَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٢) و﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(٣) أي في أمر الله. سهل: هي الإمارة بالسوء وهي قرينة الحرص والأمل.

أبو بكر الورّاق: النفس كافرة في وقت منافقه في وقت مرائية على الأحوال كلّها هي كافرة؛ لأنها لا تألف الحق، وهي منافقة لأنها لا تفي بالعهد، وهي مرائية لأنها لا تحبّ أن تعمل عملاً ولا تخطو خطوة إلاّ لرؤية الخلق، فمن كانت هذه صفاته فهي حقيقة بدوام الملامة لها.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ نزلت في عدي بن ربيعة بن أبي سلمة حليف بني زهرة ختن الأخنس ابن شريف حليف بني زهرة وكان النبي (عليه السلام) يقول: «اللهم اكفني جاريّ السوء» يعني عدياً والأخنس [٦٦]^(٤) وذلك أن عدي بن ربيعة أتى النبي (عليه السلام) فقال: يا محمد حدّثني عن يوم القيامة متى يكون، وكيف يكون أمرها وحالها فأخبره النبي (عليه السلام) بذلك، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدّقك ولم أؤمن به، أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله سبحانه ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني الكافر.

﴿أَنْ لَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ بعد تفريقها وبلائها فنجيّه ونبعثه بعد الموت، يقال: إنّه ذكر

(١) في المخطوط: ولا يعاتبه.

(٢) سورة الفجر: ٢٤.

(٣) سورة الزمر: ٥٦.

(٤) تفسير القرطبي: ٩٣/١٩.

العظام، والمراد بها نفسه كلّها لأن العظام قالب الخلق ولن يستوي الخلق إلا باستوائها، وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقول الآخر: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾^(١).

ثم قال سبحانه: ﴿بلى قادرين﴾ أي نقدر استقبال صرف إلى الحال، قال الفراء: ﴿قادرين﴾ نصب على الخروج من ﴿نجمع﴾ كأنك قلت في الكلام: أيحسب أن لن يقوى عليك، بلى قادرين على أقوى منك، يريد بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا^(٢)، وقرأ ابن أبي غيلة قادرون بالرفع، أي بلى نحن قادرون، ومجاز الآية: بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو: ﴿على أن نسوي بنانه﴾ أنامله فيجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير، أو كظلف الخنزير، أو كحافر الحمار، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً ولكننا فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء، ويقبض إذا شاء ويبسط إذا شاء فحسناً خلقه. هذا قول عامة المفسرين.

وقال القبيسي: ظن الكافر أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام البالية، فقال الله سبحانه: بلى قادرين أن نعيد السلاميات على صغرها ونؤلف بينها حتى نسوي البنان، ومن يقدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر! وهذا كرجل قلت له: أترك تقدر على أن تؤلف من هذا الحنظل في خيط ويقول نعم وبين الخردل.

﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ يقول تعالى ذكره: ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه بعد الموت، ولكنه يريد أن يفجر أمامه، أي يمضي قدماً في معاصي الله راكباً رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي، وقال سعيد بن جبير: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، يقول: سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله، وقال الضحاك: هو الأمل يأمل الإنسان يقول: أعيش وأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت، وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب، وقال ابن كيسان: يريد أن تأتيه الآخرة التي هي أمامه فيراها في دار الدنيا.

وأصل الفجور: الميل، ومنه قيل للكافر والفاسق والكافر: فاجر، لميلهم عن الحق، وقال السدي أيضاً: يعني ليظلم على قدر طاقته، وقيل: يركب رأسه في هواه ويهتم حيث قادته نفسه.

﴿يسئل أيان﴾ متى ﴿يوم القيمة﴾ فيبين الله له ذلك فقال عزّ من قال: ﴿فإذا برق البصر﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن أبي إسحاق: ﴿برق﴾ بفتح الراء وغيرهم بالكسر.

(١) سورة يس: ٧٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٩ / ٢١٩.

أخبرنا محمد بن نعيم قال: أخبرنا الحسن بن الحسين بن أيوب، أخبرنا علي بن عبدالعزيز قال: حدّثنا أبو عبيد قال: حدّثنا حجاج عن هارون قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عنها فقال: برق بالكسر يعني جار قال: وسألت عنها عبدالله بن أبي إسحاق فقال: برّق بالفتح، وقال: إنّما برق الحنظل اليابس، وبرق البصر قال: فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال: إنّما برق الحنظل والنار والبرق، وأما البصر فبرق عند الموت، قال: فأخبرت بذلك ابن أبي إسحاق فقال: أخذت قراءتي عن الأشياخ نصر بن عاصم وأصحابه فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال: لكني لا أخذ عن نصر ولا عن أصحابه كأنه يقول أخذ عن أهل الحجاز فقال: قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب مما كان يكذب به في الدنيا إنّهُ غير كائن، وقال الفراء والخليل: برق بالكسر فزع، وأنشدا لبعض العرب:

فنفسك قانع ولا تنغي وداو الكلوم ولا تبرق
أي لا تنزع من الجرح الذي بك.
قال ذو الرمة:

ولو أن لقمان الحكيم تعرّضت لعينيه ميّ سافراً كاد يبرق^(١)
وبرق بفتح الراء: شقّ عينه وفتحها، وأنشد أبو عبيدة:
لما أتاني ابن عمير راغباً أعطيته عيساً صهاباً فبرق^(٢)
أي فتح عينه، ويجوز أن يكون من البرق.

﴿وخسف القمر﴾ أظلم وذهب ضوؤه، قال ابن كيسان: ويحتمل أن يكون بمعنى غاب كقوله سبحانه ﴿فخسفنا به الأرض﴾^(٣)، وقرأ [ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج]: وخُسف بالضم لقوله: ﴿وجُمع الشمس والقمر﴾^(٤) أسودين مكّوّرين كأنهما ثوران عقيران، وهي في قراءة عبدالله: وجمع بين الشمس والقمر، وقيل: وجمع بينهما في ذهاب الضياء، وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر، فيكونان نار الله الكبرى، وقال علي بن أبي طالب وابن عباس: يجعلان في نور الحجب.

﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ المهرب، وقرأها العامة ﴿المفر﴾ بفتح الفاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم قالوا: لأنه مصدر، وقرأ ابن عباس والحسن بكسر الفاء، قال الكسائي: هما

(١) لسان العرب: ١٠ / ١٥.

(٢) الأبيات في تفسير القرطبي: ٩٦/١٩ مورد الآية.

(٣) سورة القصص: ٨١.

(٤) سورة القيامة: ٩.

لغتان مثل مَدَب ومَدِب ومَصَح ومَصِح، وقال الآخرون: بالفتح المصدر وبالكسر موضع الفرار مثل المطلع والمطلع.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ لا حصن ولا حرز ولا ملجأ، قال السدي: لا جبل، وكانوا إذا فزعوا نحووا إلى الجبل فتحصنوا به فقال الله سبحانه: لا جبل يومئذ يمنعهم.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ أي مستقر الخلق وأعمالهم وكل شيء، وقال مقاتل: المنتهى فلا يجد عنه مرحلاً نظيره ﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ وقال يمان: المصير والمرجع، وهو قول ابن مسعود نظيره ﴿إِن إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ﴾^(١) و ﴿إِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢) وقوله سبحانه ﴿أَلَا إِلَىٰ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٣).

﴿يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾^(٤) قال ابن مسعود وابن عباس: قدم قبل موته من عمل صالح أو طالح وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها. عطية عن ابن عباس: بما قدّم من المعصية وأخر من الطاعة. مجاهد: بأول عمل عمله وآخره. قتادة: بما قدّم من طاعة الله وأخر من حقّ الله فضييعه. ابن زيد: بما قدّم من عمل من خير أو شر وما أخر من العمل بطاعة الله فلم يعمل به.

عطاء: بما قدّم في أول عمره وما أخر في آخر عمره. زيد بن أسلم: بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلف للورثة، نظيره ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾^(٥).

سمعت أبا عبدالرحمن السلمي يقول: سمعت أبا سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: خمس مصائب في الذنب أعظم من الذنب: أولها: خذلان الله لعبده حتى عصاه ولو عصمه ما عصاه.

والثانية: أن سلبه حلية أوليائه وكساه لباس أعدائه.

والثالثة: أن أغلق عليه أبواب رحمته وفتح عليه أبواب عقوبته.

والرابعة: نظر إليه وهو يعصيه.

والخامسة: وقوفه بين يديه يعرض عليه ما قدّم وأخر من قبائحه.

فهؤلاء المصائب الخمس في الذنب أعظم من الذنب.

(١) سورة العلق: ٨.

(٢) سورة آل عمران: ٢٨.

(٣) سورة الشورى: ٥٣.

(٤) سورة القيامة: ١٣.

(٥) سورة الإنفطار: ٥.

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْتَأْذِنُ بَيْنَ يَدَيْهِ النَّفْسَ ﴿٦﴾ فَإِذَا رَفَعَ الرَّقْمَ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجَمَعَ
النَّفْسَ وَالْقَمَرَ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَنْ الْمَقَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَعْرِ ﴿١٢﴾ يَبْنُو الْإِنْسَانُ
يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْمَلَ
بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْبَرْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ
﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ رُشُوهَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَظَرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُبْسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفَاقُ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ قال عكرمة ومقاتل والكلبي: معناه بل الإنسان على نفسه
من نفسه رقبا يرقبونه بعمله ويشهدون عليه به وهي: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجميع جوارحه
وهذه رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قال القبسي: أقام جوارحه مقام نفسه لذلك رأت ويجوز أن يكون تأنيثه للإضافة إلى النفس
كما تقول في الكلام: ذهبت بعض أصابعه، و ﴿بصيرة﴾ مرفوعة بخبر حرف الصفة وهي قوله
﴿على نفسه﴾، ويحتمل أن يكون معناه بل الإنسان على نفسه ببصيرة، ثم حذفت حرف الجر
كقوله: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾^(١) أي لأولادكم، ويصلح أن يكون نعتاً لاسم
مؤنث أي بل للإنسان على نفسه عين بصيرة وأنشد الفراء:

كأن على ذي العقل عيناً بصيرة بمقعده أو منظر هو ناظره
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم من الخوف ولا تخفى عليه سرائره^(٢)

قال أبو العالية وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد، وهي رواية العوفي عن ابن عباس،
والهاء في ﴿بصيرة﴾ للمبالغة، وقال الأخفش: هي كقولك فلان عبدة وحجة، ودليل هذا التأويل
قول الله تعالى: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾^(٣) وقال ابن تغلب: البصيرة والبيئة والشاهد
والدليل واحد.

﴿ولو ألقى﴾ عليه ﴿معاذيره﴾ يعني أنه يشهد عليه الشاهد ولو أعذر وجادل عن نفسه.
نظيره قوله سبحانه: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾^(٤) وقوله: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾^(٥)
وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وأبو العالية وعطاء. قال الفراء: ولو اعتذر

(١) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٢) تفسير القرطبي: ١٩/١٠٠.

(٣) سورة الإسراء: ١٤.

(٤) سورة غافر: ٥١.

(٥) سورة المرسلات: ٣٦.

فعلية من نفسه من يكذب عذره. مقاتل: ولو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك.

ومعنى الإلقاء: القول نظيره: ﴿فالقوا إليهم القول أنكم لكاذبون﴾^(١) ﴿وآلقوا إلى الله يومئذ السلم﴾^(٢). الضحاك والسدي: يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب، قال: وأهل اليمن يسمّون الستر المعذار، وقال بعض أهل المعاني: المعاذير إحالة بعضهم على بعض.

﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ وذلك أن رسول الله (عليه السلام) كان لا يفتر من قراءة القرآن مخافة أن ينساه، وكان إذا نزل عليه جبرائيل بالقرآن لم يفرغ جبرائيل من الآية حتى يقرأ رسول الله (عليه السلام) أولها ويحرك لسانه بها في نفسه مخافة أن ينساها فأُنزل الله سبحانه ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه﴾^(٣) وأنزل ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾^(٤) وأنزل ﴿لا تحرك به﴾ أي بالوحي لسانك به أي تلاوته لتحفظه ولا تنساه ﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك حتى تحفظه ﴿وقرأه﴾ وقراءته عليك حتى تعيه وقبل أراد بقوله: ﴿وقرأه﴾ وجمعه في صدرك وهو مصدر كالرجحان والنقصان.

﴿فإذا قرأه﴾ عليك ﴿فاتبع قرأه﴾ أي ما فيه من الأحكام ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ بما فيه من الحدود والحلال والحرام. ﴿كلّاً بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ قرأهما أهل المدينة والكوفة بالتاء وغيرهم بالياء أي يختارون الدنيا على العقبى نظيرها في سورة الإنسان ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾^(٥).

﴿وجوه يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ناصرة﴾. قال ابن عباس: حسنة. قال الحسن: حسنها الله بالنظر إلى ربها. مجاهد: مسرورة. ابن زيد: ناعمة. مقاتلان: بيض يعلوها النور. السدي: مضيئة. يمان: مسفرة. الفراء: مشرقة بالنعيم. الكسائي: بهجة. قال الفراء والأخفش: يقال نضر الله وجه فلان فلا ينتضر نضيراً فنضر وجهه ننضّر نضرة ونضارة قال الله سبحانه: ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾^(٦) وقال رسول الله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها» [٦٧]^(٧)، ونظر في هذه الآية قوله سبحانه: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾^(٨).

﴿إلى ربّها ناظرة﴾ وأكثر الناس تنظر إلى ربّها عياناً.

(١) سورة النحل: ٨٦.

(٢) سورة النحل: ٨٧.

(٣) سورة طه: ١١٤.

(٤) سورة الأعلى: ٦.

(٥) سورة الإنسان: ٢٧.

(٦) سورة المطففين: ٢٤.

(٧) مسند أحمد: ٨٠/٤.

(٨) سورة عبس: ٣٩.

قال الحسين بن واقد: أخبرني يزيد بن عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد وأشياخ من أهل الكوفة قالوا: تنظر إلى ربّها نظراً، وقال الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق، وقال عطية العوفي: ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(١) ودليل هذا التأويل ما أخبرنا الحسن بن فنجويه قال: حدّثنا ابن ماجه قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن مندة الأصفهاني قال: حدّثنا الحسين بن حفص قال: حدّثنا إسرائيل بن يونس عن ثوير بن أبي ناخثة قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام، وإن أكرمهم على الله لمن ينظر إلى وجهه تبارك وتعالى غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله (عليه السلام) ﴿وَجْوهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾» [٦٨]^(٢).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا أبو النخع محمد بن الحسن الأزدي الموصلي قال: حدّثني أحمد بن عيسى بن السكين قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامي قال: حدّثنا قال: أخبرنا رباح بن زيد الصنعاني قال: أخبرني ابن جريح قال: أخبرني زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَجَلَّى رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ فَيَخْرُونَ لَهُ سَجْدًا فَيَقُولُ: إِرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ فَلَيْسَ هَذَا يَوْمَ عِبَادَةٍ» [٦٩]^(٣).

وروى الحسن عن عمار بن ياسر قال: كان من دعاء النبي (عليه السلام): «اللهم أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة» [٧٠]^(٤) يعني أنّها تنتظر الثواب من ربّها ولا تراه من خلفه شي.

قلت: وهذا تأويل مدخول؛ لأنّ العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا: نظرت، كما قال الله سبحانه: ﴿نَهْلُ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾^(٥) هل ينظرون إلّا نار الله؟ ﴿وَمَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^(٦) وإذا أردت به التفكّر والتدبير قالوا: نظرت فيه فأما إذا كان النظر مقروناً بذكر إلى وذكر الوجه فلا يكون إلّا بمعنى الرؤية والعيان.

﴿وَجْوهَ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ﴾ عابسة كالحلة متغيّرة مسودة ﴿تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ قال مجاهد: داهية، سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر وأصلها الفقرة والفقر، يقال: فقره إذا كسر فقره، كما يقال: رأسه إذا ضرب رأسه، وقال قتادة: الفاقرة: الشرّ، وقال ابن زيد: تعلم أنّها

(١) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٢) سنن الترمذي: ٩٣/٤.

(٣) تفسير القرطبي: ١٩/١٠٩.

(٤) السنن الكبرى: ٣٨٨/١.

(٥) سورة محمد ﷺ: ١٨.

(٦) سورة يس: ٤٩.

ستدخل النار، وقال أبو عبيدة: الفاقة: الداهية يقال: عمل بها الفاقة وأصلها الوسم على أنف البعير بحديدة أو بنار حتى يخلص إلى العظم، وقال الكلبي: منكرة من العذاب وهي الحجاب.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغْتَ﴾ يعني النفس كناية عن غير مذكور ﴿التراقي﴾ فيحشر بها عند الموت، والتراقي: العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال، وقال دريد بن الصمة:

وَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعَتْ عَنْهُمْ وَقَدْ بَلَغَتْ نَفُوسَهُمُ التَّرَاقِي^(١)
﴿وقيل﴾ وقال من حضره ﴿من راق﴾ هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه. قال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء شيئاً.

أخبرني الحسين قال: حدثنا السني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال: حدثنا مسدد بن مسرهد عن خالد بن عبدالله عن عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن السلمي أنه كوى غلاماً له فقلت أتكوى قال: نعم هوّودوا العرب.

أخبرنا ابن مسعود أن رسول الله (عليه السلام) قال: «إن الله سبحانه لم ينزل داء إلا وقد أنزل معه دواء جهله من جهله وعلمه من علمه» [٧١]^(٢)، وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه فيصعد بها ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وهذه رواية أبي الجوزاء عن ابن عباس. قال أبو العالية: يختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أيهم يترقى بروحه.

﴿وَلَوْ أَنَّ الْفِرَاقَ﴾ فراق ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاق.

أخبرنا الربيع بن محمد الخاتمي ومحمد بن عقيل الخزاعي قالا: أخبرنا علي بن محمد بن عقبة الشيباني قال: أخبرنا الخضر بن أبان القرشي قال: حدثنا ابن ميثم بن هدية عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (عليه السلام): «إنَّ العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإنَّ مفاصله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة» [٧٢]^(٣).

وَالْقَلْبَ الْهَاسِقَ بِالْهَاسِقِ (٢٩) إِنَّكَ رَوْحٌ يُؤَمِّدُ الْهَاسِقَ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّ (٣١) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى (٣٢)
ثُمَّ دَخَلَ إِلَى أَقْلَامِهِ يَتَطَلَّى (٣٣) أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ (٣٤) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ (٣٥) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)
أَلَمْ يَكُنْ نَفْثَةً مِنْ مَرْيَمَ ابْنَتِ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الْإِنْسَانَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُخَيَّرَ الْوَلَدَ (٤٠)

(١) بلاغات النساء: ١٩٧، تفسير القرطبي: ١١١/١٩.

(٢) مسند أحمد: ٤٤٦/١.

(٣) كنز العمال: ٥٦٣/١٥ ح ٤٢١٨٣.

﴿والتفت الساق بالساق﴾ قال الربيع بن أنس: الدنيا بالآخرة، وهي رواية أبي الجوزاء وعطية عن ابن عباس، ورواية عوف ومنصور عن الحسن، وروى الوالي وبادان عن ابن عباس قال: أمر الدنيا بأمر الآخرة، فكان في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، وهي رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد وقال: إسماعيل ابن أبي خالد: عمل الدنيا بعمل الآخرة، وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه، وروى سفيان عن رجل عن الحسن عن مجاهد قال: اجتمع فيه الحياة والموت. قتادة: الشدة بالشدة. بشر بن المهاجر عن الحسن قال: هما ساقاك إذا لفتا في الكفن، وإليه ذهب سعيد بن المسيّب.

وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أبو محمد المزني قال: حدّثنا مطين قال: حدّثنا نصر بن علي فقال: حدّثنا خالد بن قيس عن قتادة عن الحسن قال: ماتت رجلاه ولم تحملاه وكان عليهما جؤالا، وروى شعبة عن قتادة قال: أمر أناه إذا ضرب برجله الأخرى. أبو مالك: يلبسهما عند الموت. عكرمة: خروج من الدنيا إلى الآخرة. أبو يحيى عن مجاهد: بلاء بلاء. القرطبي: الأمر بالأمر. زيد بن أسلم: ساق الكفن بساق الميت. سعيد بن جبیر: تتابعت عليه الشدائد. السدي: لا يخرج من كرب إلّا جاءه أشدّ منه، والعرب لا تذكر الساق إلّا في المحن والشدائد، ومنه مثلهم السائر: (لا يرسل الساق إلّا ممسكاً ساقاً)، وقال أميّه بن أبي الصلت:

وقد أرقّت لهمّ بات يطرقني والنفس ذات حزازات وطراق
مستجذ بالقراءة حين أرقني ليل التمام أقاسيه على ساق
أي على تعب وشدة.

وقال ابن عطاء: اجتمع عليه شدة مفارقة الوطن من الدنيا والأهل والولد وشدة القدوم على ربّه لا يدري بماذا يقدم عليه لذلك قال عثمان بن عفان: ما رأيت منظراً إلّا والقبر أفضع منه؛ لأنّه آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة، وقال يحيى بن معاذ: إذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره أربعة أملاك واحد عند رأسه والثاني عند رجله والثالث عن يمينه والرابع عن يساره، فيقول الذي عند رأسه: يا ابن آدم انفضّص الآجال وانقطعت الآمال، ويقول الذي عن يمينه: ذهب الأموال وبقيت الأعمال، ويقول الذي عن يساره: ذهب الأشغال وبقي الوبال، ويقول الذي عند رجله: طوبى لك من كسبك إن كان كسبك من الحلال وكنت مشغولاً بخدمة ذي الجلال.

﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ المنتهى والمرجع تسوق الملائكة روحه حيث أمرهم الله سبحانه وتعالى. ﴿فلا صدق﴾ يعني أبا جهل ﴿ولا صلى﴾ ولكن كذب وتولى * ثم ذهب إلى أهله يتمطى * يتبختر، قال زيد بن أسلم: هي مشية بني مخزوم وأصله من المطا وهو الظهر أي يلوي مطاه تبخترأ، وقيل: أصله يتمطط أي يتمدد، والمط هو المد فجعلت إحدى الطاءات يا، وقد مضت هذه المسألة وتمطى الإنسان إذا قام من منامه فتمدّد.

أخبرني الحسين قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن علي بن الحسين الهمداني قال: حدّثنا محمد بن علي بن مخلد الفرقي قال: حدّثنا سليمان بن داود الشاذكوني قال: حدّثنا سفيان بن عتبة عن يحيى بن سعيد الأنصاري سمع شيخاً قديماً يقال له بجنس مولى الزبير يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم الروم وفارس سلط بعضهم على بعض» [٧٣] (١) قال سفيان: فأخبرت بهذا الحديث ابن أبي نجيح فقال هل تدرون ما المطيطاء؟ هو مثل قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُطِي﴾ يتبختر.

﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى * ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ هذا وعيد من الله سبحانه على وعيد أبي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد قالت الخنساء:

هممت بنفسي كل الهموم فأولى لنفسي أولى لها (٢)
وأنشدني أبو القيم السدوسي قال: أنشدني أبو محمد عبدالله بن محمد البلوي الأدبي قال: أنشدنا أحمد بن يحيى بن تغلب:

يا أوس لو نالتك أرماحنا كنت كمن تهوى به الهاوية (٣)
القيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقيه

وقال بعض العلماء: معناه أنك أجدر بهذا العذاب وأحقّ وأولى، يقال للرجل يصيبه مكروه يستوجبه، وقيل: هو كلمة يقولها العرب لمن قاربه المكروه وأصلها من الولي وهو القرب، قال الله سبحانه: ﴿قاتلوا الذين يلونكم﴾ (٤) ويقال ثمّ الذي يليه أي يقرب منه. قال الشاعر:

فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا (٥)
وقال آخر:

هجرت غضوب وحب من يتجنّب وعَدْتُ عواد دون وليك تشعب (٦)
وحكى لنا الأستاذ أبو القيم الحلبي أنه سمع أبا الهيثم الجمي وكان عارفاً بالمعاني يقول حاكياً عن بعض العلماء: أن قوله ﴿أولى﴾ من المقلوب مجازه: أويل من الويل، كما يقال: ما أطيبه وأيطبه وعاقني وعقاني وأيم وأيامي وأصله أيايم وقوس وقسي وأصله قؤوس، ومعنى الآية

(١) المعجم الأوسط: ٤٨/١.

(٢) لسان العرب: ٤١٢/١٥.

(٣) تاج العروس: ١٦٥/١، وهو لعمر بن ملقط الطائي.

(٤) سورة التوبة: ١٢٣.

(٥) تاريخ دمشق: ١٤٣/١٠.

(٦) لسان العرب: ١ / ٢٩٢.

كأنه يقول لأبي جهل: الويل لك يوم تموت، والويل لك يوم تبعث، والويل لك يوم تدخل النار وتخلد فيها.

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي (عليه السلام) لما نزلت هذه الآية اخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له: ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾ فقال أبو جهل: اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً وأني لأعزّ من مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم وقال: لا نعبد الله بعد اليوم^(١)، فصرعه الله شراً مصرع، وقتله أسوأ قتلة، أقعصه ابنا عفراء وأجهز عليه ابن مسعود^(٢)، قال: وذكر لنا أن أبا جهل كان يقول: لو علمت أن محمداً رسول الله ما أتبعته غلاماً من قريش قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إن لكل أمة فرعوناً وأن فرعون هذه الأمة أبو جهل» [٧٤]^(٣).

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ هملا لا يؤمر ولا ينهى يقال: أسديت حاجتي أي ضيعتها، وأبل سدى ترعى حيث شئت بلا راع. ﴿الم يك نطفة من مني يمني﴾ قرأ الحسن وابن محيص وأبو عمرو ويعقوب وسلام بالياء وهي رواية المفضل وحفص عن عاصم واختيار أبي عبيد لأجل المنى، وقرأ الباقر بالتاء لأجل النطفة وهو اختيار أبي حاتم.

﴿ثم كان علقه فخلق فسوى﴾ خلقه ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك﴾ الذي فعل هذا ﴿بقدر على أن يحيي الموتى﴾.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا القطيعي قال: حدّثنا الكندي قال: حدّثنا سعيد بن بنان الصفار قال: حدّثنا شعبة قال: حدّثني يونس الطويل جليس لأبي إسحاق الهمداني عن البراء بن عازب قال: لما نزلت هذه الآية ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال رسول الله (عليه السلام): «سبحانك وبلى» [٧٥]^(٤).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم الربيعي قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله ابن أيوب المخزومي قال: حدّثنا صالح بن مالك قال: حدّثنا أبو نوفل علي بن سليمان قال: حدّثنا أبو إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: من قرأ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾^(٥) إماماً كان أو غيره فليقل: سبحان ربي الأعلى، ومن قرأ: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فإذا انتهى إلى آخرها فليقل: سبحانك اللهم بلى^(٦)، إماماً كان أو غيره.

(١) تفسير الطبري: ٢٩/١٠ ح ١٢٥٧٥ وفيه زيادة... قسوة وعتوا.

(٢) تفسير الطبري: ٢٧٥/٩. (٣) تفسير الدر المنثور: ٢٩٦/٦ مورد الآية.

(٤) جامع البيان للطبري: ٢٩/٢٥٠.

(٥) سورة الأعلى: ١.

(٦) كذا في المخطوط وتفسير القرطبي (١١٧/١٩) وبهامشه عن نسخة: سبحانك اللهم ويحمدك.

سورة الإنسان (الدهر)

مكية، وهي ألف وأربع مائة وخمسون حرفاً،
ومائتان وأربعون كلمة، وإحدى وثلاثون آية

أخبرني نافل بن راقم قال: حدّثنا محمد بن شادة قال: حدّثنا أحمد بن الحسن قال: حدّثنا محمد بن يحيى قال: حدّثنا مسلم بن قتيبة عن شعبة عن عاصم عن زرّ عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريراً» [٧٦]^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ
نَبِّئْهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَغْنَيْنَاهُ مِنَ الْكُفُورِ
سَلَسِلًا وَأَغْنَيْنَاهُ مِنَ الْفِتْرِ (٤) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ يَنْشُرُونَ مِنْ كُنْهٍ كَانَ مَرْجُوحًا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ
اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)

﴿هل أتى﴾ قد أتى ﴿على الإنسان﴾ آدم (عليه السلام)، وهو أول من سمّي به ﴿حين من الدهر﴾ أربعون سنة ملقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ الروح فيه ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، وروى أن عمر سمع رجلاً يقول ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ فقال عمر: ليتها تمت، وقال عون بن عبد الله: قرأ رجل عند ابن مسعود الآية فقال: إلا ليت ذلك.

﴿إنا خلقنا الإنسان﴾ يعني ولد آدم ﴿من نطفة﴾ يعني من مني الرجل ومني المرأة، وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة، كقول عبد الله بن رواحة: هل أنت إلا نطفة، وجمعها نطاف ونُطف، وأصلها من نطف إذا قطر. ﴿أمشاج﴾ أخلاط، واحداً مشج مشيج مثل حذن وحذين قال رؤية:

يطرحن كل معجل نَسَاجَ لم يكس جلدًا في دم أمشاج^(٢)

(١) تفسير مجمع البيان: ٢٠٦/١٠.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢٥٢/٢٩.

ويقال مشجت هذا بهذا أي خلطته فهو ممشوج ومشج، مثل مخلوط وخليط، قال أبو دوم:

كأن الريش والفوقين منه خلاف النصل سبطيه مشيج
قال ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد والربيع: يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما جميعاً الولد، وماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبه كان الشبه له، وقال قتادة: هي أطوار الخلق: نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم لحماً ثم عظماً ثم يكسوه لحماً ثم ينشئه خلقاً آخر.

وقال الضحاك: أراد اختلاف ألوان النطفة نطفة، الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء فهي مختلفة الألوان، وهي رواية الوالي عن ابن عباس وابن أبي نجيح عن مجاهد، وكذلك قال عطاء الخراساني والكلبي: الأمشاج الحمراء في البياض والبياض في الحمراء أو الصفرة.

وقال عبدالله بن مسعود وأسامة بن زيد: هي العروق التي تكون في النطفة، وروى ابن جريح عن عطاء قال: الأمشاج الهن الذي كانه عقب، وقال الحسن: نعم والله خلقت من نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فإذا حبلت أرفع الحيض، وقال يمان: كل لونين اختلطا فهما أمشاج، وقال ابن السكيت: الأمشاج: الأخلاط، لأنها ممترجة من أنواع فخلق الإنسان ذا طبائع مختلفة، وقال أهل المعاني: بناء الأمشاج بناء جمع وهو في معنى الواحد لأنه نعت النطفة وهذا كما يقال: برمة أعشار وثوب أخلاق ونحوهما^(١).

وسمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: سُئِلْتُ وأنا بمكة عن قول الله سبحانه: ﴿أَمْشِاجٌ نَّبْتَلِيهِ﴾ فقلت ابتلى الله الخلق تسعة أمشاج: ثلاث مفتنات وثلاث كافرات وثلاث مؤمنات، فأما الثلاث المفتنات فسمعه وبصره ولسانه، وأما الثلاث الكافرات فنفسه وهواه وشيطانه، وأما الثلاث المؤمنات فعقله وروحه وملكه، فإذا أيد الله العبد بالمعونة فقرّ العقل على القلب فملكه واستأسرت النفس والهوى فلم يجد إلى الحركة سبيلاً، فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل وصارت كلمة الله هي العليا: ﴿قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾^(٢).

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نخبره بالأمر والنهي وقال بعض أهل العربية: هي مقدمة معناها التأخير مجازها: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ لنبتليه؛ لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة. ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾

(١) راجع لسان العرب: ٦ / ٣٣٩، وتاج العروس: ٤ / ٣٤٢.

(٢) سورة البقرة: ١٩٣.

أَيِّ بَيْنَا لَهُ سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْهُدَى وَالضَّلَالَةَ وَعَرَفْنَاهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَهُوَ كَقَوْلِهِ ﴿وَهْدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١). ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ أما مؤمناً سعيداً وأما كافراً شقيّاً يعني خلقناه أما كذا وأما كذا، وقيل معنى الكلام: الجزاء، يعني بَيْنَا لَهُ الطَّرِيقَ إِن شَكَرَ وَكَفَرَ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْفَرَاءِ، ثُمَّ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَالِ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾ كُلُّ سَلْسَلَةٍ سَبْعُونَ ذِرَاعاً.

﴿وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم عن حفص والأعمش والكسائي وأيوب كلهن: ﴿سَلَاسِلًا﴾ بِإِثْبَاتِ الْأَلْفِ فِي الْوَقْفِ وَالتَّنْوِينِ فِي الْأَصْلِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ وَرَوَايَةُ هِشَامٍ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ، ضَدَّهُ حَمْزَةٌ وَخَلْفٌ [وَقَبْلٌ] وَيَعْقُوبُ بِرَوَايَةِ [...] ^(٢) وَزَيْدٌ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: قَوَارِيرًا الْأُولَى بِالْأَلْفِ وَالثَّانِي بِغَيْرِ أَلْفٍ.

قال أبو عبيد: ورأيت في مصحف الإمام عثمان ﴿قَوَارِيرًا﴾ الْأُولَى بِالْأَلْفِ مَبْنِيَّةٌ وَالثَّانِيَةُ كَانَتْ بِالْأَلْفِ فَحُكِّتْ، ورأيت أثرها بَيْنَنَا هُنَاكَ^(٣).

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، وقال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذر ولا ينصبون الشر، وأحدهم بار، مثل شاهد وأشهد وأنصار وأصحاب وأصحاب ويراد بها مثل نهر وأنهار وضرب وأضراب.

﴿يَشْرَبُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ خَمْرٌ ﴿كَانَ مَزَاجُهَا كَافُورًا﴾ قَالَ قَتَادَةُ: يَمْزُجُ لَهُمُ بِالْكَافُورِ وَيَخْتُمُ لَهُمُ بِالْمَسْكِ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ: مَزَاجُهَا طَعْمُهَا، وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: أَرَادَ كَالْكَافُورِ فِي بَيَاضِهِ وَطِيبِ رِيحِهِ وَبَرْدِهِ، لِأَنَّ الْكَافُورَ لَا يَشْرَبُ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾^(٤) أَيِ كِنَارٍ، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: طَبِيبٌ بِالْكَافُورِ وَالْمَسْكِ وَالزَّنَجِيلِ، وَقَالَ الْفَرَاءُ: وَيُقَالُ: إِنَّ الْكَافُورَ اسْمٌ لَعَيْنِ مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ، وَفِي مَصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ كَأْسٍ صَفْرَاءُ كَانَ مَزَاجُهَا قَافُورًا وَالْقَافُ وَالْكَافُ يَتَعَاقَبَانِ؛ لِأَنَّهُمَا لِهَوِيَّتَانِ، وَقَالَ الْوَاسِطِيُّ: لَمَّا اخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا اخْتَلَفَتْ أَشْرَبَتُهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَكَأْسُ الْكَافُورِ بَرَّدَتْ الدُّنْيَا فِي صَدُورِهِمْ.

﴿عَيْنًا﴾ نَصَبَ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْكَافُورِ كَالْمَفْرُوعِ لَهُ وَقَالَ الْكَسَايُ: عَلَى الْحَالِ وَالْقَطْعِ، وَقِيلَ: يَشْرَبُونَ عَيْنًا، وَقِيلَ مِنْ عَيْنٍ، وَقِيلَ: أَعْنِي عَيْنًا، وَقِيلَ: عَلَى الْمَدْحِ وَهِيَ لِهَذِهِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا مُحْتَمَلَةٌ.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أَيِ شَرِبِهَا وَالْبَاءُ صَلَةٌ وَقِيلَ مِنْهَا. ﴿عِبَادَ اللَّهِ يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أَيِ يَقْدُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ كَمَا يَفْجَرُ الرَّجُلُ مِنْكَمُ النَّهْرَ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا هَاهُنَا وَهَاهُنَا إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ.

(٢) بياض بالمخطوط.

(١) سورة البلد: ١٠.

(٣) تفسير القرطبي مفصلاً: ١٢٣/١٩.

(٤) سورة الكهف: ٩٦.

يُؤْفُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِيَتِمَّ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيْبًا فَتُنِيرُنَا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ وَشَسَّرَهُ ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَدَرُوا حَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

﴿يؤفون بالندر﴾ قال قتادة: بما فرض الله سبحانه عليهم من الصلاة والزكاة والحج والعمرة وغيرها من الواجبات، وقال مجاهد وعكرمة: يعني إذا بدروا في طاعة الله وفوا به. ﴿ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ ممتداً قاسياً يقال استطار الصدع في الزجاج واستطال إذا امتد، ومنه قول الأعشى:

وبانت وقد أسارت في الفؤاد
صدعاً على نأيها مستطيراً^(١)

﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ قال ابن عباس: على قلته وحسبهم آياه وشهوتهم له، وقال الداري: على حب الله، وقال الحسين بن الفضل: على حب إطعام الطعام. ﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ وهو الحربي يؤخذ قهراً أو المسلم يحبس بحق. قال قتادة: بعد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم، وأن أسراءهم يومئذ لأهل الشرك فأخوك المسلم أحق أن تطعمه، وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعطا: هو المسجون من أهل القبلة.

أخبرني الحسن قال: حدثنا موسى بن محمد بن علي بن عبدالله قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن ناجية قال: حدثنا عباد بن أحمد العرزمي قال: حدثنا عمي عن أبيه عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي (عليه السلام) ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً﴾ قال: «فقيراً» ﴿ويتيماً﴾ قال: «لا أب له» ﴿وأسيراً﴾ قال: «المملوك والمسجون»، وقال أبو حمزة الثمالي: الأسير المرأة، ودليل هذا التأويل قول النبي (عليه السلام): «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان» [٧٧]^(٢).

﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ فيه وجهان: أحدهما أن يكون جمع الشكر كالفلوس بجمع الفلس، والكفور بجمع الكفر، والآخر أن يكون بمعنى المصدر كالفعول والدخول والخروج.

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أمّا أنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

﴿إننا نخاف من ربنا يوماً﴾ في يوم ﴿عبوساً﴾ تعبس فيه الوجوه من شدته وكثرة مكارهه

(١) تفسير القرطبي: ١٢٨/١٩.

(٢) سنن ابن ماجه: ٥٩٤/١.

فنسب العبوس إلى اليوم كما يقال: يوم صائم وليل نائم، وقال ابن عباس: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة والهول كالرجل الكالح البائس.

﴿قمطيراً﴾ روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: العبوس: الضيق، والقمطير: الطويل. الكلبي: العبوس: الذي لا انبساط فيه والقمطير: الشديد. وقال قتادة ومجاهد ومقاتل: القمطير: الذي يقلص الوجوه ويقبض الحياة وما بين الأعين من شدته. قال الأخفش: القمطير أشد ما يكون من الأيام وأطولها في البلاء يقال: يوم قمطير وقماطر إذا كان شديداً لكربها. قال الشاعر:

ففرّوا إذا ما الحرب ثار غبارها ولج بها اليوم العبوس القماطر^(١)
وأنشد الفراء:

بني عمّنا هل تذكرون بلاناً عليكم إذا ما كان يوم قماطر^(٢)
وقال الكسائي: أقمطر القوم وأزمهر أقمطراً وأزمهراً وهو الزمهير والقمطير، ويوم مقمطر إذا كان صعباً شديداً. قال الهذلي:

بنو الحرب أرضعنا لهم مقمطرة فمن تلق منا ذلك اليوم يهرب^(٣)
﴿فوقّهم الله شرّ ذلك اليوم﴾ الذي يخافون ﴿ولقيهم نضرة﴾ في وجوههم ﴿وسروراً﴾ في قلوبهم ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على طاعة الله وعن معصيته، وقال الضحّاك: على الفقر. القرطبي: على الصوم. عطاء: على الجوع.

وروي سعيد بن المسيب عن عمر قال: سئل رسول الله (عليه السلام) عن الصبر فقال: «الصبر أربعة أولها الصبر عند الصدمة الأولى والصبر على أداء الفرائض، والصبر على اجتناب محارم الله، والصبر على المصائب» [٧٨] (٤). ﴿جنة وخريراً﴾ قال الحسن: أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير. ﴿متكئين﴾ نصب على الحال ﴿فيها﴾ في الجنة ﴿على الأرائك﴾ السرر في الحجال لا تكون أريكة إذا اجتماعاً. قال الحسن: وهي لغة أهل اليمن كان الرجل العظيم منهم يتخذ أريكة فيقال: أريكه فلان.

وقال مقاتل: الأرائك: السرر في الحجال من الدر والياقوت موضونة بقضبان الذهب والفضة وألوان الجواهر. ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهيراً﴾ أي شتاء ولا قيصاً.

(١) تفسير القرطبي: ١٣٥/١٩.

(٢) الصحاح: ٧٩٧/٢.

(٣) المصدر السابق، وفي تاج العروس (٣ / ٥٠٧) رواه: بها مقمطرة، فمن يلق يلق سيد مدرب.

(٤) تفسير القرطبي: ١٣٦/١٩.

قال قتادة: علم الله سبحانه أن شدة الحر تؤذي وشدة القُرّ تؤذي فوقاهم الله أذاهما جميعاً، وقال مرة الهمداني: الزمهرير البرد القاطع. مقاتل بن حيان: هو شي مثل روس الابر ينزل من السماء في غاية البرد. ابن سمعود: هو لون من العذاب وهو البرد الشديد.

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا بكر أحمد بن عمران السوادي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب وسئل عن قوله ﴿لَا تَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ قال الزمهرير القمر بلغة طي. قال شاعرهم:

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر^(١)
أي لم يطلع القمر.

واختلف العلماء في سبب نزول هذه الآيات فقال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار أطمع في يوم واحد مسكيناً ویتيماً وأسيراً وكانت قصته.

أخبرنا ابن فتجويه قال: حدثنا محمد بن خلف بن حيان قال: حدثنا إسحاق بن محمد بن مروان قال: حدثنا إبراهيم بن عيسى قال: حدثنا علي بن علي بن أبي حمزة الثمالي قال: بلغنا أن مسكيناً أتى رسول الله (عليه السلام) فقال: يا رسول الله أطمعني فقال: «والذي نفسي بيده ما عندي ما أطمعك ولكن أطلب» فأتى رجلاً من الأنصار وهو يتعشى وامرأته فقال له: أني أتيت رسول الله ﷺ فقلت له: أطمعني فقال: ما عندي ما أطمعك ولكن أطلب، فقال: الأنصاري لامرأته: ما ترين؟ فقالت: أطمعه وأسقه ثم أتى رسول الله (عليه السلام) يتيم فقال يا رسول الله أطمعني فقال: «ما عندي ما أطمعك ولكن أطلب» فأتى اليتيم الأنصاري الذي أتاه المسكين فقال له: أطمعني فقال لامرأته: ما ترين؟ قالت: أطمعه فاطعمه، ثم أتى رسول الله (عليه السلام) أسير فقال: يا رسول الله أطمعني، فقال: «والله ما معي ما أطمعك ولكن أطلب» [٧٩] فأتى الأسير الأنصاري فقال له: أطمعني، فقال: لامرأته ما ترين فقالت: أطمعه، وكان هذا كله في ساعة واحدة، فأنزل الله سبحانه فيما صنع الأنصاري من إطعامه المسكين واليتيم والأسير ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

وقال غيرهما: نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة وجارية لهما يقال لها فضة وكانت القصة فيه.

وأخبرنا الشيخ أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الشيباني العدل قراءة عليه في صفر سنة سبع وثمانين وثلثمائة قال: أخبرنا ابن الشرقي قال: حدثنا محبوب بن حميد النصري

(١) تفسير القرطبي: ١٣٨/١٩.

(٢) تفسير القرطبي: ١٣٠/١٩.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْخَوَّارِ ابْنُ عَمِّ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ سَنَةَ ثَمَانَ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ وَسَأَلَهُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ رُوحُ بْنُ عِبَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَيْمُ بْنُ مِهْرَامٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَهِيلَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مِهْرَانَ الْبَاهِلِيَّ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ فَهْدٍ بْنُ هَلَالٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْغَنِيمُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْقِيرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِرِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مِهْرَانَ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا الْبَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ وَقْدٍ الْمَزْنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ بَهْرَامٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ قَالَ: مَرَضَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَعَادَهُمَا جَدُّهُمَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ﷺ وَعَادَهُمَا عَامَّةُ الْعَرَبِ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْحَسَنِ لَوْ نَذَرْتَ عَلَى وَلَدِكَ نَذْرًا وَكُلُّ نَذْرٍ لَا يَكُونُ لَهُ وِفَاءٌ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ.

فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: إِنْ بَرَأَ وَلَدَايَ مِمَّا بِهِمَا صَمْتُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ شُكْرًا، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ ﷺ: إِنْ بَرَأَ وَلَدَايَ مِمَّا بِهِمَا صَمْتُ لَلَّهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ شُكْرًا مَا لَبَسَ الْغُلَامَانِ الْعَافِيَةَ، وَلَيْسَ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، فَاَنْطَلَقَ عَلِيٌّ ﷺ إِلَى شَمْعُونَ بْنِ جَابَا الْخَيْرِيِّ، وَكَانَ يَهُودِيًّا فَاسْتَقْرَضَ مِنْهُ ثَلَاثَةَ أَصْوَعٍ مِنْ شَعِيرٍ، وَفِي حَدِيثِ الْمَزْنِيِّ عَنْ ابْنِ مِهْرَانَ الْبَاهِلِيِّ فَاَنْطَلَقَ إِلَى جَارِ لَهُ مِنَ الْيَهُودِ يَعَالِجُ الصَّوْفَ يُقَالُ لَهُ: شَمْعُونَ بْنُ جَابَا، فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَعْطِنِي جَزَةً مِنَ الصَّوْفِ تَغْزُلُهَا لَكَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِثَلَاثَةِ أَصْوَعٍ مِنَ الشَّعِيرِ قَالَ: نَعَمْ، فَأَعْطَاهُ فَجَاءَ بِالسَّوْقِ وَالشَّعِيرِ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ بِذَلِكَ فَقَبِلَتْ وَأَطَاعَتْ قَالُوا: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ ﷺ إِلَى صَاعٍ فَطَحَنَتْهُ وَأَخْتَبَزَتْ مِنْهُ خَمْسَةَ أَقْرَاصَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَرْصًا وَصَلَّى عَلِيٌّ مَعَ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَتَى الْمَنْزَلَ فَوَضَعَ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ أَتَاهُمْ مَسْكِينٌ فَوَقَفَ بِالْبَابِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، مَسْكِينٌ مِنْ مَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ، أَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ مِنْ مَوَائِدِ الْجَنَّةِ، فَسَمِعَهُ عَلِيٌّ ﷺ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

فَاطِمَةُ ذَاتُ الْمَجْدِ وَالْيَقِينِ	يَا ابْنَةَ خَيْرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ
أَمَّا تَرِينَ الْبَائِسَ الْمَسْكِينِ	قَدْ قَامَ بِالْبَابِ لَهُ حَنِينِ
يَشْكُوا إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَكِينِ	يَشْكُوا إِلَيْنَا جَائِعَ حَزِينِ
كُلُّ أَمْرٍ بِكَسْبِهِ رَهِينِ	وَفَاعِلُ الْخَيْرَاتِ يَسْتَبِينِ
مَوْعِدُنَا جَنَّةٌ عَلِيَيْنِ	حَرَمُهَا اللَّهُ عَلَى الضَّعِينِ
وَلِلْبَخِيلِ مَوْقِفٌ مَهِينِ	تَهْوَى بِهِ النَّارُ إِلَى سَجِينِ
شَرَابُهُ الْحَمِيمُ وَالْغَسَلِينَ	مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ يَقُمْ سَمِينِ
وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَيَّ حِينِ	

فأنشأت فاطمة:

أمرك عندي يا ابن عمّ طاعه ما بي من لؤم ولا وضاعه
 غذيت من خبز له صناعة أطعمه ولا أبالي الساعه
 أرجو إذ أشبعت ذا المجاعه أن ألحق الأخيار والجماعه
 وأدخل الخلد ولي شفاعه^(١)

قال: فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح، فلمّا كان اليوم الثاني قامت فاطمة إلى صاع فطحته فاخبزته وصلى علي مع النبي (عليه السلام)، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاها يتيماً فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، يتيماً من أولاد المهاجرين، استشهد والدي يوم العقبة، أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة فسمعه علي عليه السلام فأخذ يقول:

فاطم بنت السيد الكريم بنيت نبي ليس بالزنيـم
 لقد أتى الله بذى اليتيم من يرحم اليوم يكن رحيم
 موعده في جنّة النعيم قد حرّم الخلد على اللئيم
 ألا يجوز الصراط المستقيم يزل في النار إلى الجحيم^(٢)
 فأنشأت فاطمة:

أطعمه اليوم ولا أبالي وأوثر الله على عيالي
 أمسوا جوعاً وهم أشبالي أصغرهم يقتل في القتال
 بكر بلا يقتل باغتيال للقاتل الويل مع الويال
 تهوى به النار إلى سفال وفي يديه الغل والأغلال
 كبوله زادت على الأكبال.

قال: فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليتين لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح، فلمّا كان في اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الباقي فطحته واخبزته وصلى علي مع النبي (عليه السلام) ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، تأسرونا [وتشدوننا] ولا تطعمونا، أطعموني فإني أسير محمد أطعمكم الله على موائد الجنة، فسمعه علي فأنشأ يقول:

(١) تفسير القرطبي: ١٣٢/١٩.

(٢) تفسير القرطبي: ١٣٣/١٩.

فاطم يا بنة النبي أحمد هذا أسير للنبي المهتد يشكو إلينا الجوع قد تمدد عند العلي الواحد الموحد فأنشأت فاطمة تقول:

لم يبق مما جاء غير صاع ابنائي والله من الجياع أبوهما للخير ذو اصطناع عبل الذراعين طويل الباع
قد ذهب كفي مع الذراع يارب لا تتركهما ضياع يصطنع المعروف بابتداع وما على رأسي من قناع إلا قناعاً نسجه انساع^(١)

قال: فاعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح فلما أن كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ علي عليه السلام بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين وأقبل نحو رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما نضر به النبي (عليه السلام) قال: يا أبا الحسن ما أشد ما يسؤني ما أرى بكم، أنطلق إلى ابنتي فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها النبي (عليه السلام) قال: «واغوثاه بالله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً» فهبط جبرائيل (عليه السلام) فقال: يا محمد خذها، هتاك الله في أهل بيتك قال: «وما أخذنا يا جبرائيل» [٨٠]^(٢) فاقراه ﴿هل أتى على الإنسان﴾ إلى قوله ﴿ولا شكوراً﴾ إلى آخر السورة.

قتادة بن مهران الباهلي في هذا الحديث: فوثب النبي (عليه السلام) حتى دخل على فاطمة فلما رأى ما بهم انكب عليهم يبكي، ثم قال: أنتم من منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم، فهبط جبرائيل (عليه السلام) بهذه الآيات ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ قال: هي عين في دار النبي (عليه السلام) تفجر إلى دور الأنبياء (عليهم السلام) والمؤمنين.

﴿يوفون بالنذر﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين وجاريتهم فضة ﴿ويخافون يوماً﴾ كان شره مستطيراً * ويطعمون الطعام على حبه﴾ يقول على شهوتهم للطعام، وإيثارهم مسكيناً من مساكين المسلمين ويقيمون من يتامى المسلمين، وأسيراً من أسارى المشركين، ويقولون إذا

(١) النسخ: سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال.

(٢) تفسير القرطبي: ١٣٤/١٩. ومناقب الخوارزمي: ٢٧٠.

أطعموهم ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهَ اللَّهِ لَا نَرِيدُ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً
عَبُوساً قَمْطَرِيرًا ﴿قَالَ: وَاللَّهِ مَا قَالُوا لَهُمْ هَذَا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَكِنْهُمْ أَضْمَرُوهُ فِي نَفْسِهِمْ، فَأَخْبِرَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَضْمَارِهِمْ يَقُولُونَ: لَا نَرِيدُ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا شُكُوراً، فَيَتِمُّونَ عَلَيْنَا بِهِ وَلَكِنَّا أُعْطِينَاكُمْ
لَوَجْهَ اللَّهِ وَطَلَبَ ثَوَابَهُ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَوْقَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ فِي الْوَجْهِ
﴿وَسُرُوراً﴾ فِي الْقُلُوبِ ﴿وَجَزَاهُمْ﴾ بِمَا صَبَرُوا ﴿جَنَّةً﴾ يَسْكُنُونَهَا ﴿وَحَرِيراً﴾ يَلْبَسُونَهُ وَيَفْتَرِشُونَهُ
﴿مَتَكِّثِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ * لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَبَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ إِذَا رَأَوْا ضَوْءاً كضوء الشمس وقد أشرقت
الجنان لها فيقول أهل الجنة: يَا رِضْوَانُ قَالَ: رَبَّنَا عَزَّوَجَلَّ ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً﴾
فيقول: لَهُمْ رِضْوَانٌ: لَيْسَتْ هَذِهِ بِشَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ وَلَكِنْ هَذِهِ فَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ ضَحْكاً وَضَحْكاً أَشْرَقَتْ
الجنان من نور ضحكهما، وفيهما أنزل الله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ﴾
إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ سَعِيكُمْ مَشْكُوراً﴾ .

وَأُنْشِدَتْ فِيهِ:

أَنَا مَوْلَى لِفَتَى أَنْزَلَ فِيهِ هَلْ أَتَى^(١)
وعلى هذا القول تكون السورة مدنية، وقد اختلف العلماء في نزول هذه السورة فقال
مجاهد وقتادة: هي كلها مدنية، وقال الحسن وعكرمة: منها آية مكية وهي قوله سبحانه: ﴿وَلَا
تَطْعَمُ مِنْهُمْ أَنَّمَا أَوْ كُفُوراً﴾ والباقي مدني، قال الآخرون: هي كله مكية والله أعلم.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمَائِدَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾
مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا قُدَيْرًا ﴿١٦﴾ وَتَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِرَاجِحًا زَهْرِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَرِيمًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ نَائِبٌ سُدَسٌ
خَضِرٌ وَاشْتَرَقَ وَشَلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَرْتُمْ لَهُمْ سَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ
مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْ كُفُورًا ﴿٢٤﴾

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ أي قريبة منهم ظلال أشجارها، وفي نصب الدانية أوجه: أحدها
العطف بها على قوله متكئين، والثاني على موضع قوله: ﴿لا يرون فيها شمساً﴾ ويرون دانية،
والثالثة على المدح، وأتت دانية لأن الظلال جمع وفي قراءة عبدالله ودانية عليهم ليقدم الفعل،
وفي حرف أبي ودان رفع على الإستئناف.

﴿وذُلَّتْ﴾ سَخَّرَتْ وَقَرَّبَتْ ﴿قطوفها﴾ ثمارها ﴿تذليلًا﴾ يأكلون من ثمارها قياماً وقعوداً
ومضطجعين ينالونها ويتناولونها كيف شاءوا على أي حال كانوا.

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا حامد بن محمد قال: حدّثنا موسى بن إسحاق قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: أرض الجنة من ورق وتربها مسك وأصول شجرها ذهب وفضّة وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والورق والثمر تحت ذلك فمن أكل قائماً لم يؤذه [ومن أكل جالساً لم يؤذه] ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه فذلك قوله سبحانه: ﴿وذلت قطوفها تذليلاً﴾.

﴿ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكواب كانت قواريراً * قوارير من فضة﴾ قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير فصفاؤها صفاء الزجاج وهي من فضة^(١).

أخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون قال: أخبرنا مكّي قال: حدّثنا عبدالرحمن بن بشر قال: حدّثنا سفيان وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: حدّثنا محمد بن حمدويه قال: حدّثنا محمود ابن آدم قال: حدّثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله سبحانه: ﴿قوارير من فضة﴾ قال: لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم تر الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة في بياض الفضة في صفاء القارورة.

وقال الكلبي والثمالى: إن الله سبحانه جعل قوارير كلّ قوم من تراب أرضهم وإن تراب الجنة من فضة فجعل من تلك الفضة قوارير يشربون فيها. ﴿قدّروها تقديراً﴾ على قدر رتبهم لا يزيد ولا ينقص، وقال الربيع والقرطبي: على قدر الكفّ، وقراءة العامة بفتح القاف والداد قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم.

وأخبرني بن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبه قال: حدّثنا أبو حامد المستملي قال: أخبرنا محمد بن حاتم الرقي قال: أخبرنا هشام قال: أخبرنا إسماعيل بن سالم عن الشعبي قال: سمعته قرأها قدروها بضم القاف وكسر الدال أي قدرت عليهم فلا زيادة فيها ولا نقصان. قال: وسمعت غيره قدّروها في أنفسهم فأنتهم على ما قدروا لا يزيد ولا ينقص.

﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾ سوق ومطرب من غير لدع، والعرب تستحب الزنجبيل قال شاعرهم:

كأن جنياً من الزنجبيل خالط فاهاً وأرياً مششوراً^(٢)
وقيل: هو عين في الجنّة توجد منها طعم الزنجبيل.

قال قتادة: شربها المقرّبون صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة.

﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾ قال قتادة: سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا، وقال

(١) المصنّف لابن أبي شيبة: ٨ / ٦٧، وتفسير القرطبي: ١٩ / ١٣٩ مورد الآية.

(٢) كتاب العين للفراهيدي: ٦ / ٢٨٠ والبيت للأعشى.

مجاهد: حديدة الجرية^(١). يمان: طيبة الطعم والمذاق، تقول العرب: هذا شراب سلس وسلسل وسلسيل، أبو العالية ومقاتل بن حيان: سميت سلسيلاً؛ لأنها يتسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك، ومعنى «تسمى» توصف؛ لأن أكثر العلماء على أن سلسيل صفة الاسم.

«ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً * وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً» وهو أن أدناهم - يعني أهل الجنة - منزلة ينظر من ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وقيل: هو استئذان الملائكة عليهم، وقيل: «وملكاً» لا زوال له. قال أبو بكر الوراق: ملكاً لا يتعبه هلك، وقال محمد بن علي الترمذي: يعني ملك التكوين إذا أراد شيئاً كان.

«عاليهم ثياب سندس» قرأ قتادة ومجاهد وابن سيرين وعون العقيلي وابن محيص وأبو جعفر ونافع والأعمش وحمزة وأيوب «عاليهم» بتسكين الياء على أنه اسم موصوف بالفعل يقول علاهم فهو عاليهم، واختاره أبو عبيد إعتباراً بقراءة ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما (عاليتهم)، وتفسير ابن عباس: أما رأيت الرجل عليه ثياب يعلوها أفضل منها، وقرأ الباقر بنصيب الياء على الصفة أي فوقهم وهو نصب على الظرف، وقيل: هو كقوله: «لا هية قلوبهم»^(٢) وقد مضى، ذكرنا تقديم الصفة على الموصوف، وقيل: معناه عالياً لهم ثيابها كقوله: «هدياً بالغ الكعبة»^(٣) ونحوها.

«خضر وإستبرق» اختلف القراء فيهما فقرأ ابن كثير وابو بكر والمفضل خضر بالخفض على نعت السندس والاستبرق بالرفع على نعت الثياب، وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضده واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ نافع وأيوب وحفص كليهما بالرفع، وقرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي وخلف كليهما بالجر.

«وحلّوا أساور من فضة وسقاهاهم ربّهم شراباً طهوراً» طاهر من الأقدار لم تدنسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا قال أبو قلابة وإبراهيم: يعني أنه لا يصير نجساً ولكنه يصير رشحاً في أيديهم كريح المسك، وأن الرجل من أهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا وأكلهم ونهمتهم، فإذا أكل ما شاء سقي شراباً طهوراً فيطهر بطنه ويصير ما أكل رشحاً يخرج من جلده أطيب ريحاً من المسك الأذفر ويضمّر بطنه وتعود شهوته، وقيل: يطهرهم من الذنوب والأدناس والأنجاس ويرشحهم للجنة.

(١) تفسير الطبري: ٢٩ / ٢٧١، وتفسير القرطبي: (١٩/١٤٢) وفيه: حديدة الجرية تسيل في حلوقهم انسلالا.

(٢) سورة الأنبياء: ٣.

(٣) سورة المائدة: ٩٥.

وقال جعفر: يطهرهم به عن كل شيء سواه، إذ لا طاهر من تدنّس شيء من الأكوان.

وقال أبو سليمان الداراني سقاهم ربهم على حاشية بساط الود، فأرواهم من صحبة الخلق وأراهم رؤية الحق، ثم أقعدهم على منابر القدس وحيّاهم بتحيّة المزمّل وأمطر التأييد، فسالت عليهم أودية الشوق فكفاهم هموم الفرقة وحيّاهم بسرور القرية.

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا عبدالله محمّد بن علي الشاشي يقول: سمعت الحسن بن علوية الدامغاني يقول سئل أبو يزيد البسطامي عن قوله سبحانه ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ قال: طهرهم به عن محبة غيره ثم قال: إنّ لله شراباً أدخره لأفاضل عباده يتولى سقيهم فإذا شربوا طاشوا وإذا طاشوا طاروا وإذا طاروا وصلوا وإذا وصلوا اتّصلوا فهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وسمعت أبا عبدالرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت طيّب الحمال يقول: صليت خلف سهل بن عبدالله العتمة فقراً قوله: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ فجعل يحرك فمه كأنه يمص شيئاً، فلما فرغ من صلاته قيل له: إتشرب أم تقرأ؟ قال: والله لو لم أجد لذّة عند قراءته كلذتي عند شربه ما قرأته.

وأخبرني الحسين قال: حدّثنا هارون قال: حدّثنا حازم بن يحيى الحلواني قال حدّثنا محمّد ابن عبدالله بن عمار الموصلي قال: حدّثنا عفيف بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى النبي (عليه السلام) عليه السلام يسأله فقال له رسول الله ﷺ: «سل واستفهم».

فقال: يا رسول الله فضلتكم علينا بالصوّر والألوان والنبوة أفأريت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به أني لكائن معك في الجنة؟ قال: «نعم» ثم قال النبي (عليه السلام): «والذي نفسي بيده ليرى بياض الأسود في الجنة مسيرة ألف عام»، ثم قال رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة».

قال رجل: كيف نهلك بعدها يا رسول الله؟

قال: «إنّ الرجل ليأتي يوم القيامة لو وضع على جبل لأثقله، قال: فتقوم النعمة من نعم الله سبحانه فيكاد أن تستنفد ذلك كلّهُ إلا أن يتطوّل^(١) الله تعالى برحمته» قال: ثم نزلت ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ إلى قوله ﴿وملكاً كبيراً﴾ الآيات.

قال الحبشي: وإن عيني لريان ما ترى عينك في الجنة.

(١) عند ابن كثير: يتغمده، وعند القرطبي: يلطف.

قال النبي (عليه السلام): «نعم» فاشتكى الحبشي حتى فاضت نفسه. فقال ابن عمر: لقد رأيت رسول الله ﷺ يدلّيه في حفرة بيده [٨١] (١).

﴿إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ قال ابن عباس: متفرقاً آية بعد آية ولم ينزله جملة فلذلك قال (نزلنا).

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ يعني وكفوراً. الألف صلة، وقال الفراء: أو معنى [...] (٢) كقول الشاعر:

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا وجد عجول أضلها ربع (٣)
أو وجد شيخ أضل ناقته يوم توافى الحجيج فاندفعوا
أراد: ولا وجد شيخ.

قال قتادة: الآثم: الكفور، نهى الله سبحانه وتعالى نبيه عن طاعة أبو جهل لما فرضت على نبي الله ﷺ الصلاة، وهو يومئذ بمكة نهار أبو جهل عنها وقال: لئن رأيت محمداً يصلي لوطأت على عنقه. فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وقال مقاتل: ﴿ولا تطعم منهم﴾ يعني من مشركي مكة أنها تعني عتبة بن ربيعة قال للنبي ﷺ: إن كنت صنعت ما صنعت من أجل النساء فقد علمت قريش أن بناتي من أجملها بنات فأنا أزوجك بنتي وأسوقها إليك بغير مهر وأرجع عن هذا الأمر (٤).

﴿أو كفوراً﴾ يعني الوليد بن المغيرة قال للنبي ﷺ: يا محمد إن كنت صنعت من أجل المال فقد علمت قريش أنني من أكثرهم مالا فأنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الأمر، فأنزل الله سبحانه ﴿ولا تطعم منهم﴾ أنها تعني عتبة ﴿أو كفوراً﴾ تعني ولا كفوراً وهو الوليد بن المغيرة.

وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمَنْ يَلَيْلَ فَاسْجُدْ لَّهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ
يُحْمِلُونَ الْعِجْلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا
(٢٨) بَدَلًا مِنْ هَؤُلَاءِ تَذَكُّرًا فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٥٣٦، وتفسير القرطبي: ١٩ / ١٤٨.

(٢) غير مقروءة في المخطوط.

(٣) العجول من النساء التي فقد ولدها.

(٤) تفسير القرطبي: ١٩ / ١٤٩ وله تكملة.

﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له﴾ تعني صلاتي العشاء ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ يعني التطوّع ﴿إن هؤلاء لا يحبّون العاجلة ويذرّون ورائهم﴾ أمامهم وقدامهم كقوله: ﴿وكان وراءهم ملك﴾^(١) وقوله سبحانه: ﴿ومن ورائهم برزخ﴾^(٢).

﴿يوماً ثقيلاً﴾ وهو يوم القيامة، ﴿نحن خلقناهم وشددنا﴾. قوّينا وحكمنا. ﴿أسرهم﴾ قال مجاهد وقتادة ومقاتل: خلقهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس يقال: رجل حسن الأسر أي الخلق، وفرس شديد الأسر، وقال أبو هريرة والربيع: مفاصلهم، وقال الحسن: أوصلهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب وروى عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه ﴿وشددنا أسرهم﴾ قال: الشرج وأصل الأسر الشكّ يقال: ما أحسن ما أسرّ قته أي شدّه، ومنه قولهم: خُذْه بأسره إذا أرادوا أن يقولوا: هو لك كلّ كأنهم أرادوا بعكة وشدة لم تفتح ولم تنقص منه. قال ليبيد: ساءهم الوجه شديد أسره مغبط الحارك محبوب الكفل^(٣) وقال الأخطل:

من كلّ مجتنب شديد أسره سلس القياد تخاله مختالاً^(٤)
﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً إن هذه﴾ السورة ﴿تذكّرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي وسيلة بالطاعة. ﴿وما تشاءون﴾. بالياء ابن كثير وأبو عمرو ومثله روى هشام عن أهل الشام، غيرهم بالتاء. ﴿إلا أن يشاء الله﴾ لأن الأمر إليه لا إليكم وفي أمره عند الله إلا ما شاء الله، ﴿إن الله كان عليماً حكيماً يدخل من يشاء في رحمته والظالمين﴾، وقرأ أبان بن عثمان والظالمون. ﴿أعدّ لهم عذاباً أليماً﴾.

(١) سورة الكهف: ٧٩.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٣) تاج العروس: ١٩١/٥.

(٤) مجتنب: من الجنيبة وهي الفرس تقاد ولا تركب، تفسير القرطبي: ١٥١/١٩.

سورة المرسلات

مَكِّيَّة، وهي ثمان مائة وستة عشر حرفاً،
ومائة واحد وثمانون كلمة، وخمسون آية

أخبرني محمد بن القاسم الفقيه قال: حَدَّثَنَا محمد بن زيد العدل قال: حَدَّثَنَا أبو يحيى البرزاق قال: حَدَّثَنَا منصور قال: حَدَّثَنَا محمد بن عمران قال: حَدَّثَنَا أبي عن مخالد عن علي بن زيد عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والمرسلات كتب أنه ليس من المشركين» [٨٢] (١).

وروى الأسود بن يزيد عن عبدالله بن مسعود: قرأت ﴿المرسلات عرفاً﴾ على رسول الله ﷺ ليلة الجن ونحن نسير (٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا (١) وَالْمُعْصِغَاتُ عَصْفًا (٢) وَالنَّشِيرَاتُ شَرًّا (٣) فَالْفَرْقَاتُ مُرَفًا (٤) فَالتَّلَفِيفَاتُ ذِكْرًا (٥)
عُذْرًا أَوْ نَذْرًا (٦) إِنَّهَا تُوَدُّونَ لَوْفًا (٧) فَإِذَا انشَرُّوا طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُتِحَتْ (٩) وَإِذَا الْبِلَالُ سُفِفَتْ (١٠)
وَإِذَا الزُّلْزُلُ أَفْنَتْ (١١) لَأَنَّى يَوْمَ أُفُلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ (١٤) وَنَلَّ يَوْمَئِذٍ (١٥)
لِلْمُكَذِّبِينَ (١٦) أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٧) ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٨) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٩) وَنَلَّ يَوْمَئِذٍ (٢٠)
لِلْمُكَذِّبِينَ (٢١) أَلَمْ تَخْلُقْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ (٢٢) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مُكِينٍ (٢٣) إِنَّ قَدْرَ مَعْلُومٍ (٢٤) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ
الْقَدَرُونَ (٢٥) وَنَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٦) أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٧) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٨) وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا
شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٩) وَنَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٠) أَطْلِقُوا إِلَيْكَ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ (٣١) أَطْلِقُوا
إِلَى طَلِي ذِي نُلُقٍ شَعْبٍ (٣٢) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ (٣٣) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَمَرِ (٣٤)

﴿المرسلات عرفاً﴾ يعني الرياح بعضها بعضاً كعرف الفرس، وقيل كثيراً. يقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد إذا توجهوا إليه فأكثروا، وهذا معنى قول مجاهد وقتادة، ورواية أبي العبيد عن ابن مسعود، والعوفي عن ابن عباس، وقال أبو صالح ومقاتل: يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف اسم واحد من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

(١) تفسير مجمع البيان: ٢٢٧/١٠.

(٢) تفسير القرطبي: ١٥٣/١٩.

﴿فالعاصفات عصفاً﴾ يعني الرياح الشديديات الهبوب.

﴿والناشرات نشرأ﴾ يعني الرياح اللينة وقال أبو صالح هي المطرق. قال الحسن: هي الرياح يرسلها الله نشرأ بين يدي رحمته أقسم الله بالرياح ثلاث مرات، مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب.

﴿فالفارقات فرقا﴾ قال ابن عباس وأبو صالح ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل، وقال قتادة والحسن وابن كيسان: يعني أي القرآن فرقت بين الحلال والحرام، وقيل: يعني السحابات الماطرة تشبيهاً بالناقة الفارق، وهي الحامل التي تجزع حين تضع، ونوق فراق.

﴿فالملقىات ذكراً﴾ يعني الملائكة التي تنزل بالوحي نظيره قوله سبحانه: ﴿تنزل الملائكة والروح﴾^(١). ﴿عُذراً أو نذراً﴾ يعني الأعذار والإنذار واختلف القراء فيهما فخففهما الأعمش وأبو عمرو وحمة والكسائي واختاره أبو عبيد قال: لأنهما في موضع مصدرين إنما هو الأعذار والإنذار وليس بجمع فيثقل، وثقلهما الحسن، وهي رواية الأعشى والجعفي عن أبي بكر عن عاصم، والوليد عن أهل الشام، وروح عن يعقوب الياقوت بتثقيل النذر وتخفيف العذر وهما لغتان، وقرأ إبراهيم التيمي وقاتدة ﴿عذراً ونذراً﴾ بالواو العاطفة ولم يجعل ألف بينهما.

﴿إنما توعدون لواقع * فإذا النجوم طُمست﴾ محي نورها، ﴿وإذا السماء فرجت﴾ شقت ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ قلعت من أماكنها، ﴿وإذا الرُّسُلُ أُنثت﴾ جمعت لميقات يوم معلوم، واختلف القراء فيه فقرأ أبو عمرو ﴿وَوُثَّت﴾ بالواو وتشديد القاف وعلى الأصل، وقرأ أبو جعفر بالواو والتخفيف، وقرأ عيسى بن عمر الثقفي: انثت بالألف وتخفيف القاف، وقرأ الآخرون بالألف والتشديد وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكُدت واكُرت وورّخت الكتاب وأرّخته وودّشت من القوم وأرّشت ووشاح وأشاح وأكاف وو كاف ووسادة وأسادة، وقال النخعي: رعدت.

﴿لأي يوم أجلت﴾ أي وقتت من الأجل وقيل: أخرت ﴿ليوم الفصل﴾ ﴿وما أدريك ما يوم الفصل﴾ ﴿وبل يومئذ للمكذّبين﴾ ﴿ألم نهلك الأولين﴾ من الأمم المكذّبين في قديم الدهر ﴿ثم تُبْعَثُ الآخِرِينَ﴾ السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب، وقرأ الأعرج نبعهم بالجزم وقرأ ابن مسعود ستبعهم.

﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ ﴿وبل يومئذ للمكذّبين﴾ ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو وقت الولادة ﴿فقدّرنا﴾ قرأ عليّ والحسن

والسلمي وطلحة وقتادة وأبو إسحاق وأهل المدينة وأيوب بالتشديد من التقدير وهي اختيار الكسائي، وقرأ الباقون بالتخفيف من القُدرة واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله ﴿فنعم القادرون﴾ ويجوز أن يكون التشديد والتخفيف بمعنى واحد كقوله سبحانه وتعالى ﴿نحن قدرنا بينكم﴾^(١) فهي بالتخفيف والتشديد، ﴿ويلٌ يومئذ للمكذّبين﴾ ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ وعاء ﴿أحياء وأمواتاً﴾ تجمعهم أحياء على ظهرها فإذا ماتوا ضمتهم إليها في بطنها وقال [بنان الصفّار]: خرجنا في جبانة مع الشعبي فنظر إلى الجبانة فقال: هذه الأموات، ثم نظر إلى البيوت فقال: هذه كفات الأحياء. وأصل الكفت: الجمع والضم، وكانوا يسمّون بقبع الغرقدة كفتة لأنه مقبرة تضمّ الموتى، ومثله قول النبي (عليه السلام) «خمروا آنيتكم وأوَكُوا أسقيتكم وأجيفوا الأبواب واطفئوا المصابيح واكفتوا صبيانكم فإنّ للشيطان انتشاراً وخطفة» [٨٣]^(٢) يعني بالليل، ويقال للأرض: كافنة.

﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم مُرّاً﴾ عذباً ﴿ويلٌ يومئذ للمكذّبين﴾ ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذّبون﴾ في الدنيا ﴿انطلقوا إلى ظلٍ ذي ثلاث شُعَبٍ﴾ يعني دخان جهنم إذا ارتفع أشعب، وقيل: أنها عنق يخرج من النار فينشعب ثلاث شعب فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين والدخان يقف على رؤس المنافقين واللهب الصافي يقف على رؤس الكافرين، وقال مقاتل: هو السرادق والظل من يحموم.

﴿لا ظليل﴾ لا كنين ﴿ولا يغني من اللهب﴾ إنها يعني جهنم ﴿ترمي بشرراً﴾، وهي ما تطاير من النار إذا التهب واحدها شررة ﴿كالقصر﴾ وقرأ عيسى بشرار وهي لغة تميم وأحدها شرارة.

﴿كالقصر﴾ وقرأه العامة بسكون الصاد، وقال ابن مسعود: يعني الحصون والمدائن وهو واحد القصر وهي رواية الوالي عن ابن عباس قال: كالقصر العظيم، وقال القرظي: إنّ على جهنم سوراً فما خرج من وراء السور مما يرجع إليه في عظم القصر ولون النار.

وروى سعيد عن عبدالرحمن بن عابس قال: سألت ابن عباس عن قوله سبحانه: ﴿إنها ترمي بشرراً كالقصر﴾ قال هي الخشب العظيم المقطعة وكنا نعدم إلى الخشب فقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندّخره للشتاء فكنا نسمّيها القصر، وقال مجاهد: هي حزم الشجر، وقال سعيد ابن جبير والضحاك: هي أصول النخل والشجر العظيم واحدها قصرة مثل تمرّة وتمر وجمر وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس: كالقصر بفتح الصاد أراد أعناق النخل، والقصرة العنق وجمعها قصر وقصرات، وقرأ سعيد بن جبير كالقصر بكسر القاف وفتح الصاد قال أبو حاتم: ولعله لغة ونظيرها في الكلام حاجة وحوج، كأنه ردّ الكناية إلى اللفظ.

(١) سورة الواقعة: ٦٠.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ٣٤٢/١.

كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ الْعُيُونِ (٤١) وَفَوَكَهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَإِنِّي حَسِبْتُ بِعَتْدُمْ يَوْمُنُورٍ (٥٠)

﴿كَأَنَّهُ جُمَلَاتٌ﴾ قرأ ابن عباس جُمَلَات بضم الجيم كأنها جمع جماله وهي الشيء المجمل، وقرأ حمزة والكسائي وخلف جمالة بكسر الجيم من غير ألف على جمع الجمل مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب جُمالة بضم الجيم من غير ألف أراد الأشياء العظام المجموعة، وقرأ الباقون جمالات بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس وسعيد بن جبیر: هي جبال السُفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال، ﴿صفر﴾ جمع الأصفر يعني لون النار، وقال بعض أهل المعاني: أراد سوداً، لأنّ في الخبر أن شرر نار جهنم سود كالقير، والعرب يسمي السود من الأبل صفراً، وقال الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفراً أولادها كالزبيب^(١)
أي سوداً.

وإنما سميت سود الإبل صفراً لأنه يشوب سوادها بشيء من صفرة، كما قيل لبيض الظباء: آدم، لأن يبيضها يعلوه كدرة.

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴿رفع عطف على قوله﴾ يؤذن ﴿.﴾

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قال أبو عثمان: أمسكتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب، وقال الحسن: وهي عذر لمن أعرض عن مُنعمه وجحد وكفر بنعمه. ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيدٌ فكيّدون﴾ ويلٌ يومئذ للمكذبين * إنَّ المتقين في ظلال ﴿جمع الظل وقرأها الأعرج في ظلل على جمع الظلة﴾ وعيون وفواكه مما تشتهون ﴿ويقال لهم﴾: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين * كلوا وتمتعوا ﴿في الدنيا﴾ قليلاً إِنكم مجرمون ﴿مشركون مستخفون للعذاب﴾، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وإذا قيل لهم اركعوا ﴿صلّوا﴾ لا يركعون ﴿لا يصلّون﴾ قال مقاتل: نزلت في ثقيف حين

أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة فقالوا لا نحني فإنها مسبة علينا فقال رسول الله ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود» [٨٤]^(١)، وقال ابن عباس: إنما يقال لهم: هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ * فبأي حديث بعده؟ أي بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ إذا لم يؤمنوا به، وقال أهل المعاني: ليس قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ تكراراً غير مفيد لأنه أراد بكل قول منه غير ما أراد بالقول الآخر كأنه ذكر شيئاً ثم قال: ويل للمكذبين بهذا والله أعلم.

(١) تفسير القرطبي: ١٦٨/١٩.

سورة النبأ

مَكِّيَّة، وهي سبع مائة وسبعون حرفاً،
ومائة وثلاث وسبعون كلمة، وأربعون آية

أخبرني ابن المعزي قال: أخبرنا ابن مطرّز قال: حدثنا ابن شريك قال: حدثنا ابن يونس قال: حدثنا سلام قال: حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمية عن أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عمّ يتساءلون سقاه الله سبحانه وتعالى برد الشراب يوم القيامة» [٨٥]^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم سُبُلًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا الْيَمَّ يَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا الْفَجَارَ مَغَاسًا ﴿١١﴾ وَبَيْنَهُمْ فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعَفُ وَ الصُّورُ فَنُفْثُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَشُرِيتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاءً ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَخَصَيْنَاهُ خَبْرًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿عمّ يتساءلون﴾ يعني عن أي شيء يتساءلون هؤلاء المشركين وذلك أنهم اختلفوا واختصموا في أمر محمد ﷺ وما جاءهم به، ﴿عن النبأ العظيم﴾ قال مجاهد هو القرآن. دليله قوله سبحانه ﴿قل هو نبأ عظيم﴾^(٢) [الآية] وقال قتادة: هو البعث، ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ فمصدق ومكذب ﴿كلّ سيعلمون﴾ ثم كلّ سيعلمون، وهذا وعيد لهم، وقال الضحاك كلّ سيعلمون يعني الكافرين، ثم كلّ سيعلمون يعني المؤمنين، وقراءة العامة بالياء فيهما، وقرأ الحسن ومالك بن دينار بالتاء فيهما.

﴿ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً * وخلقناكم أزواجاً﴾ أصنافاً ذكوراً وإناثاً. ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ راحة لأبدانكم، والنائم مسبوت لا يعلم ولا يعقل كأنه ميت، ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ غطاء وغشاء يلبس كل شيء بسواده ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ سبباً لمعاشكم والتصرف في مصالحكم فسمّاه به كقول الشاعر:

وأخو الهموم إذا الهموم تحضّرت [جنح] الظلام وساده لا يرقد^(١)
فجعل الوسادة هي التي لا ترقد والمعنى لصاحب الوسادة.

﴿وبنينا فوقكم سبْعاً شداداً * وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾ مضيئاً منيراً وقادراً حارّاً وهي الشمس. ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ قال مجاهد ومقاتل وقتادة: يعني الرياح التي تعصر السحاب، وهي رواية العوفي عن ابن عباس ومجازه على هذا التأويل بالمعصرات ﴿من﴾ بمعنى الباء كقوله سبحانه: ﴿من كل أمر سلام﴾^(٢) وكذلك كان عكرمة يقرأها ﴿وأنزلنا بالمعصرات﴾ وروى الأعمش عن المنهال عن ابن عمرو وعن قيس بن سكين قال: قال عبدالله في قوله: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً﴾ قال: بعث الله سبحانه الريح فحمل الماء من الماء فتدرّ كما تدر اللقحة^(٣) ثم يُبعث الماء كأمثال الغزالي فتضرب به الرياح فينزل متفرّقاً^(٤).

قال المؤرّخ: المعصرات: ذوات الأعاصير، وقال أبو العالية والربيع والضحاك: هي السحاب التي تجلب المطر ولم تمطر كالمرأة المعصر، وهي التي دنا حيضها، قال أبو النجم: قد أعصرت أو قد دنا اعصارها.

وهذه رواية الوالي عن ابن عباس. قال المبرّد: المعصرات الفاطرات، وقال ابن كيسان: المغيثات من قوله ﴿يعصرون﴾ وقال أبي بن كعب والحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان: من المعصرات أي من السموات.

﴿ماءً ثجاجاً﴾ أي صباباً، وقال مجاهد: مدراراً، قتادة: متتابعاً يتلوا بعضه بعضاً، وقال ابن زيد: كثيراً.

﴿لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً﴾ مجتمعه ملتفة ببعضه ببعض وواحدتها ألف في قول [نحاة] البصرة وليس بالقوى وفي قول الآخرين واحدتها لف ولفيف وقيل: هو جمع الجمع يقال: جثة لفاً [وبنت] لف وجنان لف بضم اللام ثم تجمع اللف ألفافاً.

(١) تفسير الطبري: ٦/٣٠ مورد الآية.

(٢) سورة القدر: ٤ - ٥.

(٣) في نسخة المصدر: ناقة.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي: ٣/٣٦٤.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ لما وعد الله سبحانه ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [١]، وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن منصور الكسائي قال: حدثنا محمد بن عبد الجبار قال: أخبرنا محمد بن زهير عن محمد بن المهدي عن حنظلة الدوري عن أبيه عن [البز] بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ فقال: «معاذ سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه ثم قال: تحشرون عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميّزهم الله تعالى من جماعة المسلمين وبَدَل صورهم فبعضهم على صور القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكبين أرجلهم فوق وجوههم أسفل يسحبون عليها، وبعضهم عُمي يترددون، وبعضهم صمّ بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يقذّروهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصّليين على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقنّات من الناس - يعني النّمام - وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، والمنكسين على وجوههم فأكلة الربا، والعمي من يجور في الحكم، والصمّ والبكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلّبين على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله سبحانه من أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء» [٨٦] (٢).

﴿وفتحت السماء﴾ قرأ أهل الكوفة بالتخفيف وغيرهم بالتشديد. ﴿فكانت أبواباً﴾ أي شقت لنزول الملائكة، وقيل: شقت حتى جعلت كالأبواب قطعاً، وقيل: تنحلّ وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق وقيل: إنّ لكل عبد بابين في السماء: باب لعمله وباب لرزقه، فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب.

﴿وسيّرت الجبال﴾ عن وجه الأرض ﴿فكانت سراباً﴾ كالسراب ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ طريقاً وممرّاً فلا سبيل إلى الجنة حتى تقطع النار، وقال مقاتل: محبساً ﴿لِلطّٰغِينَ﴾ للكافرين ﴿مأبأً لّٰبِثِينَ﴾ قرأه العامة بالآلف وقرأ علقمة وحمره: لبثين بغير ألف وهما لغتان ﴿ففيها أحقاباً﴾ جمع حقب والحقب جمع حقة كقول متمم: وكنا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا (٣)

(١) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٢) الدر المنثور: ٣٠٧/٦.

(٣) تاج العروس: ١١٩/٣.

واختلف العلماء في معنى الحقب فقال قوم: هو إسم للزمان والدَّهر وليس له حدّ، وروى أبو الضحى عن ابن مسعود قال: لا يعلم عدد الأحقاب إلا الله عزّوجلّ، وقال آخرون: هو محدود. ثم اختلفوا في مبلغ مدّته فقال طارق بن عبد الرحمن: دعاني شيخ بين الصفا والمروة فإذا عنده كتاب عبدالله بن عمرو ﴿لابئين فيها أحقاباً﴾ أن الحقب أربعون سنة كلّ يوم منها ألف سنة، وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا موسى بن محمد وابن حسن قالا: حدّثنا محمد بن عمران قال: حدّثنا ابن المقري وأبو عبيدالله قالا: حدّثنا [محمد بن يحيى] العرني عن سفيان عن عمّار الدهني قال: قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري: ما يجدون في الحقب في كتاب الله المنزل قال: يجده في كتاب الله ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهراً لكل شهر ثلاثون يوماً كلّ يوم ألف سنة.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا محمد بن عبدالله بن محمد بن الفتح قال: حدّثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي قال: حدّثنا زياد بن أبي يزيد قال: حدّثنا سليمان بن مسلم عن سليمان الحتمي عن نافع عن [ابن عمر] عن النبي ﷺ قال: «والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكونوا فيها أحقاباً، والحقب بضع وثمانين سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كلّ يوم ألف سنة مما تعدون، فلا يتكلّن أحد على أن يخرج من النار» [٨٧] (١).

وقال أبي بن كعب: بلغني أن الحقب ثلاثمائة سنة كلّ سنة ثلاثمائة وستون يوماً كلّ يوم ألف سنة، وقال الحسن: إن الله سبحانه لم يذكر شيئاً إلاّ وجعل له مدّة ينقطع إليها ولم يجعل لأهل النار مدّة بل قال: ﴿لابئين فيها أحقاباً﴾ فوالله ما هو إلاّ أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الآبدين فليس للأحقاب عدة إلاّ الخلود في النار ولكن قد ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنة كلّ يوم منها ألف سنة ممّا نعه، وقال مقاتل بن حيان: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة، وقال وهذه الآية منسوخة ﴿فلن نزيذكُم إلاّ عذاباً﴾ (٢) يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل، وقال بعض العلماء مجاز الآية ﴿لابئين فيها أحقاباً﴾: لا يذوقون في تلك الأحقاب إلاّ حميماً وغساقاً ثم يلبثون أحقاباً يذوقون حرّ الحميم، والغساق من أنواع العذاب، فهو توقيت لأنواع العذاب لا بمكثهم في النار.

﴿لا يذوقون فيها برداً﴾ يشفيهم من الحرّ إلاّ الغساق وهو الزمهرير، وقيل صديد أهل السعير، وقال الثمالي: دموعهم، وقال شهر بن حوشب: الغساق واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعباً في كلّ شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتاً في كلّ بيت أربع زوايا في كلّ زاوية شجاع كأعظم ما خلقه الله سبحانه من خلقه في رأس كلّ شجاع سم.

(١) الدر المنثور: ٣٠٨/٦.

(٢) سورة: النبأ: ٣٠.

﴿ولا شرباً﴾ يرويهم من العطش، ﴿إلا حميماً﴾ وأنبأني عبدالله بن حامد قال: أخبرنا حامد بن محمد قال: حدّثنا عبدالله بن أحمد بن حماد قال: حدّثنا محمد بن علي الحسن الشقيقي قال: سألت أبا معاذ النحوي الفضل بن خالد المروزي يقول في قوله سبحانه: ﴿لا يذوقون فيه برداً﴾ قال: البرد: النوم، ومثله قال الكسائي وأبو عبيده وأنشدوا فيه:

بردت مراشفها عليّ فصدّني عنها وعن قبلاتها البرد^(١)

والعرب تقول: منع البرد البرد، يعني أذهب البرد النوم، قال الفراء: إنّ النوم ليبرد صاحبه وإنّ العطشان لينام فيبرد غليله؛ فلذلك سمي النوم برداً، قال الشاعر:

وان شئت حرّمت النساء سواكم وان شئت لم أطعم نقاخاً^(٢) ولا برداً^(٣)

وقال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها برداً أي روحاً وراحة.

﴿جزاء﴾ نصب على المصدر، مجازه: جازيناهم جزاء.

﴿وفاقاً﴾ وافق أعمالهم وفاقاً كما نقول: قاتل قتالا عن الأخفش، وقال الفراء: هو جمع وفق والوفق واللفق واحد، قال الربيع: جزاء بحسب أعمالهم، الضحاك: على قدر أعمالهم، مقاتل: وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار، الحسن وعكرمة: كانت أعمالهم سيئة فأثابهم الله بما يسوءهم.

﴿إنهم كانوا لا يرجون﴾ يخافون ﴿حساباً﴾ وكذبوا بآياتنا كذاباً ﴿تكذيباً﴾ قال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة، يقولون: كذب كذاباً، وخرّقت القميص خرقاً، كل فعّلت فمصدرها فعّال في لغتهم مشدّد، قال: وقال لي إعرابي منهم: علي المروّة ستفتيني الحلاق أحب إليك أم القصاب وأنشدني بعض بني كلاب:

لقد طال [ما ثبطني] عن صحابي وعن حوج قضاؤها من شفاءنا^(٤)

﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴿أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا السّبي قال: أخبرني ابن منجويه قال: حدّثنا أبو داود الحراني قال: حدّثنا شعيب بن حيان قال: حدّثنا مهدي بن ميمون قال: حدّثنا وسمعت الحسن بن دينار سأل الحسن عن أشد آية في القرآن على أهل النار فقال الحسن: سألت أبا برزة الأسلمي فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً».

(١) جامع البيان للطبري: ١٧/٣٠.

(٢) النقاخ: الماء البارد الصافي.

(٣) الصحاح: ٤٤٦/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٢/٣٠.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوْاثِرَ آزَاجٍ ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فوزاً ونجاة من النار الى الجنة، وقال ابن عباس والضحاك: متنزهاً. ﴿حدائق وأعناناً﴾ وكواعب نواهد قد تكعبت ثديهن وأحدثها كاعب، قال بشر بن أبي حازم: لوكم من حصان قد حوينا كريمة] ومن كاعب لم تدر ما البؤس معصر^(١) ﴿أتراباً﴾ مستويات في السن ﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال الحسن وابن عباس وقتادة وابن زيد: مترعة مملوءة، وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً﴾ تكذيباً وهي قراءة العامة، وخففه الكسائي وهي قراءة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، وهما مصدران للتكذيب.

وقال قوم: الكذاب بالتخفيف مصدر الكاذبة وقيل: هو الكذب، قال الأعشى:
فصدقتها وكذبتها والمراء تنفعه كذابه
وإنما خففها هنا لأنها ليست بمقيدة بفعل يصيرها مصدراً له، وشدد قوله: ﴿وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾ لأن كذبوا يقيد الكذاب بالمصدر^(٢).

﴿جزاء من ربك عطاء حساباً﴾ كثيراً كافياً وافياً يقال: أحسبت فلاناً أي أعطيته ما يكفيه حتى قال: حسبي. قال الشاعر:
ونقفي وليد الحيّ إن كان جائعاً ونحسبه إن كان ليس بجائع^(٣)
أي يعطيه حتى يقول حسبي.

وقيل: جزاء بقدر أعمالهم وقرأ أبو هاشم ﴿عطاء حساباً﴾ بفتح الحاء وتشديد السين على وزن فعّال أي كفافاً. قال الأصمعي: تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد إذا أكرمته، وأنشد:
إذا أتاه ضيفه يحسبه من حاقن^(٤) أو من صريح يحلبه^(٥)

(١) سقط في المخطوط واستدركناه عن تفسير القرطبي: ١٨٣ / ١٩.

(٢) في تفسير القرطبي (١٨٤/١٩): يقيد المصدر بالكذاب.

(٣) تفسير القرطبي: ١٨٤/١٩.

(٤) حقن اللبن: جمعه في السقاء.

(٥) تفسير مجمع البيان: ٢٤٦/١٠.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبّيش قال: حدّثنا الطُّهراني قال: أخبرنا يحيى بن الفضل قال: حدّثنا وهب بن عمر قال: أخبرنا هارون بن موسى عن حنظلة عن شهر عن ابن عباس أنه قرأ (عطاء حسناً) بالنون.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ قرأ ابن مسعود والأشهب وأبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو سلام ويعقوب برفع الباء والنون، وقرأ ابن عامر وعيسى وعاصم كلاهما خفضاً واختاره أبو حاتم، وقرأ ابن كثير ومحيط ويحيى وحمزة والكسائي ﴿رَبِّ﴾ خفضاً و﴿الرَّحْمَنُ﴾ رفعاً، واختاره أبو عبيد، وقال: هذه أعدلها عندي أن يخفض الأوّل منهما لقربه من قوله: ﴿جِزَاءَ مَنْ رَبَّكَ﴾ فتكون نعتاً له وترفع ﴿الرَّحْمَنُ﴾ لبعده منه.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ كلاماً وقال الكلبي: شفاعة إلاّ بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ اختلفوا فيه، فأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن خُرْجة قال: حدّثنا عبدالله بن العباس الطيالسي قال: حدّثنا أحمد بن عبدالله قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا إبراهيم ابن طهمان عن مسلم الأعور عن مجاهد عن ابن عباس قال: أتى نفر من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الروح ما هو؟ قال: «هو جند من جند الله ليسوا بملائكة، لهم رؤوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ الآية، قال: هؤلاء جند وهؤلاء جند» [٨٨] (١).

وقال ابن عباس: هو من أعظم الملائكة خلقاً، وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا موسى قال: حدّثنا ابن علوية قال: حدّثنا إسماعيل قال: حدّثنا المسيب قال: حدّثنا ثابت أبو حمزة عن عامر عن علقمة عن ابن مسعود قال: الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال وأعظم من الملائكة، وهو في السماء الرابعة تسبح كلّ يوم إثني عشر تسبيحة يخلق من كلّ تسبيحه ملك يجيء يوم القيامة صفّاً وحده، وقال الشعبي والضحاك: هو جبريل، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: إنّ عن يمين العرش نهراً من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل (عليه السلام) فيه كلّ فجر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره وجمالاً إلى جماله وعظماً إلى عظمه، ثم يتنفض فيخرج الله سبحانه من كلّ قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كلّ يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور في الكعبة سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة، وقال وهب: إنّ جبريل (عليه السلام) واقف بين يدي الله سبحانه ترعد فرائضه يخلق الله سبحانه وتعالى من كلّ رعدة ألف ملك، فالملائكة صفوف بين يدي الله منكسوا رؤوسهم، فإذا أذن الله سبحانه لهم في الكلام قالوا: لا إله إلاّ أنت وهو قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾.

﴿لا يتكلمون إلّا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ يعني لا إله إلّا الله، وقال مجاهد: هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون، أبو صالح: خلق يشبهون الناس وليسوا، وقال الحسن وقتادة: هم بنو آدم، قال قتادة: وهذا مما كان يكتبه ابن عباس، وروى ابن مجاهد عن ابن عباس قال: الروح خلق من الله وصورهم على صور بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلّا ومعه واحد من الروح، عطية: هي أرواح الناس يقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تُرد الأرواح إلى الأجساد، وقال ابن زيد: كان أبي يقول: هو القرآن وقرأ ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾^(١).

﴿يوم يقوم الروح الملائكة صفاً﴾ قال الشعبي: هما سماط ربّ العالمين يوم القيامة سماطاً من الروح وسماطاً من الملائكة لا يتكلمون إلّا من أذن له الرحمن وقال صواباً قال: لا إله إلّا الله في الدنيا.

﴿ذلك اليوم الحق فمن شاء اتّخذ إلى ربّه مآباً﴾ مرجعاً وسيلاً إلى طاعته، ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ يعني القيامة وقيل القتل بيدر.

﴿يوم ينظر المرء ما قدّم يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ قال عبدالله بن عمر: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدّ الأديم وحشرت الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص قال لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. قال مجاهد: يقاد يوم القيامة للمنطوقة والمنطوحة من الناطحة، وقال المقاتلان: إنّ الله سبحانه وتعالى يجمع الوحوش والهوام والطيور كلّ شيء غير الثقلين فيقول: من ربكم فيقولون: الرحمن الرحيم، فيقول لهم الرب تبارك وتعالى بعدما يقضي بينهم حتّى يقتص للجماء من القرناء: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين أيام حياتكم فارجعوا إلى الذي كنتم كونوا تراباً فيكونون تراباً، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنى فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير رزقي كرزقه وكنّت اليوم في الآخرة تراباً. قال عكرمة: بلغني أنّ السباع والوحوش والبهائم إذا رأين يوم القيامة بني آدم وما هم فيه من الغم والحزن قلن: الحمد لله الذي لم يجعلنا مثلكم فلا جنة نرجوا ولا ناراً نخاف، وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد قال: حدّثنا داود بن سليمان قال: حدّثنا عبد بن حميد قال: حدّثنا الحسن بن موسى قال: حدّثنا يعقوب بن عبدالله قال: حدّثنا جعفر عن عبدالله بن ذكوان أبي الزيات قال: إذا قضي بين الناس وأمر أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجنّ: عودوا تراباً فيعودون تراباً، فعند ذلك يقول الكافر حيث يراههم قد عادوا تراباً: يا ليتني كنت تراباً، وبه قال ليث بن سليم: مؤمنوا الجن يعودون تراباً،

وقال عمر بن عبدالعزيز: إن مؤمنين الجن حول الجنة في ريش ورحاب وليسوا فيها.

وسمعتُ أبا القاسم بن جبير يقول: رأيت في بعض التفاسير أن الكافر ها هنا إبليس وذلك أنه عاب آدم بأنه خُلِقَ من تراب وافتخر بأنه خُلِقَ من النار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والراحة والرحمة ورأى ما هو وذويه فيه من الشدة والعذاب تمنى أنه بمكان آدم فيقول حينئذ: يا ليتني كنت تراباً.

وقال أبو هريرة: فيقول التراب للكافر: لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي.

سورة النازعات

مكيّة: وهي ستة وأربعون آية، ومائة وتسع
وسبعون كلمة، وثلاثة وسبع مائة وخمسون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتُ غَرْقًا ۝ وَالشَّيْطَانُ نَسْفًا ۝ وَالسَّيِّئَاتُ مَسِيحًا ۝ فَالسَّيِّئَاتُ سَنَفًا ۝ فَالْمُدْرِبَاتُ أَمْرًا ۝
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِمَةُ ۝ تَتَّبِعُهَا الرَّاكِبَةُ ۝ قُلُوبٌ يُؤْمِنُ وَاجِبَةُ ۝ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةُ ۝ يَقُولُونَ
أَوَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرَةِ ۝ أَوَإِنَّا كُنَّا عِظَمًا مَخْرَجَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَإِنَّا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝

﴿والنازعات غرقاً﴾ قال مسروق: هي الملائكة التي تنزع نفوس بني آدم، وهي رواية أبي صالح وعطية عن ابن عباس، قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: هي الملائكة تنزع أرواح الكافر والكفرة^(١)، وقال ابن مسعود: يريد أنفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم يفرقها ويرددها في جسده بعد ما تنزع حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده فهذا عمله بالكفار، وقال مقاتل: هم [ملك الموت] وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفسه كالغريق في الماء.

سعيد بن جبیر: نزع أرواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها في النار، وقال مجاهد هو الموت ينزع النفوس، السندي: هي النفس حين تغرق في الصدر، وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النزح كأنه يغرق، الحسن وقتادة وابن كيسان وأبو عبيدة والأخفش: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب، عطاء وعكرمة: هي القسي، وقيل: الغزاة، الرماة، ومجاز الآية: والنازعات إغراقاً كما يغرق النازع في القوس إذا بلغ بها غاية المد [..] ^(٢) الذي عند النصل الملفوف عليه، ويقال لقشرة البيضة الداخلة غرقى، وأراد بالإغراق المبالغة في النزح وهو سابغ في جميع وجوه تأويلها.

(١) كذا في المخطوط.

(٢) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

﴿والناشاطات نشطاً﴾ قال ابن عباس: يعني الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقل من يد البعير إذا حلَّ عنها وحكى الفراء هذا القول ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنشطت، وكأنما أنشط من عقل، وربطها نشطاً، والرابط: الناشط، وإذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته وأنت ناشط، وإذا حللته فقد أنشطته وأنت منشط.

وعن ابن عباس أيضاً: هي أنفس المؤمنين عند الموت، ينشط للخروج وذلك أنه ليس من مؤمن يحضره الموت إلا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت فيرى فيها أشباهاً من أهله وأزواجه من الحور العين فهم يدعونه إليها، فنفسه إليهم نشيطة ان تخرج فتأتيهم، وقال علي ابن أبي طالب: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافها بالكرب والغم، وقال مجاهد: هو الموت ينشط نفس الإنسان، وقال السندي: حين ينشط من القدمين، عكرمة وعطا: هي الأدهان، قتادة والأخفش: هي النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي تذهب، يقال: حمارنا ناشط ينشط من بلد إلى بلد أي يذهب، ويقال لبقر الوحش نواشط، لأنها تذهب من موضع إلى موضع. قال الطرماح:

وهل بحليف الخيل ممّن عهدته به غير أحدان النواشط روع^(١)
والهموم تنشط بصاحبها، قال هميان بن قحافة:

أمست همومي تنشط المناشطاً الشام بي طوراً وطوراً واسطاً^(٢)
وقال الخليل: النشاط والإنشاط^(٣) مدك شيئاً إلى نفسك حتى تتحل.

﴿والسابحات سبحاً﴾ قال علي: هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، وقال الكلبي: هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء فأحياناً ينغمس وأحياناً يرتفع يسبحونه سلا رفيقاً ثم يدعونها حتى يستريح، وقال مجاهد وأبو صالح: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كما يقال للفرس الجواد، سابح إذا أسرع في جريه، وقيل: هي خيل الغزاة. قال امرؤ القيس:

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار بالكديد المركل^(٤)
وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر. قال الله سبحانه: ﴿كلّ في فلك يسبحون﴾^(٥)
وقال عطا: هي السفن.

(١) جامع البيان للطبري: ٣٨/٣٠.

(٢) لسان العرب: ٤١٥/٧.

(٣) النشاط: هو الإيثاق، والإنشاط هو الحلّ، تاج العروس: ٥ / ٢٣١.

(٤) كتاب العين: ١٦/٣.

(٥) سورة يس: ٤٠.

﴿والسابقات سبقاً﴾ قال مجاهد وأبو روق: سقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح، مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، ابن مسعود: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقضونها وقد عاينت السرور شوقاً إلى لقاء الله ورحمته وكرامته، عطا: هي الخيل، قتادة: النجوم تسبق بعضها بعضاً في المسير.

﴿فالمدبرات أمراً﴾ يعني الملائكة.

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر بن الطيب قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا الأعمش عن عمرو ابن مرة عن عبد الرحمن بن سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل (عليهم السلام)، فأما جبريل فوكل بالرياح، وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فوكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم.

﴿يوم ترجف الراجفة﴾ يعني النفخة الأولى التي يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ﴿تتبعها الرادفة﴾ وهي النفخة الأخيرة وبينهما أربعون سنة، قال قتادة: هما صيحتان: أما الأولى فسميت كل شيء بإذن الله، وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله، وقال مجاهد: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ يعني تزلزل الأرض والجبال ﴿تتبعها الرادفة﴾ حين تنشق السماء ويحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، عطا: الراجفة: القيامة، والرادفة البعث، ابن زيد: الراجفة: الموت، والرادفة: الساعة، وأصل: الراجفة: الصوت والحركة ومنه سميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها، وكل شيء ولى شيئاً وتبعه فقد ردفه.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن يوسف قال: حدثنا محمد بن هارون الحضرمي قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبي بن كعب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربيع الليل قام وقال: «يا أيها الناس اذكروا الله إذكروا الله جاء الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه» [٨٩] (١).

واختلف العلماء في جواب القسم فقال بعض نحاة الكوفة: جوابه مضمّر مجازه: لتبعثن ولتحاسبن، وقال بعض نحاة البصرة: هو قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ وقيل: في الكلام تقديم وتأخير تقديره: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً.

﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ خائفة، مجاهد: وجلّة، السدي: زائلة عن أماكنها، نظيره ﴿إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ (٢)، المؤرّخ: قلقه، قطرب: مستوفرة، يمان: غير هادئة ولا ساكنة، أبو

(١) سنن الترمذي: ٥٣/٤.

(٢) سورة غافر: ١٨.

عمرو بن العلاء: مرتكضة، المبرد: مضطربة من وجيف الحركات يقال: وجف القلب ووجب فهو يجف ويجب وجوفاً ووجيفاً ووجوباً ووجيهاً.

﴿أبصارها خاشعة يقولون﴾ يعني هؤلاء المكذبين للبعث من مشركي مكة إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون بعد الموت.

﴿أنا لمردودون في الحافرة﴾ أي إلى أوّل الحال وابتداء الأمر فراجعون أحياء كما كنا قبل حياتنا وهو من قول العرب: رجع فلان على حافرتة إذا أرجع من حيث جاء، وقال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار^(١)
ويقال: البعد عند الحافر وعند الحافرة أي في العاجل عند ابتداء الأمر وأول سومه،
والتقى القوم فاقتتلوا عند الحافرة أي عند أول كلمة.

أخبرنا أبو بكر الجمشادي قال: أخبرنا أبو بكر القطيعي قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال: حدّثنا عمر بن مرزوق قال: أخبرنا عمران القطان قال: سمعت الحسن يقول: إنّنا لمردودون إلى الدنيا فنصير أحياء كما كنا، قال الشاعر:

آليت لا أنساكم فاعلموا حتى يردّ الناس في الحافرة^(٢)

وقال بعضهم: الحافرة الأرض التي فيها تحفر قبورهم فسُميت حافرة وهي بمعنى المحفورة كقوله سبحانه: ﴿ماء دافق﴾^(٣) و ﴿عيشة راضية﴾^(٤) ومعنى الآية إنّنا لمردودون إلى الأرض فنبعث خلقاً جديداً ثم مردودون في قبورنا أمواتاً، وهذا قول مجاهد والخليل بن أحمد، وقيل: سُميت الأرض حافرة، لأنها مستقر الحوافر كما سمي القدم أرضاً، لأنها على الأرض ومجاز الآية: نرد فنمشي على أقدامنا، وهذا معنى قول قتادة، وقال ابن زيد: الحافرة النار، وقرأ ﴿تلك إذا كرة خاسرة﴾ قال: هي إسم من أسماء النار وما أكثر أسمائها.

﴿أءذا كنا عظاماً نخرة﴾ قرأ أهل الكوفة وأيوب ناخرة بالألف، وهي قراءة عمر بن الخطاب وابنه وابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وأصحابه، واختاره الفراء وابن جرير لوافق رؤوس الآي، وقرأ الباقر بن جرة بغير الألف، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، قال أبو عبيد إنّما اخترناه لحجتين: أحدهما: أن الجمهور الأعظم من الناس عليها، منهم أهل تهامة والحجاز والشام والبصرة، والثانية: إنّنا قد نظرنا في الآثار التي فيها ذكر العظام التي قد نخرت

(١) لسان العرب: ٢٠٥/٤، تفسير القرطبي: ١٩٧/١٩.

(٢) تفسير القرطبي: ١٩٧/١٩.

(٣) سورة الطارق: ٦.

(٤) سورة الحاقة: ٢١.

فوجدناها كلّها العظام النخرة، ولم أسمع في شيء منها الناخرة، وكان أبو عمرو يحتج بحجة
ثالثة قال: إنّما يكون تناخره إلى تنخرها، ولم يفعل، وهما لغتان في قول أكثر أهل اللسان مثل:
الطمع والطامع والبخل والباخل والفره والفاره والجذر والجاذر، وفرّق بينهما فقالوا: النخرة:
البالية، والناخرة: المجوّفة التي تمرّ فيها الريح فتخرّ أي تصوّت.

﴿قالوا﴾ يعني المنكرين ﴿تلك إذا كرت خاسرة﴾ رجعة غابنة قال الله سبحانه: ﴿فإنّما هي
زجرة﴾ صيحة ونفخة ﴿واحدة فإذا هم بالساهرة﴾ يعني وجه الأرض صاروا على ظهر الأرض
بعد ما كانوا في جوفها، والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض ساهرة، قال أئمة أهل اللغة تراهم
سمّوا ذلك بها [لأنّ فيها نوم الحيوان] سهّروهم فوصف بصفة ما فيه، واستدل ابن عباس
والمفسرون بقول أمية بن أبي الصلت:

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم^(١)
أي لهم البر والبحر، وقال امرؤ القيس:
ولاقيتم بعده غبها فضاقت عليكم به الساهرة
وقال أبو ذؤيب:

يرتدن ساهرة كأن حميمها وعميمها أسداف ليل مظلم^(٢)
وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا ابن لمهان قال: حدّثنا موسى بن
إسماعيل قال: حدّثنا جهاد عن أبي سنان عن أبي المنية ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ جبل عند البيت
المقدّس، وروى الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ قال الصقع
الذي بين جبل حسان وجبل أريحا يمده الله كيف يشاء، وقال سفيان: هي أرض الشام، وقال
قتادة: هي جهنم.

هَلْ أُنْثَكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ
هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَرَكْ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَانْحَسِبْ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ
يَسْقَى (٢٢) فَخَسِرَ فَكَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِّمَن يَحْسَبْ (٢٦) أَنْتُمْ أَشَدُّ حَقًّا أَوْ أَنشَأَهَا مِنْهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَمَوَّنَهَا (٢٨) وَأَعْطَشَ لِبْنَهَا وَأَخْرَجَ ضُغَمَهَا (٢٩)
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَنَّا لَكَ وَلَأَنعِمَنَّكَ (٣٣)
فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَوُزِنَتْ الْحَبِيبُ لِمَن يَرَى (٣٦) قَالَمًا مِّنْ طَعْنٍ

(١) تفسير الطبري: ٢٥٢/١٠ والبيت وصف الجنة.

(٢) تفسير القرطبي: ١٩٩/١٩.

﴿٣٧﴾ وَاتَّخَذَ الْحَيُّ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْحَجِيمَ هِيَ الْمَوْتُ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَتْلُوكَ عَنِ السَّاعَةِ أَبَانَ مُرْسَهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رُبُّوْهَا لَوِ يَلْسُؤُوا إِلَّا عِشَّةَ أَوْ ضَحَا ﴿٤٦﴾

﴿هل أتاك حديث موسى﴾ * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ * فقل هل لك إلى أن تزكى ﴿قرأ أهل الحجاز وأيوب ويعقوب بتشديد الزاي أي تتزكى ومثله روى العباس عن أبي عمرو، غيرهم بتخفيفه ومعناه تسلم وتصلح وتطهر.﴾

﴿وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حبيش قال: أخبرنا ابن زنجويه قال: حدثنا مسلمة قال: حدثنا عبدالرزاق قال: أخبرنا ابن التيمي عن عبيدالله بن أبي بكر قال: حدثني صخر بن جويرية قال: لما بعث الله تعالى موسى (عليه السلام) إلى فرعون فقال له: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ إلى ﴿فتخشى﴾ ولن يفعل. قال موسى (عليه السلام): يا رب وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لن يفعل؟ فأوحى الله تعالى إليه أن أمضِ إلى من أمرت به فإن في السماء إثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر فلم يبلغوه ولم يدركوه.

﴿فأرله الآية الكبرى﴾ وهي العصا واليد البيضاء.

﴿فكذب وعصى﴾ * ثم أدبر ﴿تولى وأعرض عن الإيمان.﴾

﴿يسعى﴾ يعمل بالفساد ﴿فحشر﴾ فجمع السحرة وقومه ﴿فنادى فقال أنا ربكم الأعلى﴾ يقول ليس رب فوقى، وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربها وربكم، وقيل: أراد القادة والسادة ﴿فأخذه الله﴾ فعاقبه الله ﴿نكال الآخرة والأولى﴾ يعني في الدنيا والآخرة، الأولى بالغرق وفي الآخرة بالنار، وقيل: نكال كلمته الأولى وهي قوله سبحانه ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ وكلمته الآخرة هي قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وكان بينهما أربعون سنة.

﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ * أنتم ﴿أيها المنكرون للبعث﴾ أشد خلقاً أم السماء ﴿إن الذي قدر على خلق السماء قادر على أن يحيي الموتى وقوله ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾﴾^(١).

﴿بناها رفع سمكها﴾ سقفها، قال الفراء: كل شيء حمل شيئاً من البناء وغيره فهو سمك وبناء وسموك ﴿فساوها﴾ بلا شطور ولا فطور ﴿وأغطش﴾ أظلم ﴿ليلها﴾ والغطش أشد الظلمة ورجل أغطش أي أعمى ﴿وأخرج ضحيتها﴾ أبرز وأظهر نهارها ونوره.

﴿والأرض بعد ذلك دحيتها﴾ اختلفوا في معنى الآية، فقال ابن عباس: خلق الله سبحانه

الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك أي بسطها، قال ابن عباس وعبدالله بن عمرو: خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام فدحيت الأرض من تحت البيت، وقيل معناه: والأرض مع ذلك دحاها كما يقال للرجل: أنت أحقق وأنت بعد هذا لئيم الحسب، أي مع هذا، قال الله عزّوجل: ﴿عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾^(١) أي مع ذلك، وقال الشاعر: فقلت لها عني إليك فإنني حرام وإنني بعد ذاك لببيب^(٢) يعني مع ذلك.

ودليل هذا التأويل قراءة مجاهد ﴿وَالْأَرْضُ عِنْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ وقيل بعد بمعنى قبل كقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^(٣) أي من قبل الذكر وهو القرآن، وقال الهذلي: حملت الهي بعد عروة إذا نجا خراش وبعض الشرايون من بعض زعموا أن خراشا نجا قبل عروة.

وقراءة العامة ﴿وَالْأَرْضُ﴾ بالنصب، وقرأ الحسن ﴿وَالْأَرْضُ﴾ رفعها بالابتداء الرجوع الهاء وكلا الوجهين سائغان في عائد الذكر، والدحو البسط والمدّ، ومنه أدحي النعامة؛ لأنها تدحو بصدرها، يقال: دحا يدحوا دحواً ودحا يدحا دحياً لغتان مثل قولهم طغى يطغو أو يطغي وصغا يصغو ويصغي، ومحا يمحو ويمحي ولحي العود يلحوا أو يلحي، فمن قال: يدحو قال دحوت، ومن قال يدحا قال: دحيث.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ قال القتيبي: أنظر كيف دلّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنعام من العشب والشجر والحبّ والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح، لأنّ النار من العيدان والملح من الماء.

﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ قراءة العامة بالنصب وقرأ عمرو بن عبيد بالرفع. ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ فإذا جاءت الطامة الكبرى وهي القيامة سميت بذلك؛ لأنها تطمّ على كلّ هائلة من الأمور فتغمر ما سواها بعظم هولها؛ أي يغلب، والطامة عند العرب الناهية التي لا تُستطاع، وإنما أخرت من قولهم ظمّ الفرس طميمها إذا استفرغ جهده الجري.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبيش قال: حدّثنا محمد بن عمران قال: حدّثنا هناد ابن السهي قال: حدّثنا أبو أسامة عن ملك بن مغول عن القاسم الهمداني ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ قال الحسن: يسوق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

(١) سورة القلم: ١٣.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٩.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٥.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ عمل في الدنيا من خير أو شر ﴿وَيَبْزُزُ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾
 * فأما من طغى وأثر الحيوة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى
 النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى يستلونك عن الساعة أيا ن مُرساها ﴿متى ظهورها وثبوتها
 ﴿فيم أنت من ذكراها إلى ربك متنهاها﴾ علمها عند الله ولست من علمها في شيء قالت عائشة:
 لم يزل النبي ﷺ يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت هذه الآيات. ﴿إنما أنت منذر من
 يخشاها﴾ قراءة العامة بالإضافة وقرأ أبو جعفر وابن محيضر منذر بالتنوين، ومثله روى العباس
 عن أبي عمرو.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا قيل: في قبورهم، ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ قال
 الفراء: ليس للغاشية ضحى إنما الضحى لصدر النهار ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن تقولوا
 أئتت العشيّة أو عداتها إنما معناه آخر يوم أو أوله قال وأنشد بعض بني عقيل:
 نحن صبّحنا عامرا في دارها جردا تعاطى طرفي نهارها^(١)
 عشيّة الهلال أو سرارها.

بمعني عشيّة الهلال أو عشيّة سرار العشيّة.

سورة عبس

مكية وهي إحدى وأربعون آية، ومائة وثلاثون كلمة، وخمسة مائة وثلاثة وثلاثون حرفاً

أخبرنا ابن المقرئ قال: أخبرنا ابن مطر قال: حدثنا ابن شريك قال: حدثنا ابن يونس قال: حدثنا سلام قال: حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر» [٩٠] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَا مِنْ أَسْتَفْتَى ۚ (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصْدَقْ ۖ (٦) وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَذْرٌ ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يَخْفَى ۚ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ لِلَّهِ غَلَى ۚ (١٠) إِنَّهَا لَذِكْرٌ ۚ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ (١٢) فِي مَعْجَفٍ مُتَكَرِّمٍ ۚ (١٣) مَرْفُوعٍ مُطَهَّرٍ ۚ (١٤) يَأْتِيهِ سَفَرٌ ۚ (١٥) كَرِيمٌ ۚ (١٦) قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ ۚ (١٧) مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ (١٩) ثُمَّ أَسْبَلَ سِرَّهُ ۚ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ ۚ (٢١) قَدْ أَفْرَضُ ۚ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُهُ ۚ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ (٢٤) أَنَا صَبَّأُ اللَّامَةَ صَبًّا ۚ (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ (٢٦) فَأَنبَأْنَا فِيهَا جَاءَ ۚ (٢٧) وَعَيْنَا وَقْصًا ۚ (٢٨) وَزَيَّنَّاهَا وَمَخَلَّا ۚ (٢٩) وَحَدَّائِمَ عَلَيْهَا ۚ (٣٠) وَفُكَّهَمَ وَأَنَّا ۚ (٣١) فَتَنَّا لُكَّ ۚ (٣٢) وَلَنَعْمَكُمُ ۚ (٣٣)

﴿عَبَسَ﴾ كلعج. ﴿وتولى﴾ وأعرض عنه بوجهه ﴿أن﴾ لأن ﴿جاءه الأعمى﴾ وهو ابن مكتوم واسمه عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وأبياً وأمياً ابني خلف ويدعوهم إلى الله سبحانه ويرجوا إسلامهم فقال: يا رسول الله ﷺ أقرئني وعلمني مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشغول مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول: هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس رسول الله ﷺ وأعرض عنه وأقبل على القوم يكلمهم، فأنزل الله

سبحانه هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» ويقول: «هل لك من حاجة» [٩١] (١) واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء، قال ابن زيد كان يقال: لو كنتم رسول الله ﷺ شيئاً من الوحي لكنتم هذا.

﴿وما يدريك لعلّ يزكى﴾ أي يتطهر من ذنوبه ويتعظ ويصلح، وقال ابن زيد: يسلم.

﴿أو يذكر﴾ يتعظ ﴿فتنفعه الذكرى﴾ الموعظة، وقراءة العامة فتنفعه بالرفع نسقاً على قوله يزكى ويذكر، وقرأ عاصم في أكثر الروايات بالنصب على جواب لعل بالفاء.

﴿أما من استغنى﴾ اثنى ﴿فأنت له تصدى﴾ تتعرض وتصغي إلى كلامه قال الراعي: ﴿تصدى﴾ لوضاح كان جبينه سراج الدجى تجبى إليه الأساور، وقرأ أهل الحجاز وأيوب تصدى بتشديد الصاد على معنى يتصدى، وقرأ الباقر بالتخفيف على الحذف.

﴿وما عليك ألا يزكى﴾ أن لا يسلم أن عليك إلا البلاغ ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ يمشي يعني الأعمى ﴿وهو يخشى﴾ الله سبحانه ﴿فأنت عنه تلهى﴾ تعرض وتتغافل وتتشاغل بغيره ﴿كلاً﴾ ردع وزجر أي لا تفعل مثلاً بعدها فليس الأمر كما فعلت من إقبالك على الغني الكافر وإعراضك [عن] (٢) الفقير المؤمن.

﴿إنها﴾ يعني هذه الموعظة، وقيل: هذه السورة، وقال مقاتل: آيات القرآن ﴿تذكرة﴾ موعظة وتبصرة ﴿فمن شاء﴾ من عباد الله ذكره اتعظ به، وقال مقاتل: فمن شاء الله ذكره، أي فهمه واتعظ به إذا شاء الله منه ذلك وذكره وفهمه، والهاء في قوله: ﴿ذكره﴾ راجعة إلى القرآن والتنزيل والوحي أو الوعظ.

﴿في صحف مكرمة﴾ يعني اللوح المحفوظ، وقيل: كتب الأنبياء (عليهم السلام)، دليله قوله سبحانه: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ * صحف إبراهيم وموسى (٣).

﴿مرفوعة﴾ رقيقة القدر عند الله ﴿مطهرة بأيدي سفرة﴾ قال ابن عباس ومجاهد: كتبه وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر، ويقال: سمرت أي كتبت ومنه قيل للكتاب سفر، وجمعه أسفار، ويقال للوراق سقراً بلغة العبرانية وقال قتادة: هم القراء، وقال الباقر: هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول، وسفير القوم هو الذي يسعى بينهم للصلح، وسمرت بين القوم إذا أصلحت بينهم، قال الشاعر:

(١) تفسير القرطبي: ٢١٣/١٩.

(٢) في المخطوط: على.

(٣) سورة الأعلى: ١٨.

فما ادع السفارة بين قومي ولا أمشي بغير أب نسيب^(١) وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبيش قال: حدّثنا أبو القاسم بن الفضل قال: حدّثنا علي بن الحسين قال: حدّثنا الصلت بن مسعود قال: حدّثنا جعفر بن سلمان قال: حدّثنا عبد الصمد بن معقل قال: سمعت عمّي وهب بن منبه **﴿بأيدي سفرة﴾** قال: هم أصحاب محمد. **﴿كرام بررة﴾** جمع بار وبرّ مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة.

﴿قتل الإنسان﴾ لعن الكافر سمعت السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال ابن عطا: منع الإنسان عن طريق الخيرات بجهله بطلب رشه وسكونه إلى ما وعد الله له، قال مقاتل: نزلت في عتبة بن أبي لهب **﴿ما أكفّره﴾** بالله وأنعمه مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده على طريق التعجّب، وقال الكلبي ومقاتل: هو **﴿ما﴾** الاستفهام تعني أي شيء يحمله على الكفر.

﴿من أي شي خلقه * من نطفة خلقه فقدّره * ثم السبيل يسره﴾ أي طريق خروجه من بطن أمّه، وقال الحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل بيّن له ذلك وسهل له العمل به، دليله قوله سبحانه: **﴿إنا هديناه السبيل﴾** و **﴿هديناه النجدين﴾**^(٢) وقال أبو بكر بن طاهر: يسّر على كل أحد ما خلقه له وقدّر عليه، دليله قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسّر لما خلق له» [٩٢]^(٣).

﴿ثم أماته﴾ قبض روحه **﴿فأقبره﴾** صيّره بحيث يقبر ويدفن يقال: قبرت الميت، إذا دفنته، وأقبره الله أي صيّره بحيث يقبر وجعله ذا قبر ويقول العرب: بُتّرت ذنب البعير والله أبتره، وعضبت قرن الثور والله أعضبه، وطردت فلاناً والله أطرده أي صيّره طريداً، وقال الفراء: معناه جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلقي للسباع والطيور ولا ممن يلقي في النواويس، فالقبر مما أكرم به المسلم، وقال أبو عبيدة فأقبره أي أمر بأن يُقبر، قال: وقالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح بن عبد الرحمن: أقبرنا صالحاً فقال: دونكموه.

﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أحياه بعد موته.

﴿كلاً﴾ ردّ عليه أي ليس الأمر كما تقول ونظر هذا الكافر، وقال الحسن: حتماً.

﴿لما يقضي ما أمره﴾ أي لم يفعل ما أمره به ربّه ولم يؤدّ ما فرض عليه **﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾** كيف قدر ربّه ودبّره وليكون له آية وعبرة، وقال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه.

أخبرنا ابن فتحوية قال: حدّثنا القطيعي قال: حدّثنا عبدالله قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا

(١) فتح القدير: ٣٨٣/٥.

(٢) سورة البلد: ١٠.

(٣) مسند أحمد: ٨٢/١.

أحمد بن عبد الملك قال: حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد بن جدعان عن الضحاك بن سفيان الكلابي: إن النبي ﷺ قال له: «يا ضحاك ما طعامك؟» قال: يا رسول الله اللحم واللبن، قال: «ثم يصير إلى ماذا؟» قال: إلى ما قد علمت. قال: «قال الله سبحانه وتعالى: ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا» [٩٣] (١).

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا ابن مالك قال: حدثنا ابن حنبل قال: حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن يونس عن عبيد عن الحسن عن عتي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مطعم ابن آدم جُعل مثلاً للدنيا وإن قزحه» (٢) وملحه فانظر إلى ما يصير» [٩٤].

وأخبرني ابن فتحويه قال: حدثنا ابن صقلاب قال: حدثنا ابن أبي الخصب قال: حدثني أبي قال: حدثنا سهل بن عامر قال: حدثنا عمر بن سليمان عن ابن الوليد قال: سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر إلى ما يخرج منه، قال: يأتيه الملك فيقول انظر إلى ما بخلت به إلى ما صار؟ (٣)

﴿أنا﴾ قرأ الكوفيون بفتح الألف على نية تكرير الخافض، مجازه: ولينظر إلى أنا، غيرهم بالكسر على الاستئناف (٤).

﴿صبينا الماء صبا﴾ يعني الغيث ﴿ثم شققنا الأرض شقاً﴾ بالنبات ﴿فأنبتنا فيها حباً وعباً وقضباً﴾ قال ابن عباس والضحاك: يعني الرطبة، وأهل مكة يسمون القثّ القضيب، قال ثعلب: سمي بذلك لأنه يقضب في كل أيام أي يقطع، وقال الحسن: القضبّ العلف.

﴿وزيتونا﴾ وهو الذي منه الزيت ﴿ونخلا وحدائق غلباً﴾ غلاظ الأشجار واحدها أغلب ومنه قيل لغليظ الرقبة أغلب، وقال مجاهد: ملتفة، ابن عباس: طوالا، قتادة: الغلب النخل الكرام، عكرمة: عظام الأوساط، ابن زيد: عظام الجدوع والرقاب.

﴿وفاكهة وأباً﴾ يعني الكلاء والمرعى، وقال الحسن: هو الحشيش وما تأكله الدواب ولا تأكله الناس، قتادة: أما الفاكهة فلكم وأما الأبّ فلأنعامكم، أبو رزين: النبات، يدل عليه ما روى ابن جبير عن ابن عباس قال: ما أنبتت الأرض مما تأكل الناس والأنعام. علي بن أبي طلحة عنه: الأبّ: الثمار الرطبة. الضحاك: هو التبن. عكرمة: الفاكهة: ما يأكل الناس، والأبّ: ما يأكل الدواب.

(١) مسند أحمد: ٤٢٥/٣.

(٢) قزحة: تبلة وهو الذي يوضع في القدور والأوعية من الكمون والكزبرة يقال: توابل.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٢٠/١٩.

(٤) راجع زاد المسير: ٨ / ١٨٥.

وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد قال: حدثنا داود بن سليمان قال: حدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا محمد بن عبيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي إن أبا بكر سئل عن قوله ﴿وفاكهة وأباً﴾ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وأخبرنا ابن حمدون قال: أخبرنا ابن الشرقي قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال: أخبرنا أبي عن صالح عن ابن شاب عن أنس بن مالك أخبره أنه سمع هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصاً كانت بيده وقال: هذا لعمر الله التكليف وما عليك يا بن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه.

﴿متاعاً لكم﴾ يعني الفاكهة ﴿ولأنعامكم﴾ يعني العشب.

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ (٢٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٢٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٢٥) وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ (٢٦) لِكُلِّ فِرَارٍ (٢٧) مَنَافٍ (٢٨) يَوْمَئِذٍ يُغْنِي عَنْهُمْ وَجُوهُهُمُ الْمُسْتَبَشِرُونَ (٢٩) وَوُجُوهُهُمْ عَلَى عَذَابٍ رَهَقَهَا (٣٠) فَتَرَهُ (٣١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرُ (٣٢)

﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ يعني صيحة القيامة، سميت بذلك لأنها تصحّ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتى كاد تصمّها.

﴿يوم يفرّ المرء من أخيه * وأمّه وأبيه * وصاحبه وبنيه﴾ لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه وقيل: حذراً من مطالبتهم إياه لما بينه وبينهم من التبعات والمظالم، وقيل: لعلمه بأنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه من الله شيئاً.

سمعت السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت عبدالله بن طاهر الأبهري يقول في هذه الآية: يفر منهم إذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد سوى ربّه الذي لا يعجزه شيء، ويمكن من فسحة التوكّل واستراح في ظل التفويض.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا مخلّد قال: حدثنا ابن علوية قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا إسحق بن بشر قال: أخبرني شيخ لنا عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم وأول من يفر من أمّه إبراهيم وأول من يفر من إبنه نوح، وأول من يفر من أخيه هابيل بن آدم، وأول من يفر من صاحبه نوح ثم لوط، ثم تلا هذه الآية ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه﴾ وقال يروون أن هذه الآية نزلت فيهم.

وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس قال: أخبرنا أبو بكر بن محمد بن حمدون بن

خالد قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَنِيفَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا خَلِيدُ بْنُ دَعْلَجٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ قَالَ: يَفِرُّ هَابِيلُ مِنْ قَابِيلَ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ، قَالَ: يَفِرُّ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أُمِّهِ وَإِبْرَاهِيمُ مِنْ أَبِيهِ وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ، قَالَ: لُوطٌ مِنْ صَاحِبَتِهِ وَنُوحٌ مِنْ ابْنِهِ.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ﴾ يَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنٍ غَيْرِهِ قَالَ خَفَافٌ.

سَتَغْنِيكَ حَرْبُ بَنِي مَالِكٍ عَنْ الْفَحْشِ وَالْجَهْلِ فِي الْمَحْفَلِ

قَالَ الْفَرَاءُ: وَقَرَأَ بَعْضُ الْقُرَاءِ وَهُوَ ابْنُ مَحِيضٍ (بَعِينُهُ) وَهُوَ شَاذٌ.

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أَوْسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيَاشٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ بَشَّارٍ عَنْ سُودَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ حِفَاةَ عَرَاةٍ عَزَلًا قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَبَلَغَ شَحُومُ الْأَذَانِ».

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاسْوَأَاتُهَا يَنْظُرُ بِعَصْبِنَا إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «قَدْ شَغُلُ النَّاسُ ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ﴾» [٩٥] (١).

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مَسْفُورَةٌ﴾ مَشْرُقَةٌ مُضِيئَةٌ، يُقَالُ: أَسْفَرَ الصَّبِيحُ إِذَا أَضَاءَ ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ فَرِحَةٌ.

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَارَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْأَشْعَثِ عَنْ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ عَنْ عَطَاءٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مَسْفُورَةٌ﴾ قَالَ: مِنْ طَوْلٍ مَا اغْبَرَّتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غُيْبَةٌ﴾ غُيْبَارٌ، ذَكَرَ أَنَّ الْبَهَائِمَ الَّتِي يَصَيِّرُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَرَابًا بَعْدَ الْقَضَاءِ بَيْنَهَا حَوْلُ ذَلِكَ التَّرَابِ فِي وَجْهِهِ الْكُفْرَةِ ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ ظِلْمَةٌ وَكَأَبَةٌ وَكُسُوفٌ وَسَوَادٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَغْشَاهَا ذَلَّةٌ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْغُبْرَةِ وَالْقَتَرَةِ أَنَّ الْقَتَرَةَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْغُبَارِ فَلَحِقَ بِالسَّمَاءِ، وَالْغُبْرَةُ مَا كَانَ أَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ ﴿أَوَّلُكَ﴾ الَّذِينَ يَصْنَعُ بِهِمْ هَذَا ﴿هُمْ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ﴾.

سورة التكوير

مكية وهي تسع وعشرون آية، ومائة وأربع كلمات، وخمس مائة وثلاثون حرفاً

حدّثنا الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن علي بن سهل الماسرخي إملاءً قال: أخبرنا أبو الوفاء المؤمّل بن عيسى الماسرخي قال: حدّثنا أحمد بن منصور الرمادي قال: حدّثنا إبراهيم بن خالد قال: حدّثنا يحيى بن عبدالله بن القاص قال: سمعت عبدالرحمن بن زيد الصناعي يقول: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يُنظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت» [٩٦] (١).

وأخبرني سعيد بن محمد قال: أخبرنا محمد بن مطر قال: حدّثنا إبراهيم بن شريك قال: حدّثنا أحمد بن عبدالله قال: حدّثنا سلام بن سليم قال: حدّثنا هارون بن كثير عن زيد عن مسلم عن أبيه عن أبي أمية عن أبي كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا الشمس كورت أعاده الله سبحانه وتعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته» [٩٧] (٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)
وَإِذَا الْخُيُوسُ سُيِّرَتْ (٥) وَإِذَا الْيَاحَارُ سُيِّرَتْ (٦) وَإِذَا الْفُؤُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْقُودُ سُيِّرَتْ (٨) بَاقِي
ذُنُبٍ قُلْتُ (٩) وَإِذَا الشُّعُفُ سُيِّرَتْ (١٠)

﴿إذا الشمس كورت﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أظلمت، عطية عنه: ذهبت، مجاهد: أضمحلت، قتادة: ذهب ضوءها، سعيد بن جبیر: عورت وهي بالفارسية كوريكرد. أبو صالح: نكست، وعنه أيضاً: ألقيت، يقال: طعنه فكوره، أي: ألقاه، ربيع بن هيثم: رُمي بها. واصل التكوّر في كلام العرب جمع بعض الشيء إلى بعض كتكوير العمامة، وهو لَفَّها على الرأس، وتكوير الكارة من النبات، وهو جمع بعضها إلى بعض ولَفَّها، فمعنى

(١) مسند أحمد: ٢٧/٢، تفسير القرطبي: ٢٢٦/١٩.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٢٧٣/١٠.

قوله ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: جمع بعضها إلى بعض، ثم لف فرمي بها وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوئها، دليله ونظيره قوله سبحانه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾^(١).

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي تناثرت من السماء فتساقطت على الأرض ويقال: انكدر الطائر أي سقط عن عشه.

قال العجاج:

أبصر ضربان فضاء فانكدر^(٢).

وانكدر القوم إذا جاؤا أرسالا حتى انصبوا عليهم^(٣)، قال ذو الرمة:

فانصاع جانبه الوحشي وانكدرت يلجبن لا يأتلي المطلوب والطلب^(٤)
ابن عباس: تغيرت.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض فصارت هباء منبثاً ﴿وَإِذَا الْعُشُورُ﴾ وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر وحدثها عُشراء، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم. ﴿عُطِلَتْ﴾ سُبِّتْ وأهملت تركها أربابها وكانوا [...] ^(٥) لأذنبها فلم تركب ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها^(٦). لآتيان ما يشغلهم عنها.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

أخبرنا عبد الخالق قال: أخبرنا ابن حبيب قال: حدّثنا أبو العباس البرتي قال: حدّثنا أبو نعيم قال: حدّثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: حشرها موتها، وقال ابن عباس: حشر كلّ شيء الموت غير الجنّ والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة، وقال أبي بن كعب وإذا ﴿الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي اختلطت. قتادة: جمعت، وقيل: بعثت ليقتضي الله [بينها]^(٧).

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف وغيرهم بالتشديد، واختلفوا في معناه فقال ابن زيد وشمر بن عطية وسفيان ووهب: أوقدت فصارت ناراً.

(١) سورة القيامة: ٩.

(٢) أي فانصب، وهو في لسان العرب: ٥١٨ / ٤.

(٣) كتاب العين: ٣٢٦ / ٥.

(٤) لسان العرب: ٥٦٠ / ١.

(٥) غير مقروءة في المخطوط.

(٦) تفسير القرطبي: ٨٣ / ٣٠، وتفسير الدر المنثور: ٣١٨ / ٦.

(٧) في المخطوط: بينهما.

قال ابن عباس: يَكْوَرُ الله الشمس والقمر والنجوم في البحر فيبعث عليها ريحاً دبوراً فينفخه حتى يصير ناراً.

وقال مجاهد ومقاتل والضحاك: يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح فصارت البحور كلّها بحراً واحداً.

قال الحلبي: ملئت، ربيع بن حيثم: فاضبت، الحسن: يبست، قتادة: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة، وقتل: صارت مياهها بحراً واحداً له من الحميم لأهل النار.

وأخبرنا عقيل أن أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير قال: حدثنا الحسن بن الحرث قال: حدثنا الفضل موسى عن الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: حدثني أبي بن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فجردت واضطربت واحترقت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطيور والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله سبحانه ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: اختلطت ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: أهملها أهملها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحر فإذا هي نار تأجج.

قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتهم^(١).

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أخبرنا الحسن قال: أخبرنا السني قال: أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا محمد بن بكار قال: حدثنا الوليد بن أبي نور عن سماك عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: [الضرباء] كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله» [٩٨] (٢).

وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا محمد بن خالد قال: حدثنا أحمد بن خالد الوهبي قال: حدثنا إسماعيل عن سماك بن حرب إنه سمع النعمان بن بشير يقول: قال عمر بن الخطاب: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح، قال ابن عباس: ذلك حتى يكون الناس أزواجاً ثلاثاً، وقال الحسن وقاتة: أُلْحِقَ كُلُّ امْرِئٍ بِشِيعَتِهِ، اليهود باليهود والنصارى بالنصارى، الربيع بن خيثم بحشر المرء مع صاحب عمله: مقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالحوار العين ونفوس الكافرين بالشیاطين نظيرها ﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(٣)، وقيل: زوجت النفوس بأعمالها.

(٢) جامع البيان للطبري: ٨٨/٣٠.

(١) تفسير الطبري: ٨٠ / ٣٠.

(٣) سورة الصافات: ٢٢.

وأخبرنا محمد بن حمدون قال: أخبرنا مكى قال: حدّثنا حمد بن الأزهر قال: حدّثنا أسباط عن أبيه عن عكرمه في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال زُوِّجَتْ الأرواح في الأجساد.

﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ﴾ وهي الجارية المقتولة المدفونة حيّة سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يثقلها حتى تموت، قالوا: وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحيها ألبسها جبّة من صوف أو شعر ترعى الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال أبوها لأمها طيّبها وزيّنها حتى أذهب بها إلى أحماؤها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذا البئر فيدفعها من خلفها في البئر لم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿أَيْمُسْكَ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾^(١) وقال ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته، وكانت طوائف من العرب يفعلون ذلك وفيه يقول قائلهم:

سميتها إذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن رميت^(٢)
وقال قتادة: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه فعاب الله تعالى ذلك عليهم وأوعدهم.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان أن قال: حدّثنا الفراتي قال: حدّثنا محمد بن مهدي الأبلبي ويحيى بن موسى قالوا: حدّثنا عبدالرزاق قال: أخبرنا إسرائيل بن يونس عن سماك ابن حرب عن النعمان بن بشير قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ﴾ قال: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت ثمان بنات في الجاهلية، قال: «فأعتق عن كلّ واحدة منهم رقبة».

قال: يا رسول الله إني صاحب إبل. قال: «فانحر عن كلّ واحدة منهم بدنة إن شئت» [٩٩] (٣).

﴿سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ قراءة العامة على الفعل المجهول فيهما، ولها وجهان: أحدهما: سُئِلَتْ هي فقيل لها: بأيّ ذنب قتلت وبأيّ فجور قتلت؟ كما يقال: قال عبدالله إنه ذاهب وإني ذاهب، وقال عبدالله بأيّ ذنب ضربت وبأيّ ذنب ضرب، كلاهما سائغ جائز، والآخر: سُئِلَ عنها الذين وأدوها كأنك قلت: طلبت منهم فقيل: أين أولادكم وبأيّ ذنب قتلتموهم.

(١) سورة النحل: ٥٩.

(٢) الصحاح: ٢٤٩/١.

(٣) كنز العمال: ٥٤٦/٢.

وأخبرنا الحسن بن محمد بن عبدالله المقريء قال: أخبرنا البغوي ببغداد قال: حدثنا ابن أبي شيبه قال: حدثنا زياد بن أيوب دلويه قال: حدثنا هشام عن رجل ذكروا أنه هارون، قال زياد: ولم اسمعه أنا من هاشم عن جابر بن زيد أنه كان يقرأ ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ومثله قرأ أبو الضحى ومسلم بن صبح.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قرأ أهل المدينة والشام والبصرة إلا أبا عمرو بالتخفيف غيرهم بالتشديد لقوله سبحانه ﴿صُحُفًا مُنشَرَةً﴾^(١).

أخبرني الحسين قال: حدثنا هارون قال: حدثنا اليسري قال: حدثنا سعيد بن سليمان عن عبدالحمد بن سليمان قال: حدثنا محمد بن أبي موسى عن عطاء بن بشار عن أم سلمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة» قالت يا رسول الله كيف بالنساء؟ قال: «شغل الناس يا أم سلمة» قالت: وما شغلهم قال: «نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل» [١٠٠]^(٢).

وَإِذَا النُّجُومُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُقِرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)
فَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ (١٥) لِمَوَازِ الْكُنُسِ (١٦) وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) تُطَاعُ نَتْمَ أَمْرٍ (٢١) وَمَا سَاجِدٌ بِمِجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمَلِكِينَ (٢٣)
وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ (٢٥) فَأَنَّى تَذَكَّرُونَ (٢٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧)
لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي فعلت ونزعت وجذبت عن أماكنها ثم طويت، وفي قراءة عبدالله: كشطت بالقاف وهما لغتان، والقاف والكاف في كلام العرب يتعاقبان مخرجيهما كما يقال: الكافور والقافور والقف والكف.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُقِرَتْ﴾ قرأ أهل المدينة بالتشديد غيرهم بالتخفيف واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لأنها واحدة واختلف فيه بن عاصم وابن عامر، ومعناه: أوقدت، قال قتادة: سقرها غضب الله وخطايا بني آدم.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قرَّبَ لأهلها نظيرها قوله: ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) ﴿عَلِمَتْ﴾ عند ذلك ﴿نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ من خير أو شر وهو جواب لقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ﴾ وما بعدها كما

(١) سورة المثلث: ٥٢.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٣٤/١٩.

(٣) سورة الشعراء: ٩٠.

يقال: إذا قام زيد قعد عمر؁ وقال ابن عباس في قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ إلى قوله: ﴿علمت﴾: اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة.

﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ قال قوم: هي النجوم الخمسة الذراري السيارة تخنس في مجاراتها فترجع ورائها ويكنس في وقت اختفائها غروبها كما يكنس الأطباء في مغارها؁ وقال قتادة: هي النجوم تبدوا بالليل وتخفى بالنهار فلا تُرى ودليل هذا التأويل ما روى شعبة عن سماك عن خالد بن عرعة أن رجلا من مراد قال لعلي: ما الخنس الجوار الكنس؟ قال: هي الكواكب تخنس بالنهار فلا تُرى وتكنس بالليل فتأري إلى مجاريها؁ وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري؁ قال ابن زيد: معنى الخنس: أنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها كل سنة لها في كل عام تأخر يتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع يخنس عنه والكنس يكنس بالنهار فلا تُرى.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن النواب قال: حدثنا رضوان بن أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا أبو معونة عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله في قوله سبحانه: ﴿الجوار الكنس﴾ قال: هي بقر الوحش؁ وإليه ذهب إبراهيم وجابر بن زيد وقال سعيد بن جبير: هي الأطباء وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

وأصل الخنس الرجوع إلى وراء؁ والكنوس أن يأوي إلى مكانسها؁ وهي المواضع التي يأوي إليها الوحش قال الأعشى:

فلما لحقنا الحي أتلع أنس كما أتلعت تحت المكانس ررب^(١)
ويقال لها الكنايس أيضاً؁ قال طرفة بن العبد:

كأن كناسي ضالة يكنفانها وأطرقسي تحت صلب مؤيد^(٢)
وقال أوس بن حجر:

ألم تر أن الله أنزل مسزنه وعفر الأطباء في الكناس تقمع^(٣)
﴿والليل إذا عسعس﴾ قال الحسن: أقبل بظلامه؁ وقال الآخرون: أدبر؁ يقول العرب:

عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير؁ قال علقمة بن فرط:
حتى إذا أصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا^(٤)
وقال رؤبة:

(١) جامع البيان للطبري: ٩٦/٣٠.

(٢) جامع البيان للطبري: ٩٦/٣٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) جامع البيان للطبري: ٩٩/٣٠.

يا هند ما أسرع ما تسعسعا من بعد أن كان فتى سرعرا^(١)
من بعد إن كان فتى سرعرا.

«والصبح إذا تنفس» أقبل وأضاء وبدأ أوله وقيل: أمتد وارتفع. «إنه» يعني القرآن «لقول» لتنزيل «رسول كريم» وهو جبريل (عليه السلام) «ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم» في السماء يطيعه الملائكة «أمين» على الوحي «وما صاحبكم» محمد «بمجنون ولقد رآه» يعني جبريل على صورته «بالأفق المبين» وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق الذي يجيء منه النهار، قاله مجاهد وقتادة.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا مخلد قال: حدثنا ابن علويه قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثنا إسحق بن بشر قال: حدثنا ابن جريح عن عكرمة، ومقاتل عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء» قال: لن تقوى على ذلك، قال: «بلى» قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: «بالأبطح» قال: لا يسعني قال: «فبمنى» قال: لا يسعني قال: «فبعرفات» [١٠١] قال: «بالبحرى أن يسعني، فواعده فخرج النبي ﷺ للوقت، فإذا هو بجبريل (عليه السلام) قد أقبل من جبال عرفات بخشخشه وكلكله قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجله في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ خرّ مغشياً عليه فتحول جبريل في صورته فضمه إلى صدره، وقال: يا محمد لا تخف، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في النجوم السابعة، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضائل أحياناً من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوضع - يعني العصفور - حتى ما يحمل عرش ربك إلاّ عظمته.

«وما هو» يعني محمد ﷺ. «على الغيب» أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه من علم الغيب «بظنين» قرأ زيد بن ثابت والحسن وابن عمرو والأشهب وعاصم والأعمش وحمزة وأهل المدينة والشام بالضاد، وكذلك في حرف أبي بن كعب ومصحفه، وهي قراءة ابن عباس برواية مجاهد واختيار أبي حاتم ومعناه: يبخل يقول: [يأتيه] علم الغيب وهو منقوش فيه فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، يقول العرب: ضننت بالشيء بكسر النون أضن به ضناً وضنائة فأنا ضنين، أي بخيل، قال الشاعر:

أجود بمضنون التلاد وانني بسرّك عمن سألني لضنين^(٣)
وقرأ الباقون بالطاء وكذلك هو في حرف ابن مسعود ومصحفه وهي قراءة عبدالله وعروة

(١) الصحاح: ١٢٢٩/٣.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٤١/١٩.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ٢: ٢٦٥، وفي الهامش.

ابني الزبير وعمر بن عبدالعزيز وأبي عبدالسلمي ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ومعناه يتهمهم يقال: فلان يُظن بـمال ويزن بـمال أي يتهم به؁ والظنة: التهمة؁ قال الشاعر:

أما وكتاب الله لا عن شناعة هجرت ولكن الظنين ظنين^(١)

واختار أبو عبيد هذه القراءة وقال: أنهم لم ييخلوه فيحتاج أن ينفي عنه ذلك البخل؁ وإنما كذبوه واتهموه؁ ولأن الأكثر من كلام العرب ما هو بظنين بكذا ولا يقولون على كذا إنما يقولون: ما أنت على كذا بمتهم؁ وقيل بظنين. بضعيف حكاه الفراء والمبرد يقال: رجل ظنين أي ضعيف؁ وبثر ضنون إذا كانت ضعيفة الماء؁ قال الأعشى:

ما جعل الجد الظنون الذي جُنِب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر^(٢)

﴿وما هو﴾ يعني القرآن ﴿بقول شيطان رجيم فأين تذهبون﴾ يعني قال: أين تعدلون عن هذا القرآن؁ وفيه الشفاء والبيان؁ قال الكسائي: سمعت العرب تقول: انطلق به الغور؁ وحكى الفراء عن العرب: ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق؁ أي [.....]^(٣) قال سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة وأنشدني بعض بني عقيل:

تصيح بنا حنيفة إذ رأتنا وأي الأرض تذهب بالصياح^(٤)
يريد إلى أي الأرض تذهب.

وقال الواسطي: فأين تذهبون من ضعف إلى ضعف ارجعوا إلى فُسحة الربويّة ليستقر بكم القرار؁ وقال الجنيد: معنى هذه الآية مقرون بأية أخرى وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾^(٥) فأين يذهبون.

﴿إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ أي يتبع الحق ويعمل به ويقيم عليه ثم قال: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أخبرنا أبو بكر بن عبدوس المزكي قال: أخبرنا أبو حامد بن بلال البراز قال: حدّثنا أحمد بن يوسف السلمي قال: حدّثنا أبو مسهر قال: حدّثني سعيد عن سليمان بن موسى قال: لما أنزل الله سبحانه وتعالى ﴿لمن شاء منكم أن

(١) تفسير القرطبي: ٢٤٢/١٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٤٢/١٩؁ والجد: البشر؁ والفراتي: نسبة للفرات؁ والبوصي: ضرب من السفن؁ والماهر: السابح.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٤٣/١٩.

(٥) سورة الحجر: ٢١.

يستقيم» قال أبو جهل بن هشام: ذاك إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله سبحانه ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنيه قال: حدثنا [الفرمي]^(١) قال: حدثني مالك بن سليمان قال: حدثنا بقية عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله سبحانه على رسوله: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قالوا: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن عمر بن مهران قال: حدثنا أبو مسلم الكنجي قال: حدثنا جعفر بن جبير بن فرقد قال: سمعت رجلاً سأل الحسن عن قول الله سبحانه وتعالى ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ فقال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله لها.

وأخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن علي بن الحسين قال: حدثنا علي بن أحمد بن بسطام قال: حدثنا إبراهيم بن الحجاج الشامي قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو سنان عن وهب بن منبه قال: الكتب التي أنزلها الله سبحانه على الأنبياء بضع وتسعون كتاباً قرأت منها بضعاً وثمانين كتاباً فوجدت فيها (من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر).

قال الواسطي: أعجزك في جميع أوصافك فلا تشاء إلا مشيئته ولا تعمل إلا بقوته ولا تطيع إلا بفضله ولا تعصي. إلا بخذلانه فماذا يبقى لك وماذا تفتخر من أفعالك وليس من فعلك شيء؟.

(١) هو أبو علي الفرعي نسبة (الفر) إلى مدينة على ساحل مصر (معجم البلدان).

سورة الإنفطار

مكية، وهي تسع عشر آية، وثمانون كلمة،
وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفاً

أخبرني محمد بن القاسم قال: أخبرنا محمد بن مطر قال: حدّثنا إبراهيم بن شريك قال: حدّثنا أحمد بن يونس قال: حدّثنا سلام بن سليم قال: حدّثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا السماء انفطرت اعطاه الله سبحانه من الأجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة وأصلح الله له شأنه يوم القيامة» [١٠٢] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)
عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧)
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي فجر بعضها في بعض عدنها في ملحها وملحها في عدنها فصارت بحراً واحداً، وقال الحسن: ذهب ماؤها، وقال الكلبي: ملئت.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ بحثت ونثرت وأثيرت فاستخرج ما في الأرض من الكنوز ومن فيها من الموتى أحياء، يقال: بعثرت الحوض وبعثرته إذا هدمته فجعلت أسفله أعلاه، وهذا من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها من ذهبها وفضتها وأموالها ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من عمل صالح أو طالح.

﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من سنة حسنة أو سيئة، وقال عكرمة: ما قدمت من الفرائض التي أدتها وأخّرت من الفرائض التي ضيعتها، وقيل: ما قدمت من الأعمال وأخّرت من المظالم، وقيل:

ما قدّمت من الصدقات وأخرت من التركات، وقيل ما قدّمت من الاسقاط والإفراط وما أخرت من الأولاد وهذا جواب إذا.

﴿يا أيها الإنسان ما غرّك برّبك الكريم﴾.

أخبرنا عبدالله الفتحي قال: حدّثنا أبو علي المقريء قال: حدّثنا أبو القاسم ابن الفضل المقريء قال: حدّثنا علي بن الحسين قال: حدّثنا المقدمي وعلي بن هاشم قالا: حدّثنا كثير بن هشام قال: حدّثنا جعفر بن برقان قال: حدّثني صالح بن مسمار قال: بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك برّبك الكريم﴾ قال: جهله، وقال قتادة: غرّة شيطانه عدوه المسلط عليه.

وحّدثني الحسن بن محمد بن الحسن قال: حدّثني أبي عن جدّي عن علي بن الحسن الهلالي عن إبراهيم بن الأشعث قال: قيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بين يديه فقال: ما غرّك برّبك الكريم ماذا كنت تقول؟ قال: أقول غرني ستورك المرخاة، نظمه محمد ابن السماك فقال:

يا كاتم الذنب أما تستحي الله في الخلوة ثانيكا
غرّك من ربّك إمهاله وستره طول مساويكا^(١)

وقال: مقاتل: غرّه عفو الله حين لم يعجل عليه بالعقوبة، وتلا [نصر] بن مغلس هذه الآية فقال: غرّه رفق الله به.

وسمعت أبا القاسم الحلبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن محمد الوراق يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: لو أقامني الله سبحانه بين يديه فقال: ما غرّك بي؟ قلت: غرّني بك برّك بي سابقاً وآتفاً.

وسمعت يقول: أخبرنا عبدالله بن محمد بن صالح المغافري يقول: سمعت حماد بن بكر يحكي عن بعضهم أنه قال: لو سألتني عن هذا ربي لقلت: غرّني حلمك، وسمعت يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن يزيد النسقي يقول: سمعت أبا عبدالله حسن أبي بكر الوراق يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: لو قال لي ما غرّك برّبك الكريم لقلت: غرّني كرم الكريم.

قال أهل الإشارة: إنّما قال: ﴿برّبك الكريم﴾ دون سائر أسمائه وصفاته؛ لأنه كان لفظة الإجابة حتى يقول: غرّني كرم الكريم، قال منصور بن عمار لو قيل: ما غرّك بي؟ قلت: يا رب ما غرّني إلّا ما علمته من فضلك على عبادك وصفحك عنهم، وروى أبو وائل عن ابن مسعود

قال: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله سبحانه وتعالى به يوم القيامة فيقول: يابن آدم ما غرّك بي يابن آدم ماذا عملت فيما علمت يابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟.

وسمعت أبا القاسم النيسابوري يقول: سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الشامي وأبا الحسن محمد بن الحسين القاضي الجرجاني يقولان: سمعنا إبراهيم بن فاثك يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر.

وأنشدني الحسن بن جعفر البابي يقول: أنشدني منصور بن عبدالله الأصفهاني يقول: أنشدنا أبو بكر بن طاهر الأبهري في هذا المعنى:

يا من غلا في الغنى والتمت به وغرّه طول تماديه
أملى لك الله فبارزته ولم تخف غب معاصيه^(١)

﴿الذي خلقك فسوّك فعدّلك﴾ قرأ أهل الكوفة بتخفيف الدال أي صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء قبيحاً أو جميلاً وقصيراً أو طويلاً، وقرأ الباقون بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق، وهو اختيار الفراء وأبي عبيد لقوله سبحانه: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾^(٢).

﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم.

وأنبأني عبدالله بن حامد قال: أخبرنا عبدالله بن عبدالرحمن العسكري قال: حدّثنا عبدالرحمن بن محمّد بن منصور قال: حدّثنا مطهر بن الهيثم قال: حدّثنا موسى بن علي عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: [...] [٣].

«وما ولد لك» قال: يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إمّا غلام وإمّا جارية. قال ﷺ: «من شبه» قال: فمن شبه إمه وأباه، فقال النبي ﷺ: «لا تقل هكذا إنّ النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر الله كلّ نسب بينهم وبين آدم، أما قرأت هذه الآية ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾» قال ﷺ: «إن شاء في صورة إنسان وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة خنزير» [١٠٣] [٤].

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَثِيرِينَ (١١) يَقَامُونَ مَا تَعْمَلُونَ (١٢) إِنَّ

(١) المصدر السابق، وفيه: غلا في العجب.

(٢) سورة التين: ٤.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٢٨٧/١٠.

الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حِمِيمٍ ﴿١٣﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٤﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٨﴾

﴿كَلَّا بَلْ تَكْذِبُونَ بِالْدِّينِ﴾ قراءة العامة بالتاء لقوله سبحانه ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ﴾ وقراءة أبو جعفر بالياء ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ رقباء يحفظون عليكم أعمالكم.
﴿كَرَامًا﴾ على الله ﴿كَاتِبِينَ﴾ يكتبون أقوالكم وأفعالكم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ يعني الذين يبروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله واجتناب معاصيه، وأخبرنا عبدالرحمن بن يحيى العدل قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ الْمُؤَمِّلُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ الْوَصَافِي عَنْ مُحَارِبِ بْنِ [دَثَارٍ] عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سَمَاهُمُ اللَّهُ الْأَبْرَارَ لِأَنَّهُمْ بَرُّوا الْأَبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ، كَمَا أَنَّ لَوَالِدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا كَذَلِكَ لَوْلَدُكَ عَلَيْكَ حَقٌّ» [١٠٤] (١).

﴿لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حِمِيمٍ * يَصَلُّونَهَا * يَدْخُلُونَهَا﴾ يوم الدين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ قراءة أهل مكة والبصرة برفع الميم ردًّا على اليوم الأول، وقراءة غيرهم بالنصب أي في يوم، واختاره أبو عبيد قال: لأنها إضافة غير محضة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

سورة المطففين

مدنية، وهي ست وثلاثون آية، ومائة وتسع وستون كلمة، وسبع مائة وثلاثون حرفاً

أخبرنا كامل بن أحمد المفيد قال: أخبرنا محمد بن مطر العدل قال: حدّثنا ابن إبراهيم بن شريك الأسدي قال: حدّثنا أحمد بن يونس اليربوعي قال: حدّثنا سلام بن سليم قال: حدّثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المطففين سقاه الله سبحانه من الرحيق المختوم يوم القيامة» [١٠٥] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ ﴿٧﴾ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٩﴾ كِتَابٌ مَّرْهُومٌ ﴿١٠﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِّلشَّكَّينِ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُنْفَخُ الْفُتُورُ الْأَوَّلُ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

﴿ويل للمطففين﴾ يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن، وأصله من الشيء الطفيف وهو النزر القليل، وإناء طفاف إذا لم يكن ملآن، ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء في حبة أو عدد: هم كطف الصاع، يعني ذلك: كقرب الملء منه ناقص عن الملء (٢).

﴿الذين إذا اكْتالوا﴾ أخذوا ﴿على الناس﴾ أي منهم، وعلى ومن تتعاقبان في هذا الموضع ﴿يستوفون﴾ حقوقهم منه ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم﴾ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم، يقال: يقال: وزنك حقك، وكلت طعامك بمعنى وزنت لك وكلت لك، قال الفراء: وهي لغة أهل الحجاز ومن جاوزهم من [.....] (٣) قال: وسمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين إلى الموسم المقبل.

(٢) تفسير الطبري: ١١٣/٣٠.

(١) تفسير مجمع البيان: ٢٨٩/١٠.

(٣) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

قال أبو عبيد: وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين حرفين ويقف على: كالوا ووزنوا، ثم يتبدئ فيقول: هم يخسرون، قال: وأحسب قراءة حمزة أيضاً كذلك، قال أبو عبيد: والأختيار أن يكون كلمة واحدة من جهتين: إحداهما: الخط، وذلك أنهم كتبوها بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا ووزنوا بالألف على ما كتبوا الأفعال كلها مثل: فاءوا وجاءوا [..] (١)

المصاحف إلا على إسقاطها.

والجهة الأخرى: أنه يقال: كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك، وهو كلام عربي كما يقال: صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك ومثله كثير.

﴿يخسرون﴾ ينقصون.

حدثنا أبو محمد المخلدي قال: أخبرنا ابن الشرقي قال: حدثنا عبدالرحمن بن بشر قال: حدثنا علي بن الحسين بن واقد، قال: حدثني أبي قال: حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله سبحانه ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل.

وقال القرطبي: كان بالمدينة تجارٌ يُطَفِّفُونَ وكانت يباعتهم كشبه القمار والمنابذة والملامسة والمخاطرة فأنزل الله سبحانه هذه الآية. فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق وقرأها عليهم، وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا بن يوسف قال: حدثنا ابن عمران قال: حدثنا أبو الدرداء، عبدالعزيز [بن منيب] قال: حدثنا إسحاق بن عبدالله بن كيسان عن أبيه عن الضحاك ومجاهد وطاووس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس لخمس» قالوا: يا رسول الله وما خمس لخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طفقوا الكيل إلا منعوا النبات وإخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» [١٠٦] (٢).

وأخبرني بن فنجويه قال: حدثنا ابن ماجة قال: حدثنا ابن أيوب قال: حدثنا القسواني قال: حدثنا سنان بن حاتم قال: حدثنا حفص قال: حدثنا مالك بن دينار قال: دخلت على جابر لي وقد نزل به الموت فجعل يقول: جبلين من نار جبلين من نار، قال: قلت: ما تقول أتهجر؟ قال: يا أبا يحيى كان لي مكيالان، كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر، قال: فقمت فجعلت

(١) بياض بالمخطوط.

(٢) المعجم الكبير: ٣٨/١١.

أضرب أحدهما بالآخر فقال: يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر إزداد عظماً فمات في وجعه.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا بن صقلان قال: حدّثنا محمد بن محمد بن النفاخ الباهلي قال: حدّثنا بركة بن محمد الحلبي عن عثمان بن عبدالرحمن عن النضر بن عدي قال: سمعتُ عكرمة يقول: أشهد على كلّ كيّال أو وزّان أنّه في النار، قيل له: إنّ ابنك كيّال أو وزّان، قال: أنا أشهد أنّه في النار.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا الفضل بن الفضل قال: حدّثني عبدالله بن زكريا القاضي قال: حدّثنا العباس بن عبدالله بن أحمد قال: حدّثنا المبرد قال: حدّثنا الرياسي عن الأصمعي قال: قال لي إعرابي: لا تلتمس الحوائج ممن مروءته في رؤس المكاييل والسن الموازين، وروى عبد خير أن عليّاً مرّ على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح، فكفا الميزان، ثم قال: أقم الوزن بالقسط، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت، وقال نافع كان ابن عمر يمرّ بالبائع فيقول: اتّي الله وأوفّ الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم.

﴿ألا يظنّ﴾ يستيقن ﴿أولئك أنّهم مبعثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن مالك قال: حدّثنا ابن حنبل قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا وكيع عن هشام صاحب [الدستواني] عن القمر بن أبي [ابزى] قال: حدّثني من سمع ابن عمر قرأ ﴿ويل للمطففين﴾ فلما بلغ ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ بكى حتى خرّوا وامتنع من قراءة ما بعده.

﴿كلاً﴾ قال الحسن: حقّاً ﴿إنّ كتاب الفجار﴾ الذي كتب فيه أعمالهم ﴿لفي سجين﴾ قال عبدالله بن عمر ومغيث بن سمي وقتاده ومجاهد والضحاك وابن زيد: هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفّار وأعمالهم، يدلّ عليه ما أخبرنا الحسين قال: حدّثنا موسى قال: حدّثنا ابن علوية قال: حدّثنا إسماعيل قال: حدّثنا المسيّب قال: حدّثنا الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البرك قال: قال رسول الله ﷺ: «سجين أسفل سبع أرضين» [١٠٧]^(١).

وأخبرني أبو عبدالله الفنجوي قال: حدّثنا أبو علي المقريء قال: حدّثنا أبو [القاسم بن] الفضل قال: حدّثنا محمد بن حميد قال: حدّثنا يعقوب بن عبدالله الأشعري قال: حدّثنا حفص ابن حميد عن سمر بن عطية قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال: أخبرني عن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنّ كتاب الفجار لفي سجين﴾ فقال: إنّ روح الفاجر يُصعد بها إلى السماء

(١) تفسير مجمع البيان: ٢٩٢/١٠، وقريب منه في تفسير القرطبي: ٢٥٨/١٩.

فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فُهبط تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سَجِّين، وهي حدّ إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت حدّ إبليس رق فيرقم ويختم ويوضع تحت حدّ إبليس بمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة، وإليه ذهب سعيد بن جبير قال: سَجِّين تحت حدّ إبليس، وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السفلى وفيها إبليس وذريته.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا الفضل قال: حدّثنا عبدالرحمن بن أبي حاتم قال: قراءة على يونس بن عبدالأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: وحدّثني عمارة بن عيسى عن يونس بن يزيد عمّن حدّثه عن ابن عباس أنه قال لكعب الأحبار: أخبرني عن سَجِّين وعلّيين، فقال كعب: والذي نفسي بيده لأخبرنك عنها إلّا بما أجد في كتاب الله المنزل، أما سَجِّين فإنّها شجرة سوداء تحت الأرضين السبع مكتوب فيها كلّ اسم شيطان، فإذا قبضت نفس الكافر عرج بها إلى السماء فغلقت أبواب السماء دونها، ثم رمى بها إلى سجين فذلك سجين، وأما عليّون فإنّه إذا قبضت نفس المسلم عرج بها إلى السماء وفتحت لها أبواب السماء حتى تنتهي إلى العرش، قال: فيخرج كفّ من العرش فيكتب له نزلته وكرامته فذلك عليّون.

وقال الكلبي: هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء خضرة السموات منها، يجعل كتاب الفجار تحتها، وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس.

وأخبرني عقيل: إن المعافى أخبرهم عن ابن جرير قال: حدّثني إسحاق بن وهب الواسطي قال: حدّثنا مسعود بن موسى بن مشكان قال: حدّثنا نصر بن خزيمة عن شعيب بن صفوان عن القرطي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الفلق جبّ في جهنم مغطّى وأما سجين جبّ في جهنم مفتوح» [١٠٨] (١).

وأخبرنا أبو القمر الصفار قال: أخبرنا حاجب بن أحمد قال: حدّثنا محمد بن حماد قال: حدّثنا يحيى بن سليم الطائفي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِّينٍ﴾ قال: سَجِّين صخرة تحت الأرض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها، وقال عكرمة: أي لفي خسار وضلال، والمعنى أنه أراد بطلان أعمالهم وذهابها بلا محمده ولا ثواب وهذا سائح مستفيض في كلام الناس، يقولون لمن حمل ذكره وسقط قدره قد لُزق بالحضيض، وقال الأخفش: لفي حبس ضيق شديد، وهو فعيل من السجّن كما يقال فسّيق وشرب قال ابن مقبل:

ورفقه يضربون البيّض ضاحيّة ضرباً تواصت به الأبطال سَجِّيناً (٢)

(١) جامع البيان للطبري: ١٢٠/٣٠، الدر المنثور: ٣٢٥/٦.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٥٨/١٩.

﴿وما أدراك﴾ يا محمد ﴿ما سجّين﴾ أي ذلك الكتاب الذي في السجّين ثم من فقال: ﴿كتاب﴾ أي هو كتاب ﴿مرقوم﴾ مكتوب مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحي حتى يجازوا به وقال قتادة: رُقم لهم بشرّ وقيل: مختوم بلغة حمير. ﴿ويل يومئذ للمكذّبين﴾ الذين يكذبون بيوم الدين * وما يكذب به إلا كلُّ مُعتد أثيم * إذا تتلى عليه آياتنا ﴿قراءة العامة تتلى، وقرأ أبو حيان بالياء لتقديم الفعل.

﴿قال أساطير الأولين﴾ كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ أخبرنا الحسين قال: حدّثنا الفضل قال: حدّثنا أبو الحسن أحمد بن مكرم الترمي ببغداد قال: حدّثنا علي المكرمي قال: حدّثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت محمد بن عجلان يقول: حدّثني الفقعاق بن حكم أن أبا صالح السّمان قال أن أبا هريرة حدّثه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ العبد إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب صُقل قلبه وإن عاد زادت حتى يسود قلبه» [١٠٩] ^(١) قال: فذلك قوله سبحانه ﴿كلّاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ وكذا قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب، وقال خديفة بن اليمان: القلب مثل الكفّ فإذا أذنب العبد انقبض وقبض أصبعاً من أصابعه ثم إذا أذنب انقبض وقبض أصبعاً أخرى، ثم إذا أذنب انقبض وقبض أصابعه ثم يطبع عليه فكانوا يرون أنّ ذلك هو الرين، ثم قرأ هذه الآية.

وقال بكر بن عبد الله: إنّ العبد إذا أصاب الذنب صار في قلبه كوخزة الإبرة ثم إذا أذنب ثانياً صار كذلك فإذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل أو كالغريال، وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى لعله يصديء القلب، وقال ابن عباس: طبع عليها، عطا: غشيت على قلوبهم فهوت بها فلا يفزعون ولا يتحاشون ^(٢)، وقيل: قلبها فجعل أسفلها أعلاها، نظيره قوله سبحانه ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ ^(٣) وأصل الرين الغلبة، يقال: رانت الخمر على عقله إذا غلبت عليه فسكر، وقال أبو زيد الطائي:

ثم إذا رآه رانت به الخمـ — — — — —
ر وأن لا يرينه باتقاء
وقال الراجز:

لم نرو حتى هجّرت ورين بي ورين بالسّاقبي الذي أمسى معي ^(٤)
معنى الآية غلب على قلوبهم وأحاطت بها حتى غمرتها وغشيتها.

(١) مسند أحمد: ٢/٢٩٧، تحفة الاحوذى: ١/٢٥، جامع البيان للطبري: ٣٠/١٢٣ بتفاوت.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠ / ١٢٤.

(٣) سورة الأنعام: ١١٠.

(٤) جامع البيان للطبري: ٣٠/١٢٢.

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّاتٍ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَّاتٌ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ يُشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَتَرَفَّعُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَتْهُمْ فِيْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَرَمَاهُمْ مِنْ نَّعِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُعْرِضُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَكْرَمُوا مَا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ قال بعضهم: من كرامته ورحمته ممنوعون، وقال قتادة: هو أن لا ينظر إليهم ولا يزكّهم، وقال أكثر المفسرين: عن رؤيته، قال الحسين بن الفضل: كما حجّبه في الدنيا عن توحّيده حجّبه في الآخرة عن رؤيته.

أخبرنا الحسن بن محمد بن جعفر قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هاني قال: حدّثنا الحسين بن الفضل قال: حدّثنا عفان بن مسلم الصفار عن الربيع بن صبيح وعبدالواحد بن زيد قالوا: قال الحسن: لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربّهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا، وقال يحيى بن سليمان: بن نضلة: يُسْتَل مالِك بن أنس عن هذه الآية قال: لها حجب أعداء فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رآوه، وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا علي الحسن بن أحمد [الشبوي] ^(١) بها يقول: سمعت أبا نعيم عبدالملك بن محمد بن عدي يقول: سمعت الربيع بن سليمان يقول: كنت ذات يوم عند الشافعي رحمته الله وجاءه كتاب من الصعيد يسأله عن قول الله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ فكتب فيه: لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا، فقلت له: أوتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أن يرى ربّه في المعاد لما عبده في الدنيا.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ لداخلوا النار ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّاتٍ أخبرني الحسين قال: حدّثنا موسى قال: حدّثنا ابن علوية قال: حدّثنا إسماعيل قال: حدّثنا المسيّب عن الأعمش عن النّهل عن زاذان عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «عليين في السماء السابعة تحت العرش» [١١٠] ^(٢) وقال ابن عباس هو لوح من زبجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها، وقال كعب وقاتادة: هو قائمة العرش

(١) كذا في المخطوط.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٦٢/١٩.

اليمنى، مقاتل: ساق العرش، علي ابن أبي طلحة وعطاء عن ابن عباس: هو الجنة، عطية عنه: أعمالهم في كتاب الله في السماء، الضحاك: سدرة المنتهى، وقال أهل المعاني: علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون لجمع الرجال إذا لم يكن له نبأ من واحد ولا ثانية، قال الفراء: هو اسم موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه كقولك عشرين وثلاثين، وقال يونس النحوي: واحدها علي وعليه.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا بن حمدان قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق الملحمي قال: حدثنا محمد بن يونس قال: حدثنا عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عصام ابن يهدله عن خيثمة عن عبدالله بن عمرو في قوله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنِ﴾ قال: إنّ أهل عليين لينظرون إلى أهل الجنة من كذا فإذا أشرف رجل أشرقت الجنة وقالوا: قد طلع علينا رجل من أهل عليين.

﴿وما أدريك ما عليون﴾ كتاب مرقوم رقم له بخير وفي الآية تقديم وتأخير، مجازها: إنّ كتاب الأبرار مرقوم في عليين وهي محل الملائكة، ومثله إنّ كتاب الفجار كتاب مرقوم وهي سجين، وهي محل إبليس وجنوده.

﴿يشهده المقربون﴾ الملائكة ﴿إنّ الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون﴾ أي ما أعطاهم الله تعالى من الكرامة والنعمة، الأرائك: كل ما يتكئ عليه، وقيل: السرير في الحجلة، وقال مقاتل: ينظرون إلى [أعدائهم]^(١) كيف يعذبون، وقال ابن عطاء: على أرائك المعرفة ينظرون إلى المعروف وعلى أرائك القربة ينظرون إلى الرؤوف.

﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ أي عصارته وبريقه ونوره يقال أنضر النبات إذا أزهى ونور، وقراءة العامة ﴿تعرف﴾ بفتح التاء وكسر الراء ﴿نضرة﴾ نصب، وقرأ أبو جعفر ويعقوب بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل.

﴿يسقون من رحيق﴾ خمر صافية طيبة وقيل: هي الخمر العتيقة، مقاتل: الخمر البيضاء. قال حسان:

يسقون من وردّ البريض عليهم بردا يُصَفَّق بالرحيق السِّلْسَل^(٢)
وقال آخر:

أم لا سبيل إلى الشباب وذكره أشهى إليّ من الرحيق السِّلْسَل^(٣)

(١) في المخطوط: عدوهم.

(٢) تفسير القرطبي: ١٤٣/١٩، والبريض: نهر بدمشق، ويردى: نهر بدمشق أيضاً، ويصفق: يمزج، والرحيق: الخمر البيضاء.

(٣) لسان العرب: ٣٤٣/١١.

﴿مختوم﴾ ختمت ومُنعت عن أن يمسه ماس أو تنالها يد إلى أن يفك ختمها الأبرار يوم القيامة، وقال مجاهد: مطّين.

﴿ختامه﴾ طينة ﴿مسك﴾ قال ابن زيد: ختامه عند الله سبحانه: مسك وختامها اليوم في الدنيا طين، وقال ابن مسعود: مختوم ممزوج، ختامه خلطو مسك، وقال علقمة: طعمه وريحه مسك، وقال الآخرون: عاقبته وآخر طعمه مسك، قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك، وروى عبدالرحمن بن سابط عن أبي الدرداء في قوله سبحانه ﴿ختامه مسك﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل إصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيها.

وختم كل شيء الفراغ منه، ومنه ختم القرآن، والأعمال بخواتيمها، وقراءة العامة (ختامه) بتقديم التاء وقرأ الكسائي (خاتمته) وهي قراءة علي وعلقمة.

أخبرنا محمد بن عبدوس قال: حدّثنا محمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن الجهم قال: أخبرنا يحيى بن زرارة الفراء قال: حدّثني محمد بن الفضل عن عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن أنه قرأ خاتمته مسك.

وبإسناده عن الفراء قال: حدّثني أبو الأحوص عن أشعث بن أبي الشعثاء المحاربي قال: قرأ علقمة بن قيس (خاتمته مسك) وقال: أما رأيت المرأة تقول للعطار: اجعل لي خاتمته مسكاً، تريد آخره، والخاتم والختام واحد كما يقال للرجل الكريم: الطابع والطباع، وقال الفرزدق:

فبتن بجانبني مضرعات وبّت أفضّ أغلاق الختام^(١)

﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ فليغرب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله، وقال مجاهد فليعمل العاملون، نظيره قوله سبحانه: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾^(٢)، مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون، ابن حيان: فليتسارع المتسارعون، عطا: فليستبق المتسابقون، زيد بن أسلم: فليتشاح المتشاحون، ابن جرير: فليجدوا في طلبه وليحرصوا عليه، وأصله من الشيء النفيس، وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويطلبه ويتمناه ويريده كل واحد منهم لنفسه وينفس به على غيره أي يضمن.

﴿ومزاجه من تسنيم﴾ شراب ينصب عليه من علو، ومنه سنام البعير وتسليم القبور قال الضحاك: هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف الشراب، مقاتل: يسمى تسنيماً؛ لأنه يتسّم فيصب عليه انصباباً من فوقهم في غرفهم ومنازلهم تجري من جنة عدن إلى أهل الجنان، قال ابن مسعود وابن عباس: هو خالص للمقربين يشربونها صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة.

وأخبرنا عبدالله بن حامد في آخرين قالوا: أخبرنا مكِّي قال: حدَّثنا عمار بن رجاء قال: حدَّثنا سويد بن عمرو الكلبي قال: حدَّثنا حماد بن سملة عن علي بن زيد عن يونس بن مهران عن ابن عباس ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال: هذا مما قال الله سبحانه: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾^(١)، وعن بعضهم: أنها عين تجري في الهواء متسماً فتصب في أواني أهل الجنة على مقدار ملئها، فإذا امتلأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستقاء وهو معنى قول قتادة، وأصل الكلمة مأخوذ من علو المكان والمكانة، فيقال للشيء المرتفع: سنام، وللرجل الشريف: سنام وهو اسم معرفة مثل التنعيم وهو اسم جبل.

﴿عيناً يشرب بها﴾ أي منها، وقيل يشربها ﴿المقربون﴾ قال الحريري والواسطي: يشرب بها المقربون صرفاً على بساط القرب في مجلس الأنس ورياض القدس بكأس الرضا على مشاهدة الحق سبحانه وتعالى.

﴿إن الذين أجمعوا﴾ اشركوا أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفي مكة ﴿كانوا من الذين﴾ عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين. ﴿يضحكون﴾ وبهم يستهزؤون ومن إسلامهم يتعجبون.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وذلك أنه جاء في نفر من المسلمين إلى النبي ﷺ فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات قبل أن يصل علي وأصحابه إلى رسول الله ﷺ [١١١] ^(٢).

﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ يغمز بعضاً ويشيرون بالأعين ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين﴾ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴿حين يأتون محمد يرون أنهم على شيء﴾ وما أرسلوا يعني المشركين ﴿عليهم﴾ يعني على المؤمنين ﴿حافظين﴾ لأعمالهم موكلين بأحوالهم. ﴿فاليوم﴾ يعني يوم القيامة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ كما ضحك الكفار منهم في الدنيا وذلك أنه يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم أخرجوا إليها فإذا وصلوا إليه أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مراراً ويضحك المؤمنون منهم وهم ﴿على الأرائك﴾ من الدر والياقوت ﴿ينظرون﴾ إليهم كيف يعذبون، قال كعب: بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا أطلع من بعض تلك الكوى، دليله قوله سبحانه ﴿فاطلع فراه في سواء الجحيم﴾^(٣) ﴿هل ثوب﴾ جوزي ﴿الكفار ما كانوا يفعلون﴾ ثوب وأثاب بمعنى واحد.

(١) سورة الصافات: ٦١.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٢٩٨/١٠، وقريب منه في شواهد التنزيل ٢: ٤٢٨.

(٣) سورة الصافات: ٥٥.

سورة الإنشقاق

مكية. وهي خمس وعشرون آية، ومائة
وسبع كلمات، وأربع مائة وأربع وثلاثون حرفاً

أخبرني سعيد بن محمد وكامل بن أحمد ومحمد بن القاسم قالوا: أخبرنا محمد بن مطر قال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَرِيكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ سَلِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ أَبِي بِنِي كَعْبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ انْشَقَّتْ أَعَاذَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ» [١١٢] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَهُ بِعَيْنَيْهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنُقِلَتْ إِيَّاهُ أَهْلِيهِ مُسَرُّورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسَرُّورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ طَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَفْئِسْ بِالْشَّقِيقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقِ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَشَرُّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَهٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي سمعت أمر ربها بالإنشقاق وطاعته ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي وحق لها أن تطيع ربها وحق الله ذلك عليه.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ مدّ الأديم العكاظي وزيد في سعته. ﴿وَأَلْقَتْ﴾ أخرجت ﴿مَا﴾ فيها من الموتى والكنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وخلت فليس في باطنها شيء. ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾، واختلفوا في جواب قوله ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ فقيل جوابه متروك؛ لأنّ المعنى مفهوم، وقيل جوابه ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيهِ﴾ ومجازه: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ لَقِيَ كُلَّ كَادِحٍ مَا عَمَلَهُ، قَالَ الْمَبْرَدُ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾

فملاقية ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾، وقيل: جوابه ﴿وَأَذنت﴾، وحيثذ يكون الواو زائدة.

ومعنى قوله ﴿كادح إلى ربك كدحاً﴾ أي عامل واصل به إلى ربك عملاً فملاقية ومجازى به خيراً كان أو شراً، وقال القتيبي ناصب في معيشتك إلى لقاء ربك، والكدح: السعي والجهد في الأمر حتى يكدح ذلك فيه، أي يؤثر ومنه قول النبي ﷺ: «من سأل وله ما يغنيه جاءت مسئته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً في وجهه» [١١٣] ^(١) أي أثر الخدش، قال ابن مقبل:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح ^(٢)

وأخبرني الحسين قال: حدثنا موسى قال: حدثنا ابن علوية قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثنا إسحاق بن بشر عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم على ما سلف» [١١٤] ^(٣).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كُتَابَهُ﴾ ديوان أعماله ﴿بِيمِينِهِ﴾ فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً. أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن مندة قال: حدثنا محمد بن غالب قال: حدثني سعيد بن سليمان قال: حدثنا مبارك بن فضالة عن أيوب عن أبي مليكة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يحاسب يعذب» قالوا: يا رسول الله أليس قد قال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كُتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فسوف يحاسب حساباً يسيراً قال: «ذاكم العرض ولكن من نوقش الحساب عذب» [١١٥] ^(٤).

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كُتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ فتغلّ يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وقال مجاهد: يخلع يده وراء ظهره.

﴿فسوف يدعوا ثبوراً﴾ ينادى بالويل والهلاك ﴿ويصلى سعيراً﴾ قرأ أبو جعفر وأيوب وكوفي غير الكسائي بفتح الياء والتخفيف واختاره أبو عبيد لقوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ ^(٥)، وقوله ﴿يصلى النار الكبرى﴾ ^(٦) وقرأ الباقر بضم الياء وتشديد اللام، واختاره أبو حاتم لقوله سبحانه ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ ^(٧) و«تصلية جحيم» ^(٨) «إنه كان في أهله مسروراً»

(١) سنن ابن ماجة: ٥٨٩/١.

(٢) جامع البيان للطبري: ٤٠/٢١.

(٣) كنز العمال: ٩٣٦/١٥، ح ٤٣٦٠٧.

(٤) مسند أحمد: ١٢٧/٦.

(٥) سورة الصافات: ١٦٣.

(٦) سورة الأعلى: ١٢.

(٧) سورة الحاقة: ٣١.

(٨) سورة الواقعة: ٩٤.

سمعت السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا القاسم المصري يقول: قال ابن عطاء لنفسه متابعاً ساعياً.

﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ يرجع إلينا قال النبي ﷺ: «أعوذ بك من الحور بعد الكور» [١١٦] (١) وقال ابن عباس: كنت لا أدري ما معنى يحور حتى سمعت إعرابية تدعوا بنيةً لها فتقول: حوري حوري أي أرجعي، وقال الشاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوءه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع (٢)
ثم قال: ﴿بلى﴾، أي ليس كما ظن بلى يحور إلينا ويبعث.

﴿إن ربّه كان به بصيراً * فلا أقسم بالشفق﴾ قال مجاهد وغيره: هو النهار كله، عكرمة: ما بقى من النهار، وقال ابن عباس وأكثر الناس: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس وبغيوبته يتعلّق أول وقت العشاء الآخرة وإليه ذهب من الصحابة ابن مسعود وابن الزبير وعمر وابنه وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأنس بن مالك وأبو قتادة الأنصاري وأبو هريرة وجابر بن عبدالله ومن التابعين سعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير وطاووس وعبد الله بن دينار ومكحول، ومن الفقهاء مالك والأوزاعي والشافعي وأبو يوسف وأبو ثور وابن عبيد وأحمد وإسحاق، وقال قوم: هو البياض، وإليه ذهب عمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة، والأختيار القول الأول؛ لأجماع العبادة عليه، ولأن الشواهد في كلام العرب وأشعارهم تشهد له، قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: الثور أحمر كأنه الشفق، وقال الشاعر:

أحمر اللون كمحمر الشفق

وقال آخر:

قم يا غلام أعني غير محتشم على الزمان بكأس حشوها شفق (٣)
ويقال للحفرة الشفق، وزعم الحكماء أنّ البياض لا يغيب أصلاً قال الخليل: صعدت منارة اسكندرية فرمقت البياض فرأيته يتردّد من أفق إلى أفق ولم أره يغيب، والله أعلم بالصواب.

﴿والليل وما وسق﴾ أي جمع وجمل، ويقال: وسقته أسقه وسقاً، ومنه قيل للطعام المجتمع الكبير: وسق وهو ستون صاعاً، وطعام موسق أي مجموع في غرارة ووعاء، وقال مجاهد: برواية ابن أبي بحج: وما آوي فيه من دابة، منصور عنه: ومالفت وأظلم عليه ودخل

(١) جامع البيان للطبري: ١٤٨/٣٠.

(٢) الدر المنثور: ٣٣٠/٦.

(٣) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٣٠٣، تفسير القرطبي: ١٩ / ٢٧٥، وفيه مرتبك محتشم.

فيه، عكرمة: وما جمع فيه منّ دوابة وعقارية وحيّاته وظلمته، ضحاك ومقاتل: وما ساق من ظلمه فاذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه، وقال الأستاذ أبو القاسم بن حبيب: شبيه أن يكون على هذا القول من المقلوب، لأن أصل ساق يسوق، عثمان: حمل من الظلمة، أبو حيان: أقبل من ظلمة أو كوكب، سعيد بن جبير: وما عمل فيه، وروى ابن أبي مليكة وابن جبير عن ابن عباس: وما جمع قال: ألم تسمع قول الشاعر:

أَنْ لَنَا قَلَائِصاً^(١) حَقَائِقاً مستوسقات لو يجدن سائِقاً^(٢)

﴿القمر إذا اتسق﴾ أي اجتمع واستوى وتمّ نوره، قتادة: إذا أstoodار وقيل: سار، مرة الهمداني: أرتفع وهو في الأيام البيض، ويقال: اتسق الشيء إذا تابع، واستوسق من الأبل إذا اجتمعت وأنضمت وهو أفعل من الوسق.

﴿لتركبن﴾ قرأ أهل مكة والكوفة إلّا عاصماً بفتح التاء، وهي قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود وأصحابه وابن عباس وأبي العالية، وقالوا: يعني لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة، وقيل: أراد به السماء تتغير لون بعد لون فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل وتشقق بالغمام مرة ويطوي^(٣) أخرى^(٤)، وقرأ الآخرون بضمة وأختره أبو عبيد قال: لأنّ المعنى بالناس أشبه منه بالنبي ﷺ إنّما ذكر قبل الآية من يؤتى منهم كتابة بيمينه وشماله ثم قال: بعدها فمالهم لا يؤمنون وذكر ركوبهم طبقاً بعد طبق بينهما.

واختلف المفسرون في معنى الآية فقال أكثرهم: حالاً بعد حال وأمرأ بعد أمر في مواقف القيامة عن محمد بن مروان عن الكلبي، حيان عنه: مرة يعرفون ومرة يجهلون، مقاتل: يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة، عطا: مرة فقراً ومرة غنى، عمرو بن دينار عن ابن عباس: الشدائد والأحوال الموت ثم البعث ثم العرض، والعرب تقول لمن وقع في أمر شديد: وقع في بنات طبق وفي أخرى بنات طبق، أبو عبيدة: لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالكم، عكرمة: حالا بعد حال، رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ، قالت الحكماء: يشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى أن يهرم ويموت على سبعة وثلاثين حالا من سبعة وثلاثين اسماً: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم خلقاً آخر ثم جنيناً ثم وليداً ثم رضيعاً ثم فطيماً ثم يافعاً ثم ناشئاً ثم مترعراً ثم حزوراً^(٥) ثم مراهقاً ثم محتلماً ثم بالغاً ثم أمرد ثم طارداً ثم طاراً ثم باقلاً ثم مسيطراً ثم مطرخماً ثم مختطاً ثم صملاً ثم ملتجياً ثم مستويماً ثم مصعداً ثم مجتمعاً والشاب

(١) في لسان العرب: إبلان نقائقاً.

(٢) تفسير جامع البيان للطبري: ٣٠ / ١٥٠، وتفسير القرطبي: ١٩ / ٢٧٧، ولسان العرب: ١٠ / ٣٨٠.

(٣) في الطبري: وتحمّر.

(٤) راجع تفسير الطبري: ٣٠ / ١٥٥.

(٥) هو الغلام إذا إشتد وقوي وخدم، راجع لسان العرب: ٤ / ١٨٧.

يجمع ذلك كله ثم ملهوزاً ثم كهلاً ثم أشمطاً ثم شيخاً ثم أشيب ثم حوقلاً ثم صفتاناً ثم هرمأً ثم ميتاً، فهذا معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿لتركين﴾.

﴿طبقاً عن طبق﴾ والطبق في اللغة الحال، قال الأقرع بن حابس:

إني أمرؤ قد حلبت الدهر أشطره وساقني طبق منه الى طبق^(١)
فلست أصبو الى خل يفارقني ولا تقبض أحشائي من الفرق
وأشدني أبو القاسم عبد الله بن محمد البابي قال: أنشدني أبو سعيد عثمان بن جعفر بن نصره الموصلي قال: أنشدنا أبو يعلي أحمد بن علي المثنى:

الصبر أجمل^(٢) والدنيا مفجعة من ذا الذي لم يذق من عيشه رنقاً
إذا صفا لك من مسرورها طبق أهدي لك الدهر من مكروها طبقاً^(٣)

وقال مكحول في هذه الآية: في كل عشرين عاماً يحدثون أمراً لم يكونوا عليه، وهذا أدل دليل على حدث العالم وأثبات الصانع، قالت الحكماء: من كان اليوم على حالة وغداً أخرى فليعلم أن يديره الى سواه، وقيل لأبي بكر الوراق: ما الدليل على أن لهذا العالم صانع فقال: تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الأركان وقهر المنة وفسخ العزيمة. سمعت أبا القاسم المقر يقول: سمعت أبا الفضل أحمد بن محمد بن حمدون النسوي يقول: سمعت أبا عبد الرحمن الأريزاني يقول: دخل أبو الفم علي بن محمد بن زيد العلوي بطبرستان عائداً فأنشأ يقول:

إني أعتللت ولا كانت بك العلل وهكذا الدهر فيه الصاب^(٤) والعسل
إن الذي لا تحل الحادثات به ولا يغير فيه الله لا الرجل

﴿فما لهم لا يؤمنون﴾ وإذا قرء عليهم القرآن لا يسجدون﴾ لا يخضعون ولا يستكينون له، وقال الكلبي ومقاتل: لا يصلون.

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن يوسف بقرأتي عليه قال: أخبرنا مكّي قرأةً عليه سنة تسع عشر وثلاثمائة قال: حدّثني محمد بن يحيى قال: وفيها قرأ علي بن عبد الله بن نافع المدني وحدّثني مطرف بن عبد الله عن مالك بن أنس عن عبد الله بن زيد مولى الأسود بن سفيان عن

(١) تفسير القرطبي: ١٩ / ٢٨٠.

(٢) في المصدر: أحمد.

(٣) الرنق الكدر، واليتان في مجمع البيان: ١٠ / ٣٠٣.

(٤) الصاب: العلقم وهو شجر مرّ.

أبي سلمة بن عبد الرحمن بن أحمد أن أبا هريرة قرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾^(١) فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها.

وأخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن نوح قرأه عليه سنة ست وثمانين وثلثمائة قال: أخبرنا أبو العباس السراج قال: حدثنا قتيبة عن الليث عن بكر عن نعيم بن عبد الله بن محمد قال: صليت مع أبي هريرة فوق هذا المسجد فقرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ فسجد فيها وقال: رأيت رسول الله ﷺ سجد فيها.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُؤْعُونَ﴾ قال مجاهد: يكتُمون، قتادة: يوعون في صدورهم، ابن زيد يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة. ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ. غير منقوص ولا مقطوع.

سورة البروج

مكية، هي إثنان وعشرون آية، كلمها مائة
وتسع كلمه، وحروفها أربع مائة وثمانية وخمسون حرفاً

أخبرني محمد بن القاسم قال: حدّثنا إسماعيل بن بخير قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد قال: حدّثنا سعيد بن حفص قال: قرأت على معقل بن عبد الله عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿والسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ أعطاه الله عز وجل من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات» [١١٧]^(١).

وعن ابن الأنباري أنه قال: روي أن من قرأها أعطاه الله سبحانه وتعالى بعدد كل جمعة وعرفة ما سأل في الدنيا ويكونان مائة مائة حسنة ومائة درجة ويشفع يوم القيامة في عدد أهل منى حتّى يدخلهم الجنّة وله بعدد فرعون وعاد وثمود الذين كفروا منهم واللوح المحفوظ بعدد كل واحد منهم عتق رقبة مع ماله من المزيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودِ ۝

﴿والسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ * واليوم الموعود * وشاهد ومشهود﴾:

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الطيّب قال: أخبرنا أبو سعيد عمرو بن منصور قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن سليمان بن الحسن قال: حدّثنا عبد الله بن موسى.

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا إبراهيم بن بهلوليه قال: حدّثنا محمد بن الصباح قال: أخبرنا مروان بن معاوية قال^(٢): أخبرنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد الأنصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٣١٠.

(٢) في المخطوط: قالا.

يوم القيامة، والمشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير إلاّ استجاب له ولا يستعيذه من سوء إلاّ أعاده منه» [١١٨] (١).

وأخبرنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد قال: حدّثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حليم قال: أخبرنا أبو الموحّة قال: أخبرنا عیدان قال: حدّثنا عبد الوارث عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: الشاهد محمد ﷺ، والمشهود يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ (٢) ثم قال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود.

وأخبرني الحسين قال: حدّثنا محمد بن الحسن القطيني قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي قال: حدّثنا صفوان بن صالح قال: حدّثنا الوليد بن مسلم قال: حدّثني سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «شاهد يوم الجمعة ومشهود يوم عرفة» [١١٩] (٣).

وأخبرنا الحسين قال: حدّثنا الكندي قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن النعمان قال: حدّثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله قال: حدّثنا عمرو بن سواد بن الأسود قال: حدّثنا ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي الهلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنّه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإنّ أحداً لا يصليّ عليّ إلاّ عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها».

قال: قلت: وبعد الموت قال: «إنّ الله سبحانه حرّم على الأرض أن يأكل أجساد الأنبياء فنبيّ الله حيّ يرزق» [١٢٠] (٤).

وأخبرني الحسين قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا إبراهيم بن سهلويه قال: حدّثنا أحمد بن إبراهيم النورقي قال: حدّثنا أبو غسان مالك بن ضيغم الراسبي قال: حدّثنا أبو سهل المنذراني عن خبّاب عن رجل قال: دخلت مسجد المدينة فأذا أنا برجل يحدّث عن رسول الله ﷺ والناس حوله فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود قال: نعم أمّا الشاهد فيوم الجمعة وأمّا المشهود فيوم عرفة، فجزّته الى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود. قال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر، فجزّتهما الى غلام كأنّ وجهه الدنيار

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٣ / ١٧٠.

(٢) سورة النساء: ٤١.

(٣) كتاب المسند: ٦٠.

(٤) البداية والنهاية: ٥ / ٢٩٧، تفسير ابن كثير: ٣ / ٥٢٢.

وهو يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود قال: نعم أما الشاهد فمحمد ﷺ، وأما المشهود فيوم القيامة أما سمعته يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّهِ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٢) فسألت عن الأول فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا: ابن عمر، وسألت الثالث فقالوا: الحسن بن علي^(٣).

وأخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي الدورقي بقراءتي عليه فأقرّ به قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن الشرقي قال: حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن بشر العبدي قال: حَدَّثَنَا يزيد ابن هارون قال: أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن ابن أبي نجح عن مجاهد في قوله سبحانه ﴿وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ﴾ قال: الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة. ليث عنه: الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة.

وقال الوالي عن ابن عباس: الشاهد الله والمشهود يوم القيامة، عكرمة: الشاهد الإنسان والمشهود يوم القيامة وعنه أيضاً: الشاهد الملك يشهد على آدم والمشهود يوم القيامة وتلا هاتين الآيتين ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٤)، جابر بن عبد الله: الشاهد يوم القيامة والمشهود الناس.

محمد بن كعب: الشاهد أنت والمشهود هو الله، عطاء بن يسار: الشاهد آدم وذريته والمشهود يوم القيامة، الحسن: الشاهد الجمعة والمشهود يوم القيامة يشهده الأولون والآخرون، أبو ملك: الشاهد عيسى والمشهود أمته، بيانه قوله سبحانه: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾^(٥) عبدالعزيز بن يحيى: الشاهد محمد والمشهود أمته، بيانه قوله سبحانه: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٦). الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم، بيانه قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٧). سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة، وقال سالم بن عبد الله: سألت سعيد بن حسن عن قوله سبحانه ﴿وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ﴾، فقال: الشاهد هو الله والمشهود محمد بيانه قوله سبحانه: ﴿وَكُفِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٨)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي

(١) سورة الأحزاب: ٤٥.

(٢) سورة هود: ١٠٣.

(٣) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٣١٥.

(٤) سورة ق: ٢١.

(٥) سورة المائدة: ١١٧.

(٦) سورة النساء: ٤١.

(٧) سورة البقرة: ١٤٣.

(٨) سورة النساء: ٧٩.

وبينكم^(١)، وقيل: الشاهد أعضاء ابن آدم والمشهود ابن آدم بيانه قوله سبحانه: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾^(٢) الآية، وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن نعيد القطان البلخي يقول: الشاهد الحجر الأسود والمشهود الحجاج، وقيل: الشاهد الليالي والأيام والمشهود بنو آدم، دليله الخبر المروي: «ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما تفعل متي شهيد فأغتمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة» [١٢١].

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا محمد عبدالله بن أحمد بن الصديق يقول: سمعت أبا وائلة عبدالرحمن الحسيني المزني يقول: سمعت مطرفاً يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: خبرت عن الحسن بن علي إنه قال:

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً وأصبحت في يوم عليك شهيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة فثنّ بأحسان وأنت حميد
ولا تُرج فعل الخير يوماً إلى غد لعل غداً يأتي وأنت فقيد
فيومك إن أعتبته عاد نفعه عليك وماضي الأمس ليس يعود^(٣)

محمد بن علي الترمذي: الشاهد الحفظة والمشهود بني آدم، أنشدنا أبو القاسم الحبيبي قال: أنشدني أبي، قال: أنشدنا أبو بكر بن الأنباري ببغداد في كتاب الزاهر:

إنّ من يركب الفواحش سراً حين يخلو بذنبه غير خالي
كيف يخلوا وعنده كاتباه حافظاه وربّه ذو المحال

وقيل: الشاهد الأنبياء والمشهود محمد ﷺ بيانه قوله سبحانه: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾^(٤) إلى قوله: ﴿فاشهدوا وإنا معكم من الشاهدين﴾^(٥)، وقيل: الشاهد الله عز وجل والملائكة وأولوا العلم والمشهود ﴿لا إله إلا الله﴾^(٦) بيان قوله سبحانه ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾^(٧)، وقيل: الشاهد الخلق والمشهود الحق وفيه يقول الشاعر:

أيا عجباً كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد

(١) سورة الأنعام: ١٨.

(٢) سورة النور: ٢٤.

(٣) اقتضاء العلم والعمل للخطيب البغدادي: ١١١.

(٤) سورة آل عمران: ٨١.

(٥) سورة آل عمران: ٨١.

(٦) سورة الصافات: ٣٥.

(٧) سورة آل عمران: ١٨.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(١)
 وقيل: الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة، وقيل: الشاهد الحق والمشهود الخلق،
 وقيل: الشاهد أفعال العبد والمشهود العبد.

قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ
 شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ⑨ وَاللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑩ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ⑪
 ⑩ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ⑪ إِنَّ بَطْشَ
 رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑫ إِنَّهُمْ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ⑬ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ⑭ ذُو الْعَرْشِ الْحَمِيدُ ⑮ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ⑯
 هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ⑰ فَرَعَوْنَ وَنُعُودُ ⑱ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ⑲ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ⑳
 بَلْ هُوَ قُرْآنٌ نَجِيدٌ ㉑ فِي لَوْحٍ مَحْظُومٍ ㉒

﴿قتل﴾ لعن، قال ابن عباس: كل شيء في القرآن قتل فهو لعن.

﴿أصحاب الأخدود﴾: الشق واختلفوا فيه فأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن
 الحسن بن جعفر قال: حدثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور وأبو القاسم منصور بن العباس
 بنو شنج وأبو الحسن محمد بن محمود بن عبيدالله بمرؤ وأبو بكر أحمد بن محمد بن عبيدالله
 الطاهري [...] ^(٢) واللفظ له قالوا: حدثنا الحسن بن شيبان بن عامر الشيباني أن هدية بن
 خالد القيسي حدثهم قال: حدثنا حماد بن سلمة، وحدثت عن محمد بن جرير قال: حدثني
 محمد بن معمر قال: حدثني حرمي بن عمارة قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا ثابت بن
 عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب إن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له
 ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً
 يعلمه فكان في طريقه راهب فقعد إليه الغلام وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر ضربه
 وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب فسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه، فشكى ذلك إلى
 الراهب فقال: إذا احتبست على الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا احتبست على أهلك فقل:
 حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم
 الساحر خير أم الراهب، فأخذ حجراً ثم قال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر
 الساحر فاقتل هذا الدابة حتى يمضي الناس، فرمى بها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره
 فقال الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما قد أرى وإنك ستبتلى فإذا ابتليت

(١) تفسير مجمع البيان: ٣١٦/١٠.

(٢) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

فلا تدل علي، وكان الغلام يبيري الأكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك قد كان عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: لك هذا إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك، فأمن بالله تعالى فشفاه الله فأتى الملك يمشي فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: وسأله بما شفيت قال: بدعاء الغلام، فأرسل إلى الغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما يبئ الأكمه والابرص وتفعل وتفعل، فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب فجاء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه حتى وقع شقاه ثم جاء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغ ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم كيف شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له: ما فعل أصحابك؟ فقال: أكفانيهم الله عز وجل فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال احملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فلجوا به فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فيه.

فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فأنكفأت بهم السفينة فغرقوا به، فجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: أكفانيهم الله عز وجل، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: ما هو؟ قل: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كناتي ثم تضع السهم في كبِد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كناته ثم وضع السهم في صدغه فوضع الغلام يده في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام ثلاثاً ثلاثاً، فأتى الملك فقيل له: أريت ما كنت تحذره قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس كلهم. فأمر [بحفر] الأخدود بأفواه السكك وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاقذفوه فيها، أو قيل له اقتحم، ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال الغلام: يا أمه اصبري فإنك على حق [١٢٢] (١).

محمد بن يحيى قال: حدثنا مسلم بن قتيبة قال: حدثنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة في قول الله سبحانه: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ قال: كانوا من قومك من النبط، وقال الكلبي: هم نصارى أهل نجران وذلك ان ملك نجران أخذ بها قوماً مؤمنين فخذّ لهم في الأرض سبعة أخاديد طول كل واحد أربعون ذراعاً وعرضه اثنتا عشرة ذراعاً ثم طرح فيها [النفط] (٢) والخطب ثم عرضهم عليها فمن أبى قذفوه في النار، فبدأ برجل يقال له عمرو بن زيد فسأله

(١) الأحاد والمثاني للضحاک: ٢١٩/١ - ٢٢١ ح ١٨٧، وصحيح مسلم: ٢٣١/٨.

(٢) كذا في المخطوط.

ملكهم، فقال: من علمك هذا - يعني التوحيد - فأبى أن يخبره فأتى الملك الذي علمه التوحيد فقال: أيها الملك أنا علمته، واسمه عبدالله بن شمر فقذفه في النار، ثم عرض على النار واحداً واحداً حتى إذا أراد أن يتبع بقية المؤمنين فصنع ملكهم صنماً من ذهب ثم أمر على كل عشرة من المؤمنين رجلاً يقول لهم إذا سمعتم صوت المزامير فأسجدوا للصنم فمن لم يسجد ألقيه في النار، فلما سمعت النصارى بذلك سجدوا للصنم، وأما المؤمنون فأبوا فخذلهم وألقاهم فيها [فارتفعت]^(١) النار فوقهم اثني عشرة ذراعاً.

قال مقاتل: كانت [الأخاديد]^(٢) ثلاثة: واحدة بنجران باليمن، والآخرى بالشام، والآخرى بفارس، حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو انطياخوس بن ميسر الرومي، أما التي بفارس فهو بخت نصر، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس، فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله سبحانه فيهما قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران، وذلك أن رجلين مسلمين ممن يقرؤون الإنجيل أحدهما بأرض تهامة والآخر بنجران اليمن فأجر أحدهما نفسه في عمل يعمل به وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجر النور يضيء في قراءة الإنجيل فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه، فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون إنساناً بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى إلى السماء، فسمع ذلك يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع بن اليسوع الحميري فخذلهم في الأرض فأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى منهم أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف في النار، وإن امرأة جاءت ومعها ولد لها صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها: يا أماء إني أرى أمامك ناراً لا تطفأ فلما سمعت ابنها يقول ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبع وسبعون إنساناً.

قال ابن عباس: من أبى أن يقع في النار ضرب بالسياط، فادخلت أرواحهم في الجنة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار، وذكر محمد بن إسحاق بن يسار، عن وهب بن منبه: إن رجلاً كان بقي على دين عيسى فوقع إلى نجران فدعاهم فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنود من حمير وخيبرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخذل الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفاً، وقال الكلبي:

كان أصحاب الأخدود سبعين ألفاً، قال وهب: لما علت أرباط على اليمن خرج ذو نواس هارباً فاقتحم البحر بفرسه فغرق وفيه يقول عمرو بن معدى كرب:

(١) في المخطوط: فارتفع.

(٢) في المخطوط: الأخدود.

اتوعدني كأنك ذو رعين بأنعم عيشه أو ذو نواس^(١)
وكائن كان قبلك من نعيم وملك ثابت في الناس راس
قديم عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجبروت قاس
أزال الدهر ملكهم فأضحى ينقل في أناس من أناس
قال الكلبي: وذو نواس هو الذي قتل عبدالله بن التامر وقد مضت القصة في الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ ومما يزيده وضوحاً ما روى عطاء عن ابن عباس إنه قال: كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شراحيل بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بتسعين سنة.

عبدالله بن يوسف قال: حدثنا عمر بن محمد بن بحير قال: حدثنا عبدالحميد بن حميد الكشي، عن الحسن بن موسى قال: حدثنا يعقوب بن عبدالله القمي قال: حدثنا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن [ابري] قال: لما هزم المسلمون أهل أسفندهان انصرفوا فجاءهم - يعني عمر - فاجتمعوا، فقالوا: أي شيء تجري على المجوس من الأحكام فأنهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركي العرب، فقال: علي بن أبي طالب: بل هم أهل الكتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولوها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله فتناول اخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه؟.

قالت: المخرج منه أن تخطب الناس، فتقول: يا أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات فإذا ذهب [هذا]^(٢) في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته، فقام خطيباً، فقال: يا أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات فقال الناس جماعتهم: معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقرّ به ما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع إلى صاحبه فقال: ويحك إن الناس قد أبوا عليّ قالت: إذا أبوا عليك فأبسط فيهم السوط قال: فبسط فيهم السوط، فأبى الناس أن يقرّوا فرجع إليها فقال: قد بسطت فيهم السوط فأبوا أن يقرّوا قالت: فجرّد فيهم السيف، قال: فجرّد فيهم السيف فأبوا أن يقرّوا، وقال لها: ويحك إن الناس قد أبوا أن يقرّوا، قالت: خذّ لهم أخدوداً ثم أوقد فيها النيران ثم اعرض عليها أهل مملكتك فمن تابعتك فخلّ عنه ومن أبى فأقذفه في النار، فخذّ لهم أخدوداً فأوقد فيها النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذف في النار ومن أجاب خلّى سبيله، فأنزل سبحانه فيهم: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ * النَّارُ ذَاتُ الْوُقُودِ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾^(٣).

(١) تفسير القرطبي: ٢٩٢/١٩.

(٢) في المخطوط: ذا.

(٣) تفسير الطبري بتفاوت بسيط: ١٦٦ / ٣٠.

وقال الضحاك: أصحاب الأخدود من بني إسرائيل أخذوا رجالا ونساءً فخذ لهم أخدوداً ثم أوقد فيها النيران فأقاموا المؤمنين عليها، فقال تكفرون أو نقذفكم في النار، ويزعمون أنه دانيال وأصحابه، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس.

وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن يوسف، قال: حدثنا عمر بن محمد بن بحير، قال: حدثنا عبد بن حميد، عن يونس، عن شيبان عن قتادة في قوله سبحانه: ﴿قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ﴾ قال: حدثنا أن علي بن أبي طالب كان يقول: هم أناس كانوا بمدراع اليمن يقتل مؤمنوهم وكفارهم فظهر مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا الثانية فظهر مؤمنوهم على كفارهم ثم أخذ بعضهم على بعض عهداً وميثاق لا يغدر بعضهم ببعض، فغدر بهم كفارهم فأخذوهم ثم أن رجلا من المؤمنين قال لهم: هل لكم إلى [خير] توقدون ناراً ثم تعرضونا عليه، فمن تابعكم على دينكم فذلك الذي تشتهون ومن لا اقتحم النار فاسترحم منه قال: فأججوا ناراً وعرضوهم عليها فجعلوا يقتحمونها حتى بقيت عجوز فكانها تلكأت، فقال لها طفل في حجرها: أمضي ولا تنافقي^(١) فقص الله عليهم نبأهم وحديثهم^(٢).

وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أبو محمد المزني قال: حدثنا مطين قال: حدثنا عثمان قال: حدثنا معاوية بن هشام، عن شريك عن جابر عن أبي طفيل، عن علي قال: كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي، قال علي: بُعث نبي من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ علي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصِصْ عَلَيْكَ﴾^(٣)، فدعاهم النبي فتابعه أناس فقاتلهم فقتل أصحابه وأخذ فأوثق فأفلت منهم، فخذ أخدوداً فملأها ناراً فمن تبع النبي رُمي فيها ومن تابعهم تركوه فجاءوا بامرأة معها صبي رضيع فجزعت فقال: يا أماء مري ولا تنافقي^(٤).

وبه عن مطين قال: حدثنا أبو موسى وقال: وكان في بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر وكان أبوه سلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بداً من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم، وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك وكان يأتي المعلم آخر الغلمان ويضربه المعلم ويقول: من الذي حبسك وإذا انقلب إلى أبيه دخل على الراهب فضربه أبوه ويقول: لما أبطأت، فشكى الغلام ذلك إلى الراهب فقال له الراهب: إذا أتيت المعلم فقل حبسني أبي وإذا أتيت أباك فقل: حبسني المعلم، وكان في تلك البلاد حية

(١) في المصدر: ولا تنافسي.

(٢) تفسير الدر المنثور: ٣٣٢/٦، وتفسير القرطبي: ٢٨٩/١٩.

(٣) سورة غافر: ٧٨.

(٤) المصدر السابق وفيه: أمضي ولا تجرعي.

عظيمة قطعت الطريق على الناس فمر بها الغلام فرماها فقتلها فأحس الراهب بذلك فازداد به عجباً وقال أنت قتلتها قال: نعم قال: إن لك لشأناً، وكان للملك ابنٌ مكفوف البصر، فسمع بالغلام وقتله الحيّة فجاءه مع قائد فقال: أنت قتلت الحيّة؟ قال: لا، قال: ومن قتلها؟

قال: الله، قال: من الله؟ قال: ربُّ السموات والأرض وما بينهما وربُّ الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة، قال: فان كنت صادقاً فادع ربك حتى يرد عليّ بصري، قال: الغلام أرايت إن ردّ الله سبحانه عليك بصرك أتؤمن به؟

قال: نعم، قال: اللهم إن كان صادقاً فاردد عليه بصره، فردّ الله تعالى عليه بصره فرجع إلى منزله بلا قائد، ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه فقال: من صنع هذا، قال: الله، قال: ومن الله؟

قال: ربُّ السموات والأرض وما بينهما وربُّ المشرق والمغرب وربُّ الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة، فقال له الملك: أخبرني من علّمك هذا، ودلّه على الغلام فدعاه فكلّمه فاذا غلامٌ عاقل، فسأله عن دينه فأخبره بالإسلام ومن آمن معه، فهمّ الملك بقتلهم مخافة أن يبدل دينه فأرسل بهم إلى ذروة جبل وقال: ألقوهم من رأس الجبل، فذهبوا بالغلام إلى أطول جبل فدعا الغلام ربّه فأهلكهم الله سبحانه، فغاض الملك ذلك، ثم أرسل معهم رجلاً إلى البحر فقال: غرقوهم فدعا الغلام ربّه فأغرقهم ونجا هو وأصحابه، فدخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك الذين أرسلتهم معك؟

فقال: أهلكهم الله ونجّاني فقال: اقتلوه بالسيف فبنا السيف عنه، وفشا خبره بأرض اليمن وعرفه الناس فعظّموه وعلموا إنه وأصحابه على الحق فقال الغلام للملك: إنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول، قال: فكيف أقتلك، قال: تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بهم باسم إلهي، ففعل الملك ذلك ثم رماه باسم إله الغلام فأصابه فقتله، فقال الناس: لا إله إلا إله عبدالله بن ثامر ولا دين إلا دينه، فغضب الملك وأغلق الباب وأخذ أفواه السكك وخدّ أخذوداً وملاء ناراً ثم عرضهم رجلاً رجلاً فمن رجع عن الإسلام تركه ومن قال ديني دين عبدالله ألقاه في الأخدود فأحرقه، وكان في مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع، فقال لها الملك: إرجعي عن دينك وإلا ألقى في النار وأولادك معك، فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار ثم قال لها: إرجعي إلى دينك فأبت فألقى الثاني في النار ثم قال لها: إرجعي عن دينك فأبت فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهتّت المرأة بالرجوع فقال الصبي: يا أمه لا ترجعي عن الإسلام فأنك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبي في النار وألقت أمه على أثره فذلك قوله سبحانه ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾^(١).

وقال الضحاك: أحرقت بخت نصر قوماً من المسلمين.

والأخدود: الحفرة والشق المستطيل في الأرض كالنهر وجمعه أخاديد وهو أفعال من الخد يقال خددت في الأرض خدّاً أي شققت وحفرت.

﴿النار ذات الوقود﴾ قراءة العامة بفتح الواو وهو الخطب، وقرأ أبو رجاء العطاردي بضم الواو على المصدر وقراءة العامة النار ذات بالكسر فهما على نعت الأخدود، وقرأ أشهب العقيلي بالرفع فهما على معنى أحرقتهم ﴿النار ذات الوقود﴾.

قال الربيع بن أنس: كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، وأن جباراً من عبدة الأوثان أرسل إليهم فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا فخذ الأخدوداً وأوقد فيه ناراً ثم خيرهم بين الدخول في دينه وبين إلقائهم في النار فأختاروا إلقاءهم في النار على الرجوع عن دينهم فألقوا في النار، فنجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم.

﴿إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾: حضور، وقال مقاتل: يعني يشهدون إن المؤمنين حين تركوا عبادة الصنم ﴿وما نقموا منهم﴾: أي وما علموا فيهم عيباً ولا وجدوا لهم جرماً ولا رأوا منهم سوءاً. ﴿إلا أن يؤمنوا﴾: يعني إلا لأن ومن أجل أن آمنوا ﴿بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾.

﴿إن الذين فتنوا﴾: عذبوا وأحرقوا ﴿المؤمنين والمؤمنات﴾ نظيره قوله سبحانه وتعالى: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾^(١)، ﴿ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم﴾ في الآخرة ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ في الدنيا وذلك إن الله سبحانه أحرقتهم بتلك النار التي أحرقت بها المؤمنين، هذا قول ربيع وأصحابه، وقال الآخرون: هما واحد.

أخبرني بن فنجويه قال: حدثنا علي بن محمد بن لؤلؤ الوراق قال: حدثنا أبو عبيد محمد ابن أحمد بن المؤمل الصيرفي قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن جعفر الأحول المعروف باللقوق قال: حدثنا منصور بن عمار قال: حدثنا سعيد بن أبي توبة عن عبدالرحمن بن الجهم يبلغ به حذيفة بن اليمان قال: أسرَّ إليَّ رسول الله ﷺ حديثاً في النار فقال: «يا حذيفة إن في جهنم لسباعاً من نار وكلاباً من نار وكلاليب من نار وسيوفاً من نار وأنه يبعث ملائكة يلقون أهل النار بتلك الكلاب يقطعونهم بتلك السيوف عضواً عضواً ويلقونها إلى تلك الكلاب والسباع كلما قطعوا عضواً عاد مكانه عضواً جديداً» [١٢٣]^(٢).

(١) سورة الذاريات: ١٣.

(٢) الدر المنثور: ١٧٤/٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ واختلف العلماء في جواب القسم فقال بعضهم: جوابه ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ وفيه إضمار يعني لقد قُتل، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ ﴿والسَّامِياتُ ذَاتُ الْبُرُوجِ﴾.

وقال قتادة: جوابه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي أخذه بالعذاب والانتقام.

﴿إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ﴾: يعني الخلق عن أكثر العلماء، وروى عطية العوفي عن ابن عباس: يبدئ العذاب في الدنيا للكفار ثم يعيد عليهم العذاب في الآخرة.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾: قال ابن عباس: التودد إلى أوليائه بالمغفرة. علي عنه: الحبيب، مجاهد: الواد، ابن زيد: الرحيم، وقيل: بمعنى المودود كالحلوب والركوب، وقيل: معناه يغفر ويؤدُّ أن يغفر.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾: السرير العظيم وقال: ابن عباس وقتادة: الكريم، واختلف القراء فيه فقرأ يحيى وحزمة والكسائي وخلف بجر الدال على نعت العرش. غيرهم بالرفع على صفة الغفور.

﴿فَقَالَ لَمَّا يَرِيدُ، هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾، خبر الجموع الهالكة ثم بين من هم فقال: ﴿فَرَعُونَ وَثُمُودُ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من قومك يا محمد. ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾: [واستجاب للتعذيب]^(١) كدأب من قبلهم، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أحوالهم ﴿بَلْ هُوَ قَرَّانٌ مَجِيدٌ﴾ كريم شريف كثير الخير وليس كما زعم المشركون، وقال عبدالعزيز بن يحيى: مجيد يعني غير مخلوق، وقرأ ابن السميع: بل هو قرآن مجيد بالاضافة، أي قرآن رب مجيد.

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.

قرأ يحيى بن يعمر: في لوح بضم اللام، أي إنه بلوح وهو ذو نور وعلو وشرف.

وقرأ الآخرون: بفتح اللام لوح محفوظ. قرأ نافع وابن مخيضر: بضم الظاء على نعت القرآن، وقرأ الباقون: بالكسر على نعت اللوح.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدَّثنا مخلد قال: حدَّثنا ابن خلويه قال: حدَّثنا إسماعيل قال: حدَّثنا إسحاق بن بشر، قال: أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده، ودينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعدده واتبع رسله أدخله الجنة. قال: فاللوح لوح من درة بيضاء طويلة طوله ما بين

السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب، وحافته الدر والياقوت، ودفاته ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه بر معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك يقال له ما طريون محفوظ من الشياطين، فذلك قوله ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ لله عز وجل فيه في كل يوم ثلاث مائة وستون لحظة يحيي ويميت ويعزّ ويذلّ ويفعل ما يشاء.

أخبرني عقيل إنّ المعافي أخبرهم عن محمد بن جرير قال: حدّثنا عمرو بن علي قال: سمعت قرّة بن سليمان قال: حدّثنا حرب بن سريح قال: حدّثنا عبدالعزيز بن صهيب عن أنس بن مالك: في قوله ﴿هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾. قال: إنّ اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في جبهة إسرافيل. وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

سورة الطارق

مكيّة، وهي سبع عشرة آية، واحدى وستون كلمة، ومائتان وتسع وثلاثون حرفاً.

أخبرني أبو عثمان بن أبي بكر المقرئ قال: أخبرنا أبو عمرو بن أبي الفضل الشروطي قال: حدّثنا إبراهيم بن شريك الأسدي قال: حدّثنا أبو عبدالله بن يونس قال: حدّثنا سلام بن سليم قال: حدّثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله من الأجر بعدد كلّ نجم في السماء عشر حسنات» [١٢٤] (١).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن نصرويه قال: حدّثنا أبو العباس إسحاق بن الفضل الزيات قال: حدّثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدّثنا الضحّاك بن مخلد عن عبدالله بن عبدالرحمن بن يعلي بن كعب عن عبدالرحمن بن خالد بن جبلة أو ابن أبي جبلة - شك أبو عاصم (٢) - عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ متوكئاً على قوس في مشرقه ثقيف فقراً: «والسما والطارق» حتى ختمها، فحفظتها في الجاهلية، قال: فمررت في مجلس ثقيف وفيهم قوم من قريش فمنهم عتبة وشيبة وأبناء ربيعة فاستقروني فقرأتها عليهم فقال الثقفيون: ما نرى هذا إلّا حقاً، فقال القرشيون: نحن أعلم بصاحبنا لو علمنا أنه حق لتبعناه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

﴿والسما والطارق﴾.

نزلت في أبي طالب وذلك لأنه أتى رسول الله ﷺ فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذا بخط نجم فامتلاً ماء ثم ناراً ففرغ أبو طالب وقال: أي شيء هذا، فقال رسول الله (عليه السلام) «هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى» [١٢٥] (٣).

(١) تفسير مجمع البيان: ٣٢٠/١٠.

(٢) كذا في المخطوط.

(٣) أسباب نزول الآيات: ٢٩٩.

فعجب أبو طالب، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿والسما والطارق﴾، والمعنى: يعني النجم يظهر ليلاً ويخفى نهاراً، أو كل ما جاء ليلاً فقد طرق.

ومنه حديث نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله وقال: «تستعد المغيبة وتمتشط الشعثة» [١٢٦] (١)، وقالت هند بنت عتبة يوم أحد:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
تريد أن أبانا نجم في شرفه وعلوه.

وأنشدنا أبو القاسم المفسر قال: أنشدني أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن قال: أنشدني أبو عبدالله محمد بن الرومي قال:

يا راقدا الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً
لا تفرحن بليل طاب أوله قرب آخر ليل أجج الناراً (٢)

﴿وما أدريك ما الطارق﴾ ثم فسره فقال عزّ من قائل: ﴿النجم الثاقب﴾ أي المضيء المنير، يقول العرب: أنقب نارك أي أضئها. مجاهد: المتوهج، عطا: الثاقب الذي يرمي به الشياطين فيقتبهم: قال ابن زيد: كانت العرب تسمي الثريا النجم، وقيل: هو زحل سمي بذلك لإرتفاعه، وتقول العرب للطائر إذا لحق يبطن السماء ارتفاعاً: قد ثقب.

وروى أبو الحوراء عن ابن عباس قال: الطارق: نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد.

﴿إن كل نفس﴾ جواب القسم ﴿لما عليها حافظ﴾ قرأ الحسن وأبو جعفر وابن عامر وعاصم وحزمة ﴿لما﴾ بتشديد الميم، يعنون ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهي لغة هذيل يقولون: يسديك الله لما قمت، يعنون: إلا قمت، وقرأ الآخرون: بالتخفيف جعلوا (ما) صلة مجازة: إن كل نفس لعلها حافظ.

أخبرنا محمد بن نعيم قال: أخبرنا الحسن بن أيوب قال: أخبرنا علي بن عبدالعزيز قال: حدثنا أبو عبيد قال: حدثنا معاذ عن ابن عون قال: قرأت عند ابن سيرين: (إن كل نفس لما) فانكره وقال: سبحانه الله سبحانه الله فتأويل الآية كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما يكتسب من خير وشر.

(١) مسند أحمد: ٢٩٨/٣.

(٢) تفسير القرطبي: ٢/٢٠ مورد الآية.

قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة، وقال قتادة: هم حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك إذا توفيته يا ابن آدم قبضت إلى ربك، وقال الكلبي [وحصين]: حافظ من الله يحفظ قولها وفعلها ويحفظ حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير ثم تخلى عنها^(١).

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عمر بن الخطاب قال: حدثنا عبدالله بن الفضل قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا يحيى بن صالح قال: حدثنا عمر بن معدان عن سلم بن عامر عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «وَكُلُّ الْمُؤْمِنِ سِتُونَ وَمِائَةً مَلِكٌ يَذَّبُونَ عَنْهُ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لِلْبَصْرِ سَبْعَةُ أَمْلاكٍ يَذَّبُونَ عَنْهُ كَمَا يَذَّبُ عَنْ قِصْعَةِ الْعَسَلِ الذِّبَابُ [في اليوم الصائف ومالو بدا لكم لرأيتمونه على جبل وسهل كلهم باسط يديه فاغرفاه وما]^(٢) لو وكل العبد إلى نفسه طرقه عين لا اختطفته الشياطين» [١٢٧]^(٣).

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ⑨ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَالتَّاءُ ذَاتُ الْيَمِينِ ⑪ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّلَاحِ ⑫ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ⑬ وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ ⑭ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ رَوْدًا ⑰

﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ أي من أي شيء خلقه ربه، ثم بين جل ثناؤه فقال سبحانه وتعالى: ﴿خلق من ماء دافق﴾ أي مدفوق مصبوب في الرحم وهو المني، فاعل بمعنى مفعول كقولهم سر كاتم، وليل نائم، وهم ناصب، وعيشة راضية، قال الفراء: أعان على ذلك أنها رؤوس الآيات التي معهن.

والدفق: الصب، تقول العرب للموج إذا علا وانحط: تدفق واندفق وأراد من مائين: ماء الرجل وماء المرأة؛ لأن الولد مخلوق منهما، ولكنه جعله ماء واحداً لامتزاجهما.

﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ يعني صلب الرجل وترائب المرأة، واختلفوا في الترائب، فقال ابن عباس: موضع القلادة، الوالي عنه: بين ثدي المرأة، وعن العوفي عنه: يعني بالترائب اليدين والرجلين والعينين، وبه الضحاك، وعن ابن عليّة عن أبي رجاء قال: سئل عكرمة عن الترائب فقال: هذه - ووضع يده على صدره بين ثديه - سعيد بن جبير: الجيد. ابن زيد: الصدر. مجاهد: ما بين المنكبين والصدر. سفيان: فوق الثديين. يمان: أسفل من التراقي. قتادة: النحر. جعفر بن سعيد: الأضلاع التي أسفل الصلب. ليث عن معمر بن أبي حبيبة المدني قال: عصارة القلب، ومنه يكون الولد، والمشهور من كلام العرب أنهما عظام النحر والصدر، وواحدتها تربية. قال الشاعر:

(١) تفسير القرطبي: ٣٢٠ بتفاوت.

(٢) زيادة عن المصدر.

(٣) مجمع الزوائد: ٢٠٩/٧.

وبدت كان ترائباً نحرها جمر الغضا في ساعة يتوقّد وقال آخر:

والزعفران على ترائبها شرق به اللّبات والصدّر^(١) وقال المثقب العبدى:

ومن ذهب يسن على تريب كلون العاج ليس بذي غضون^(٢)

﴿إنه على رجعه لقادر﴾ قال قتادة: إنّ الله سبحانه على بعث الإنسان واعادته بعد الموت قادر، وقال عكرمة: إنّ الله سبحانه على ردّ الماء إلى الصلب الذي خرج منه لقادر، وعن مجاهد: على ردّ النطفة في الإحليل، وعن الضحاك: إنه على ردّ الإنسان ماء كما كان قبل لقادر، مقاتل بن حيان عنه: يقول: إنّ شئت ردرته من الكبير إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبى، ومن الصبى إلى النطفة، وعن ابن زيد: أنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج.

وأولى الأقاويل: بالصواب تأويل قتادة لقوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أي تظهر الخفايا، وقال قتادة ومقاتل وسعيد بن جبير عن عطاء بن أبي رباح: السرائر: فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء وغسل الجنابة، ولو شاء العبد أن يقول قد صمت وليس بصائم وقد صليت ولم يصل وقد أغتسلت ولم يغتسل لفعل.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا طلحة وابن البواب قال: حدّثنا أبو بكر بن مجاهد قال: حدّثنا إسماعيل عن عبدالله بن إسماعيل عن ابن زيد ﴿يوم تبلى السرائر﴾ قال: السرائر: الصلاة والصيام وغسل الجنابة، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا الحسين قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: أخبرني عروبة قال: حدّثنا هاشم بن القاسم الحراني قال: حدّثنا عبدالله بن وهب عن يحيى بن عبدالله عن أبي عبدالرحمن الجبلي عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من حافظ عليها فهو وليّ الله حقاً، ومن اختانهن فهو عدو الله حقاً، الصلاة والصوم والغسل من الجنابة» [١٢٨] (٣).

﴿فما له﴾: يعني الإنسان الكافر ﴿من قوة﴾ تمنعه ﴿ولا ناصر﴾: ينصره ﴿والسماء ذات الرجع﴾ أي ترجع بالغيث وأرزاق العباد كلّ عام، لولا ذلك لهلكوا وهلك معاشهم، وقال ابن عباس: هو السحاب فيه المطر.

وأخبرنا ابن عبدوس قال: أخبرنا ابن محفوظ قال: حدّثنا عبدالله بن هاشم قال: حدّثنا

(١) تفسير القرطبي: ٥/٢٠، وفيه: والنحر بدل: الصدر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير القرطبي: ٩/٢٠.

عبدالرحمن بن مهدي عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس ﴿والسمااء ذات الرجع﴾ قال: ذات المطر. ﴿والأرض ذات الصدع﴾ قال: النبات، وقال أبو عبيدة: الرجع الماء، وأنشد المنحل الهذلي في صفة السيف:

أبيض كالرجع رسوب إذا ما نأج في محتفل يختلي^(١)
وقال ابن زيد: يعني بالرجع ان شمسها وقمرها يغيب ويطلع ﴿والأرض ذات الصدع﴾، أي ينصدع عن النبات والأشجار والثمار والأنهار، نظيره قوله سبحانه ﴿شققنا الأرض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا﴾ إلى آخرها^(٢)، وقال مجاهد: هما السدان بينهما طريق نافذ مثل [ماري] عرفة.
﴿إنه﴾: يعني القرآن ﴿لقول فصل﴾: حق وجد وجزل يفصل بين الحق والباطل. ﴿وما هو بالهزل﴾: باللعب والباطل. ﴿إنهم﴾: يعني مشركي مكة. ﴿يكيدون كيداً﴾ و﴿أكيد كيداً﴾: وأريد بهم أمراً. ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾: قليلاً فأخذوا يوم بدر.

(١) تفسير القرطبي: ١٠/٢٠، وثأخت القدم في الوحل إذا خاضت وغابت.

(٢) سورة عبس: ٢٦ - ٢٨.

سورة الأعلى

مكية، وهي: تسع عشرة آية، واثنان وسبعون كلمة، ومائتان واحد و تسعون حرفاً.

أخبرني كامل بن أحمد وسعيد بن محمد بن القاسم قالوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَطَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَرِيكَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ سَلِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ كَبِيرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ أَبِي بَنِي كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَعْلَى أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، بَعْدَ كُلِّ حَرْفٍ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ» [١٢٩] (١).

وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا قَرَأَ ﴿سُبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» [١٣٠] (٢)، وكذلك روى عن علي وأبي موسى وابن عمر وابن عباس وابن الزبير إنهم كانوا يفعلون ذلك، وروي جوير عن الضحاك أنه كان يقول ذلك، وكان يقول من قرأها فليقرأها كذلك، وروي عن علي بن أبي طالب إنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة ﴿سُبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وأول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل. قال النبي ﷺ: «يا جبريل أخبرني عن ثواب من قالها في صلوته أو في غير صلوته» [١٣١] (٣) فقال: يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده أو في غير سجوده إلا كانت له في ميزانه أثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا، ويقول الله سبحانه وتعالى: صدق عبدي أنا أعلى فوق كل شيء وليس فوق شيء أشهدوا ملائكتي إني غفرت لعبدي وأدخلته جنتي، فإذا مات زاره ميكائيل كل يوم فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله سبحانه فيقول: يا رب شفعني فيه فيقول: شفعتك فيه اذهب به إلى الجنة.

(١) تفسير مجمع البيان: ٣٢٦/١٠.

(٢) عون المعبود: ٩٨/٣.

(٣) تفسير القرطبي: ١٤/٢٠.

وقال عقبة بن عامر: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» [١٣٢]^(١) فلما نزل ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» [١٣٣]^(٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أخرجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ عَائِئًا مُحَوًى (٥) سَنُفْرُتُكَ فَلَا تَنسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتَارُ (١٠) وَلَنَجْزِيَنَّهُا أَشْفَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ يعني قل: سبحان ربِّي الأعلى، وإلى هذا التأويل ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، وقال قوم معناه: نزهة ربك الأعلى عما يقول فيه الملحدون ويصفه به المبطلون، وجعلوا الاسم صلة، ويجوز أن يكون معناه، نزهة ذات ربك عما لا يليق به، لأن الاسم والذات والنفس عبارة عن الوجود والإثبات.

وقال آخرون: نزهة تسمية ربك وذكرك إياه إن تذكره إلا وأنت خاشع معظم ولذكرك محترم، وجعلوا الاسم بمعنى التسمية، وقال الفراء: سواء قلت سبح اسم ربك أو سبح باسم ربك إذا أردت ذكره وتسبيحه، وقال ابن عباس: صلّ بأمر ربك الأعلى.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ فعديل الخلق ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ خَفَّفَ عليّ والسلمي والكسائي داله، وشدَّدها الآخرون.

﴿فَهَدَى﴾: قال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الأنعام لمراتعها، وقال مقاتل والكلبي: عرّف خلقه كيف يأتي الذكر الانثى، وعن عطاء قال: جعل لكل دابة ما يصلحها وهذا حاله، وقيل: هدى لإكتساب الأرزاق والمعاش، وقيل: خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه إستخراجها منه، وقيل: هدى لدينه مَنْ يشاء من خلقه. قال السدي: قدر الولد في الرحم تسعة أشهر، أقل، أو أكثر، وهدى للخروج من الرحم.

وقال الواسطي: قدر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسر لكل واحد من الطالعين سلوك ما قدر عليه، وقيل: قدر الأرزاق فهداهم لطلبها، وقيل: قدر الذنوب على عباده ثم هداهم الى التوبة.

﴿وَالَّذِي أخرجَ الْمَرْعَى﴾ النبات من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض.

(١) تفسير مجمع البيان: ٣٢٦/١٠.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٣٢٦/١٠.

﴿فجعل غثاء﴾ هشيماً بالياً، ﴿أحوى﴾ أسود إذا هاج وعتق. ﴿سنقرئك﴾: سنعلمك ويقرأ عليك جبريل، ﴿فلا تنسى إلا ما شاء الله﴾ أن تنساه وهو ما ننسخه من القرآن، وهذا معنى قول قتادة، وقال مجاهد والكلبي: كان النبي (عليه السلام) إذا نزل جبريل بالقرآن لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأوله مخافة أن ينساها فأنزل الله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ فلم ينس بعد ذلك شيئاً، ووجه الاستثناء على هذا التأويل ما قاله الفراء: لم يشأ أن ينسى شيئاً، وهو كقوله سبحانه: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾^(١)، وأنت تقول في الكلام لأعطينك كل ما سألت إلا ما شاء أن أمنعك والنية أن لا تمنعه، وعلى هذا مجاري الأيمان يستثنى فيها ونية الحالف النمام.

وسمعت محمد بن الحسن السلمي يقول: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول: سمعت محمد بن عبدالله الفرغاني يقول: كان يغشي الجنيد في مجلسه أهل النسك من أهل العلوم وكان أحد من يغشاه ابن كيسان النحوي، وكان في وقته رجلاً جليلاً فقال له يوماً: يا أبا القاسم ما تقول في قوله سبحانه: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ فأجابه مسرعاً كأنه تقدم له السؤال قبل ذلك بأوقات: لا تنسى العمل به، فأعجب ابن كيسان به إعجاباً شديداً وقال: لا يفضض الله فاك مثلك من يصدر عن رأيه^(٢).

﴿إنه يعلم الجهر﴾ من القول والفعل ﴿وما يخفى﴾: قال محمد بن حامد: يعلم إعلان الصدقة واخفاءها. ﴿ونيسرك لليسرى﴾ لعمل الجنة، وقيل: هو متصل بالكلام الأول معناه: نعلم الجهر مما تقرأه يا محمد على جبريل إذا فرغ من التلاوة عليك، وما يخفى ما تقرأه في نفسك مخافة أن تنساه. ثم وعده فقال: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ أي يهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به، وقيل: ويوفقك للشرعة اليسرى، وهي الحنفية السمحة.

﴿فذكر﴾ عظم بالقرآن ﴿إن نفعت الذكر﴾ التذكر ﴿سيزكر﴾ سيتعظم ﴿من يخشى﴾ الله سبحانه ﴿ويتجنبها﴾ يعني ويتجنب التذكرة ويتباعد عنها. ﴿الأسقى﴾ الشقي في علم الله سبحانه. ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ ثم لا يموت فيها ﴿فيستريح﴾ ولا يحيى ﴿أي حياة تنفعه﴾.

وسمعت السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال ابن عطا: لا يحيى فيستريح عن القطيعة ولا يحيا فيصل إلى روح الوصلة.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَظُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأُنْفَخُ

(١) سورة هود: ١٠٧.

(٢) تفسير القرطبي: ١٩/٢٠.

(١٧) إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)

﴿قد أفلح من تزكى﴾: أي تطهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله، هذا قول عطاء وعكرمة ورواية الوالي عن ابن عباس وسعيد بن جبير عنه أيضاً، وقال الحسن: من كان عمله زاكياً، وعن قتادة: عمل صالحاً وورعاً، وعن أبو الأحوص: رضح من ماله وادى زكاة ماله، وكان ابن مسعود يقول: رحم الله إمرءاً تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية، وقال آخرون: هو صدقة الفطر، وروى أبو هارون عن أبي سعيد الخدري، في قوله سبحانه: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: أعطى صدقة الفطر.

﴿وذكر اسم ربّه فصلّى﴾ قال: خرج إلى العيد فصلّى.

وروى عبيدالله بن عمر عن نافع قال: كان ابن عمر إذا صلى الغداة - يعني من يوم العيد - قال: يا نافع أخرجت الصدقة فإن قلت نعم مضى إلى المصلّى وإن قلت لا قال: فالآن فأخرج، فإنما نزلت هذه الآية في هذا ﴿قد أفلح من تزكى﴾ ﴿وذكر اسم ربّه فصلّى﴾: وروى مروان بن معاوية عن أبي خالد قال: دخلت على أبي العالقة فقال لي: إذا غدوت غداً إلى العيد فمرّ بي، قال: فمررت به فقال: هل طمعت شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أفضت على نفسك من الماء، قلت: نعم، قال: فأخبرني ما فعلت زكاتك؟ قلت: قد وجهتها قال: إنما أردت لك لهذا ثم قرأ ﴿قد أفلح من تزكى﴾ وذكر اسم ربه فصلّى وقال: إنّ أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء، ودليل هذا التأويل ما أخبرني الحسين قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن علي الهمداني قال: حدّثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن إسحاق الأصبهاني قال: حدّثنا حاتم بن يونس الجرجاني قال: حدّثنا دحيم قال: حدّثنا عبدالله بن نافع عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: «أخرج زكاة الفطر، وخرج إلى المصلّى فصلّى» [١٣٤] (١).

قلت: ولا أدري ما وجه هذا التأويل، لأن هذه السورة مكيّة بالإجماع ولم يكن بمكة عيد، ولا زكاة فطر والله أعلم.

﴿وذكر اسم ربّه﴾: أي وذكر ربّه، وقيل: وذكر تسمية ربّه، وقيل: هو تكبير العيد، فصلّى صلاة العيد، وقيل: الصلوات الخمس. يدل عليه ما أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أحمد ابن عبدالله قال: حدّثنا محمد بن عبدالله قال: حدّثنا عباد بن أحمد العمري قال: حدّثنا عمّي محمد بن عبدالرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن ابن سابط عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنني رسول

الله» ﴿وذكر اسم ربّه فصلّى﴾ قال: «هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها حين ينادى بها، والإهتمام بمواقيتها [١٣٥]»^(١)، وقيل: الصلاة ههنا الدعاء.

﴿بل تؤثرون﴾، قراءة العامة: بالناء وتصديقهم قراءة أبي بن كعب، بل وأنتم تؤثرون، وقرأ أبو عمرو بالياء، يعني الاشقين. قال عرفجة الأشجعي: كنا عند ابن مسعود، فقرأ هذه الآية، فقال لنا: أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة. قلنا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت لنا، وعجل لنا طعامها وشرابها نساؤها [ولذتها وبهجتها، وإن الآخرة غيبت لنا وزويت عنا، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل]^(٢).

﴿والآخرة خيرٌ * وأبقى إن هذا﴾ الذي ذكرت في هذه السورة، وقال الكلبي: يعني من قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ إلى آخر السورة، وقال ابن زيد يعني قوله: ﴿والآخرة خيرٌ وأبقى﴾ قال قتادة: تتابعت كتب الله كما تسمعون إن الآخرة خيرٌ وأبقى.

الضحّاك: إن هذا القرآن، ﴿لفي الصحف﴾ الكتب ﴿الأولى﴾ وأحدثها صحيفة، ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ يقال: إن في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه، وقال أبو ذر: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قال: قلت: يا رسول الله كم المرسلون منهم؟

قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم أنبياء» قلت: أكان آدم نبياً؟ قال: نعم كلمه الله سبحانه وخلقه بيده، يا أبا ذر أربعة من الأنبياء عرب: هود وصالح وشعيب ونبيك. قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟

قال: «مائة وأربع كتب، منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى أخنوخ، وهو إدريس ثلاثين صحيفة، وهو أول من خطّ بالقلم، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان» [١٣٦]^(٣).

(١) تفسير مجمع البيان: ٣٣١/١٠، ومجمع الزوائد: ١٠ / ٢٣٦ وفيه: الآخرة غيبت عنا.

(٢) بتمامه في تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٣٣٢، وبتفاوت في تفسير ابن كثير: ١ / ٦٠٠.

سورة الغاشية

مَكِّيَّة، وهي ست وعشرون آية، واثنان وتسعون كلمة، وثلاثمائة وأحد وثمانون حرفاً

أخبرني محمد بن القاسم قال: حدثنا إسماعيل بن مجيد قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا سعيد بن حفص قال: قرأت على معقل بن عبدالله عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حساباً يسيراً» [١٣٧] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَفَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَارٌ مَقْصُوفَةٌ (١٥) وَزَوَاجٌ مُنْتَوِكَةٌ (١٦) أَفْلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ يعني القيامة يغشي كل شيء إلا هو، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب: الغاشية النار. دليله قوله سبحانه: ﴿وتغشى وجوههم النار﴾.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ يعني يوم القيامة، وقيل: في النار ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ قال بعضهم: يعني عاملة في النار ناصبة فيها، قال الحسن وسعيد بن جبير: لم تعمل لله سبحانه وتعالى في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار لمعالجة السلاسل والأغلال، وهي رواية العوفي عن ابن عباس قال قتادة: نكرت في الدنيا من طاعة فأعملها وأنصبها في النار.

وقال الكلبي: يُجْرُونَ على وجوههم في النار. الضحّاك: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار، والنصب الدؤوب في العمل.

وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في النار يوم القيامة، وقال سعيد ابن جبير وزيد بن أسلم: هم الرهبان وأصحاب الصوامع، وهي رواية أبي الضحى عن ابن عباس.

﴿تَضَلَّى نَاراً حَامِيَةً﴾ قال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل.

قراءة العامة بفتح التاء، وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر بضمها اعتباراً بقوله: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ﴾ حارة. قال قتادة: قد أتى طبخها منذ خلق الله السماوات والأرض.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال محمد وعكرمة وقاتدة: وهو نبت ذو شوك لا طي بالأرض تسميه فرش الشرق، فإذا هاج سمّوه الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، الوالي عنه: هو شجر من نار، وقال ابن زيد: أمّا في الدنيا فإنّ الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق، تدعوه العرب الضريع، وهو في الآخرة شوك من نار.

وقال الكلبي: لا تقربه دابة إذا يبس، ولا يرقاه شيء، وقال سعيد بن جبير هو الحجارة، عطاء عن ابن عباس: هو شيء يطرحه البحر المالح، يسمّيه أهل اليمن الضريع، وقد روي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الضريع شيء يكون في النار شبه الشوك، أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشدّ حرّاً من النار» [١٣٨] ^(١) سمّاه النبيّ ضريعاً، وقال عمرو بن عبيد: لم يقل الحسن في الضريع شيئاً، إلّا أنّه قال: هو بعض ما أخفى الله من العذاب، وقال ابن كيسان: هو طعام يضرعون منه ويذلّون ويتضرعون إلى الله سبحانه، وعلى هذا التأويل يكون المعنى المضّرّع.

وقال أبو الدرداء والحسن: يُقَبَّحُ الله سبحانه وجوه أهل النار يوم القيامة يشبهها بعملهم ^(٢) القبيح في الدنيا، ويحسن وجوه أهل الجنة يشبهها بأعمالهم الحسنة في الدنيا، وأنّ الله سبحانه يرسل على أهل النار الجوع حتّى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيُعَاثُونَ بالضريع ويستغيثون فيُعَاثُونَ بطعام ذي غصّة، فيذكرون أنّهم كانوا يخبزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون بعطشهم ألف سنة، ثمّ يُسْقَوْنَ من عين آية لا هنية ولا مريّة، فكلمّا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل إلى بطونهم قطعها، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

قال المفسرون: فلمّا نزلت هذه الآية قال المشركون: إنّ إبلنا لتسمن على الضريع، فأنزل الله سبحانه: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ ويقول: فإنّ الإبل ترعاه ما دام رطباً، فإذا يبس فلا يأكله شيء ورطبه يسمّى شبرقاً لا ضريعاً.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعِيدِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها ومجازات لثواب سعيها في الآخرة راضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَافِيَةً﴾ لغو وباطل، وقيل: حلف كاذب. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ﴾ ووسائد ومرافق ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض، واحدها نمرة. قال الشاعر:

كهول وشبان حسان وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق^(١)

﴿وَرَزَابِيٌّ﴾ يعني البسط العريضة. قال ابن عباس: هي الطنافس التي لها خمل رقيق، واحدها زريبة. ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة وقيل: متفرقة في المجالس. ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ الآية، قال المفسرون لما نعت الله ما في الجنة في هذه السورة عجب من ذلك أهل الكفر والضلالة وكذبوا بها، فذكرهم الله سبحانه صنعهُ فقال عز من قائل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

وكانت الإبل من عيش العرب ومن حولهم، وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الله سبحانه الإبل من بين سائر الحيوانات، فقال مقاتل: لأنهم لم يروا قط بهيمة أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم، وقال الكلبي: لأنها تنهض بحملها وهي باركة؛ لأنه وليس شيء من الحيوانات سابقها غيرها، وقال قتادة: ذكر الله سبحانه ارتفاع سرر الجنة وفرشها فقالوا: كيف نصعد؟ فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له: الفيل أعظم في الاعجوبة؟ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدو^(٢) العهد بها، ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يأكل لحمها ولا يُحلب درها، والإبل من أعز مال العرب وأنفسه.

وقال الحسن: إنما يأكلون النوى والقت ويخرج^(٣) اللبن، وقيل: لأنها في عظمة تلبين للحمل الثقيل وتتقاد للقائد الضعيف حتى أن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث يشاء.

وحكى الأستاذ أبو القاسم بن حبيب أنه رأى في بعض التفاسير أن فارة أخذت بزمام ناقة، فجعلت تجرّ بها والناقة تتبعها، حتى دخلت الجحر فجرت الزمام فتحركت فجرّته فقربت منها من جحر الفار. فسبحان الذي قدرها وسخرها.

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله قال: حدّثنا محمد بن العلاء قال: حدّثنا وكيع عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن شريح أنه كان يقول: اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت.

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٣٤.

(٢) في المخطوط: بعيد.

(٣) هكذا في المخطوط.

وقيل: الإبل هاهنا السحاب، ولم أجد لذلك أصلاً في كتب الأئمة ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ * ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ بسطت، وقال أنس بن مالك: صليت خلف علي بن أبي طالب فقرأ ﴿أفلا تنظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ وكذلك رُفعت ونُصبت وسطحت برفع التاء، وقرأ الحسن سطحت بالتشديد.

فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢١﴾ بمسلط جبار يكرههم على الإيمان، ثم نسخ ذلك بآية القتال وقرأها هارون بمسيطر (بفتح الطاء) وهي لغة تميم.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ اختلفوا في وجه هذا الاستثناء، فقال بعضهم: هو راجع إلى قوله: ﴿فَذَكَرْ﴾ ومجاز الآية: فذكر قومك إلا من تولى وكفر منهم، فإنه لا ينفعه التذكير، وقيل معناه لست عليهم بمسيطر إلا على من تولى وكفر، فإنك تقاتله حتى يسلم، وقيل: هو راجع إلى ما بعده، وتقديره: لكن من تولى وكفر.

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ وهو النار، وإنما قال: ﴿الأكبر﴾ لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع، والقحط، والقتل، والأسر، ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود (إلا من تولى وكفر فإنه يعذبه الله العذاب الأكبر). ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم ومعادهم، وقرأ أبو جعفر بتشديد الياء، قال أبو حاتم: لا يجوز ذلك ولو جاز فيه لجاز في الصيام والقيام. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

سورة الفجر

مَكِّيَّة، وهي خمسمائة وسبعة وتسعون حرفاً
ومائة وتسع وثلاثون كلمة، وثلاثون آية.

أخبرني نافل بن راقم بن أحمد البابي قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ قَتِيْبَةَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ هَدَلَةَ عَنْ زُرِّ بْنِ حَبِيْشٍ عَنْ أَبِيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ وَالْفَجْرِ فِي اللَّيَالِي الْعَشْرِ غُفِرَ لَهُ وَمَنْ قَرَأَهَا سَائِرَ الْأَيَّامِ كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [١٣٩] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَلَئِلٍ إِذَا بَسَرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّئِيَّ حَجْرِ ﴿٥﴾

﴿وَالْفَجْرِ﴾ قال ابن عباس: يعني النهار كله، عطية عنه، صلاة الفجر، عثمان بن محصن عنه: فجر المحرم ومثله قال قتادة: هو أول يوم من المحرم تتفجر منه السنة. ضحاك: فجر ذي الحجة؛ لأن الله سبحانه قرن الأيام بها. عكرمة وزيد بن أسلم: الصبح. مقاتل: عداؤه جميع كل سنة. القرظي: انفجار الصبح من كل يوم إلى انقضاء الدنيا. في بعض التفاسير: أن الفجر الصخور والعيون تتفجر بالمياه.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي والحلبي: هي عشر ذي الحجة، عكرمة: ليالي الحج، وقال مسروق: هي أفضل أيام السنة. أبو روق عن الضحاك: هي العشر الأول من شهر رمضان، أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر الأواخر من شهر رمضان، يمان بن رباب: العشر الأولى من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء.

أخبرني الحسن قال: حَدَّثَنَا بَنُ حَمْدَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْحَاقَ الْأَنْصَارِي قَالَ: حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَرِثِ قَالَ: أَخْبَرَنَا بَشْرُ بْنُ عَمَارَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَسَّانٍ عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قَالَ: هُوَ الْفَجْرُ الَّذِي تَعْرِفُونَ، قُلْتُ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قَالَ:

عشر الأضحى، قلت: ﴿وَالشَّعْ﴾ قال: خَلَقَهُ، يقول الله سبحانه: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾، قلت: ﴿وَالْوُتْرِ﴾ قال: الله وتر، قلت له: هل تروي هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم، قلت: عَمَّن؟ قال: عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ [١٤٠] (١).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا ابن نصرويه قال: حَدَّثَنَا ابن وهب قال: حَدَّثَنَا أحمد بن يحيى بن سعيد القطان وعبد بن عبدالله بن النعمان قالا: حَدَّثَنَا أبو الحسين زيد بن الحَبَّاب العكلي قال: حَدَّثَنَا عَبَّاس بن عقبة قال: حَدَّثَنِي حسين بن نعيم الحضرمي عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله سبحانه: ﴿وَالْفَجْر وَلِيَالٍ عَشْرَ﴾ قال: «عشر النحر، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر» [١٤١] (٢).

وبه عن ابن وهب قال: حَدَّثَنَا يوسف بن عبد الرحمن قال: حَدَّثَنَا سعيد بن مسلمة الأموي قال: حَدَّثَنَا واصل بن السائب الرقاشي قال: حَدَّثَنِي أبو سودة قال: حَدَّثَنِي أبو أيوب الأنصاري قال: سُلِّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالشَّعْ وَالْوُتْرَ﴾ قال: «الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النحر» [١٤٢] (٣).

وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل الفهndري قال: حَدَّثَنَا أبو الطاهر المحمد آبادي قال: حَدَّثَنَا عثمان بن سعيد قال: حَدَّثَنَا مسلم بن إبراهيم قال: حَدَّثَنَا خالد بن قيس وهمام بن يحيى قالا: حَدَّثَنَا قتادة عن عمران بن عاصم عن عمران بن حصين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُلِّ عَنْ الشَّعْ وَالْوُتْرَ فَقَالَ: «هِيَ الصَّلَاةُ مِنْهَا الشَّعْ وَمِنْهَا الْوُتْرُ» [١٤٣] (٤).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا ابن لؤلؤ قال: حَدَّثَنَا الهيثم قال: حَدَّثَنَا الدُّورقي قال: حَدَّثَنَا حَبَّاج عن ابن جريح قال: أَخْبَرَنِي محمد بن المرتفع أَنَّهُ سَمِعَ ابن الزبير يقول: وَالشَّعْ النَّفْرُ الْأَوَّلُ وَالْوُتْرُ [يَوْمُ] النَّفْرِ الْآخِرِ.

وأخبرني الحسن قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن علي بن الحسن الصوفي قال: حَدَّثَنَا أحمد بن كثير القيسي قال: حَدَّثَنَا محمد بن عبدالله المقرئ قال: حَدَّثَنَا مروان بن معاوية الفزاري عن أبي سعيد بن عوف قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بن الزبير يقول على المنبر: يَا مَعْشَرَ الْحَاجِّ إِنَّكُمْ جِئْتُمْ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ عَلَى الضَّعِيفِ وَالشَّدِيدِ، فَأَسْهَرْتُمُ الْأَعْيْنَ وَأَنْصَبْتُمُ الْأَنْفُسَ وَأَتَعَبْتُمُ الْأَبْدَانِ، فَلَا يَبْطُلَنَّ أَحَدُكُمْ حَجَّهَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، يَنْظُرُ نَظْرَةَ بَعِينَةٍ أَوْ يَبْطِشُ بِطُشَّةٍ بِيَدِهِ، أَوْ يَمْشِي مَشْيَةً بِرَجْلِهِ.

(١) تفسير الطبري: ٣٠ / ٢١٤، وتفسير القرطبي: ٢٠ / ٤٠.

(٢) السنن الكبرى: ٢ / ٤٤٥.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي: ٨ / ٢٣٨.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي: ٨ / ٢٣٩.

يا أهل مكة وسّعوا عليهم ما وسّع الله عليكم وأعينوهم ما استعانوكم عليه، فإنهم وفد الله وحاج بيت الله ولهم عليكم حق، فاسألوني فعلينا كان التنزيل، ونحن حصرنا التأويل، فقام إليه رجل من ناحية زمزم فقال: دخلت فارة جرابي وأنا محرم؟ فقال: اقتلوا الفويسقة، فقام آخر فقال: أخبرنا بالشفع والوتر والليالي العشر فقال: أمّا الشفع والوتر فقول الله سبحانه: ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ فهما الشفع والوتر، وأمّا الليالي العشرة فالثمان وعرفة والنحر، فقام آخر فقال: أخبرنا عن يوم الحج الأكبر؟ فقال: هو يوم النحر ثلاث تتلوها.

وقال مجاهد ومسروق وأبو صالح: الشفع الخلق كلّ، قال الله سبحانه: ﴿ومن كلّ شيء خلقنا زوجين﴾^(١) الكفر والإيمان والشقاوة والسعادة والهدى والضلالة والليل والنهار والسماء والأرض والبر والبحر والشمس والقمر والجنّ والإنس، والوتر الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾.

الحسن وابن زيد: أراد بالشفع والوتر الخلق كلّ، منه شفع ووتر.

عطية عن ابن عباس: الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب. قتادة عن الحسن: هو العدد منه شفع ومنه وتر. مقاتل: الشفع هو آدم وحواء، والوتر هو الربّ تبارك وتعالى، وقيل: الوتر آدم شفعه الله بزوجه حواء.

إبراهيم والقرظي: الزوج والفرد. الربيع عن أبي العالية: الشفع ركعتان من صلاة المغرب والوتر الركعة الثالثة، وقيل: الشفع الصفا والمروة والوتر البيت، الحسين بن الفضل: الشفع درجات الجنان؛ لأنها ثمان والوتر دركات النار؛ لأنها سبع، كأنه الله - سبحانه وتعالى - أقسم بالجنة والنار.

مقاتل بن حيان: الشفع الأيام والليالي، والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن نافع الشجري يقول: سمعت أبا زيد حاتم بن محبوب السامي يقول: سمعت عبد الجبار بن العلاء العطار يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الوتر هو الله عزّ وجلّ وهو الشفع أيضاً؛ لقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم﴾^(٢) وسمعت أبا القاسم يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد ابن يزيد يقول: سمعت أبا عبد الله بن أبي بكر الوراق يقول: سئل أبو بكر عن الشفع والوتر فقال: الشفع تضاد أوصاف المخلوقين العزّ والذلّ والقدرة والعجز والقوّة والضعف والعلم

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢) سورة المجادلة: ٧.

والجهل والبصر والعمى، والوتر انفراد صفات الله سبحانه عزّ بلا ذلّ، وقدرة بلا ضعف، وعِلْم بلا جهل، وبصر بلا عمى وحياة بلا موت وما إزاءها.

وقيل: الشفع مسجد مكّة والمدينة، والوتر مسجد بيت المقدس، وقيل: الشفع القرآن في الحجّ والتمتع فيه، والوتر الأفراد فيه، وقال ابن عطاء **﴿والفجر﴾** محمّد صلى الله عليه؛ لأنّ به تفجّرت أنوار الإيمان وغابت ظلّم الكفر.

﴿وليال عشر﴾ ليالي موسى التي أكمل بها ميعاده بقوله تعالى: **﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾** ^(١)، والشفع: الخلق والوتر: الحقّ، وقيل: الشفع الفرائض والوتر السنن، وقيل: الشفع الأفعال والوتر النية، وهو الإخلاص، وقيل: الشفع العبادة التي تتكرّر، كالصلاة والصوم والزكاة، والوتر: العبادة التي لا تتكرّر كالحجّ، وقيل: الشفع النفس والروح إذا كانتا معاً، والوتر الروح بلا نفس والنفس بلا روح، فكأنّ الله سبحانه أقسم بها في حالتي الاجتماع والافتراق ^(٢).

واختلف القراء في الوتر، فقرأ يحيى ^(٣) بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وخلف: بكسر الواو، وهو اختيار أبي عبيد، قال: لأنّها أكثر في العامّة وأفشى، ومع هذا إنّنا تدبّرنا الآثار التي جاء فيها ذكر وتر الصلاة فوجدنا كلّها بهذه اللغة ولم نسمع في شيء منه الوتر بالفتح، ووجدنا المعنى في الوتر جميعاً الذي في الصلاة والذي في السورة، وإن تفرّقا في الفرع فإنّهما في الأصل واحد إنّما تأويله الفرد الذي هو ضدّ الشفع، وقرأ الباقر بفتح الواو، وهي لغة أهل الحجاز واختيار أبي حاتم وهما لغتان مستفيضتان.

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِرُّ﴾ قال أكثر المفسّرين: يعني إذا سار فذهب، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل. قال مجاهد وعكرمة والكلبي: هي ليلة المزدلفة.

واختلف القراء في قوله: **﴿يسر﴾** فقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعيسى بالياء في الوصل، وهي اختيار أبي حاتم ورواية قتيبة ونصير والشرطاني عن الكسائي قال أبو عبيد: كان الكسائي فترة يقول: أثبت الياء بالوصل واحذفها في الوقف لمكان الكتاب، ثمّ رجع إلى حذف الياء في الحاليين جميعاً؛ لأنّها رأس آية، وهي قراءة ابن عامر وعاصم واختيار أبي عبيد اتباعاً للخط، وقرأ ابن كثير ويعقوب الياء في الحاليين على الأصل، قال الخليل بن أحمد: أسقط الياء منه وفاقاً لرؤوس الآي.

وقال أكثر أهل المعاني: يعني يسري فيه كقولهم: ليلٌ نائم ونهارٌ صائم وسر كاتم. قال الفراء: يحذف العرب الياء ويكتفي بكسر ما قبلها. أنشدني بعضهم:

(١) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٢) راجع للأقوال في معنى الشفع والوتر مقدمة فتح الباري: ١٣٦.

(٣) لعله: الجني.

كَفَّاكَ كَفَّ مَا تَلْقَىٰ دَرَهْمًا
وقال آخر:

جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما^(١)

ليس يخفى سادتي قدر قوم
وقال المؤرخ: سألت الأخفش عن العلة في سقوط الياء من يسر، فقال: لا أجيبك ما لم تبت على باب داري سنة. فبت سنة على باب داره ثم سأله فقال: الليل لا يسري، وإنما يسرى فيه وهو مصروف فلما صرفه بخسه حظّه من الإعراب، ألا ترى إلى قوله: ﴿وما كانت أمك بغياً﴾^(٢)؟ ولم يقل بغية؛ لأنه صرفه من باغية.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿قَسَمٌ﴾ أي مقنع ومكتف^(٣) في القسم ﴿لِذِي جِجَرَ﴾ عقل سمي بذلك؛ لأنه يحجر صاحبه ممّا لا يحلّ ولا يجمل كما سمي عقلاً؛ لأنه يعقله عن القبائح والفضائح، ونهيّ لأنه نهى عمّا لا ينبغي، وأصل الحجر المنع، يقال للرجل إذا كان مالكا قاهراً ضابطاً له: إنه لدو حجر، ومنه قولهم: حجر الحاكم على فلان.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِي جَاءُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ يَوْمَئِذٍ الْوَادِ طَغَىٰ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَاكْتَرَوْا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسِرٌ صَادٍ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِسْرَءِيلُ إِذَا مَا أَرْسَلْنَاهُ رُحْمًا فَكَرَّمْنَا نِعْمَةً فَقُولُوا لِرَبِّ أَكْرَمَ ﴿١٥﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* إِرَمَ﴾ قرأته العامة بالتنوين وقرأ الحسن (بعاد إرم) على الإضافة وقرأت العامة: (إرم) بكسر الألف، وقرأ مجاهد بفتحها، قال المؤرخ: من قرأ بفتح الألف شبههم بالآرام، وهي الأعلام واحدها إرم.

واختلف العلماء في معنى قوله ﴿إِرَمَ﴾ فأخبرني بن فنجويه قال: حدّثنا موسى الباقرحي قال: حدّثنا ابن علوية قال: حدّثنا إسماعيل قال: حدّثنا إسحاق بن بشير عن محمد بن إسحاق عمّن يخبره أنّ سعيد بن المسيّب كان يقول: إرم ذات العماد دمشق.

وأخبرني بن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا ابن مروان، قال: حدّثنا علي بن حرب الطائي قال: حدّثنا أبو الأشهب هود عن عوف الإعرابي عن خالد الربيعي ﴿إِرَمَ ذات العماد﴾ قال: دمشق، وبه قال عكرمة وأبو سعيد المقبري.

(١) تفسير الطبري: ١٢ / ١٥١.

(٢) سورة مريم: ٢٨.

(٣) في المخطوط: ومكتفي.

وقال القرظي: هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي إرم ومعناها القديمة. قتادة: هم قبيلة من عاد، وقال أبو إسحاق: هو جدّ عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.
وقال مقاتل: إرم قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا موضع مهرة، وكان عاد أباهم فنسبهم إليه، وهو إرم بن عاد بن شمر بن سام بن نوح.

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حنش قال: حدّثنا أبو الطيّب المروزي قال: حدّثنا محمّد بن علي قال: أخبرنا فضل بن خالد قال: حدّثنا عبيد بن سليمان عن الضحّاك بن مزاحم أنّه كان يقرأ ﴿إرم ذات العماد﴾ بفتح الألف والراء، والإرم الهلاك فقال: إرم بنو فلان أي هلكوا، وهي رواية العوفي عن ابن عبّاس.

وروي عن الضحّاك أنّه قرأ ﴿إرم ذات العماد﴾ أي أهلكهم وجعلهم رميمًا، والصواب أنّها اسم قبيلة أو بلدة فلذلك لم يجرّ^(١).

قوله: ﴿ذات العماد﴾ قال قوم: يعني ذات الطول والقوّة والشدّة.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حنش قال: حدّثنا أبو القاسم بن الفضل قال: حدّثنا أبو حاتم قال: حدّثنا أبو صالح كاتب الليث قال: حدّثني معاوية بن صالح عمّن حدّثه عن المقدم عن النبيّ صلّى الله عليه أنّه ذكر «إرم ذات العماد» فقال: «كان الرجل منهم يأتي بالصخرة فيحملها على [كاهله فيلقى عليها على أي حي أراد] فيهلكهم» [١٤٤]^(٢).

وقال الكلبي: كان طول الرجل منهم أربع مائة ذراع، وقال ابن عبّاس: يعني طولهم مثل العماد، ويقول العرب للرجل الطويل: معمدًا، وقال مقاتل: كان طول أحدهم اثني عشر ذراعًا، وقال آخرون: إنّما قيل لهم: ذات العماد؛ لأنّهم كانوا أهل عمد سيارة يتتبعون الغيث ويتنقلون إلى الكلا، حيث كان ثمّ يرجعون إلى منازلهم ولا يقيمون في موضع.

قال الكلبي: إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة، كان يقال: عاد إرم وثمود إرم، فأهلك الله سبحانه عادًا، ثمّ ثمود وبقي أهل السواد وأهل الجزيرة، وكان أهل عمد وخيام وماشية في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم فكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم كانت بوادي القرى، وهي التي يقول الله سبحانه: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾.

وقيل: سمّوا ذات العماد لبناء بناه بعضهم، فشيد عمده ورفع بناءه، والعماد والعُمد والعمد جمع عمود، وهو:

ما أخبرنا أبو القاسم المفسّر قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد الصقّار

(١) تفسير الطبري: ٣٠ / ٢٢٠.

(٢) تفسير الدر المنثور: ٦ / ٣٤٧، وفتح الباري: ٨ / ٥٣٨.

الأصبهاني قال: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم الأصبهاني قال: حدّثنا عبدالله بن صالح المصري قال: حدّثني ابن لهيعة وأخبرنا أبو القاسم قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرايفي قال: أخبرنا عثمان بن سعيد الدارجي قال: أخبرنا عبدالله بن صالح قال: حدّثني ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منبه عن عبدالله بن قلابه أنّه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحاري عدن إذا هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كبيرة وأعلام طوال، فلمّا دنى منها ظنّ أنّ فيها أحداً يسأله عن إبله فلم ير خارجاً ولا داخلاً فتزل عن دابته وعقلها وسلّ سيفه ودخل من باب الحصن، فلمّا دخل في الحصن إذا هو ببايين عظيمين لم ير أعظم منهما، والبايان مرصّعان بالياقوت الأبيض والأحمر فلمّا رأى ذلك دهش وأعجبه ففتح أحد البابين، فإذا هو بمدينة لم ير أحداً مثلها، وإذا قصور كل قصر معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كلّ قصر منها غرف:

[اعتبر يا أيها المغرور بالعمر المديد	أنا شداد بن عاد صاحب الحصن المشيد]
وأخو القوّة والبأساء والملك الحشيد	دار أهل الأرض لي من خوف وعيدي ووعيد
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد	وبفضل الملك والعدّة فيه والعديد
فأتى هود وكنا في ضلال قبل هود	فدعانا لو قبلناه إلى الأمر الرشيد
وعصيناه ونادى هل من محيد	فأتتنا صيحة تهوي من الأفق البعيد

فتوافينا كزرع وسط بيداء حصيد

﴿وَتُمُودٌ﴾ أي وثمرود ﴿الَّذِينَ جَابُوا﴾ قَطَعُوا وخرقوا ﴿الصَّخْرَ﴾ الحجر وحدثها صخرة بالوَادِ يعني بوادي القرى، ففتحوا منها بيوتاً كما قال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ﴾^(١).

قال أهل السير: أوّل من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود، فبنوا من الدور والمنازل ألفي ألف وسبع مائة ألف كلّها من الحجارة، وأثبت أبو جعفر وأبو حاتم وورش الياء في الوادي وصلاً، وأثبتها في الوصل والوقف ابن كثير برواية البزي والعواش ويعقوب على الأصل، وحذفها الآخرون في الحالتين؛ لأنّها رأس آية.

﴿وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ اختلفوا فيه فقال بعضهم: أراد ذا الجنود والجموع الذين يقوون أمره^(٢) ويسدّدون مملكته، وسمّي الأجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتّدونها في أسفارهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس.

(١) سورة الحجر: ٨٢.

(٢) في المخطوط: أمره.

وقال قتادة: سمّي ذا الأوتاد؛ لأنّه كانت له مظال وملاعب وأوتاد يُضرب له فتلعّب له تحتها، وقال محمد بن كعب: يعني ذا البناء المحكم، وقال سعيد بن جبير: كان له منارات يعذبّ الناس عليها، وقال مجاهد وغيره: كان يعذبّ الناس بالأوتاد، وكان إذا غضب على أحد مدّه على الأرض وأوتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا مخلد قال: حدّثنا ابن علوية قال: حدّثنا إسماعيل قال: حدّثنا إسحاق بن بشير عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس أنّ فرعون لمّا قيل له: ذو الأوتاد أنّه كان امرأة - وهي امرأة خازنه خربيل^(١) بن نوحابيل وكان مؤمناً كتم إيمانه مائة سنة^(٢)، وكان لقي من لقي من أصحاب يوسف، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون - فبينما هي ذات يوم تمسّط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله، فقالت بنت فرعون: وهل لك من إله غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي قال: ما يبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أنّ إلهك وإلهها وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فأرسل إليها فسألها عن ذلك، فقالت: صدقت. فقال لها ويحك: اكفري بإلهك وأقري أنني إلهك، قالت: لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب فقال لها: اكفري بالله وإلاّ عذبتك بهذا العذاب شهرين، قالت: والله لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت بالله تعالى.

قال: وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها، وقال لها: اكفري بالله وإلاّ ذبحت ابنتك الصغرى على فيك، وكانت طفلة رضيعة تجد بها وجداً شديداً فقالت: لو ذبحت من على الأرض على فيّ ما كفرت بالله تعالى.

قال: فأتى بابنتها فلمّا أن قدّمت منها واضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة، فأطلق الله لسان ابنتها فتكلّمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً، فقالت: يا أمّاه لا تجزعي فإنّ الله سبحانه قد بنى لك بيتاً في الجنّة، اصبري فإنّك تمضين إلى رحمة الله سبحانه وكرامته، قال: فذبحت فلم تلبث أن ماتت وأسكنها الله سبحانه الجنّة.

قال: وبعث في طلب زوجها خربيل فلم يقدروا عليه، فقبل لفرعون: إنّه قد رُئي في موضع كذا وكذا في جبال كذا وكذا، فبعث رجلين في طلبه فانتھيا إليه وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلّون، فلمّا رأيا ذلك انصرفا، وقال خربيل: اللهم إنك تعلم أنّي كتمت إيماني مائة سنة، ولم يظهر عليّ أحد فأيّما هذين الرجلين كتم عليّ فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله، وأيّما هذين الرجلين أظهر عليّ فعجل عقوبته في الدنّيا، واجعل مصيره في العاقبة إلى

(١) ذكر القرطبي في تفسيره (١٥ / ٣٠٦) عن الثعلبي أن اسمه: حزقيل.

(٢) كما ذكره في تاج العروس (٧ / ٣٠٢) وقيل ستمائة سنة ذكره الجزائري في القصص: ٢٥٣.

النار، فأنصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن، وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملأ، فقال له فرعون: وهل كان معك غيرك؟ قال: نعم.

قال: وَمَنْ كَانَ مَعَكَ؟ قال: فلان. فدعى به. فقال: حَقٌّ ما يقول هذا؟ قال: لا، ما رأيت ممّا قال شيئاً. فأعطاه فرعون وأجزل، وأما الآخر فقتله ثم صلبه.

قال: وكان فرعون قد تزوّج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسيا بنت مزاحم، فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت: وكيف يسعني أن أصير على ما أتى فرعون وأنا مسلمة وهو كافر، فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها فقالت: يا فرعون أنت شرّ الخلق وأخبثه عمدت إلى الماشطة فقتلتها، فقال: فعل بك الجنون الذي كان بها.

قالت: ما بي من جنون، وإن إلهي وإلهها وإلهك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له فمزّق عليها وضربها وأرسل إلى أبويها فدعاهما فقال لهما الأمر، بأنّ الجنون الذي كان بالماشطة أصابها فقالت: أعوذ بالله من ذلك، إني أشهد أنّ ربّي وربّك وربّ السماوات والأرض واحد لا شريك له، فقال أبوها: يا آسية ألسنت خير نساء العمالق وزوجك إله العمالق؟ قالت: أعوذ بالله من ذلك إن كان ما تقول حقاً، فقولا له: يتوّجني تاجاً يكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله، فقال لهم فرعون: أخرجنا عني فمدّها بين أربعة أوتاد يعذبها، وفتح الله سبحانه لها باباً إلى الجنّة ليهوّن عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ يعني من جماع فرعون ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني من فرعون وشيعته، فقبض الله سبحانه روحها وأسكنها الجنّة^(١).

وقيل: الأوتاد عبارة عن ثبات مملكته وطول مدّته وشدة هيئته، كثبوت الأوتاد في الأرض كقول الأسود:

في ظل ملك ثابت الأوتاد^(٢)

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ قال قتادة: يعني لونا من العذاب صبّه عليهم، وقال السدي: كلّ يوم لون آخر من العذاب، وقيل: وجع العذاب، وقال أهل المعاني: هذا على الاستعارة؛ لأنّ السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكلّ عذاب. قال الشاعر:

(١) القصة بتفاوت في الأحاديث الطوال للطبراني: ١١٥، وتفسير ابن كثير: ٤ / ٤٢٠.

(٢) معاني القرآن للنحاس: ٦ / ٨٥، ومعجم البلدان: ١ / ٢٧٢ ومطلعه: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَبَّ عَلَى الْكَفَّارِ سُوطَ عَذَابٍ ^(١) **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾** قال ابن عباس: سبحانه يرى ويسمع، وقال مقاتل: ترصد الناس على الصراط، فجعل رصداً من الملائكة معهم الكلاب والمجاهن والحسك، وقال الضحاك: بمرصد لأهل الظلم والمعصية، وقيل: معناه مرجع الخلق ومصيرهم إلى حكمه وأمره، وقال الحسن وعكرمة: ترصد أعمال بني آدم، وعن مقاتل أيضاً: ممر الناس عليه. عطاء ابن أبي رباح: لا يفوته أحد. يمان: لا محيص عنه. السدي: أرصد النار على طرفهم حتى تهلكهم، والمرصاد والمرصد الطريق وجمع المرصاد مراصيد وجمع المرصد مراصد.

وروى مقسم عن ابن عباس قال: إن على جهنم سبع مجاسر يسأل العبيد عند أولهنّ عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها تامة جاز بها إلى الثاني، فيسأل عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث، فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع، فيسأل عن الصوم، فإن جاء به تاماً جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحجّ فإن جاء به تاماً جاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع، فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال انظروا، فإن كان له تطوع أكمل به أعماله، فإذا فرغ به انطلق به إلى الجنة.

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنِ ^(١٦) كَلَّا بَلْ لَا تَكْفُرُونَ ^(١٧) الْيَتِيمَ ^(١٨) وَلَا تَخْشَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ ^(١٩) وَأَتَاكُمُ الثَّرَاكُ أَكَلًا لَّسًا ^(٢٠) وَيُخْبِتُونَ أَلْمَالَ حُبًا جَمًّا ^(٢١) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ^(٢٢) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ^(٢٣) وَجِئَافَةً يَوْمَئِذٍ ^(٢٤) يَوْمَئِذٍ يَجْعَلُ يَوْمَئِذٍ بَنَدَكَ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ^(٢٥) يَقُولُ يَلَيْسَ لِي بِحَقٍّ ^(٢٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ^(٢٧) وَلَا يُؤْتِي وَفَاءَهُ أَحَدًا ^(٢٨) يَأْتِيهِمُ النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ^(٢٩) أَرْجَى إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْهُمَةً ^(٣٠) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ^(٣١) وَادْخُلِي جَنِّي ^(٣٢)

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ امتحنه **﴿رَبُّهُ﴾** بالنعمة والوسعة. **﴿فَأَكْرَمَهُ﴾** بالمال **﴿وَنَعَّمَهُ﴾** بما وسّع عليه من الأفضال **﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾** فيفرح بذلك ويسر ويحمد عليه ويشكر، و **﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾** بالفقر **﴿فَقَدَرَ﴾** وضيق وقتر **﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾** **﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾** أذلني بالفقر، ولم يشكر الله على ما أعطاه من سلامة الجوارح ورزقه من العافية والصحة. قال قتادة: ما أسرع كفر ابن آدم.

وقراءة العامة **﴿فقدّر﴾** بتخفيف الدال، وقرأ أبو جعفر وابن عامر بالتشديد، وهما لغتان وكان أبو عمرو يقول: قدر بمعنى قتر وقدر هو أن يعطيه ما يكفيه ولو فعل ذاك ما قال: **﴿ربي أهانني﴾**، ثم ردّ عليه فقال: **﴿كلاً﴾** لم أبتله بالغنى لكرامته عليّ ولم أبتله بالفقر؛ لهوانه عليّ

وَأَنَّ الْفَقْرَ وَالْغَنَى مِنْ تَقْدِيرِي وَقَضَائِي. فَلَا أَكْرَمَ مِنْ أَكْرَمَتِهِ بِالْغَنَى وَكَثْرَةِ الدُّنْيَا، وَلَا أَهْيَنَ مِنْ أَهْنَتِهِ بِالْفَقْرِ وَقِلَّةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أَكْرَمَ مِنْ أَكْرَمَتِهِ بِطَاعَتِي، وَأَهْيَنَ مِنْ أَهْنَتِهِ بِمَعْصِيَتِي، وَقَالَ الْفَرَاءُ: مَعْنَى كَلَا لَمْ يَنْبَغِ^(١) لَهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَى الْأُمْرَيْنِ عَلَى الْغَنَى وَالْفَقْرِ.

ثم قال: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ يعني أهنت من أهنت من أجل أنه لَا يُكْرَمُ الْيَتِيمُ.

واختلف القراء في هذه الآية فقراً أهل البصرة يكرمون وما بعده كله بالياء، وقرأها الآخرون بالتاء ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ قرأ أبو جعفر وأهل الكوفة ﴿تَحَاضُّونَ﴾ بالألف وفتح التاء، وروى الشاذلي عن الكسائي (تَحَاضُّونَ) بضم التاء، غيرهم (تَحَضُّونَ) بغير الألف. ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ شديداً، قال الحسن: يأكل نصيبه ونصيب غيره. بكر بن عبدالله: اللَّمُّ الاعتداء في الميراث يأكل ميراثه وميراث غيره. ابن زيد: الأكل اللَّمُّ الذي يأكل كل شيء يجده ولا يسأل عنه أحلال أم حرام، ويأكل الذي له والذي لغيره، وذلك أنهم كانوا لَا يورثون النساء ولا الصبيان، وقرأ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية قال أبو عبيدة يقال: لَمَمْتُ ما على الخوان إذا أتيت على ما عليه وأكلته كله أجمع. ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ كثيراً يقال جَمَّ الماء في الحوض إذا كثر واجتمع. ﴿كَلَّا﴾ ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر ثم أخبر ممن تلهفهم على ما سلف منهم حين لَا ينفعهم فقال عز من قائل: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ مرة بعد مرة فيكسر كل شيء على ظهرها.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال الحسن: أمره وقضاؤه، وقال أهل الإشارة: ظهر قدرة ربك وقد استوت الأمور وأن الحق لَا يوصف يتحول من مكان إلى مكان وأتى له التجول والتنقل ولا مكان له ولا أوان ولا تجري عليه وقت وزمان؛ لأن في حرمان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز، والحق ينزه أن تحوي صفاته الطباع أو تحيط به الصدور.

﴿وَالْمَلِكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمُئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن ماجه قال: حدثنا يعقوب بن يوسف القروي قال: حدثنا القاسم بن الحكم قال: حدثنا عبيدالله بن الوليد قال: حدثنا عطية عن أبي سعيد قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تغير لون رسول الله ﷺ وعرق في وجهه حتى اشتد على أصحابه ما رأوا من حاله فانطلق بعضهم إلى علي رضي الله عنه فقالوا: يا علي لقد حدث أمر قد رأيناه في نبي الله ﷺ. فجاء علي فاحتضنه من خلفه ثم قبل بين عاتقيه ثم قال: يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك؟ قال: «جاء جبريل (عليه السلام) فأقرأني هذه الآية: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلِكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمُئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قلت: فكيف يجاء بها؟

قال: «يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثم تعرض لي جهنم فتقول: ما لي وما لك يا محمد فقد حرّم الله لحكمك ودمك عليّ، فلا يبقى أحد إلّا قال: نفسي نفسي وأنّ محمّداً يقول: أمّتي أمّتي، فيقول الله سبحانه إلى الملائكة: ألا ترون الناس يقولون: ربّ نفسي نفسي وأنّ محمّداً يقول: أمّتي أمّتي؟» [١٤٥]^(١).

وقال عبدالله بن مسعود ومقاتل في هذه الآية: تقاد جهنم بسبعين ألف زمان كلّ زمام بيد سبعين ألف ملك، لها تغيط وزفير حتّى تنصب على يسار العرش.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ فِي حَيَاتِي ﴿لِحَيَاتِي﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾ قَرَأَ الْعَامَّةُ بِكسر الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ.

قال الفراء وقيل: إنّ رجلاً مسمّى بعينه وهو أميّة بن خلف الجمحي: يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق كوثاقه أحد، واختار أبو عبيد وأبو حاتم هذه القراءة لما أخبرنا محمد بن نعيم قال: أخبرنا الحسين بن أيوب قال: أخبرنا علي بن عبد العزيز قال: أخبرنا القاسم بن سلام قال: حدّثنا هيثم وعناد بن عباد عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عمّن أقرأه النبيّ - صَلَّى الله عليه - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾ يعني ينصب الذال والثاء.

ويروى أنّ أبا عمرو رجع في آخر عمره إلى قراءة النبيّ ﷺ.

معنى الآية لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق، وهو الإشارة في السلاسل والأغلال.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن مالك قال: حدّثنا ابن حنبل قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا محمد بن جعفر قال: حدّثنا شعبة عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عمّن سمع النبيّ - صَلَّى الله عليه - يقرأ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾ يعني يفعل به. ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى ما وعد الله المصدّقة بما قال.

مجاهد: المنية المخبئة التي قد أيقنت أنّ الله سبحانه ربّها، وضربت لأمره جأشاً.

المسيّب: سمعت الكلبي وأبا روق يقولان: هي التي يبيّض الله وجهها ويعطيها كتابها يمينها فعند ذلك تطمئن. الحسن: المؤمنة الموقنة. عطية: الراضية بقضاء الله. حيّان عن

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٥٦.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠ / ٢٣٨.

الكلبي: الآمنة من عذاب الله تعالى^(١).

أخبرني عقيل أنّ أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير قال: حدّثنا خلّاد بن أسلم قال: أخبرنا النضر عن هارون القارئ قال: حدّثني هلال عن أبي شيخ الهنائي قال: في قراءة أبي يا أيّتها النفس الآمنة المطمئنة.

وأخبرني أبو محمّد الحسين بن أحمد الشعبي قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا محمد بن إسحاق السراج قال: حدّثنا سوار بن عبدالله قال: حدّثنا المعمر بن سليمان عن إبراهيم بن إسماعيل عن ابن أبي نجاح عن مجاهد **﴿يا أيّتها النفس المطمئنة﴾** قال: الراضية بقضاء الله التي قد علمت أنّ ما أصابها لم يكن ليخطئها وأنّ ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وقال ابن كيسان: المخلصة. ابن عطاء: هي العارفة بالله سبحانه التي لا تصبر عنه طرفة عين، وقيل: المطمئنة بذكر الله. بيانه: **﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾**، وقيل: هي المتوكّلة على الله تعالى الواثقة بما ضمن لها من الرزق^(٢).

﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ اختلف العلماء في تأويل هذه الآية، ووقت هذه المقالة فقال قوم: يقال ذلك لها عند الموت: ارجعي إلى ربك وهو الله عزّ وجلّ.

أخبرني الحسين قال: حدّثنا عبيدالله بن عبد الله بن أبي سمرة البغوي قال: حدّثنا محمد بن ابن سهل العسكري قال: حدّثنا العطاردي قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا قيس بن الربيع عن إسماعيل عن أبي صالح في قوله سبحانه: **﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾** قال: هذا عند خروجها من الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل: **﴿ادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾**.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبه قال: حدّثنا الفراتي قال: حدّثنا أحمد بن خالد قال: حدّثنا روح بن عبادة قال: حدّثنا زهير بن محمد قال: حدّثنا زيد ابن أسلم عن عبد الرحمن بن السيلماني عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إذا توفّي العبد المؤمن أرسل الله سبحانه ملكين وأرسل إليه تحفة من الجنّة فيقال لها: اخرجي أيّتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان وربّ عنك راض، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في نفسه قط، والملائكة على أرجاء السماء.

فيقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة، فلا يمرّ بباب إلاّ فتح له ولا ملك إلاّ صلّى عليه، حتّى يؤتي به الرحمن، ثمّ تسجد الملائكة ثمّ يقولون: ربّنا هذا عبدك فلان توفيته كان يعبدك لا يشرك بك شيئاً فيقول: مروه فليسجد، وتسجد النسمة، ثمّ يدعى ميكائيل فيقول: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتّى أسألك عنها يوم القيامة، ثمّ يؤمر فيوسع عليه قبره

سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله وينبت له فيه الريحان. إن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن معه جعل له مثل الشمس في قبره، ويكون مثله كمثل العروس، ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه، فيقوم من نومته كأنه لم يشيع منها، وإذا توفي الكافر أرسل الله سبحانه وتعالى ملكين وأرسل قطعة من سجاد أنتن وأخشن من كل خشن، فيقال: أيها النفس الخبيثة اخرجي إلى حميم وعذاب أليم وربّ عليك غضبان.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا المسوحي قال: حدّثنا عمرو بن العلاء الحنفي قال: حدّثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد قال: قرأ رجل عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال أبو بكر: ما أحسن هذا! فقال النبي ﷺ: «أما أنّ الملك سيقولها لك [عند الموت]» [١٤٦] (١).

حدّثنا أحمد بن محمد بن يعقوب القصري بها قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ببغداد قال: حدّثنا الحسن بن عرفة قال: أخبرني مروان بن شجاع الجزري، وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبه قال: حدّثنا محمد بن علي بن سالم قال: حدّثنا أحمد بن منيع قال: حدّثنا مروان عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقه، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه فلما دفن ثلّيت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ وقال آخرون: إنّما يقال ذلك لها عند البعث: ارجعي إلى ربك، أي صاحبك وجسدك فيأمر الله سبحانه الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وإلى هذا القول ذهب عكرمة وعطاء والضحاك وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا محمد بن نعيم قال: أخبرنا الحسين بن أيوب قال: أخبرنا علي بن عبد العزيز قال: حدّثنا القاسم بن سلام قال: حدّثنا حجاج عن هارون عن أبان بن أبي عيَّاش عن سليمان بن قته عن ابن عباس أنّه قراها فأدخلني في عبدي على التوحيد.

وقال الحسن: معناه ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته. ابن كيسان: ارجعي إلى ربك أي أمثالك من عباد ربك الصالحين.

وقال بعض أهل الإشارة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها والرجوع إلى الله هو سلوك سبيل الآخرة. ﴿راضية﴾ عن الله بما أعدّ لها ﴿مرضية﴾ رضي عنها ربّها. ﴿فادخلي في عبادي﴾ قال بعضهم: يعني مع عبادي جنّتي في معنى الآية تقديم وتأخير، وإليه ذهب مقاتل والقرظي وأبو عبيدة. ﴿وادخلي﴾ برحمتك في عبادك الصالحين يعني مع أنبيائنا في الجنّة، وقال الأخفش: أي في حزبي، وقال أمر الأرواح بعودها إلى أجسادها والله

أعلم.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا موسى بن محمد قال: حدّثنا ابن علوية قال: حدّثنا إسماعيل قال: حدّثنا المسيّب قال: حدّثنا إبراهيم عن صالح بن حيان عن ابن بريدة في هذه الآية ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: نفس حمزة بن عبد المطلب نزلت فيه يوم استشهد يوم أحد، بل نزلت نفسه عند ربّ العالمين، مكّرمة مشرفة على من عنده حتّى يردها الله سبحانه إلى حمزة في دعة، وسكون وكرامة.

وقد نزلت في حبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكّة وجعلوا وجهه إلى المدينة، فقال: اللهمّ إن كان لي عندك خير فحوّل وجهي نحو قبلتك. فحوّل الله سبحانه وجهه نحو القبلة من غير أن يحوّله أحد، فلم يستطع أحد أن يحوّله وحكمها عام لجميع المؤمنين المطمئنين.

سورة البلد

مكية، وهي ثلاثمائة وعشرون حرفاً،
واثنتان وثمانون كلمة، وعشرون آية.

أخبرنا نافل بن ارضم بن عبد الجبار قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد الصقار قال: حدثنا عمرو بن محمد قال: حدثنا سباط بن اليسع قال: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي قال: حدثنا أبو عصمة نوح بن أبي مريم عن علي بن زيد عن زر عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة» [١٤٧] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَحَسِبْ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَّا (٦) أَحَسِبْ أَنْ لَمْ يَرََهُ أَحَدٌ (٧) أَلَّا يَجْعَلَ لَهُ عِثْنَ (٨) وَلَسْنَا وَشَقِيذٍ (٩) وَهَدِيئَةٍ الْخَلْقَيْنِ (١٠)

﴿لَا أَقْسِمُ﴾ يعني أقسم ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني مكة ﴿وَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ تصنع ما تريد من القتل والأسر، وذلك أَنَّ الله سبحانه أحلَّ لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل، وأحلَّ ما شاء وحرم ما شاء، وقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابه وغيرهما ثم قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (٢) فأحلَّ دم ابن خطل وأصحابه وحرم دار أبي سفيان، ثم قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَلَا يَعْصِدُ شَجَرُهَا وَلَا نَخْلُهَا خِلَالَهَا وَلَا نَفَرٌ صَيْدُهَا وَلَا يَحِلُّ لِقَطْعِهَا إِلَّا الْمَشْدُ».

فقال العباس: يا رسول الله إلاً الأذخر فإنه لقيوتنا وقتورنا وبيوتنا، فقال رسول الله ﷺ «إلاً الأذخر» [١٤٨] (٣).

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٣٥٧.

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٥٣٨.

(٣) مسند أحمد: ١ / ٢٥٣ بتفاوت.

وقال شرحبيل بن سعد: معنى قوله: ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: يحرمون أن تقتلوا بها صيداً أو يعضدوا بها شجرة، ويستحلّون إخراجك وقتلك. ﴿وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾ قال عكرمة وسعيد ابن جبير: (الوالد) الذي يولد له (وما ولد) العاقر الذي لا يولد له، وروياه عن ابن عباس وعلي، هذا القول تكون ما بقيا، وهو يُعبد^(١) ولا تصحّ إلاّ بإضمام. عطية عنه: الوالد وولده. مجاهد وقتادة والضحاك وأبو صالح: ووالد آدم وما ولد ولده.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا برهان بن علي قال: حدّثنا عبدالله بن الوليد العكبري قال: حدّثنا محمد بن موسى الحرشي قال: حدّثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت أبا عمران الخولي قرأ ﴿وَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ﴾ قال إبراهيم وما ولد. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي نَصَب. عن الوالبي عن ابن عباس الحسن: يكابد مصايب الدنيا وشدائد الآخرة. قتادة: في مشقة فلا يلقاه إلاّ يكابد أمر الدنيا والآخرة. سعيد بن جبير: في شدة، وعن الحسن أيضاً: يكابد الشكر على السراء، والصبر على الضراء فلا يخلو منهما. عطية عن ابن عباس: في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه وفصاله ومعاشه وحياته وموته. عمرو بن دينار عنه: نبات أسنانه. يمان: لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق، وعن سعيد بن جبير أيضاً في ضيق معيشته. ابن كيسان: المكابدة مقاساة الأمر وركوب معظمه، وأصله الشدة وهو من الكبد. قال ليبد:

عين هلا بكيت اريد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد^(٢)

وقال مجاهد وإبراهيم وعكرمة وعبدالله بن شدّاد وعطية والضحاك: يعني منتصباً قائماً معتدل القامة، وهي رواية مقسم عن ابن عباس قال: خلق كلّ شيء يمشي على الأرض على أربعة إلاّ الإنسان، فإنّه خلُق منتصباً قائماً على رجلين. مقاتل: في قوّة نزلت في ابن الاسدين واسمه أسيد بن كilde بن أسيد بن خلف، وكان شديداً قوياً يضع الادم العكاظي تحت قدميه، فيقول: من أزالني عنه فله كذا وكذا، فلا يطاق أن تنزع من تحت قدميه إلاّ قطعاً ويبقى موضع قدمه، ويقال: هو شدة الأمر والنهي والثواب والعقاب، وقال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم في كبد أي وسط السماء وذلك حين رفع إلى الجنّة. أبو بكر الوراق: يعني لا يدرك هواه ولا يبلغ مناه. خفيف في معناه ومقاساة أحوال نطفة ثمّ علقه إلى آخر تمام الخلق. ابن كيسان: منتصباً رأسه فإذا أذن الله سبحانه في إخراجهِ انقلب رأسه إلى رجلي أمّه، وقيل: جريء القلب غليظ الكبد مع ضعف خلقته ومهانة مادّته. جعفر: أي في بلاء ومحنة. ابن عطاء: في ظلمة وجهل.

(١) كذا في المخطوط.

(٢) لسان العرب: ٣ / ٣٧٦.

محمد بن علي الترمذي: مضيقاً لما يعنيه مشتغلاً بما لا يعنيه.

﴿أَيْحَسْبُ﴾ يعني بالأشد من قوته. ﴿أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يعني الله سبحانه وتعالى، وقيل: هو الوليد بن المغيرة. أخبرني أبو الضحى عن ابن عباس. ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ أنفقت ﴿مَالاً لِّبَدَأٍ﴾ بعضه على بعض، وهو من التلبد في عداوة محمد.

وقال مقاتل: نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه أذنب ذنباً فاستفتى رسول الله ﷺ فأمره أن يكفر وقال: لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد.

واختلف القراء في قوله ﴿لِبَدَأٍ﴾ فقرأ أبو جعفر بتشديد الباء على جمع لا بد وراكم، وقرأ مجاهد بضم اللام والباء مخففاً كقولك: أمر بكر ورجل جنب، وقرأ الباقر بضم اللام وفتح الباء مخففين، ولها وجهان: أحدهما جمع لبدة، والثاني على الواحد، مثل قُثم وحُطم وليس بمعدول.

﴿أَيْحَسْبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يعني الله سبحانه وقيل: محمد (عليه السلام) فيعلم مقدار نفقته، وكان كاذباً لم ينفق جميع ما قال، وقال سعيد بن جبيرة وقتادة: أَيْظُنُّ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ فيسأله عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه؟

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي قال: حدّثني الهيثم بن خلف الدوري قال: حدّثني محمد بن يزيد بن سليمان مولى بني هاشم قال: حدّثنا حسين بن الحسين يعني الأشقر قال: حدّثنا هشام بن شبر عن أبي هاشم عن مخالد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتّى يُسئل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه وعن حبّنا أهل البيت» [١٤٩] (١). قال ابن خزيمة: ما سمعت هذا الحديث إلّا من الهيثم.

وأخبرنا الحسين قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن هارون بن محمد قال: حدّثنا موسى بن هارون بن عبد الله قال: حدّثنا أبو الربيع الزهراني قال: حدّثنا نعيم بن ميسرة، قال: أخبرني عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: أخبرني رجل من بني عامر عن أبيه قال: صلّيت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فسمعت يقول: ﴿أَيْحَسْبُ أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ﴿أَيْحَسْبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يعني بكسر السين.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ قال قتادة: نعم والله متظاهرة لقهرك بها كتما لشكر.

وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن عامر السمرقندي قال: حدثنا عمر بن يحيى قال: حدثنا جيعويه قال: حدثنا صالح بن محمد قال: حدثنا عبد الحميد المدني عن أبي حازم قال: قال رسول الله ﷺ: «ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرّمت عليك فقد أعتك عليه بطبقين فأطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرّمت عليك فقد أعتك عليه بطبقين فأطبق، وإن نازعك فرجك إلى ما حرّمت عليك فقد أعتك عليه بطبقين فأطبق» [١٥٠]^(١).

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال أكثر المفسرين: يعني بيّنا له طريق الخير والشرّ والحقّ والباطل والهدى والضلالة كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢).

ودليل هذا التأويل ما أخبرني عبدالله بن حامد - إجازة - قال: أخبرني أحمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن قرّة بن خالد عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «إنما هما نجدان نجد الخير ونجد الشرّ، فما يجعل نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير» [١٥١]^(٣).

وأخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون قال: أخبرنا مكّي قال: حدثنا عبد الرحمن بن بشر قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا أبي عن عمرو بن أبي بكر القرشي عن محمد بن كعب عن ابن عباس في قوله سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: الثديين، وإليه ذهب سعيد بن المسيب والضحاك، والنجد الطريق في ارتفاع. قال الشاعر:

غداة غدوا فسالك بطن نخلة وآخر منهم جازع نجد كبكب^(٤)

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي بَوْمٍ ذِي مَسْعَرَةٍ ﴿١٤﴾
يَبْسُ دَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ يَسْكِنَا دَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ﴿١٧﴾
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتْلَتَلَنَّا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يعني فلم يجاوز بهذا الإنسان العقبة فيأمر. قال الفراء أفرد قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ بذكر لا مرة واحدة، والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي، وفي مثل هذا الموضع حتّى يعيدوها عليه في كلام آخر، كما قال: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾^(٥) ﴿وَلَا خَوْفٌ

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٦٥، وفي كنز العمال بتفاوت: ١٥ / ٨٥٦ ح ٤٣٤٠٧.

(٢) سورة الإنسان: ٣.

(٣) مجمع الزوائد: ١٠ / ٢٥٦.

(٤) الصحاح: ٢ / ٥٤٢.

(٥) سورة القيامة: ٣١.

عليهم ولا هم يحزنون»^(١)، وأنما فعل ذلك كذلك في هذا الموضع استغناء بدلالة آخر الكلام على معناه من إعادتها مرة واحدة، وذلك أنه فسر اقتحام العقبة بأشياء فقال: ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾ الآية، فكانه قال في أول الكلام فلا فعل ذا ولا ذا ولا ذا.

وقال بعضهم: معنى الكلام الاستفهام، تقديره أفلا اقتحم العقبة، وإليه ذهب ابن زيد وجماعة من المفسرين، يقول: فهلاً أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام السغبان ليتجاوز بها العقبة ويكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد، ويقال: إنه شبه عظم الذنب وثقلها على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحاً كان مثله مثل من اقتحم تلك العقبة، وهي الذنوب حتى تذهب وتذوب، كمن يقتحم عقبة فيستوي عليها ونحوها.

وذكر عن ابن عمران: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال كعب: هي سبعون دركة في جهنم، وقال الحسن وقتادة: هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقترحوها بطاعة الله سبحانه، وقال مجاهد والضحاك والكلبي: هي الصراط يضرب على جهنم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلاً وصعوداً وهبوطاً، وأنّ لجنتيه كلاب وخطاطيف كأنها شوك السعدان، فناج مسلم وناج مخدوس ومكرّس في النار منكوس، فمن الناس من يمرّ عليه كالبرق الخاطف، ومنهم من يمرّ عليه كالريح العاصف، ومنهم من يمرّ عليه كالفرس، ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يسير، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم الزالون والزالات، ومنهم من يكرّس في النار، واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشاء.

وقال قتادة: هذا مثلٌ ضربه الله سبحانه يقول: إنّ المعتق والمطعم تقاحم نفسه وشيطانه مثل من يتلّكف صعود العقبة، وقال ابن زيد يقول: فهلاً سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثمّ بين ما هي فقال:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ﴾ قال سفيان بن عيينة: كلّ شيء قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فإنّه أخبره به، وما قال: (وما يدريك) فإنّه لم يخبر به.

﴿فَكَ رَقَبَةً﴾ فمن أعتق رقبة كان فداؤه من النار، قرأ أبو رجاء والحسن وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بنصب الكاف والميم على الفعل كقوله: ثمّ كان، وقرأ غيرهم بالإضافة على الاسم واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم لأنّه تفسير لقوله (وما أدراك)، ثمّ أخبر ما هي فقال: ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾. ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ مجاعة.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا عبيدالله بن أبي سمرة قال: حدّثنا محمد بن عبدالله المستعيني قال: حدّثنا علي بن الحسين البصري قال: حدّثنا حجاج قال: حدّثنا جرير بن حازم

قال: سمعت الحسن وأبا رجاء يقرآن: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قد لصق بالتراب من الفقر فليس له مأوى إلا التراب.

وسمعت أبا القاسم الحلبي يقول: سمعت أبا حامد الخازرجي يقول: المتربة هاهنا من التربة وهي شدة الحال، وأنشد الهذلي:

وكنّا إذا ما الضيف حلّ بأرضنا سفكنا دماء البدن في تربة المال^(١)

أخبرني الحسن قال: حدّثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي قال: حدّثنا موسى بن إسحاق الأنصاري قال: حدّثنا عبد الحميد بن صالح قال: حدّثنا عيسى بن عبد الرحمن عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علّمني عملاً يدخلني الجنّة فقال: «لئن اقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة اعتق النسمة وفكّ الرقبة»، قال: أوليس واحداً؟

قال: «لا، عتق النسمة أن تفرد بعقتها، وفكّ الرقبة أن تعين في ثمنها، والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذاك فاطعم الجائع واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذاك فكفّ لسانك إلا من خير» [١٥٢] ^(٢).

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل: ثم بمعنى الواو ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ برحمة الناس. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ قرأ أبو عمرو وعيسى وحزمة ويعقوب بالهمزة ههنا، وفي سورة الهمزة وغيرهم بلا همزة، وهما لغتان. المطبقة، قال الفراء وأبو عبيدة يقال: أصدت وأوصدت إذا أطبقت وقيل: معنى الهمزة المطبقة وغير الهمزة المغلقة، ومنه قيل للباب: وصيد.

(١) لسان العرب: ١١ / ١٩١.

(٢) كنز العمال: ٦ / ٤٣٧ ح ١٦٤٢٩.

سورة الشمس

مكية، وهي مائتان وسبعة وأربعون حرفاً
وأربع وخمسون كلمة وخمس عشرة آية

أخبرني أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي قال: أخبرنا أبو محمد بن أبي حامد قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الأصبهاني قال: حدّثنا المؤمل بن إسماعيل قال: حدّثنا سفيان الثوري قال: حدّثنا أسلم المنقري عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ايزي عن أبيه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدّق بكلّ شيء طلعت عليه الشمس والقمر» [١٥٣] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا بَقِيتُهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَبَّاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ قال مجاهد: ضوؤها. قتادة: هو النهار كله. مقاتل: حرّها كقوله سبحانه في طه: ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ (٢) يعني ولا يؤذيك الحرّ.

﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا﴾ تبعها فأخذ من ضوئها وسار خلفها، وذلك في النصف الأوّل من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر طالعاً.

﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا﴾ جلى الشمس وكشفها بإضائتها، وقال الفراء وجماعة من العلماء: يعني والنهار إذا جلى الظلمة، فجازت الكناية عن الظلمة ولم [تذكر في أوله]؛ لأنّ معناها معروف وهو ألا ترى أنّك تقول: أصبحت باردة وأمست عرية وهبت شمالاً فكنتي عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر؛ لأنّ معناه من معروف.

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٣٦٧.

(٢) سورة طه: ١١٩.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي يخشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق^(١).

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي ومن خلقها، وهو الله سبحانه وتعالى، كقوله: ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ وَلَا تَنْكحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾^(٢)، وقيل: هو ما المصدر أي وبنائها كقوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾^(٣). ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ خلق ما فيها، عن عطية عن ابن عباس والوالي عنه: قسمها. غيره بسطها. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ عدل خلقها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال ابن عباس برواية الوالي: بيّن لها الخير والشر.

وقال العوفي عنه: علّمها الطاعة والمعصية. الكلبي: أعلمها ما يأتي وما ينبغي، وقال ابن زيد وابن الفضل: جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا موسى قال: حدّثنا عبدالله بن محمد بن سنان قال: حدّثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدّثنا عذرة بن ثابت الأنصاري قال: حدّثنا يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي قال ب قال لي عمران بن حصين: أ رأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه؟ شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون ممّا آتاهم به نبيهم - صلى الله عليه - وأكّدت عليهم الحجّة؟ قلت: كلّ شيء قد قضى عليهم. قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففزعته منه فزعاً شديداً وقلت: إنّّه ليس شيء إلاّ وهو خلقه وملك يده ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾^(٤). فقال لي: سدّدك الله، أ رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه؟ شيء قضى عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون ممّا آتاهم به نبيهم ﷺ وأكّدت به عليهم الحجّة؟

فقال: في شيء قد قضى عليهم. قال: فقلت فيتمّ العمل إذا قال من كان الله سبحانه خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه الله لها وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ سجد وفاز، وما هنا موضع القسم. ﴿مَنْ رَكَاهَا﴾ أي أفلحت نفس زكّاه الله أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفّقها للتقوى، وقد: ﴿خَابَ﴾ خسرت نفس ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ دسّسها الله فأهملها وخذلها ووضع منها وأخفى محلّها حين عمل بالفجور وركب المعاصي، والعرب تفعل هذا كثيراً فيبدّل في الحرف المشدّد بعض حروفه ياء أو واو كالتنضي والتظني وبابهما.

(١) راجع لسان العرب: ١٤ / ١٥٣ لفظة أجلي.

(٢) سورة النساء: ٣.

(٣) سورة يس: ٢٧.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٣.

أخبرنا أبو بكر بن عيلوس قال: أخبرنا أبو الحسن المحفوظي قال: حدّثنا عبدالله بن هاشم قال: حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير ومجاهد: **﴿قد أفلح من زكّاه﴾** قال: أحدها أصلحها، وقال الآخر: طهرها.

﴿وقد خاب من دساها﴾ قال أحدهما: أغواها، وقال الآخر: أضلّها، وقال قتادة: دساها آثمها وأفجرها، وقال ابن عباس: أبطلها وأهلكها، وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أبو محمد المزني قال: حدّثنا الحضرمي قال: حدّثنا عثمان قال: حدّثنا أبو الأحوص عن محمد بن السائب عن أبي صالح: **﴿قد أفلح من زكّاه * وقد خاب من دساها﴾** قد أفلحت نفس زكّاه الله، وخابت نفس أفسدها الله عزّ وجلّ.

وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكّي نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عزّ وجلّ، وقد خاب من دساها قال: من أهلكها وأضلّها وحملها على معصية الله عزّ وجلّ، فجعل الفعل للنفس.

أخبرني الحسين قال: حدّثنا اليقطيني قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله بن يزيد العقيلي قال: حدّثنا صفوان بن صالح قال: حدّثنا الوليد بن مسلم قال: حدّثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية: **﴿قد أفلح من زكّاه﴾** وقف ثم قال: «اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكّها أنت خير من زكّاه» [١٥٤] (١).

كَذَبَتْ نَمُودُ بِطَغْوَانَهَا (١١) إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣)
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَّوْهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

﴿كَذَبَتْ نَمُودُ بِطَغْوَانَهَا﴾ بطغيانها وعداوتها.

وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: اسم العذاب الذي جاءهم الطغوى، فقال: كذبت ثموت بعذابها (٢).

وقرأه العامة بفتح الطاء، وقرأ الحسن وحمّاد بن سلمة بطغواها بضمّ الطاء، وهي لغة كالفقوى والفقوى والفتيا **﴿إِذْ أُنْبِئَتْ﴾** قام **﴿أَشْقَاهَا﴾** وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً ملترق الخلق واسم أمّه قديرة.

أخبرنا محمد بن حمدون قال: أخبرنا مكّي قال: حدّثنا عبد الرحمن قال: حدّثنا سفيان قال: حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن زمعة قال: ذكر رسول الله ﷺ عاقر الناقة

(١) مسند أحمد: ٦ / ٢٠٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠ / ٢٦٨.

وقال: «انتدب لها رجل ذو عَزٍّ ومنعة في قومه كأبي زمعة» وذكر الحديث [١٥٥]^(١).

فقال رسول الله ﷺ «ناقة الله» إغراء وتحذير، أي احذروا عقر ناقة الله، كقولك: الأسد الأسد.

«وسقيها» شربها وسقيها من الماء، فلا تزاحمها فيه، كما قال الله سبحانه: «لها شربٌ ولكم شربٌ يوم معلوم».

«نكذبوه» يعني صالحاً (عليه السلام)، «فَعَقروها» يعني الناقة «فدمدم» دمر «عليهم» وأهلكهم «رُبُّهم بذنبهم» بتكذيبهم رسوله وعقرهم ناقته.

«فسواها» فسوى الدممة عليهم جميعاً، عَمَّهم بها، فلم يفلت منهم أحد. وقال المروج: الدممة: إهلاك باستئصال، وقال بعض أهل اللغة: الدممة: الإدامة. تقول العرب: ناقة مدمومة أي سمينه مملوءة، وقرأ عبدالله بن الزبير (فدهم عليهم) بالهاء، وهما لغتان، كقولك امتقع لونه واهتقع إذا تغير.

«ولا يخاف» قرأ أهل الحجاز والشام فلا بالفاء وكذلك هو في مصاحفهم، الباكون بالواو، وهكذا في مصاحفهم «عقباها» عاقبتها.

واختلف العلماء في معنى ذلك، فقال الحسن: يعني ولا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم، وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقال الضحاك والسدي والكلبي: هو راجع إلى العاقر، وفي الكلام تقديم وتأخير معناه: إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها.

سورة والليل

مكية، وهي ثلاثمائة وعشرة أحرف،
وإحدى وسبعون كلمة، وإحدى وعشرون آية

أخبرني [محمد بن القاسم] بن أحمد قال: حدّثنا عبدالله بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو عمرو وأبو عثمان البصري قال: حدّثنا محمد بن عبد الوهاب العبدي قال: حدّثنا أحمد بن عبدالله بن يونس قال: حدّثنا سلام بن سليم قال: حدّثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامه، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى، وعافاه الله سبحانه من العسر ويسر له اليسر»^(١) [١٥٦].

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلُ إِذَا يَنسَى ① وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ ⑤ وَانْفَقَ ⑥ وَصَدَّقَ الْإِنْسَانُ ⑦ فَسَتِيرُهُ لِلْغُيُورِ ⑧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ⑨ وَاسْتَقْنَى ⑩ وَكَذَّبَ الْإِنْسَانُ ⑪ فَسَتِيرُهُ لِلْغُيُورِ ⑫ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑬ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑭ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑮

﴿والليل إذا يغشى﴾ النهار فيذهب بضوءه ﴿والنهار إذا تجلّى﴾ * وما خلق الذكر والأنثى يعني ومن خلق.

أخبرنا محمد بن نعيم قال: أخبرنا الحسين بن أيوب قال: حدّثنا علي بن عبدالعزيز قال: أخبرنا أبو عبيد قال: حدّثنا حجاج، عن هارون، عن إسماعيل، عن الحسن: أنه كان يقرأ: وما خلق الذكر والأنثى، فيقول: والذي خلق، قال هارون قال أبو عمر وأهل مكة: يقول للرعء: سبحان ما سبّحت له. وقيل: وخلق الذكر والأنثى، وذكر أنّها في قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: والذكر والأنثى.

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا مكي قال: أخبرنا عبدالله بن هاشم قال: حدّثنا أبو معونة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قدمنا الشام، فأتانا أبو الدرداء، فقال: أنتم أحد يقرأ عليّ قراءة عبدالله؟ قال: فأشاروا إليّ، فقلت: نعم أنا، فقال: فكيف سمعت

عبدالله يقرأ هذه الآية، ﴿والليل إذا يغشى﴾؟ قال: قلت: سمعته يقرأها (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى).

قال لنا: والله هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها وهؤلاء يريدونني أن أقرأ ﴿وما خلق﴾ فلا أتابعهم^(١).

﴿إن سعيكم لشتى﴾ إن عملكم لمختلف [وقال عكرمة وسائر المفسرين: السعي: العمل]، فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها، يدل عليه قول النبي ﷺ: «والناس عاذيان فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها» [١٥٧]^(٢).

﴿فأما من أعطى﴾ ماله في سبيل الله ﴿واتقى﴾ ربّه واجتنب محارمه ﴿وصدّق بالحسنى﴾ أي بالخلف أيقن بأن الله سبحانه سيخلف هذه، وهذه رواية عكرمة وشهر بن حوشب، عن ابن عباس، يدلّ عليه ما أخبرني عقيل أن أبا الفرج أخبرهم، عن محمد بن جرير قال: حدّثني الحسن بن أبي سلمة بن أبي كبشة قال: حدّثنا عبد الملك بن عمرو قال: حدّثنا عباد بن راشد، عن قتادة قال: حدّثنا خليل العصري، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم غربت شمسهُ إلّا وبعث بجنتها ملكان يناديان، يسمعهما خلق الله تعالى كلهم إلّا الثقلين، اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً، فأنزل في ذلك القرآن، فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى - إلى قوله - للعسرى» [١٥٨]^(٣).

وقال أبو عبدالرحمن السلمي والضحاك: وصدّق بالحسنى، ب (لا إله إلّا الله). وهي رواية عطية، عن ابن عباس. وقال مجاهد: بالجنة، ودليله قوله سبحانه ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾^(٤)، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعد الله الذي وعده أن يشيه.

﴿فسنيسره﴾ فسنيهته في الدنيا، تقول العرب: يسّرت غنم فلان إذا ولدت أو تهيّأت للولادة، قال الشاعر:

هما سيدانا يزعمان وإنما يسوداننا إن يسّرت غنماهما^(٥)
﴿لليسرى﴾ للخلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله سبحانه، وقيل: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(١) وهو في صحيح مسلم: ٢ / ٢٠٦ ط. دار الفكر، وقال ابن العربي في أحكام القرآن: هذا مما لا يلتفت إليه بشر إنما المعول عليه ما في المصحف فلا تجور مخالفته - عن هامش تفسير القرطبي: ٢٠ / ٨١.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٣٢١، والمستدرک: ٤ / ٤٢٢.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٨٣.

(٤) سورة يونس: ٢٦.

(٥) جامع البيان للطبري: ٢٩ / ٧٠.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بالنفقة في الخير ﴿وَاسْتَفْنَى﴾ عن ربّه فلم يرغب في ثوابه ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ فَنَسِىَ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي للعمل بما لا يرضى الله حتى يستوجب به النار، فكأنه قال: نخذله ونؤذيه إلى الأمر العسير، وهو العذاب. وقيل: سندخله جهنم، والعسرى اسم لها.

فإن قيل: فأني تيسير في العسرى؟ قيل: إذا جمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير والآخر ذكر الشر جاز ذلك، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حمدان قال: حدثنا ابن ماهان محمد بن صبيح قال: حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ كان في جنازة فأخذ عوداً فجعل ينكت في الأرض، فقال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل؟ فقال «اعملوا فكل ميسر»، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ الآيات^(١).

﴿وَمَا يَغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ قال مجاهد: مات، وقال قتادة وأبو صالح: هو لحد في جهنم، قال الكلبي: نزلت في أبي سفيان بن حرب.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي بيان الحق من الباطل، وقال الفراء: يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله، كقوله سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد. وقيل: معناه: إن علينا للهدى والإضلال، كقوله: بيدك الخير وسرايل تقيمكم الحر. ﴿وَإِن لَّنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ فمن طلبها من غير مالكما فقد أخطأ الطريق.

فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظِي ۖ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۖ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۖ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۖ إِلَّا أَتِنَاءً مِنْ رَبِّهِ الْأَخْلَى ۖ وَلَسَوْفَ يَرَى ۖ

﴿فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظِي﴾ تتوقد وتتوهج، وقرأ عبيد بن عمير (تلتظي) على الأصل، وغيره على الحذف ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ قرأ أبو هريرة: ليدخلن الجنة إلا من يأبى، قالوا: يا أبا هريرة، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ فقرأ قوله سبحانه: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا برهان بن علي الصوفي قال: حدثنا أبو خليفة قال: حدثنا القعني قال: حدثنا مالك قال: صلى بنا عمر بن عبدالعزيز المغرب، فقرأ فيها ﴿والليل إذا

غشى»، فلما أتى على هذه الآية «فأنذرتكم ناراً تلظى» وقع عليه البكاء فلم يقدر أن [يتعداها] من البكاء، وقرأ سورة أخرى^(١).

«وسيجنبها الأتقى الذي يوتي ماله يتزكى» قال أهل المعاني: أراد الشقي والتقي، كقول طرفة:

تمنى رجال أن أموت، فإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد^(٢)
أي بواحد.

أخبرني الحسين قال: حدّثنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن علي قال: حدّثنا عبدالرحمن ابن محمد بن عبدالله المقري قال: حدّثنا جدّي قال: حدّثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن سالم.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن يوسف قال: حدّثنا ابن عمران قال: حدّثنا أبو عبيدالله المخزومي قال: حدّثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه اعتق من كان يعذب في الله: بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وبنتها وزينة وأم عميس وأمة بني المؤمل. فأما زينة فكانت رومية وكانت لبني عبدالدار، فلما أسلمت عميت، فقالوا: أعمتها اللات والعزى.

فقلت: هي تكفر باللات والعزى، فردّ الله إليها بصرها، ومرّ أبو بكر بها وهي تطحن وسيّدها تقول: والله لا أعتقك حتى يعتقك صُباتك، فقال أبو بكر فحلى إذاً يا أم فلان فبكم هي إذا؟ قالت: بكذا وكذا أوقية، قال: قد أخذتها، قومي، قالت: حتى أفرغ من طحني.

وأما بلال فاشتره، وهو مدفون بالحجارة، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية واحدة لبعناك، فقال أبو بكر: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته، وفيه نزلت يعني أبا بكر، «وسيجنبها الأتقى الذي يوتي ماله يتزكى» إلى آخرها، وأسلم وله أربعون ألفاً فأنفقها كلّها، يعني أبا بكر.

وأنبأني عبدالله بن حامد قال: أخبرني أبو سعيد الحسن بن أحمد بن جعفر اليزدي قال: أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي عبدالرحمن المقري قال: حدّثنا سفيان، عن عتبة قال: حدّثني من سمع ابن الزبير على المنبر وهو يقول: كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال له أبوه: يا بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك، قال: [إنما أريد ما أريد]^(٣) فنزلت فيه «وسيجنبها الأتقى الذي يوتي ماله يتزكى» إلى آخر السورة^(٤)، وكان اسمه عبدالله بن عثمان.

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٨٧ مورد الآية.

(٢) تاج العروس: ٢ / ٥٢٧، ونسبه إلى الإمام الشافعي. وكذا فعل ابن كثير في تفسيره: ٣ / ١٨٧.

(٣) عن تفسير القرطبي: ٢٠ / ٨٣ وفي المخطوط تشويش.

(٤) الأحاد والمثاني: ١ / ٢٠٣، وأسباب النزول للواحدي: ٣٠١ وفيه: ما منع ظهري أريد.

عن عطاء، عن ابن عباس، في هذه الآية أن بلالا لما أسلم ذهب إلى الأصنام فسلح عليها، وكان المشركون وكلوا امرأة تحفظ الأصنام، فأخبرتهم المرأة، وكان بلال عبداً لعبد الله ابن جدعان، فشكوا إليه، فوهبه لهم ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم، فأخذوه وجعلوا يعذبونه في الرمضاء، وهو يقول: أحداً أحد، فمر به النبي ﷺ فقال: ينجيك أحد أحد، ثم أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر أن بلالا يعذب في الله، فحمل أبو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به^(١).

وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لإبي بكر حين قال له أبو بكر: أتبيعه؟ قال: نعم أبيعه بنسطاس، وكان نسطاس عبداً لأبي بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجواري ومواشي، وكان مشركاً [وحمله] أبو بكر على الإسلام على أن يكون [له] ماله، فأبى فأبغضه أبو بكر، فلما قال له أمية: أتبيعه بسلامك نسطاس؟ اغتنمه أبو بكر وباعه به، فقال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك لبلال إلا ليد كانت لبلال عنده، فأنزل الله سبحانه ﴿وما لأحد عنده﴾ من أولئك الذين أعتقهم ﴿من نعمة تجزى﴾ يد نكافئه عليها ﴿إلا﴾ لكن ﴿ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾ بثواب الله في العقبى عوضاً مما فعل في الدنيا.

وأخبرنا أبو القاسم يعقوب بن أحمد بن السري العروضي في درب الحاجب قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله العماني الحفيد قال: حدثنا أحمد بن نصر بن خفيف القلانسي الرقاء قال: حدثنا محمد بن جعفر بن سوار بن سنان في سنة خمس وثمانين ومائتين قال: حدثنا علي ابن حجر، عن إسحاق بن نجح، عن عطاء قال: كان لرجل من الأنصار نخلة، وكان له جار، فكان يسقط من بلحها في دار جاره، فكان صبيانه يتناولون، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال له النبي (عليه السلام) «بعنيها بنخلة في الجنة» [١٥٩]، فأبى قال: فخرج، فلقيه أبو الدحداح، فقال: هل لك أن تبيعها بجبس^(٢)؟ يعني حائطاً له، فقال: هي لك، قال: فأتى النبي (عليه السلام)، فقال: يا رسول الله اشتراها مني بنخلة في الجنة، قال: نعم، قال: هي لك، فدعا النبي (عليه السلام) جار الأنصاري، فأخذها، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿والليل إذا يغشى﴾ إلى قوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ أبو الدحداح والأنصاري صاحب النخلة.

﴿فأما من أعطى واتقى﴾ أبو الدحداح ﴿وصدق بالحسنى﴾ يعني الثواب ﴿فسيئره لليسرى﴾ يعني الجنة.

﴿وأما من بخل واستغنى﴾ يعني الأنصاري ﴿وكذب بالحسنى﴾ يعني الثواب ﴿فسيئره للعسرى﴾ يعني النار، ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ يعني به إذا مات كما في قوله: ﴿فأنذرتكم

(١) أسباب النزول للواحد: ٣٠١.

(٢) في تفسير القرطبي: بحسن.

ناراً تلظى لا يصلها إلاّ الأشقى ﴿صاحب النخلة﴾ وسُجِّنْهَا الأنقى ﴿يعني أبا الدحداح﴾ الذي
يؤتي ماله يتزكى ﴿يعني أبا الدحداح﴾ وما لاحد عنده من نعمة تجزى ﴿يكافئه بها، يعني أبا
الدحداح﴾ إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴿إذا أدخله الجنة. فكان النبي ﷺ يمر
بذلك بجبس وعذوقه دانية، فيقول: «عذوق وعذوق لأبي الدحداح في الجنة»^(١).

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠ / ٩٠، مع تفاوت.

سورة والضحى

مكية، وهي مائة واثنان وسبعون حرفاً،
وأربعون كلمة، وإحدى عشرة آية

أخبرني محمد بن القاسم الفقيه قال: حدّثنا محمد بن يزيد المعدّل قال: حدّثنا أبو يحيى البزاز قال: حدّثنا محمد بن منصور قال: حدّثنا محمد بن عمران بن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: حدّثنا أبي، عن مخالد بن عبدالواحد، عن الحجاج بن عبدالله، عن أبي الخليل، عن علي ابن زيد، وعطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والضحى، كان فيمن يرضاه الله عزّ وجلّ لمحمد أن يشفع له، وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم» [١٦٠].

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ وَمَا فَلَى (٣) وَلَآخِرُهُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأَوَّلَى (٤)
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيماً فَتَرَى (٦) وَوَعَدَكَ صَاحِباً فَهَدَى (٧) وَوَعَدَكَ
عَائِلاً فَآوَى (٨)

﴿والضحى﴾ قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح، فقال: سأخبركم غداً ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي^(١).

وقال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس جبرائيل (عليه السلام) كون جرو في بيته، فلما نزل عليه جبرائيل عاتبه رسول الله ﷺ على إبطائه، فقال: يا محمد أما علمت أننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة^(٢)؟

واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه، فقال ابن حريج: اثني عشر يوماً، وقال ابن عباس: خمسة عشر يوماً، وقيل: خمسة وعشرين يوماً، وقال مقاتل: أربعين يوماً. قالوا: فقال

(١) تفسير القرطبي: ١٠ / ٣٨٥ و ٢٠ / ٩٣.

(٢) أسباب النزول: ١٢٧. وتفسير القرطبي: ٢٠ / ٩٣. والدر المنثور: ٢ / ٢٥٩.

المشركون: إِنَّ مُحَمَّدًا وَدَّعَهُ رَبَّهُ وَقَلَّاهُ، ولو كان أمره من الله لتتابع عليه كما كان يفعل بمن قبله من الأنبياء.

وقال المسلمون: يا رسول الله أما ينزل عليك الوحي؟ فقال: «وكيف ينزل عليّ الوحي وأنتم لا تنقون براجمكم ولا تقلّمون أظفاركم»^(١)، فأُنزل الله سبحانه جبرائيل (عليه السلام) بهذه السورة فقال النبي ﷺ: «يا جبرائيل ما جئت حتى اشتقت إليك» [١٦١]، فقال جبرائيل (عليه السلام): وأنا كنت إليك أشدّ شوقاً ولكنني عبد مأمور وما ننزل إلاّ بأمر ربك.

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن يعقوب قال: حدّثنا الحسن بن علي بن عفان قال: حدّثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن الأسود بن قيس، أنه سمع جندب بن سفيان يقول: رمي النبي ﷺ بحجر في إصبه، فقال:

«هل أنت إلاّ إصبع دميّت وفي سبيل الله مالمقيّت» [١٦٢]

فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم [الليل]، فقالت له امرأة: يا محمد ما أرى شيطانك إلاّ قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاث ليال. وقيل: إنّ المرأة التي قالت ذلك أم جميل امرأة أبي لهب، فأُنزل الله سبحانه ﴿والضحى﴾. يعني النهار كلّّه، دليله قوله ﴿والليل إذا سجي﴾ فقابله بالليل، نظيره قوله ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ أي نهاراً، وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار من الحر والبرد في الشتاء والصيف، وقيل: هي الساعة التي كلّّم الله فيها موسى، وقيل: هي الساعة التي ألقي السحرة فيها سجداً، بيانه قوله سبحانه: ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ وقال أهل المعاني فيه وفي أمثاله: بإضمار الربّ مجازة: وربّ الضحى.

﴿والليل إذا سجي﴾ قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، الوالبي عنه: إذا ذهب الضحّاك: غطّى كلّ شيء، مجاهد وقتادة وابن زيد: سكن بالخلق واستقر ظلامه، يقال: ليل ساج، وبحر ساج إذا كان ساكناً، قال الراجز:

يا حبذا القمرء والليل الساج وطرق مثل ملاء النسّاج^(٢)
وقال أعشى بني ثعلبة:

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمّكم وبحرك ساج ما يوارى الدّعاصا^(٣)

(١) المعجم الكبير للطبراني: ١١ / ٣٤١ وفيه: ولا تنقون رواجكم. وتفسير ابن كثير: ٣ / ١٣٧.

(٢) زاد المسير: ٨ / ٢٦٨. كتاب العين: ٦ / ١٦١. لسان العرب: ٥ / ١١٣.

(٣) لسان العرب: ٧ / ٣٦. تاج العروس: ١٠ / ١٧٠.

﴿ما ودّعك ربّك وما قلى﴾ أي ما تركك منذ اختارك، ولا أبغضك منذ أحبك، وهذا جواب القسم.

﴿وللاخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربّك﴾ من الثواب، وقيل: من النصر والتمكّن وكثرة المؤمنين ﴿فترضى﴾.

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عامر السمرقندي قال: حدّثنا عمر بن بحر قال: حدّثنا عبد بن حميد، عن قتيبة، عن سفيان، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبدالله، عن علي بن عبدالله بن عباس [عن أبيه] قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت ما هو مفتوح على أمتي من بعدي كفراً كفراً» [١٦٣] فسرّني ذلك، فنزلت ﴿ولسوف يعطيك ربّك فترضى﴾ قال: أُعطي في الجنة ألف قصر من لؤلؤ تراها المسك، في كل قصر ما ينبغي له^(١).

وأخبرني عقيل أن أبا الفرج، أخبرهم عن ابن جرير قال: حدّثني عبّاد بن يعقوب قال: حدّثنا الحكم بن ظهير، عن السدي، عن ابن عباس: في قوله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قال: رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، وقيل: هي الشفاعة في جميع المؤمنين.

أخبرني أبو عبدالله القنجوي قال: حدّثنا أبو علي المقري قال: حدّثنا محمد بن عمران بن أسد الموصلي قال: حدّثنا محمد بن أحمد المدادي قال: حدّثنا عمرو بن عاصم قال: حدّثنا حرب بن سريح البزاز قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي قال: حدّثني عمي محمد بن علي بن الحنفية، عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ «أشفع لأمتي حتى ينادي ربي عز وجل: رضيت يا محمد، فأقول: ربّ رضيت» ثم قال لي: إنكم معشر أهل العراق تقولون: إن أرجى آية في القرآن ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ قلت: أنا لنقول ذلك، قال: ولكنّا أهل البيت نقول: إنّ أرجى آية في كتاب الله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وهي الشفاعة [١٦٤]^(٢).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا أبو عامر بن سعدان قال: حدّثنا أحمد بن صالح المصري، قال: حدّثنا عبدالله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سودة حدّثه عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله سبحانه في إبراهيم: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ وقول عيسى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فرفع يديه ثم قال: اللهم أمتي أمتي وبكى.

(١) المعجم الكبير: ١٠ / ٢٧٧. جامع البيان للطبري: ٣٠ / ٢٩٢.

(٢) شواهد التنزيل: ٢ / ٤٤٦.

فقال الله سبحانه: يا جبرائيل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فاسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبرائيل، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ فقال الله سبحانه: يا جبرائيل اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك^(١).

ويروي أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «إذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار» [١٦٥]^(٢).

وقال جعفر بن محمد: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله عنها وعليها كساء من جلد الإبل، وهي تطحن بيدها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ لما أبصرها، فقال: «يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾» [١٦٦]^(٣).

ثم أخبر الله سبحانه، عن حاله (عليه السلام) التي كان عليها قبل الوحي، وذكره نعمه، فقال عز من قائل: ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى﴾.

أنبأني عبدالله بن حامد الأصبهاني قال: أخبرنا محمد بن عبدالله النيسابوري قال: حدثنا محمد بن عيسى، قال: حدثنا أبو عمر الحوصي، وأبو الربيع الزهراني، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: يا رب إنك أتيت سليمان بن داود ملكاً عظيماً، وآتيت فلاناً كذا، وآتيت فلاناً كذا، قال: يا محمد ألم أجذك يتيماً فأوتيتك؟ قلت: بلى أي رب، قال: ألم أجذك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجذك عائلاً فأغنيتك؟ قلت: بلى أي رب» [١٦٧]^(٤).

ومعنى الآية: ﴿ألم يجدك يتيماً﴾ صغيراً فقيراً ضعيفاً حين مات أبواك، ولم يخلفك لك مالا، ولا مأوى، فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلاً تنزله، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك، وكفاك المؤونة.

سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا نصر منصور بن عبدالله الأصفهاني يقول: سمعت أبا القاسم الاسكندراني يقول: سمعت أبا جعفر الملقبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن موسى الرضا يقول: سمعت أبي يقول: سئل جعفر بن محمد الصادق: لم أؤتم النبي ﷺ عن أبويه؟ فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق^(٥).

(١) صحيح مسلم: ١ / ١٣٢. جامع البيان للطبري: ١٣ / ٣٠٠.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٩٦.

(٣) شواهد التنزيل: ٢ / ٤٤٥. فتح القدير: ٥ / ٤٦٠.

(٤) أسباب نزول الآيات: ٣٠٣. مستدرک الحاكم: ٢ / ٥٢٦.

(٥) مسند زيد بن علي: ٥٠٣. كشف الغمّة: ٢ / ٣١٨.

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبدالله العنبري يحكي بإسناد له لا أحفظه، عن عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه أنه قال في قوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى﴾: هو من أقوال العرب: درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل وقد جاء في الشعر:

لا ولا درّة يتيمة بحر تتلالا في جونة البياح

فمجاز الآية: ﴿ألم يجدك﴾ واحداً في شرفك، وفضلك، لا نظير لك، فأواك إليه.

وقرأ أشهب العقيلي ﴿فأوى﴾ بالقصر: أي رحمك. تقول العرب: آويت لفلان أية ومأواة أي رحمته.

﴿ووجدك ضالاً﴾ عما أنت عليه اليوم، فهذاك إلى الذي أنت عليه اليوم.

قال السدي: كان على أمر قومه أربعين عاماً، وقال الكلبي: وجدك في قوم ضلال فهذاك إلى التوحيد، والنبوة، وقيل: فهدهم بك، وقال الحسن والضحاك وشهر بن حوشب وابن كيسان: ووجدك ضالاً عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة غافلاً عنها، فهذاك إليها، نظيره ودليله قوله سبحانه ﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ وقوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾، وقيل: ضالاً في شعاب مكة، فهذاك إلى جدك عبدالمطلب، وردك إليه.

روى أبو الضحى، عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ ضل، وهو صبي صغير في شعاب مكة، فرآه أبو جهل، منصرفاً من أغنامه، فردّه إلى جدّه عبدالمطلب، فمنّ الله سبحانه عليه بذلك، حين ردّه إلى جدّه على يدي عدوّه.

وأخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبدوس قال: حدّثنا عثمان بن سعيد قال: حدّثنا عمرو بن عوف قال: أخبرنا خالد، عن داود بن أبي هند، عن العباس بن عبدالرحمن، عن بشر بن سعيد، عن أبيه قال: حججت في الجاهلية، فإذا أنا برجل يطوف بالبيت، وهو يرتجز، ويقول:

يا ربّ ردّ راكبي محمداً ردّ إليّ واصطنع عندي يدا

فقلت: من هذا؟ قيل: عبدالمطلب بن هاشم، ذهب أبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها، ولم يرسله في حاجة قط إلاّ جاء بها، وقد احتبس عليه، قال: فما برحت أن جاء النبي ﷺ وجاء بالإبل، فقال: يا بُنيّ لقد حزنت عليك حزناً لا يفارقني أبداً^(١).

وفي حديث كعب الأحبار، في مولد رسول الله ﷺ وبدء أمره أن حلّمة لما قضت حق الرضاع، جاءت برسول الله ﷺ لتردّه إلى عبدالمطلب، قالت حلّمة: فأقبلت أسير حتى أتيت

الباب الأعظم من أبواب مكة، فسمعت منادياً ينادي: هنيئاً لك يا بطحاء مكة، اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والجمال، قالت: ثم وضعت رسول الله ﷺ لأقضي حاجة وأصلح ثيابي، فسمعت هدة شديدة، فالتفت فلم أره، ققلت: معاشر الناس أين الصبي؟ فقالوا: أي الصبيان؟

قلت: محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، الذي نصر الله به وجهي، وأغنى عيلتي، ربيته حتى إذا أدركت فيه سروري وأملتي أتيت به لأرده، وأخرج هذا من أمانتي، اختلس من بين يدي قبل أن يمس قدمه الأرض، واللات والعزى لئن لم أره لأرمين بنفسي من شاهق الجبل، فلا قطعن إرباً إرباً.

قالوا: ما رأينا شيئاً، فلمّا آيسوني وضعت يدي على أم رأسي، وقلت: وامحمداه واولداه، فأبكيت الجواري الأبيكار لبكائي، وضجّ الناس معي بالبكاء حرقّة لي، فإذا أنا بشيخ كالفاني يتوكأ على عصا، قال: مالك أيتها السعدية؟

قلت: فقدت ابني محمداً، فقال: لا تبكي أنا أدلك على من يعلم علمه، وإن شاء أن يرده فعل، قلت: فدتك نفسي، ومن هو؟ قال: الصنم الأعظم هبل.

قالت: فدخل وأنا أنظر، فطاف بهبل وقبّل رأسه وناداه: يا سيده، لم تزل منتك على قريش قديمة، وهذه السعدية تزعم أن ابناً لها قد ضلّ، فردّه إن شئت، وأخرج هذه الوحشة عن بطحاء مكة، فأنها تزعم أن ابنها محمداً قد ضلّ، قال: فانكب هبل على وجهه، وتساقطت الأصنام، وقالت: إليك عنّا أيها الشيخ. إنما هلاكنا على يدي محمد.

قالت: فأقبل الشيخ أسمع لأسنانه اصطكاكاً، ولركبته ارتعاداً، وقد ألقى عكازته من يده وهو يقول: يا حليلة إن لابنك رباً لا يضيّعه فاطلبه على مهل، قالت: فخفت أن يبلغ الخبر عبدالمطلب قبلي، فقصدته فلمّا نظر إليّ، قال: أسعد نزل بك أم نحوس؟، قلت: بل النحس الأكبر، ففهمها منّي، وقال: لعلّ ابنك ضلّ منك، قالت: قلت: نعم فظنّ أن بعض قريش قد اغتاله، فسلّ عبدالمطلب سيفه لا يثبت له أحد من شدة غضبه، ونادى بأعلى صوته: يا آل غالب، يا آل غالب، وكانت دعوتهم في الجاهلية فأجابته قريش بأجمعها، وقالوا: ما قصتك؟، قال: فقد ابني محمد، قالت قريش: اركب نركب معك، فإنّ تسنمت جبلاً تسنماه معك، وإن خضت بحراً خضناه معك، فركب وركبت قريش معه فأخذ على أعلى مكة وانحدر على أسفلها، فلمّا أن لم ير شيئاً ترك الناس واتشح وارتنى بأخر، وأقبل الى البيت الحرام، فطاف اسبوعاً ثم أنشأ يقول:

يا ربّ ردّ راكبي محمداً ردّه ربي واتخذ عندي يدا
يا ربّ إنّ محمد لم يوجد مجمع قومي كلّهم مبددا
فسمعنا منادياً ينادي من الهواء: معاشر الناس لا تضجوا، فإن لمحمد رباً لا يخذله ولا

يضيقه، قال عبدالمطلب: يا أيها الهاتف ومن لنا به وأين هو؟، قال بوادي تهامة عند شجرة اليمن.

فأقبل عبدالمطلب راكباً متسلحاً، فلما صار في بعض الطرق تلقاه ورقة بن نوفل فصارا جميعاً يسيران، فبينما هم كذلك إذ النبي ﷺ قائم تحت شجرة يجذب الأغصان ويعبث بالورق، قال له عبدالمطلب: من أنت يا غلام؟

قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، قال عبدالمطلب: فدتك نفسي وأنا جدك، ثم حمله على قربوس سرجه وردّه إلى مكة واطمأنت قريش بعد ذلك^(١).

وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة، فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء على ناقة إذ جاء إبليس، وأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبرائيل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة وردّه إلى القافلة، فمنّ الله عليه بذلك.

وقيل: وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبرائيل لا تعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثني ابن حبّيش قال: قال بعض أهل الكلام في قوله: ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾: إن العرب إذا وجدت شجرة في فلاة من الأرض وحيدة ليس معها ثانية يسمونها: ضالة، فيهدون بها إلى الطريق.

قال: ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ أي وحيداً ليس معك نبي غيرك فهديت بك الخلق إليّ، وقال عبدالعزيز بن يحيى ومحمد بن علي الترمذي: ووجدك خاملا لا تذكر ولا تُعرف من أنت، فهداهم إليك حتى عرفوك، وأعلمهم بما منّ به عليك.

قال بسام بن عبدالله: ووجدك ضالا نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك، وقال أبو بكر الوراق وغيره: ووجدك ضالا بحب أبي طالب فهداك إلى حبّه، وغيره: وجدك محباً فهداك إلى محبوبك، دليله قوله سبحانه، إخباراً عن إخوة يوسف ﴿إِن أَبانا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ قَدِيمٍ﴾^(٣) أي فرط الحب ليوسف.

وقيل: وجدناك ناسياً شأن الاستثناء حين سُئِلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، دليله قوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾^(٤) أي تنسى، وقال سهل: وجد نفسك نفس الشهوة

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣ / ٤٧٨.

(٢) سورة يوسف: ٨.

(٣) سورة يوسف: ٩٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٨٢.

والطبع، فغيّره إلى سبيل المعرفة والشرع، قال جنيد: وجدك متحيراً في بيان الكتاب المنزل عليك فهذاك لبيان، لقوله ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس﴾^(١) وقوله ﴿لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾^(٢).

قال بندار بن الحسين: ليس قائماً مقام الاستدلال فتعرفت إليك، وأغنيتك بالمعرفة عن الشواهد والأدلة، وقيل: وجدك طالباً لقلبتك ضالاً عنها فهذاك إليها.

﴿ووجدك عائلاً﴾ فقيراً عديماً فأغناك بمال خديجة، ثم بالغنائم، وقال مقاتل: فرضاك بما أعطاك من الرزق، وقرأ ابن السميّع: وجدك عيلاً بتشديد الياء من غير ألف على وزن فيعل، كقولك: طاب يطيب فهو طيب. وعن ابن عطاء: وجدك فقير النفس، وقيل: فقيراً إليه فأغناك به، وقيل: غنياً بالمعرفة فقيراً عن أحكامها، فأغناك بأحكام المعرفة حتى تم لك الغنى.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبيش، عن بعضهم أنه قال: وجدك عائلاً تعول الخلق بالعلم فأغناك بالقرآن والعلم والحكمة، وقال الأخفش: وجدك ذا عيال. دليله قوله ﷺ: ﴿وابداً بمن تعول﴾.

عن ابن عطاء: لم يكن معك كتاب ولا شريعة فأغناك بهما، وقيل: وجدك عائلاً عن الصحابة محتاجاً إليهم، فأكثرنا لك الإخوان والأعوان، وحذف الكاف من قوله فأوى واختيها لمشكلة رؤوس الآي، ولأن المعنى معروف.

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ واذكر يتمك، وقرأ النخعي والشعبي: فلا تكهر، بالكاف، وكذلك هو في مصحف عبدالله، والعرب تعاقب بين القاف والكاف، يدل عليه حديث معاوية بن الحكم الذي تكلم في الصلاة قال: ما كهرني، ولا ضربني.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن مالك قال: حدّثنا ابن حنبل قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا إسحاق بن عيسى قال: حدّثنا مالك، عن ثور بن زيد الدبلي قال: سمعت أبا الغيث يحدث، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «كافل اليتيم - له أو لغيره - أنا وهو كهاتين في الجنة إذا اتقى الله سبحانه» [١٦٨]^(٣) وأشار مالك بالسبابة والوسطى.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن [يوسف]^(٤) قال: حدّثنا الحسن بن علي بن نصر

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) سورة النحل: ٦٤.

(٣) مسند أحمد: ٢ / ٣٧٥.

(٤) وهو عبدالله بن يوسف بن أحمد بن مالك.

الطوسي قال: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْفَضْلِ بِرَأْسِ الْعَيْنِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ زَكْرِيَّا قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا بَكَى اهْتَزَّ لِبَكَائِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَأْتَكِهِ: يَا مَلَأْتَكِي! مِنْ أَبْكَى هَذَا الْيَتِيمِ الَّذِي غَيَّبَ أَبَاهُ فِي التُّرَابِ؟ فَيَقُولُ الْمَلَأْتُكَ: رَبَّنَا أَنْتَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا مَلَأَيْتَكِي! فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنَّ لِمَنْ أَسْكَنَهُ وَأَرْضَاهُ أَنْ أَرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَكَانَ عُمَرُ إِذَا رَأَى يَتِيمًا مَسَحَ رَأْسَهُ، وَأَعْطَاهُ شَيْئًا [١٦٩] ^(١).

وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ الْأَصْفَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي حَزْمٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا فَكَانَ فِي نَفَقَتِهِ وَكَفَاهُ مَوْثِقَةً كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَسَحَ بِرَأْسِ يَتِيمٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ.

﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ فَلَا تَزْجُرْ لَكِنْ بَدِّلْ يَسِيرًا وَرُدِّ جَمِيلًا، وَادْكُرْ فَرَقَكَ.

وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ فِيمَا أَجَازَ لِي رَوَايَتَهُ عَنْهُ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحُلَوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَسْلَمَ الْعَنْبَرِيُّ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ قَالَ: أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِالسَّائِلِ الَّذِي يَأْتِيكَ لَكِنْ طَالِبُ الْعِلْمِ.

وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ الْأَصْفَهَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ قَوْهِيَالٍ ^(٢) قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ نَعِيشٍ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ آدَمَ يَقُولُ: وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ، قَالَ: إِذَا جَاءَكَ الطَّالِبُ لِلْعِلْمِ فَلَا تَنْهَرْ.

وَأَخْبَرَنَا ابْنُ فَنجَوِيهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة قال: حَدَّثَنَا أَبُو عُرُوبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ وَالْحُسَيْنُ بْنُ سَلْمَةَ بْنِ أَبِي كَبْشَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو قَتِيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَمْنَعُنْ أَحَدَكُمْ السَّائِلُ أَنْ يَعْطِيَهُ إِذَا سَأَلَ وَأَنْ رَأَى فِي يَدِهِ قَلْبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ» [١٧٠] ^(٣).

وَأَخْبَرَنِي ابْنُ فَنجَوِيهِ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ شَنْبَهٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْكِسَائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ بَنَ غِيَاثٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الشَّامِاسِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَيُّوبَ الضَّبِّي، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهْمَ قَالَ: نَعَمْ الْقَوْمُ السُّؤَالُ، يَحْمِلُونَ زَادَنَا إِلَى الْآخِرَةِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: السَّائِلُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ يَجِيءُ إِلَى بَابِ أَحَدِكُمْ فَيَقُولُ: هَلْ تَوْجِهُونَ إِلَى أَهْلِكُمْ بَنِيءَ.

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٠١.

(٢) لعله: بن موهار، قوهيار.

(٣) كنز العمال: ٦ / ٤٠٧ ح ١٦٢٨٩. والقلب: السوار.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا عبدالله بن يوسف قال: حدّثنا الحسن بن علي بن زكريا القرشي قال: حدّثنا هدية بن خالد قال: حدّثنا صبان بن علي قال: حدّثنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رددت السائل ثلاثاً فلم يرجع فلا عليك أن تبره» [١٧١] (١).

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ يعني النبوة، عن مجاهد ابن أبي نجيع عنه قال: القرآن، وإليه ذهب الكلبي. وحكم الآية [عام] في جميع الإنعام.

أخبرني الغنجوي قال: حدّثنا القطيعي قال: حدّثنا ابن حنبل قال: حدّثني ابو عمرو الأزدي قال: حدّثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدّثنا نوح بن قيس قال: حدّثني نصر بن علي قال: كان عبدالله بن غالب إذا أصبح يقول: لقد رزقني الله البارحة خيراً، قرأت كذا وصليت كذا، وذكر الله كذا وفعلت كذا، فيقال له: يا أبا فراس إن مثلك لا يقول مثل هذا فيقول: الله سبحانه يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وتقولان أنتم: لا تحدّث بنعمة ربك.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن مالك قال: حدّثنا شبر بن موسى قال: حدّثنا عبدالله ابن يزيد المقرئ قال: حدّثنا أبو معمر، عن بكر بن عبدالله المزني أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطي خيراً فلم ير عليه سُمّي بغيض الله معادياً لنعمه» [١٧٢] (٢).

وأخبرنا الحسن قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدّثنا أبو القاسم بن منيع قال: حدّثنا منصور بن أبي مزاحم قال: حدّثنا وكيع، عن أبي عبدالرحمن يعني القاسم بن ولید، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل، ومن لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدّث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب» [١٧٣] (٣).

(١) كنز العمال: ٦ / ٤٠٠ ح ١٦٢٥٣. والزجر: الزجر والمنع.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٠٢، والشكر لله لابن أبي الدنيا: ٩٢.

(٣) مسند أحمد: ٤ / ٢٧٨.

سورة الشرح

مكية، وهي مائة وثلاثة أحرف
وسبع وعشرون كلمة، وثمانية آيات

أخبرنا أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن علي الجرجاني قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَّارِبِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زُرِّ ابْنِ حَبِيشٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ ﴿الْمَ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فَكَأَنَّمَا جَاءَنِي وَأَنَا مَغْتَمٌ فَفَرَّجَ عَنِّي» [١٧٤].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْمَ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ ٢ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ٣ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤
﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٦ ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ٧ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ ٨

﴿الْمَ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أَلَمْ نَفْتَحْ وَنَوْسِعْ وَنَلَيِّنْ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ وَالنَّبُوءَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ.

﴿وَوَضَعْنَا﴾ وَحَطَطْنَا ﴿عَنكَ وَزْرَكَ﴾ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿أَثْقَلَ ظَهْرَكَ فَأَوْهَنَهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْبَعِيرِ إِذَا كَانَ رَجِيعَ سَفَرٍ قَدْ أَوْهَنَهُ وَأَنْضَاهُ: نَقَضَ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: كَسَرَ ظَهْرَكَ حِينَ سَمِعَ نَقِيضَهُ: أَيَّ صَوْتِهِ، قَالَ الْحَسَنُ وَقْتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: يَعْنِي مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: يَعْنِي الْخَطَأَ وَالسَّهْوَ، وَقِيلَ: ذُنُوبُ أَمْتِكَ فَأَضَافَهَا إِلَيْهِ لِاشْتِغَالِ قَلْبِهِ بِهَا وَإِهْتِمَامِهِ لَهَا، وَقَالَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى وَأَبُو عُبَيْدَةَ: يَعْنِي خَقَفْنَا عَلَيْكَ أَعْيَاءَ النَّبُوءَةِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهَا، وَقِيلَ: وَعَصْمَتُكَ عَنْ احْتِمَالِ الْوِزْرِ.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أَخْبَرَنَا عَبْدِ الْخَالِقِ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ جَنْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ يَعْنِي ابْنَ صَالِحِ الثَّقَفِيِّ أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهْيَعَةَ، عَنْ دِرَاجٍ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي

سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه سأل جبرائيل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك، قال: «قال الله سبحانه: إذا ذكرتُ، ذكرتُ معي» [١٧٥] (١).

وحدثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ قال: حدثنا إسماعيل بن أحمد الجرجاني قال: أخبرنا عمران بن موسى قال: حدثنا أبو معمر قال: حدثنا عباد، عن عوف، عن الحسن في قوله ورفعنا لك ذكرك، قال: إذا ذكرتُ ذكرتُ معي، وقال قتادة: يرفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقال مجاهد: يعني بالتأذين، وفيه يقول حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

أغرَّ عليه للنبوَّة خاتم من الله مشهورٌ يلوح ويشهدُ
وضمَّ إليه اسم النبي الى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد (٢)
وقال ابن عطاء: يعني جعلت تمام الإيمان بي بذكرك، وقيل: ورفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء، وقيل: بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الإيمان به والإقرار بفضلته، وقال ذو النون: هم الأنبياء تجول حول العرش وهمة محمد ﷺ فوق العرش، لذلك قال: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾، فذكره ذكره، ومفزع الخلق يوم القيامة إلى محمد ﷺ كمفزعهم إلى الله، لعلمهم بجاهه عنده.

﴿فإنَّ مع العسر يُسرًا﴾ أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين، ومزاولة ما أنت بسبيله يسراً ورخاءً بأن يظهر لك عليهم، حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به طوعاً وكرهاً.
﴿إنَّ مع العسر يسراً﴾ كرَّره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء، وقيل: فإنَّ مع العسر يسراً: في الدنيا، إن مع العسر يسراً: في الآخرة.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا عثمان قال: حدثنا ابن عليَّة، عن يونس، عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: «ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عُسرُ يسرين» [١٧٦] (٣).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عمر بن الخطاب قال: حدثنا علي بن مرداراد الخياط قال: حدثنا قطن بن بشير قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن رجل، عن إبراهيم النخعي قال: قال ابن مسعود: والذي نفسي بيده، لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنَّه لن يغلب عسرُ يسرين، إنَّه لن يغلب عسر يسرين.

(١) جامع البيان للطبري: ٣٠ / ٢٩٧. (٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٠٦.

(٣) صحيح البخاري: ٦ / ٨٧، جامع البيان للطبري: ٣٠ / ٢٩٧.

قال العلماء في معنى هذا الحديث: لأنه عَرَّفَ العسر ونَكَّرَ اليسر، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسماً معرفة ثم أعادته فهو هو، وإذا نكَّرتَه ثم كررتَه فهما اثنان، وقال الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني صاحب كتاب (النظم) وهو يكلم الناس في قوله (عليه السلام): «لن يغلب عسر يسرين» [١٧٧]: فلم يحصل غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة مكررة، فوجب أن يكون [عسر] واحد ويسران، وهذا قول مدخول [إذ] لا يجب على هذا التدريج إذا قال الرجل: إنَّ مع الفارس سيفاً إنَّ مع الفارس سيفاً أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنين، ولا يصح هذا في نظم العربية.

فمجاز قوله: «لن يغلب عسر يسرين» إن الله بعث نبيّه (عليه السلام) مقلاً مخففاً فعيّره المشركون لفقره، حتى قالوا أنجمع لك ما لا؟ فاغتم، فظنَّ أنهم كذبوه لفقره، فعزّاه الله سبحانه وتعالى وعدد عليه نعماءه ووعد الغنى فقال: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ إلى قوله ﴿ذكرك﴾، فهذا ذكر امتنانه عليه، ثم ابتداء ما وعده من الغنى ليسلِّبه مما خامر قلبه، فقال ﴿فإنَّ مع العسر يسراً﴾، والدليل عليه دخول الفاء في قوله (فإنَّ) ولا يدخل الفاء أبداً إلا في عطف أو جواب.

ومجازه: لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلاً، ثم أنجزه ما وعده وفتح عليه القرى العربية، ووسَّع ذات يده، حتى يهب المائتين من الإبل، ثم ابتداء فضلاً آخر من الآخرة فقال تأسيساً له: ﴿إنَّ مع العسر يسراً﴾، والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وحروف النسق فهذا عام لجميع المؤمنين، ومجازه: إنَّ مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسراً في الآخرة لا محالة، فقوله: «لن يغلب عسر يسرين»! أي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعد الله المؤمنين في الدنيا، واليسر الذي وعدهم في الآخرة، إنما يُغلب أحدهما وهو يسر الدنيا، فأما يسر الآخرة فدائم غير زائل؛ أي لا يجمعهما في الغلبة، كقوله (عليه السلام) «شهرًا عيد لا ينقصان» أي لا يجتمعان في النقصان.

وقال أبو بكر الوراق: مع [أختها] بالدنيا جزاء الجنة، قال القاسم: [يردا هذه السعادة من أسحار]^(١) الدنيا إلى رضوان العقبى، وقراءة العامة بتخفيف السينين، وقرأ أبو جعفر وعيسى، بضمهما، وفي حرف عبدالله: إنَّ مع العسر يسراً، مرة واحدة غير مكررة.

أخبرني أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد الرمجاري وأبو الحسن علي بن محمد ابن محمد البغدادي قالا: حدَّثنا محمد بن يعقوب الأصم قال: حدَّثنا أحمد بن شيبان الرملي قال: حدَّثنا عبدالله بن ميمون القداح قال: حدَّثنا شهاب بن خراش، عن عبدالملك بن عمير، عن ابن عباس قال: أهدى للنبي ﷺ بغلة، أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني

خلفه، ثم سار بي ملياً، ثم التفت إليّ فقال لي: «يا غلام»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك، لما قدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما يُكره خيراً كثيراً، واعلم أنّ مع الصبر النصر، وأنّ مع الكرب الفرج ﴿وإن مع العسر يسراً﴾» [١٧٨] (١).

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري يقول: سمعت أبا علي محمد ابن عامر البغدادي يقول: سمعت عبدالعزيز بن يحيى يقول: سمعت عمي يقول: سمعت العتيبي يقول: كنت ذات يوم في البادية بحالة من الغم فألقي في روعي بيت شعر فقلت:

أرى الموت لن أصبح ولاح مغموماً له أروح
فلما جنّ الليل سمعت هاتفاً يهتف، من الهواء:

ألا يا أيها المرء الـذي ألهم به برح
وقد أنشد بيتاً لم يزل في فكره يسنح
إذا اشتدّ بك العسر ففكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين إذا فكسرتها فافرح
قال: فحفظت الأبيات، وفرّج الله غمي (٢).

وأشدنا أبو القاسم الحبيبي قال: أنشدنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إسحاق الجيزنجي قال: أنشدنا إسحاق بن بهلول القاضي:

فلا تيأس وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في دهر طويل
ولا تظننّ بربك ظنّ سوء فإنّ الله أولى بالجميل
فإنّ العسر يتبعه يسارٌ وقول الله أصدق كلّ قيل (٣)

وأشدني أبو القاسم الحبيبي قال: أنشدني محمد بن سليمان بن معاذ الكرخي قال: أنشدنا أبو بكر الأنباري:

إذا بلغ العسر مجهوده فثق عند ذاك بيسر سريع

(١) بتفاوت في مسند أحمد: ١ / ٢٩٣، وتماه في كتاب الدعاء للطبراني: ٣٤.

(٢) زاد المسير: ٨ / ٢٧٣.

(٣) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا: ١٢٣، وقد نسبت الأبيات فيه إلى محمود الوراق، وفيه تفاوت يسير.

يتلوه سعد الربيع البديع

ألم تر بخس الشتاء القطيع

ولزيد بن محمد العلوي:

عظمت شدة عليك وجلّت

إن يكن نالك الزمان ببلوى

سئمت دونها الحياة وملّت

وتلتها قوارع باكيات

فالرزايا إذا توالّت تولّت

فاصطبر وانتظر بلوغ مداها

كُشِفَتْ عَنْكَ جملة فتخلّت

وإذا أوهنت قواك وحلّت

وقال آخر:

وكادت تذوب لهنّ المهج

إذا الحادثات بلغن المدى

فعند التناهي يكون الفرج^(١)

وحلّ البلاء وقلّ الرجاء

وأنشدني أبو القاسم الحسن بن محمد السلوسي قال: أنشدني أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي النسابة قال: أنشدني سليمان بن أحمد الرقي:

سروراً [يسيرها] عنك قسراً

توقع إذا ما عرتك الخطوب

وقد قال: إن مع العسر يُسرّاً

ترى الله يخلف ميعاده

﴿إذا فرغت فانصب﴾ قال ابن عباس: إذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك في الدعاء، واسأله حاجتك وارغب إليه. ابن أبي نجیح، عن مجاهد: إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك إلى ربك. الضحاك: إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء، وأنت جالس قبل أن تسلم. قتادة: أمره أن يبالي في دعائه إذا فرغ من صلاته. عن الحسن: إذا فرغت من جهاد عدوك، فانصب في عبادة ربك. عن زيد بن أسلم: إذا فرغت من جهاد العرب وانقطع جهادهم، فانصب لعبادة الله وإليه فارغب. عن منصور، عن مجاهد: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصلّ.

وأخبرنا محمد بن عبوس قال: حدّثنا محمد بن يعقوب قال: حدّثنا محمد بن الحميم قال: حدّثني الفراء قال: حدّثني قيس بن الربيع، عن أبي حصين قال: مرّ شريح برجلين يصطرعان فقال: ليس بهذا أمر الفارغ، إنما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾. قال الفراء: فكأنه في قول شريح: إذا فرغ الفارغ من الصلاة أو غيرها.

وقوله ﴿فانصب﴾ من النصب، وهو التعب والدأب في العمل، وقيل: أمره بالعودة للشهد إذا فرغ من الصلاة والانتصاب للدعاء. عن حيان، عن الكلبي: إذا فرغت من تبليغ الرسالة،

فانصب: أي استغفر لذنبك وللمؤمنين. عن جنيد: فإذا فرغت من أمر الخلق، فاجتهد في عبادة الحق. عن أبو العباس بن عطاء: فإذا فرغت من تبليغ الوحي، فانصب في طلب الشفاعة.

﴿وإلى ربك فارغب﴾ في جميع أحوالك [لا] إلى سواه، وقيل: إذا فرغت من أشغال الدنيا، ففرغ قلبك لهماوم العقبي. عن جعفر: اذكر ربك على فراغ منك عن كل ما دونه، وقيل: إذا فرغت من العبادة، فانصب إلى الإعراض عنها مخافة ردها عليك، وإلى ربك فارغب، والاستغفار لعملك كالخجل المستحي.

أخبرنا الشيخ أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي المقرئ قال: حدّثنا أبو محمد عبدالله ابن محمد المزني قال: حدّثنا الوليد بن بيان ويحيى بن محمد بن صاعد ومحمد بن أحمد السطوي قال: حدّثنا ابن أبي برة قال: حدّثنا عكرمة بن سليمان قال: قرأت على إسماعيل بن عبدالله، فلمّا بلغت إلى والضحي قال: كبر حتى نختم مع خاتمة كل سورة، فإني قرأت على شبل بن عباد وعلي بن عبدالله بن كثير، فأمراني بذلك.

قال: وأخبرني عبدالله بن كثير أنه قرأ على مجاهد، فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب، فأمره بذلك، وأخبره أبي بن كعب أنه قرأ على النبي (صلى الله عليه وآله)، فأمره بذلك.

سورة التين

مكية، وهي ثمانمائة وخمسون حرفاً،
وأربع وثلاثون كلمة، وثمانية آيات

أخبرني أبو الحسين الخبازي غير مرة قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي ميثم الجرجاني وأبو الشيخ قال: حدثنا أبو إسحاق بن ميثم بن شريك قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا سلام بن سليم قال: حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي ابن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة التين أعطاه الله سبحانه خصلتين: العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، فإذا مات أعطاه الله سبحانه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم» [١٧٩]^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) نَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّكْرِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (٨)

﴿والتين والزيتون﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي: هو تينكم هذا الذي تأكلون، وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت.

أخبرني الحسين قال: حدثنا السني قال: وجدت في كتاب أبي: حدثنا القاسم بن أبي الحسين الزبيدي قال: حدثنا سهل بن إبراهيم الواسطي، عن عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير قال: حدثني الثقة عن أبي ذر قال: أهدى للنبي ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا، ثم قال: لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت: هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس» [١٨٠]^(٢).

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٣٩٢.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١١٠.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبه قال: حدّثنا يوسف بن أحمد أبو يعقوب قال: حدّثنا العباس بن أحمد بن علي قال: حدّثنا معلى بن نقييل الحداني قال: حدّثنا محمد بن محسن، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبدالله بن الديلمي، عن عبدالرحمن بن غنم قال: سافرت مع معاذ بن جبل، [فكان يمرّ] بشجرة الزيتون فيأخذ منها القضيّب فيستاك به ويقول: سمعت رسول الله ﷺ [يقول] نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة، يطيب الفم، ويذهب بالجفر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي مساوي ومساوئ الأنبياء قبلي» [١٨١].

وقال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وعبدالرحمن بن غنيم: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس. عن الضحّاك: هما مسجدان بالشام. عن محمد بن كعب: التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيليا، ومجازه على هذا التأويل: منابت التين والزيتون. أبو مكي، عن عكرمة: جبال. عن عطية، عن ابن عباس: التين: مسجد نوح الذي [بناه] على الجودي، والزيتون: بيت المقدس. عن نهشل، عن الضحّاك: التين: المسجد الحرام.

والزيتون: المسجد الأقصى.

وسمعت محمد بن عبدوس يقول: سمعت محمد بن الحميم يقول: سمعت الفراء يقول: سمعت رجلاً من أهل الشام وكان صاحب تفسير قال: التين: جبال ما بين حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال الشام.

﴿وطور سينين﴾ يعني جبل موسى، قال عكرمة: السينين: الجسر بلغة الحبشة. الحكم والنضر عنه: كلّ جبل ينبت فهو طور سينين، كما ينبت في السهل كذلك ينبت في الجبل، وعن مجاهد: الطور الجبل، وسينين: المبارك. وعن قتادة: المبارك الحسن.

عن مقاتل: كلّ جبل فيه شجرة مثمرة فهو سينين وسينا وهو بلغة النبط. عن الكلبي: يعني الجبل المشجر. عن شهر بن حوشب: التين: الكوفة، والزيتون: الشام، وطور سينين: جبل فيه ألوان الأشجار.

قال عبدالله بن عمر: أربعة أجيال مقدّسة بين يدي الله سبحانه، طور تينا وطور زيتا وطور سينا وطور يتماننا، فأما طور تينا فدمشق، وأما طور زيتا فبيت المقدس، وأما طور سينا فهو الذي كان عليه موسى، وأما طور يتماننا فمكة.

أخبرنا أبو سفيان الحسين بن محمد بن عبدالله المقرئ قال: حدّثنا البغوي ببغداد قال: حدّثنا ابن أبي شيبه قال: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدّثنا وكيع عن أبيه وسفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو قال: سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمكة في المغرب: والتين والزيتون وطور سيناء، قال: فظننت أنه إنما يقرؤها ليعلم حرمة البلد.

«وهذا البلد الأمين» الآمن، يعني مكة، وأنشد الفراء:

ألم تعلمي يا أسم ويحك أنني حلفت يميناً لا أخون أميني
يريد آمني.

«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل شيء منكباً على وجهه إلا الإنسان. وقال أبو بكر بن ظاهر: مزيناً بالعقل، مؤدباً بالأمر، مهذباً بالتميز، مديد القامة، يتناول مأكوله بيده.

«ثم رددناه أسفل سافلين» يعني إلى أرذل العمر، ينقص عمره ويضعف بدنه ويذهب عقله.

قال ابن عباس: [إن] نفراً ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ فأنزل الله عذرهم وأخبر أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم.

قال عكرمة: لم يضر هذا الشيخ الهرم كبره إذا ختم الله تعالى له بأحسن ما كان يعمل. قال أهل المعاني: السافلون: الضعفى والهرمى والزمنى، فقوله (أسفل سافلين) نكرة تعم الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائم، فإذا عرفت قلت: القائم.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن مهران قال: حدثنا جعفر بن محمد الفري قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا خالد الزيات قال: حدثنا داود أبو سليمان، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر بن حزم الأنصاري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالديه، فإن عمل سيئة لم تكتب عليه، ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم، أمر الله الملكين اللذين معه يحفظانه ويسدّدانه، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام آمنه الله سبحانه من البلايا الثلاث: من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين خفف الله حسابه، فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابة إليه فيما يحب، فإذا بلغ سبعين أحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفّعه في أهل بيته، وكان اسمه أسير الله في الأرض، فإذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، كتب الله سبحانه له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير، وإن عمل سيئة لم تكتب عليه» [١٨٢] (١).

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: يعني ثم رددناه إلى النار. وقال أبو العالية: يعني إلى النار في شر صورة، في صورة خنزير.

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله قال: حدّثنا محمد بن عبدالله قال: حدّثنا أحمد بن حواسب قال: حدّثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن هبيرة، عن علي قال: أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، فيبدأ بالأسفل فيُملأ، فهي أسفل السافلين، وفي مصحف عبدالله، (أسفل السافلين) بالألف. ثم استثنى فقال ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني ثم رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا تثبت لهم حسنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ منهم، فإنه يكتب لهم في حال هرمهم وخرفهم مثل الذي كانوا يعملونه في حال شبابهم وصحتهم وقوّتهم، فذلك قوله سبحانه ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال الضحّاك: أجر بغير عمل، ثم قال: إلزاماً للحجة وتوبيخاً للكافر.

﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ أيها الإنسان بعد هذه الحجة والبرهان ﴿بِالدين﴾ بالحساب والجزاء.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ قال قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين» [١٨٣].

سورة الحلق

مكية، وهي مائتان وثمانون حرفاً،
واثنتان وسبعون كلمة، وتسع عشرة آية

أخبرنا الجباري قال: حدّثنا ابن حيّان قال: أخبرنا الفرقي قال: حدّثنا إسماعيل بن عمرو قال: حدّثنا يوسف بن عطية قال: حدّثنا هارون بن كثير قال: حدّثنا زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فكأنما قرأ المفصل كله» [١٨٤] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق﴾ أي الدم، واحدها علقه، وإنما جمع ولفظ الإنسان واحد، لأنه في معنى الجمع، وهذه أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ من القرآن، وأول ما نزل منها خمس آيات من أولها إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾، وعلى هذا أكثر العلماء.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون وعبد الله بن حامد قال: أخبرنا ابن الشرقي قال: حدّثنا محمد بن يحيى قال: حدّثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: أخبرني عروة عن عائشة أنها قالت: أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب [الله] إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد [في] الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده بمثلها، حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء.

قال: فجاءه الملك وقال: اقرأ فقال رسول الله ﷺ «فقلت له: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني

الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقاري، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، حتى بلغ، ما لم يعلم». فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: «يا خديجة مالي؟» [١٨٥] وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت عليّ؟ قالت له: كلاً ابشر، فوالله لا يحزنك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزي بن قصي، وهو ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة بن نوفل: يا بن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ، ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ «أومخرجي هم؟» [١٨٦]، فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عُودِي وأُودِي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ، ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفترة الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلّما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منها تبدّى له جبرائيل (عليه السلام) فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا بمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبرائيل فقال له مثل ذلك [١٨٧] (١).

قال الزهري: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجثيت منه رعباً، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فذرّوني» [١٨٨] (٢) وأنزل الله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿وَالرَّجَزُ فَاهْجُرْ﴾. قبل: أن تفرض للصلاة، وهي الأوثان، ثم كان ما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن بعد اقرأ والمدثر، ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾، ثم ﴿وَالضُّحَى﴾.

(١) صحيح البخاري: ٨ / ٦٨ ط. دار الفكر، والعجب من نسبة ذلك للرسول نبي الرحمة ! فكيف يعقل أن يصل الاطمئنان إلى ورقة ولا يصل إلى من هو أفضل من ورقة بدرجات !؟ كيف يعقل أن يفكر ويهمّ النبي الذي أرسل لتتميم الأخلاق ونبذ المحرمات، بالانتحار وقتل نفسه !؟ والأعجب أنهم نسبوا ذلك له صلوات المصلين عليه عدة مرات، ثم يعود لما نهى عنه جبرائيل ! وكأنهم يريدون أن يصوّره كالطفل أو كالساذج !! أوليس نبينا أفضل أهل زمانه؟ فما بال ورقة أحكم وأهدى وأوعى وأعقل منه !؟ عصمنا الله من الزلل.

(٢) صحيح البخاري: ١ / ٤، وتفسير الطبري: ٢٩ / ١٧٩.

أخبرني عقيل أن أبا الفرج أخبرهم، عن ابن جرير قال: حدثنا ابن أبي الشوارب قال: حدثنا عبدالواحد قال: حدثنا سليمان الشيباني قال: حدثنا عبدالله بن شداد قال: نزلت على رسول الله ﷺ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، ثم أبطأ عليه جبرائيل، فقالت له خديجة: ما أرى إلا قد قلاك، فأنزل الله سبحانه ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى﴾.

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا مكي قال: حدثنا عبدالرحمن بن بشير قال: حدثنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: إن أول سورة نزلت ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

أخبرنا عبدالله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا أبو عامر العقدي، عن قرّه بن خالد، عن أبي رجاء العطاردي قال: كان أبو موسى يُقرئنا القرآن في هذا المسجد فنقعد له حلقةً حلقةً، كأني أنظرُ إليه الآن في ثوبين أبيضين، فعنه أخذت هذه السورة: ﴿اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١).

وقال: كانت أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب.

أخبرنا محمد بن حمدويه وعبد الله بن حامد قالا: حدثنا محمد قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعتُ نداءً وقد والله خشيتُ أن يكون هذا أمراً».

فقالت: معاذ الله، ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذاك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث.

فلما دخل أبو بكر رضي الله عنه وليس رسول الله ﷺ [في الدار] ثم ذكرت خديجة له وقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده وقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: «من أخبرك؟» فقال: خديجة. فانطلقا إليه فقص عليه فقال: «إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي: يا محمد يا محمد فانطلق هارباً في الأرض».

فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فائتبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) حتى بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٣) قل: لا إله إلا الله، فأتى ورقة فذكر ذلك له، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر فأنا

(١) سورة العلق: ١.

(٢) سورة الفاتحة: ١ - ٢.

(٣) سورة الفاتحة: ٧.

أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم، وأنتك على مثل ناموس موسى، وأنتك نبي مرسل، وأنتك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدك معك، فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القس في الجنة، عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني» [١٨٩] ^(١) يعني ورقة، قالوا: وقال ورقة:

فإن يك حقاً يا خديجة فاعلمي
جبريل يأتيه وميكال معهما
يفوز به من فاز عز لدينه
فريقان منهم فرقة في جنانه
حديثك إيانا فأحمد مرسل
من الله وحي يشرح الصدر منزل ^(٢)
ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
وأخرى بأغلال الجحيم تغلغل ^(٣)
﴿افْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ قال الكلبي: يعني الحليم عن جهل العبادة ولا يعجل عليهم بالعقوبة ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ يعني الخط والكتاب.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شيبه قال: حدثنا ابن ماهان قال: حدثنا محمد بن أيوب بن هشام المزني قال: حدثنا أبو الحسن عاصم بن علي بن عاصم وعبد الله بن عاصم الجماني قالوا: حدثنا محمد بن راشد عن مسلم بن موسى قال: أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمر بن العاص قال: قلت: يا نبي الله أكتب ما أسمع منك من الحديث؟ قال: «نعم، فاكتب فإن الله علم بالقلم» [١٩٠] ^(٤).

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (٦) إِنَّ إِلَهَ الْإِنْسَانِ الرَّحِيمُ (٧) أَزَيْتَ لَكَ الْغَدَاةُ (٨) أَوْ أَمَرَ بِالْقَلَمِ (٩) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٠) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١١) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٢) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٣) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٤) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٥) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٦) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٧) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٨) أَوْ يَتَذَكَّرُ (١٩)

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ من البيان والعمل، قال قتادة: العلم نعمة من الله، لولا العلم لم يقيم دين ولم يصلح عيش ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء كلها، وقيل: الإنسان ها هنا محمد ﷺ، بيانه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ ^(٥).

(١) بتمامه في تفسير القرطبي: ١ / ١١٦.

(٢) البداية والنهاية: ٣ / ١٦.

(٣) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٣٩٨.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٢٠.

(٥) سورة النساء: ١١٣.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى﴾^(١) ليتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ قال الكلبي: يرتفع من منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما، وكان رسول الله ﷺ يقول: «أعوذ بك من فقر يُنسي ومن غنى يُطغي» [١٩١]^(٢).

﴿إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ المرجع في الآخرة ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ نزلت في أبي جهل - لعنه الله - نهى النبي ﷺ عن الصلاة حتى فرضت عليه.

أخبرنا عبد الله بن حامد فقال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدّثنا محمد بن عبد الله ابن يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال: حدّثنا معمر بن سليمان عن أبيه قال: حدّثنا نعيم بن أبي مهند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فو الذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن رقبتة.

قال فما [فجأهم] منه إلا يتقي بيديه وينكص على عقبيه، قال: فقالوا له: ما ذاك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، [فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاخطفتة الملائكة عضواً عضواً] [١٩٢]^(٣) فأنزل الله سبحانه ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ * أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ * وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * لَنَأْخُذَنَّهُ بِمَقْدَمِ رَأْسِهِ * فَلَنُدْخِلَنَّهُ * ثُمَّ قَالَ عَلَى الْبَدَل: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ وقال أبو جهل: أتهدّني؟ فوالله لأملأن عليك إن شئت هذا خيلاً جرداً أو رجالاً مرداً، فأنزل الله سبحانه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٤) أي قومه ﴿سَدْعُ الرِّبَانِيَةِ﴾ قال النبي ﷺ: «لأخذته الربانية عياناً» [١٩٣]^(٥).

﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ وصلّ واقترب من الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة العلق: ٦.

(٢) مسند أبي يعلى: ٧ / ٣١٣ بتفاوت.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٢٤ وما بين معكوفين منه، وصحيح مسلم: ٨ / ١٣٠ ط: دار الفكر.

(٤) سورة العلق: ١٧.

(٥) البداية والنهاية: ٣ / ٥٨، تفسير الجلالين: ٨١٥.

سورة القدر

مدنية في قول أكثر المفسرين، قال علي بن الحسين بن واقد: هي أول سورة نزلت بالمدينة، وروى شيبان عن قتادة أنها مكية، وهي رواية نوفل ابن أبي عقرب عن ابن عباس وهي مائة واثنان عشر حرفاً وثلاثون كلمة وخمس آيات

أخبرنا الجنازي قال: حدّثنا ابن خنيس قال: حدّثني أبو العباس محمد بن موسى الدقاق الرازي قال: حدّثنا عبد الله بن روح المدائني [عن بكر] بن سواد قال: حدّثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن زر بن حبیش عن أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان، وأُعطي إحياء ليلة القدر» [١٩٤] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَزْدَرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يعني القرآن كناية عن غير مذكور، جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعناه في بيت العزة وأملاه جبرئيل على السّفرة ثم كان يُنزل جبرئيل على محمد (عليهما السلام) بنحو ما كان، من أوله إلى آخره بثلاث وعشرين سنة، ثم عَجَبَ نبيّه (عليه السلام) فقال: ﴿وَمَا أَزْدَرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.

والكلام في ليلة القدر على خمسة أبواب:

الباب الأول: في مأخذ هذا الاسم ومعناه، واختلف العلماء، فقال أكثرهم: هي ليلة الحكم والفصل يقضي الله فيها قضاء السنة، وهو مصدر من قولهم: قدر الله الشيء قدراً وقدراً لغتان كالنَّهْر والشَّعْر والشَّعْر، وقدَّرَهُ تقديرًا له بمعنى واحد، قالوا: وهي الليلة التي قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٢) وإنما سُمِّيت ليلة القدر مباركة؛ لأن الله سبحانه يُنزل فيها الخير والبركة والمغفرة.

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٠٣.

(٢) سورة الدخان: ٣ - ٤.

وروى أبو الضحى عن ابن عباس أن الله عزّ وجلّ يقضي الأفضية في ليلة النصف من شعبان ويُسلمها إلى أربابها في ليلة القدر.

روي أنه تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا الكاهن أو الساحر أو مدمن خمر أو عاق لوالديه أو مصرّ على الزنا أو [مشاحن] أو قاطع رحم [١٩٥] ^(١).

وقيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله سبحانه المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: نعم، قال: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوقُ المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدّر.

أخبرني عقيل أن أبا الفرج أخبرهم عن ابن جبير قال: حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا مهران عن سفيان عن محمد بن سوية عن سعيد بن جبيرة قال: يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلا يُغادر منهم أحد ولا يزداد ولا ينقص منهم.

وقال الزهري: هي ليلة العظمة والشرف، من قول الناس لفلان عند الأمير قدر أي جاء ومنزلة، يقال: قدرت فلاناً أي عظّمته قال الله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ^(٢) أي ما عظّموا الله حقّ عظّمته وقال أبو بكر الورّاق: سُمّيَتْ بذلك لأنّ من لم يكن ذا قدر وخطر يصيرُ في هذه الليلة ذا قدر إذا أدركها وأحياها.

وقيل: إنّ كلّ عمل صالح يؤخذ فيها من المؤمن فيكون ذا قدر وقيمة عند الله لكونه مقبولا فيها.

وقيل: لأنّه أنزل كتابُ ذو قدر على رسول ذي قدر لأجل أمة ذات قدر، وقال سهل بن عبد الله: لأنّ الله سبحانه يقدر الرحمة فيها على عباده المؤمنين.

وقيل: لأنّه يُنزل فيها إلى الأرض ملائكة أوّلو قدر وذوو خطر.

وقال الخليل بن أحمد: سُمّيَتْ بذلك لأنّ الأرض تضيق فيها بالملائكة من قوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ ومن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ^(٣).

الباب الثاني: اختلاف العلماء في وقتها، وأي ليلة هي، وذكر اختلاف الصحابة فيها.

فقال بعضهم: إنّما كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت.

أخبرني عبد الله بن حامد إجازة قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن قال: حدّثنا

(١) تاريخ دمشق: ٥١ / ٧٢ ط. دار الفكر، وراجع تذكرة الموضوعات للفتني: ٤٥.

(٢) سورة الأنعام: ٩١.

(٣) سورة الطلاق: ٧.

أحمد بن يوسف قال: حَدَّثَنَا عبد الله قال: أَخْبَرَنَا سفيان عن الأوزاعي عن مرشد أو عن أبي مرشد قال: كُنْتُ جالِساً مع أبي ذرٍّ عند حُمْرة الوسطى فُسْتُلَ عن ليلة القدر فقال: كنت أسأل الناس عنها رسول الله ﷺ - قال: قلت: يا رسول الله ليلة القدر هل هي تكون على عهد الأنبياء (عليهم السلام)، فإذا مضوا رفعت؟ قال: «لا، بل هي إلى يوم القيامة» [١٩٦] (١).

وَأَخْبَرَنَا عبد الله بن حاطب قال: أَخْبَرَنَا محمد بن عامر السمرقندي قال: أَخْبَرَنَا عمر بن الحسين قال: حَدَّثَنَا عبد بن حميد عن روح بن عبادة قال: حَدَّثَنَا ابن جريج قال: أَخْبَرَنِي داود ابن أبي عاصم عن عبد الله بن عيسى مولى معاوية قال: قلت لأبي هريرة زعموا أَنَّ ليلة القدر قد رفعتُ قال: كذب من قال ذلك، قال: قلت هي في كلِّ شهر رمضان استقبله؟ قال: نعم.

وقال بعضهم: هي في ليالي السنة كلّها، وإنَّ من علّق طلاق امرأته أو عتق عبده ليلة القدر لم يقع الطلاق ولم ينفذ العتاق إلى مضي سنة من يوم حلف، وهي إحدى الروايات عن ابن مسعود قال: من يُقِمَّ الحول كلّهُ يصنّها.

قال: فبلغ ذلك عبد الله بن عمر، فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه عِلِمَ أنها في شهر مضان؟ ولكن أراد أن لا يتكل الناس، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة أنها في جميع السنة، وحُكي عنه أيضاً أنه قال: رفعت ليلة القدر، وروي عن ابن مسعود أيضاً أنه قال: إذا كانت السنة في ليلة كانت العام المقبل في ليلة أخرى، والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان في كل عام.

أَخْبَرَنَا عبد الله بن حامد قال: أَخْبَرَنَا محمد بن عامر قال: أَخْبَرَنَا عمر بن يحيى قال: حَدَّثَنَا عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن أبي عمير أنه سئل عن ليلة القدر: أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم.

وَأَخْبَرَنَا عقيل أن المعافى أخبرهم عن محمد بن جرير قال: حَدَّثَنِي يعقوب قال: حَدَّثَنَا ابن عليّة قال: حَدَّثَنَا ابن ربيعة بن كلثوم قال: قال رجل للحسين (٢) وأنا أسمع: أَرَأَيْتَ ليلة القدر أفي كل رمضان هي؟ قال: «نعم والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كلِّ رمضان، وإنّها ليلة يفرق فيها كلُّ أمر حكيم، فيها يقضى كلُّ أجل وعمل، ورزق وخلق إلى مثلها» [١٩٧] (٣).

واختلفوا في أول ليلة هي منها، فقال أنور بن العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان، وقال الحسن: هي ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر.

(١) صحيح ابن خزيمة: ٣ / ٣٢١.

(٢) في المصدر: للحسن.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٢٩ والدر المنثور: ٦ / ٢٥.

والصحيح أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان، وإليه ذهب الشافعي رحمته الله، يدل عليه ما أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد الشيباني قال: أخبرنا عبد الله بن مسلم، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، وقال: أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن ابن مسلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها، فالتمسوها في العشر الغوابر» [١٩٨] (١).

وأخبرنا أبو بكر العباسي قال: أخبرنا أبو الحسن المحفوظي قال: حدثنا عبد الله بن قاسم قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان وشعبة وإسرائيل عن ابن إسحاق عن هُبيرة عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في العشرة الأواخر من رمضان.

وأخبرنا أبو محمد المخلدي وعبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكي قال: حدثنا عمار بن رجاء قال: حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن عنبسة بن الأزهر عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان دأب وأدأب أهله» [١٩٩] (٢).

فدلّت هذه الأخبار على أن ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان.

ثم اختلفوا في أي ليلة فيها فقال أبو سعيد الخدري: هي الليلة الحادية والعشرون، واحتج في ذلك بما أخبرنا أبو نعيم الأزهرى قال: حدثنا أبو عوانة سنة ست عشرة وثلاثمائة، قال: أخبرنا المزني قال: قال الشافعي: وأخبرنا أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن أحمد المطوعي، وأبو علي السيوري، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله المصبي قالوا: حدثنا أبو العباس الأصم قال: أخبرنا الشافعي قال: أخبرنا مالك عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الوسط من شهر رمضان، فلمّا كانت [ليلة] إحدى وعشرين وهي التي كان يخرج في صبيحتها من اعتكافه قال ﷺ: «من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، فإنني رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها - وقال - وأريتني أسجد في ماء وطين فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر» [٢٠٠] (٣) فأمرت السماء في تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد.

قال أبو سعيد [فأبصرت عينا] رسول الله ﷺ انصرف، علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين.

(١) كنز العمال: ٨ / ٥٣٣ ح ٢٤٠٢١.

(٢) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٠٦.

(٣) سنن أبي داود: ١ / ٣١١.

وقال بعضهم هي الليلة الثالثة والعشرون منها^(١).

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الهمداني قال: أخبرنا الحسين بن عبد الأعلى قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيت في النوم كأن ليلة القدر سابعة تبقى، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين، من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين» [٢٠١] (٢).

قال معمر: كان أيوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمسّ طيباً.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكّي قال: حدّثنا أحمد بن حفص قال: حدّثني أبي قال: حدّثني إبراهيم عن عباد وهو ابن إسحاق عن الزهري عن ضمرة بن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: كنت في مجلس من بني سلمة وأنا أصغرهم فقالوا: من يسأل لنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ وذلك صبيحة إحدى وعشرين من رمضان، قال: فخرجت فوافيت مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب ثم نمت بباب بيته فمرّ بي فقال: «ادخل» فدخلت فأبّني بعشائه فأبّني أكفّ عنه من قلته، فلمّا فرغ قال: «ناولني نعلي» فقام وقمت معه فقال: كان لك حاجة؟ فقلت: أرسلني إليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال: «كم الليلة؟» فقلت: اثنان وعشرون، فقال: «هي الليلة» ثم رجع فقال: «أو الثالثة»^(٣) يريد ليلة ثلاث وعشرين [٢٠٢] (٤).

قال أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا طفران قال: حدّثنا الحسن بن إسماعيل المحاملي قال: حدّثنا يعقوب الدورقي قال: حدّثنا عبد الله بن إدريس قال: سمعت عاصم بن كليب يروي عن أبيه عن خاله قال: قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت ليلة القدر ثم أنسيته ورأيت مسيح الضلالة [فخرجت إليكم لأبّيتها] فرأيت رجلين يتلاحيان فحجزت بينهما فأنسيتهما وسأشدو لكم منها شدواً، فأما ليلة القدر فاطلبوها في العشر الأواخر وتراً، وأما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة، ممسوح العين اليسرى، عريض النحر، فيه دمامة^(٥) كآته فلان بن عبد العزى أو عبد العزى بن فلان» [٢٠٣] (٦).

قال: فذكرت هذا الحديث لابن عباس قال: وما عجبك؟ سأل عمر بن الخطاب أصحاب

(١) صحيح البخاري: ٢ / ٢٥٦ باب الاعتكاف.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٣٦ بتفاوت يسير.

(٣) في المصدر: أو القابلة.

(٤) سنن أبي داود: ١ / ٣١١.

(٥) في بعض المصادر: دماء، وفي بعضها: دفا، وفّر بالانحناء.

(٦) الدر المنثور: ٥ / ٣٥٤، والمعجم الكبير: ١٨ / ٣٣٥، وكتر العمال: ٨ / ٥٤١.

رسول الله ﷺ وكان يسألني معهم مع الأكابر منهم ويقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فقال: علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر اطلبوها في العشر الأواخر وترأ» [٢٠٤] (١) ففي أي الوتر ترون؟

قال: فأكثر القوم في الوتر، فقال: مالك لا تكلم ابن عباس؟ قال: قلت: إن شئت تكلمت، قال: عن رأيك أسألك؟ قال: قلت: رأيت الله سبحانه أكثر ذكر السبع، وذكر السماوات سبعاً، والأرضين والطواف سبعة، والجمار سبعة، وما شاء الله من ذلك، خلق الإنسان من سبعة، وجعل رزقه من سبعة.

قال: قلت: خلق الإنسان، فقال: فكلما ذكرت عرقت، فما قولك خلق الإنسان من سبعة وجعل رزقه من سبعة؟ قال: قلت: «خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» (٢) إلى قوله: «خَلَقْنَا آخَرَ» (٣).

ثم قرأت «أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا» (٤) إلى قوله سبحانه: «وَأَبَاءُ» (٥) والأب ما أنبت الأرض ممّا لا تأكله الناس، فما أراها إلا ليلة ثلاث وعشرين لسبع بقين، فقال عمر: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه.

وأخبرنا عبد الله بن حامد عن صالح بن محمد قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد عن مسلم الأعور عن مجاهد عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: أخبرني برأيك في ليلة القدر، قال: فقلت: إن الله سبحانه وتر يحب الوتر، السماوات سبع، والأرضون سبع، وترزق من سبع، وتخرج من سبع، ولا أراها إلا في سبع بقين من رمضان، فقال عمر: وافق رأيي رأيك، ثم ضرب منكبي وقال: ما أنت بأقل القوم علماً.

وقال زيد بن ثابت وبلال: هي ليلة أربع وعشرين، ودليلهما ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن أبي سعيد قال: حدّثنا علي بن حرب قال: حدّثنا محمد بن معاوية قال: حدّثنا بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن يزيد بن عبد الله عن الضابحي عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين» [٢٠٥] (٦).

وقيل: هي الليلة الخامسة والعشرون، يدلّ عليها ما أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ في

(١) المصنّف: ٢ / ٤٨٧.

(٢) سورة المؤمنون: ١٢ - ١٣.

(٣) سورة المؤمنون: ١٤.

(٤) سورة عبس: ٢٥.

(٥) سورة عبس: ٣١.

(٦) كنز العمال: ٨ / ٥٣٧ ح ٢٤٠٤٨.

آخرين قالوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ: فَرَأَى عَلِيُّ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَكَ خَيْرَ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ حَمِيدِ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ» [٢٠٦] (١).

وَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ اللَّيْلَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ عَلِيُّ وَأُبَيٌّ وَعَائِشَةُ وَمَعَاوِيَةُ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ وَاسِعٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ حَمْزَةُ بْنُ الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْفَحَّامُ قَالَ: حَدَّثَنَا مَسُودُ بْنُ عَامِرٍ شَاذَانَ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ أَخْبَرَنِي قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَحْدِثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قَالَ: «مَنْ كَانَ مُتَحَرِّياً فَلْيَتَحَرَّهَا فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ» [٢٠٧] (٢).

وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ قَرَاءَةً عَلَيْهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَفَّانٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْعَنْقَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيانُ بْنُ عَاصِمٍ عَنْ زُرَّارِ بْنِ حَبِيشٍ قَالَ: أَتَيْنَا بَنَ مَسْعُودٍ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَقَالَ: مَنْ يَقُمُ الْحَوْلَ يَصْبُهَا، فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَنَّهَا فِي لَيْلَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ قَالَ: فَقَالَ لَنَا أَبُو الْمُنْذِرِ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَ فَقَالَ: بِالْآيَةِ الَّتِي أَنْبَأَنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَفِظْنَا وَعَدَدْنَا، قَالَ: فَوَاللَّهِ فَإِنَّهَا لَفِي مَا تَسْتَشْنِي، قَالَ: فَقُلْنَا: أَبَا الْمُنْذِرِ مَا الْآيَةُ؟ قَالَ: تَطْلُعُ الشَّمْسُ عِنْدُنَا كَأَنَّهَا طُسْتُ لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ.

وَرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِأُذُنِي وَإِلَّا فَصِمْتُ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ» [٢٠٨] (٣).

وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: قَامَ بَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ قَامَ بَنَا نِصْفِ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ قَامَ بَنَا اللَّيْلِ كُلَّهُ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَسَمَ كَلِمَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى لِيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَمَّا بَلَغَ السَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ أَشَارَ إِلَيْهَا فَقَالَ: ﴿هِيَ﴾.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ لَيْلَةُ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ، وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ أَوْ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَعْدَ الْحَصِيِّ» [٢٠٩] (٤).

(١) كنز العمال: ٨ / ٥٣٦ ح ٢٤٠٣٨.

(٢) السنن الكبرى: ٤ / ٣١١.

(٣) مسند أحمد: ٥ / ١٣٠.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٣٧.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكِّي قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْقَطَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْنَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: ذَكَرْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ أَبِي بَكْرَةَ فَقَالَ: مَا أَنَا بِطَالِبِهَا بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي تِسْعِ بَقِينَ، أَوْ سَبْعِ بَقِينَ، أَوْ خَمْسِ بَقِينَ أَوْ ثَلَاثِ بَقِينَ أَوْ آخِرَ لَيْلَةٍ» [٢١٠] ^(١) وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ إِذَا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ ظَلَّ يُصَلِّي فِي سَائِرِ السَّنَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ اجْتَهَدَ.

وفي الجملة، أَخْفَى اللَّهُ عِلْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ عَلَى الْأُمَّةِ لِيَجْتَهِدُوا فِي الْعِبَادَةِ لِيَالِي رَمَضَانَ طَمَعًا فِي إِدْرَاكِهَا كَمَا أَخْفَى الصَّلَاةَ الْوَسْطَى فِي الصَّلَوَاتِ، وَاسْمَهُ الْأَعْظَمَ فِي الْأَسْمَاءِ، وَسَاعَةَ الْإِجَابَةِ فِي سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، وَغَضَبَهُ فِي الْمَعَاصِي، وَرِضَاهُ فِي الطَّاعَاتِ، وَقِيَامَ السَّاعَةِ فِي الْأَوْقَاتِ، رَحْمَةً مِنْهُ وَحِكْمَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الباب الثالث: في علامتها واماراتها

أخبرنا أبو عمر الفراتي قال: أخبرنا أبو نصر السرخسي قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ عَنْ أَشْعَثَ عَنِ الْحُسَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «مِنْ أَمَارَاتِهَا أَنَّهَا لَيْلَةُ بَلَجَةِ سَمْحَةٍ، لَا حَارَةَ وَلَا بَارِدَةَ، تَطْلُعُ الشَّمْسُ صَبِيحَتِهَا لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ» [٢١١] ^(٢).

وقال حميد بن عمر: كُنْتُ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ فِي الْبَحْرِ فَأَخَذْتُ مِنْ مَائِهِ فَوَجَدْتُهُ سَلِسًا.

الباب الرابع: في فضائلها وخصائصها.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَهَنِّيُّ بِهَا قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنُ الْحَسَنِ بِبَغْدَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَيْسَى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [٢١٢] ^(٣).

وفي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَخْرُجُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَتَّى يُضِيءَ فَجْرُهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِيبَ فِيهَا أَحَدٌ بِخَيْلٍ أَوْ دَاءٍ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْفَسَادِ، وَلَا يَنْفِذَ فِيهَا سِحْرٌ سَاحِرٌ» [٢١٣] ^(٤).

(١) مسند أحمد: ٣٩ / ٥.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٣٧ وقريب منه في كنز العمال: ٨ / ٥٣٨ ح ٢٤٠٥٢.

(٣) سنن أبي داود: ١ / ٣٠٩.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٣٧.

وروي عن ابن عباس أن النبي (عليه السلام) قال: «إذا كانت ليلة القدر ينزل الملائكة الذين هم سكاّن سدرة المنتهى، ومنهم جبريل، فينزل جبريل ومعه ألوية ينصب لواء منها على قبري، ولواء منها على بيت المقدس، ولواء في المسجد الحرام، ولواء على طور سيناء، ولا يدع فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلّم عليه إلا مُدمن الخمر وأكل الخنزير والمتضمخ بالزعفران» [٢١٤] (١).

الباب الخامس: في آدابها وفيما يستحب فيها.

حدّثنا أبو بكر بن عبدوس قال: حدّثنا محمد بن يعقوب قال: حدّثنا الحسين بن مكرم قال: حدّثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا كُهمس عن عبد الله بن بُريدة أنّ عائشة قالت للنبي ﷺ: إنّ وافت ليلة القدر فما أقول؟ قال: «قولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» [٢١٥] (٢).

وروى شريح بن هانئ عن عائشة قالت: لو عرفت أيّ ليلة القدر ما سألت الله فيها إلا العافية.

وأخبرنا أبو عمر الفراتي قال: أخبرنا محمد بن إسحاق بن سهل قال: حدّثنا سعيد بن عيسى قال: حدّثنا فارس بن عمر قال: حدّثنا صالح قال: حدّثنا العمري عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أنّ النبي ﷺ قال: «من صَلَّى المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر [في جماعة] فقد أخذ حظه من ليلة القدر» [٢١٦] (٣).

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٤) أخبرنا أبو عمر الفراتي قال: أخبرنا أبو موسى قال: أخبرنا موسى بن عبد الله قال: حدّثنا أبو مصعب عن ملك أنه سمع من يثق به أن رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمار الناس تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من الأعمال مثل الذي يبلغ غيره في طول العمر، فأعطاه الله سبحانه: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

واختلفوا في الحكمة الموجبة لهذا العدد، فأخبرني الحسين قال: حدّثنا الكندي قال: حدّثنا عبد الرحمن بن حاتم قال: قرئ على [يونس] بن عبد الأعلى: أخبرنا ابن وهبة قال: حدّثنا مسلمة عن علي بن لهيعة قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاماً، لم يعصوه طرفة عين فذكر: أيوب، وزكريّا، وحزقيل ابن العجوز، ويوشع بن نون قال: فعجب أصحاب النبي ﷺ من ذلك وأتاه جبريل فقال: «يا محمد عجبت أمتك من عبادة

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٣٧، والتضمخ: التلطيخ بالطيب والإكثار منه.

(٢) مسند أحمد: ٦ / ١٧١.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٣٨.

(٤) سورة القدر: ٣.

هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين»، فقال: «أنزل الله تعالى عليك خيراً من ذلك»، ثم قرأ عليه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ لأن هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك قال: فسر بذلك النبي ﷺ والناس معه [٢١٧] (١).

وأخبرنا أبو عمرو الفراتي قال: أخبرنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا سعيد بن عيسى قال: حدثنا فارس بن عمرو قال: حدثنا صالح قال: حدثنا مسلم بن خالد بن أبي نجيح أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال: فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ الذي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله.

ويقال: إن ذلك الرجل كان شمشون (عليه السلام)، وكانت قصته على ما ذكر وهب بن منبه أنه كان رجلاً مسلماً وكانت أمه قد جعلته نذيراً، وكان من أهل قرية من قرى الروم كانوا يعبدون الأصنام، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة، فكان يغزوهم وحده، ويجاهدهم في الله فيصيب منهم وفيهم حاجته، ويقتل ويسبي ويصيب الأموال، وكان إذا لقيهم لقيهم بلحي بعير لا يلقاها بغيره، فإذا قاتلوه وقتلهم وتعب وعطش انفجر له من الحجر الذي في اللحي ماء عذب فيشرب منه حتى يروى.

وكان قد أعطي قوة في البطش، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره، فكان كذلك، فجاهدهم في الله، يصيب منهم حاجته لا يقدرّون منه على شيء حتى قالوا: لن تأتوه إلّا من قبل امرأته، فدخلوا على امرأته فجعلوا لها جعلاً فقالت: نعم، أنا أوثقه لكم فأعطوها حبلاً وثيقاً، وقالوا لها: إذا نام فأوثقي يده إلى عنقه حتى نأتيه فنأخذه، فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بذلك الحبل، فلما هبّ جذبته بيده فوق عنقه.

فقال لها: لم فعلت ذلك؟ فقالت: أجرب بها قوتك، ما رأيت مثلك، فأرسلت إليهم: إني قد ربطته بالحبل فلم أغن شيئاً، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد، وقالوا: إذا نام فاجعليها في عنقه، فلما نام جعلتها في عنقه، فلما هبّ جذبها فوقعت من يده وعنقه، فقال لها: لم فعلت هذا؟ قالت: أجرب بها قوتك، ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمشون، أما في الأرض شيء يغلبك؟ قال: إلّا شيء واحد، قالت: وما هو؟ قال لها: ها أنا لمخبرك به، فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر كثير، فقال لها: ويحك إن أمي كانت جعلتني نذيراً فلا يغلبني شيء أبداً، ولا يضبطني إلّا شعري، فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه، فأوثقه ذلك وبعثت إلى القوم.

فجاءوا فأخذوه فجدعوا أنفه وانفذوا أذنيه وفقأوا عينيه، ووقفوا بين ظهراني المدينة، وكانت مدينة ذات أساطين، وكان ملكهم قد أشرف عليها بالناس لينظروا إلى شمشون وما يصنع به، فدعا شمشون ربّه حين مثلوا ووقفوه أن يسّلطه عليهم، فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس الذين معه فاجتذبهما جميعاً فجذبهما، فردّ الله تعالى إليه بصره وما أصابوا من جسده، ووقعت المثذنة بالملك ومن عليها من الناس، فهلكوا فيها هدماً^(١).

وقيل: هو أن الرجل فيما مضى كان لا يستحق أن يقال له: عابد، حتى يعبد الله ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فجعل الله سبحانه لأمة محمد (عليه السلام) ليلة خيراً من ألف شهر كانوا يعبدون فيها.

وقال أبو بكر الورّاق: كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر، فيحتمل أن يكون معنى الآية: ليلة القدر خير لمن أدركها مما ملكه سليمان وذو القرنين (عليهما السلام).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبه قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن الأشقر قال: حدّثنا زيد بن أكرم قال: حدّثنا أبو داود قال: حدّثنا علقمة بن الفضل عن يوسف بن مازن الراسبي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي فقال: سوّدت وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل فبايعته يعني معاوية فقال: «لا تؤنّبني [رحمك الله فإن] رسول الله ﷺ قد أري بني أمة يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساء ذلك فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ونزلت ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تملكه بنو أمة.

قال القاسم: اللهمّ فحسبنا ملك بني أمة فإذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص^(٢) [٢١٨].

وقال المفسّرون: عمل صالح في ليلة القدر خيرٌ من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وروى الربيع عن أبي العالية قال: ليلة القدر خيرٌ من عمر ألف شهر، وقال مجاهد: سلام الملائكة والروح عليك تلك الليلة خير من سلام الخلق عليك ألف شهر فذلك [قوله] سبحانه ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ﴾.

قرأ طلحة بن مصرف تَنْزَلَ خفيفة، من النزول، والروح يعني جبرئيل في قول أكثر المفسّرين يدلّ عليه ما روى قتادة عن أنس أن رسول الله (عليه السلام) قال: «إذا كان ليلة القدر نزل جبرئيل في كبكة من الملائكة يصلّون ويسلمون على كلّ عبد قائم أو قاعد يذكر الله سبحانه» [٢١٩]^(٣).

(١) بطوله في تاريخ الطبري: ١ / ٤٦٥.

(٢) مستدرک الصحيحين: ٣ / ١٧٠، وتحفة الأحوذى: ٩ / ١٩٧.

(٣) زاد المسير: ٨ / ٢٨٧.

وقال كعب ومقاتل بن حيان: الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

وقال الواقدي: هو مَلَكٌ عظيم [من أعظم الملائكة خلقاً] ^(١) يخلق من الملائكة.

﴿فيها﴾ أي في ليلة القدر ﴿يَأْذُنُ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَدَرَهُ اللَّهُ سبحانه وقضاه في تلك السنة إلى قابل، لقوله سبحانه في الرعد: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ^(٢) أي بأمر الله.

وقد أخبرنا محمد بن عبدوس قال: حدَّثنا محمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن الجهم قال: حدَّثنا يحيى بن زياد الفراء قال: حدَّثني أبو بكر بن عباس عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه كان يقرأ من كل امرئ سلام، ورويت هذه القراءة أيضاً عن علي بن أبي طالب وعكرمة، ولها وجهان:

أحدهما: إنه وجه معناه إلى الملك أي من كل ملك سلام.

والثاني: أن يكون من بمعنى على تقديره: على كل امرئ من المسلمين سلام من الملائكة كقوله سبحانه: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ ^(٣) أي على القوم، والقراءة الصحيحة ما عليه العامة؛ لاجتماع الحجة من القراءة عليها ولموافقتها خط المصاحف؛ لأنه ليس فيها ياء.

وقوله: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ تمام الكلام عند قوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثم ابتداء فقال سبحانه: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ أي ليلة القدر سلام وخير كلها ليس فيها شر.

قال الضحاك: لا يقدر الله سبحانه في تلك الليلة إلا السلامة، فأما في الليالي الأخر فيقضي الله تعالى فيهنّ البلاء والسلامة، قال مجاهد: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أن يحدث فيها أذى.

وقال الشعبي ومنصور بن زاذان: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، يمرون على كل مؤمن ويقولون: السلام عليك يا مؤمن.

﴿حتى مطلع الفجر﴾ حتى حرف غاية، مجازها إلى مطلع الفجر. قرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي وخلف بكسر اللام، غيرهم بفتحها وهو الاختيار؛ لأن المطلع بفتح اللام بمعنى الطلوع يقال: طلعت الشمس طلوعاً ومطلعاً، فأما المطلع بكسر اللام فإنه موضع الطلوع، ولا معنى للاسم في هذا الموضع، إنما هو لمعنى المصدر، والله أعلم.

(١) عن تفسير ابن كثير: ٤ / ٤٩٦.

(٢) سورة الرعد: ١١.

(٣) سورة الأنبياء: ٧٧.

سورة البينة (المنفكين)

مدنيّة، وهي ثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفاً
وأربع وتسعون كلمة وثمانى آيات

أخبرنا السلمي والخبازي قالا: أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن موسى بن النعمان قال: حدّثنا فهد بن سليمان قال: حدّثنا إسحاق بن بشير قال: حدّثنا مالك بن أنس عن محمد بن سعيد عن سعيد بن المسيّب عن أبي الهاد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ لعطّلوا الأهل والمال وتعلّموها» فقال رجل من خزاعة: ما فيها من الأجر يا رسول الله؟ قال رسول الله (عليه السلام): «لا يقرأها منافق أبداً ولا رجل في قلبه شك في الله عزّ وجل، والله إن الملائكة المقربين ليقرأونها منذ خلق الله السماوات والأرض لا يفترّون من قراءتها، وما من عبد يقرأها بليل إلا بعث الله سبحانه ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه، ويدعون الله له بالمغفرة والرحمة، فإن قرأها نهاراً أعطى عليها من الثواب مثل ما أضاء عليه النهار وأظلم عليه الليل».

فقال رجل من قيس عيلان: زدنا من هذا الحديث فذاك أبي وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «تعلّموا ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١) وتعلّموا ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾^(٢) وتعلّموا ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(٣) وتعلّموا ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾^(٤) وإنكم لو تعلمون ما فيهن لعظمتن ما أنتم فيه وتعلّمتموهن وتقرّبتم إلى الله سبحانه بهن فإن الله يغفر بهن كل ذنب إلا الشرك بالله.

واعلموا أنّ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(٥) [تجادل عن صاحبها] وتستغفر له من الذنوب» [٢٢٠] (٦).

وأخبرني الخبازي قال: حدّثنا ظفران قال: حدّثنا بن أبي داود قال: حدّثنا محمد بن

(١) سورة النبأ: ١.

(٢) سورة ق: ١.

(٣) سورة البروج: ١.

(٤) سورة الطارق: ١.

(٥) سورة الملك: ١.

(٦) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤١١.

عاصم قال: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُخَلَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ زُرِّ عَنْ أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (عليه السلام): «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مُسَافِرًا أَوْ مُقِيمًا» [٢٢١] (١).

وأخبرني الحسين قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى الْمُوصِلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ رَبِّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يَحْدُثُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (عليه السلام) لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» قال: وسَمَانِي؟ قال: «نعم» فبَكَى [٢٢٢] (٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِسْمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود والنصارى، والمشركون وهم عبدة الأوثان، ﴿منفكين﴾ منتهين عن كفرهم وشركهم، وقال أهل اللغة: زائلين، يقول: العرب: ما انفك فلان يفعل كذا، أي ما زال، وأصل الفك الفتح، ومنه فك الكتاب، وفك الخلخال، وفك البيالم وهي خورنق العطر، قال طرفة:

وَأَلَيْتَ لَا يَنْفَكُ كَشَحِي بِطَانَةٍ لِعُضْبِ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مِنْهُدٍ (٣)

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة وهي محمد (عليه السلام) أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم، وهداهم إلى الإيمان، وقال ابن كيسان معناه لم يكن هؤلاء الكفار تاركين صفة محمد (عليه السلام) حتى بعث، فلمّا بعث تفرّقوا فيه.

ثم فسّر البيّنة فقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾. فأبدل النكرة من المعرفة كقوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ * فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ (٤).

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤١١.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ١٣٠.

(٣) لسان العرب: ٢ / ٥٧٢.

(٤) سورة البروج: ١٥ - ١٦.

﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ ﴿صُحُفًا﴾ كِتَابًا ﴿مُطَهَّرَةً﴾ من الباطل ﴿فِيهَا كُتِبَ﴾ من الله ﴿قِيَمَةٌ﴾ مستقيمة عادلة ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في أمر محمد (عليه السلام) فكذبوه ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ البيان في كتبهم أنه نبي مرسل.

قال العلماء: من أول السورة إلى قوله: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ حكمها في من آمن من أهل الكتاب والمشركون، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ﴾ حكمه في من لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجج عليها.

قال بعض أئمة أهل اللغة قوله: ﴿مُنْفَكِينَ﴾ أي هالكين من قوله انفك صلا المرأة عند الولادة وهو أن تفصل ولا يلتئم فهلك، ومعنى الآية: لم يكونوا هالكين أي معذبين إلا بعد قيام الحجّة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتب.

وقرأ الأعمش (والمشركون) رفعا، وفي مصحف عبد الله (لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين) وفي حرف أبي (ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون منفكين حتى تأتيهم البينة رسولا من الله) بالنصب على القطع والحال.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين التوحيد والطاعة ﴿خُنَفَاءَ﴾ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام.

وقال ابن عباس: حجاجاً، وقال قتادة: الحنيفية هي الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعَمَّات والخالات، وإقامة المناسك.

وقال سعيد بن حمزة: لا تسمى العرب حنيفاً إلا من حجّ واختتن ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ الذي ذكرت ﴿دين القيمة﴾ المستقيمة فأضاف الدين إلى القيمة وهو أمر فيه اختلاف اللغظين وأنت القيمة لأنه رجع بها إلى الملة والشرعة، وقيل: الهاء فيه للمبالغة.

سمعت أبا القاسم الحنبلي يقول: سمعت أبا سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني يقول: إن القيمة هاهنا الكتب التي جرى ذكرها، والدين مضاف إليها على معنى: وذلك دين الكتب القيمة فيما يدعو إليه وبأمر به، نظيرها قوله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(١).

وقال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله سبحانه: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ فقال: القيمة جمع القيم، والقيّم [والقائم] واحد ومجاز الآية: وذلك دين القائمين لك بالتوحيد^(٢).

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤١٤.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ الخليفة، قرأ نافع البرئة بالهمزة في الحرفين ومثله روى ابن ذكوان عن أهل الشام على الأصل لأنه من قولهم: برأ الله الخلق يبرأهم برءاً، قال الله سبحانه: ﴿من قبل نبأها﴾، وقرأ الآخرون بالتشديد من غير همزة، ولها وجهان:

أحدهما أنه ترك الهمزة وأدخل الشبه به عوضاً منه.

والآخر أن يكون (فعيلة) من البراء وهو التراب، تقول العرب: بفيك البراء فمجازاه: المخلوقون من التراب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

قال الصادق عليه السلام: بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق، ورضوا عنه بما من عليهم بمتابعتهم لرسوله، وقبولهم ما جاءهم به، أي أن بيان رضا الخلق عن الله رضاهم بما يرد عليهم من أحكامه ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضا عنه [٢٢٣].

محمد بن الفضيل: الرُّوح والراحة في الرضا واليقين، والرضا باب الله الأعظم ومستراح العابدين. محمد بن حقيق: الرضا ينقسم قسمين: رضاً به ورضاً عنه، فالرضا به رباً ومدبراً، والرضا عنه فيما يقضي ويقدر.

وقيل: الرضا رفع الاختيار. ذي النون: الرضا: سرور القلب لمرّ القضاء. حارث: الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم. أبو عمرو الدمشقي: الرضا نهاية الصبر. أبو بكر بن طاهر: الرضا خروج الكراهية من القلب حتى لا يكون إلا فرح وسرور. الواسطي: هو النظر إلى الأشياء يعني الرضا حتى لا يسخطك شيء إلا ما يسخط مولاك. ابن عطاء: هو النظر إلى قديم إحسان الله للعبد فيترك السخط عليه.

سمعت محمد بن الحسين بن محمد يقول: سمعت محمد بن أحمد بن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عبد الحميد يقول: سمعت السهمي يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟

سورة الزلزلة

مَكِّيَّة، وهي مائة وتسعة وأربعون حرفاً،
وخمس وثلاثون كلمة، وثمانية آيات

أخبرنا يعقوب بن أحمد بن السهمي العروضي في درب الحاجب قال: أخبرنا محمد بن عبد الله العثماني قال: حدَّثنا أبا القاسم الطائي قال: حدَّثني أبي قال: حدَّثني علي بن موسى الرضا قال: حدَّثني أبي موسى بن جعفر قال: حدَّثني أبي جعفر بن محمد قال: حدَّثني أبي محمد بن علي قال: حدَّثني أبي علي بن الحسين قال: حدَّثني أبي الحسين بن علي قال: حدَّثني أبي علي بن طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ» [٢٢٤] (١).

وأخبرني محمد بن القاسم قال: حدَّثني أبو بكر محمد بن عبد الله قال: حدَّثنا الحسن بن سفيان قال: حدَّثنا علي بن حجر قال: حدَّثنا يزيد بن هارون قال: حدَّثنا اليمان بن المغيرة عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله (عليه السلام): «﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٢) تعدل ثلث القرآن و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (٣) تعدل ربع القرآن» [٢٢٥] (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا ④ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسَ أَشْتَاتًا ⑥ لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑦

﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ حُرِّكَتِ الْأَرْضُ حَرَكَةً شَدِيدَةً لِقِيَامِ السَّاعَةِ ﴿زِلْزَالَهَا﴾ تَحْرُكُهَا وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِكسر الزاي.

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٤٦.

(٢) سورة الإخلاص: ١.

(٣) سورة الكافرون: ١.

(٤) كنز العمال: ١ / ٥٨٤.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا [الباقرجي] قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن محمد بن ياسين البغدادي قال: حَدَّثَنَا جميل بن الحسن قال: حَدَّثَنَا أحمد بن موسى صاحب اللؤلؤ قال: سمعت عاصم الجحدري يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ الزاي مفتوحة وهو مصدر أيضاً كالوسواس والقلقال والجرجار، وقيل: الكسر المصدر والفتح الاسم.

﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ موتاها وكنوزها فيقلبها على ظهرها ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فيقول الإنسان: ما لها.

قال المفسرون: تُخْبِر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر فتقول للمؤمن يوم القيامة: جَدَّ عَلَيَّ وصام وصلَّى واجتهد وأطاع ربَّه، فيفرح المؤمن بذلك، وتقول للكافر: شَرَّكَ عَلَيَّ وزنى [وسرق] وشرب الخمر فيوتخ بالمشهد، وتشهد عليه الجوارح والملائكة مع علم الله سبحانه به حتى يودُّ أنه سيق إلى النار مما يرى من الفضح.

حَدَّثَنَا أبو بكر محمد بن عبدوس المزكي إملاءً قال: أخبرنا أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل المروزي قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن حماد الأملي قال: حَدَّثَنَا سعيد بن أبي مريم قال: حَدَّثَنَا رشد بن سعد قال: حَدَّثَنَا يحيى بن أبي سلمى عن أبي حازم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عُملَ على ظهرها» قال: وتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟ إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عُملَ على ظهرها» [٢٢٦] (١).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا علي بن الحسن بن مطرف الجراحي قال: حَدَّثَنَا أبو عيسى عبد الرحمن بن عبد الله الأنباري قال: حَدَّثَنَا أحمد بن إبراهيم قال: حَدَّثَنَا خالد بن يزيد العمري قال: حَدَّثَنَا شعبة عن يحيى بن سليم أبي بلج عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي (عليه السلام) ذكر هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: «تدري ما أخبارها؟» قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كلِّ عبد وأمة بما عمل على ظهرها من شيء، تقول: عمل على ظهري كذا وكذا، أو حملتُ على ظهري كذا وكذا يوم كذا لكذا وكذا، فهذه أخبارها» [٢٢٧] (٢).

وفي حرف ابن مسعود يومئذ تنبئ أخبارها.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا المطرفي قال: حَدَّثَنَا بشر بن مطر قال: حَدَّثَنَا سفيان

(١) الدر المشهور: ٦ / ٣٨٠، بتفاوت يسير.

(٢) سنن الترمذي: ٤ / ٤١.

عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه - وكان أبوه يتيماً في حجر أبي سعيد الخدري - قال: قال لي يعني أبا سعيد: يا بُنَيَّ إذا كنت في البوادي فارفع صوتك بالأذان فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يسمعه جنّ ولا إنس ولا حجر إلّا يشهد له» [٢٢٨] (١).

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: حدّثنا محمد بن عامر السمرقندي قال: حدّثنا ابن الحسين قال: حدّثنا علي بن حميد عن إبراهيم عن أبيه قال: رأيت أبا أمية صلّى في المسجد الحرام المكتوبة، ثم تقدم فجعل يصلي ها هنا وها هنا، فلما فرغ قلت: يا أبا أمية ما هذا الذي رأيتك تصنع؟ قال قرأت هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فاردت أن تشهد لي يوم القيامة.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أي أمرها بالكلام واذن لها فيه، قال [العجاج يصف الأرض]:
أوحى لها القرار فاستقرّت وشدها بالراسيات الثبّت
أي أمرها بالقرار.

وقال ابن عباس والقرظي وابن زيد: أوحى إليها. ومجاز الآية: يوحى الله إليها.
﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ عن موقف الحساب، أشتاتاً: متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ قيل: في هذه الآية تقديم وتأخير تقديرها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا * وقراءة العامة ليروا بضم الياء، وقرأ الحسن والأعرج بفتح الياء وروي ذلك عن النبي ﷺ.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ أي يرى ثوابه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا إلّا أراه الله إياه، أما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته، فيغفر له سيئاته ويثيبه لحسناته، وأما الكافر فتردّ حسناته ويعذبه بسيئاته.

وقال محمد بن كعب في هذه الآية: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من كافر يرى ثوابه في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير، ومن يعمل مثقال ذرة شراً من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا، وليس له عند الله شر.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا عقيل أنّ أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير قال: حدّثني أبو

(١) مسند أحمد: ٣ / ٦، بتفاوت، تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤١٩، بدون تفاوت.

الخطاب الجنائي قال: حدثنا الهيثم بن الربيع قال: حدثنا سماك بن عطية عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي (عليه السلام) فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فرجع أبو بكر - رضي الله عنه - يده وقال: يا رسول الله أتني أخبر بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: «يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر^(١) الخير حتى تُوفاه يوم القيامة» [٢٢٩] (٢).

له عن محمد بن جرير قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا بن وهب قال: حدثني حبي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - قاعد فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله (عليه السلام): «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: أبكتني هذه السورة، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «والله لو أنكم لا تُخْطِئُونَ ولا تُذْنِبُونَ ويغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم» [٢٣٠] (٣).

وقراءة العامة يره بفتح الياء في الحرفين، وقرأ خالد بن نشيط وعاصم الجحدري بضم اليائين لقوله: ﴿لِيرَوْا﴾.

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لما نزل ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٤) كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها ويقول: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه يقول الله سبحانه: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ فما أحب لنا هذا فردّه غفران، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، الكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول: ليس عليّ من هذا شيء إنما وعد الله سبحانه النار على الكبائر، وليس في هذا إثم، فأنزل الله سبحانه يرعّبهم في القليل من الخير أن يعطوه، فإنه يوشك أن يكثروا ويحذّروا من الذنب فإنه يوشك أن يكبروا، فالإثم الصغير في عين صاحبه يوم القيامة أعلى من الجبال، وجميع محاسنه أقل في عينه من كل شيء فقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

سئل ثعلبة عن الذرة قال: إن مائة مثل وزن حبة والذرة واحد منها. وقال يزيد بن مروان: زعموا أن الذرة ليس لها وزن، ومعنى الميثقال الوزن، وهو مفعول من الثقل، وقال

(١) في الأصل: مثاقيل الخير.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٧٧ / ٤.

(٣) مجمع الزوائد: ٧ / ١٤١، بتفاوت يسير.

(٤) سورة الدهر: ٨.

ابن مسعود: أحكم آية في القرآن ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وكان رسول الله ﷺ يسميها «الجامعة الفاذة» [٢٣١] (١)، وتصدق سعد بن أبي وقاص بتمرتين وقبض السائل يده فقال سعد: ويحك تقبل الله منا مثقال الذرة والخردلة وكأين في هذه من مثاقيل.

وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة بحبة من عنب وقالوا فيها مثاقيل ذرّ كثير.

وروى المطلب بن [عبدالله عن عائشة] أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قرأ في مجلس ومعهما أعرابي جالس فقال رسول الله (عليه السلام): ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فقال الأعرابي: يا رسول الله مثقال ذرة؟ قال له: «نعم»، فقال الأعرابي: يا رسول الله مثقال ذرة؟ قال له «نعم»، فقال الأعرابي: واسوأناه منا إذاً، ثم قام وهو يقولها فقال رسول الله (عليه السلام): «لقد دخل قلب الأعرابي الإيمان» [٢٣٢] (٢).

وأخبرنا عبد الله بن حاطب قال: أخبرنا محمد بن عامر السمرقندي قال: حدثنا عمر بن يحيى قال: حدثنا عبد بن حميد عن وهب بن جرير عن أبيه قال: سمعت الحسن يقول: «قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي (عليه السلام) فلما سمع ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قال: حسبي ما أبالي ولا أسمع من القرآن غير هذا» [٢٣٣] (٣).

وقال الربيع بن صبيح: مرّ رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة، فلما بلغ آخرها قال: «حسبي قد أتممت الموعظة» فقال الحسن: «لقد فقه الرجل» [٢٣٤].

أنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسر قال: أنشدني أبو الفضل أحمد بن محمد بن حمدون الفقيه قال: أنشدني أبو بكر أحمد بن محمد بن إبراهيم الحواري بواسط:

وزن مثقال ذرة سيّراه	إنّ من يعتدي ويكسب إثماً
وبفعل الجميل أيضاً جزاه	ويجازى بفعله الشرّ شراً
في إذا زلزلت جلّ ثنائه (٤)	هكذا قوله تبارك ربّي

(١) صحيح البخاري: ٧٩ / ٣.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٥٢ والدر المنثور: ٦ / ٣٨١.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٥٣ وتفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٢٠.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٥٢.

يعني الخيل.

قال مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حي من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمر الأنصاري أحد النقباء فتأخر خبرهم، وقال المنافقون: قتلوا جميعاً فأخبره الله سبحانه عنها فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ يعني تلك الخيول غدت حتى ضبحت، وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة، وقال الحكماء: هو تقلقل الجرذان في القُنب. وقيل: هو صوت إرخاء مشافرها إذا عدت، قال أبو الضحى: وكان ابن عباس يقول: ضباحها أج أج. وقال قوم: هي الإبل.

أنبأني عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن أبي سعيد قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قال: حدثنا مروان بن معاوية قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله سبحانه: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ قال: ما رأى فيه عكرمة؟ فقال عكرمة: قال ابن عباس: هي الخيل في القتال، فقلت أنا: (قال علي: هي الإبل في الحج)، وقلت: مولاي أعلم من مولاك.

وقال الشعبي تمارى علي بن عباس في قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ فقال ابن عباس: هي الخيل، ألا تراه يقول: ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا﴾ فهل تُثير إلا بحوافرها، وهل تضبح الإبل؟ وإنما تضبح الخيل، فقال علي: ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرس أبلق للمقداد بن الأسود. وفي رواية أخرى وفرس لمرد بن أبي مرثد الغنوي.

وأخبرني عقيل بن أبي الفرج، أخبرهم عن أبي جرير قال: حدثني يونس قال: أخبرنا بن وهب قال: حدثنا أبو صخر عن أبي لهيعة البجلي عن سعيد بن حسين عن ابن عباس حدثه قال: بينما أنا في الحجر جالس أتاني رجل فسأل عن العاديات ضبحاً، فقال له: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم، فانفتل عني وذهب إلى علي بن أبي طالب وهو تحت سقاية زمزم وسأله عن العاديات ضبحاً فقال: «سألت عنها أحداً قبلي».

قال: نعم، سألت عنها ابن عباس وقال: هي الخيل تغير في سبيل الله قال: «أذهب فادعه لي»، فلما وقف على رأسه قال: «فتفتي الناس بما لا علم لك به، والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا قَرْسان: فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون العاديات الخيل، بل العاديات ضبحاً الإبل من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى» [٢٣٦] (١).

قال ابن عباس: فنزعت عن قولتي ورجعت إلى الذي قال علي، وإلى قول علي ذهب ابن مسعود ومحمد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي.

وقال بعضهم: من قال: هي الإبل قال ضبحاً يعني ضبعاً بمدّ أعناقها في السير وضبحت وضبت بمعنى واحد، قالت صفية بنت عبد المطلب:

فلا والعدايات غداة جمع بأيديها إذا سطع الغبار
﴿فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحاً﴾ قال عكرمة وعطاء والضحاك: هي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة والأرض المحصبة.

وقال مقاتل والكلبي: والعرب تُسمي تلك النار نار أبي حباب.

وكان أبي حباب شيخاً من مُضر في الجاهلية وكان من أبخل الناس، وكان لا يوقد ناراً لخبز ولا غيره حتى تنام كل ذي عين، فإذا نام أصحابه وقَدَ نويرة تقد مرّة وتخدم مرّة، فإذا استيقظ بها أحد أطفالها كراهية أن ينتفع بها أحد، فشبهت العرب هذه النار بناره، أي لا ينتفع به كما لا يُتَنَفَعُ بنار أبي حباب.

ومجاز الآية: والقادحات قدحاً فخالف بين الصدر والمصدر.

وقال قتادة: هي الخيل تهيج للحرب ونار العداوة بين أصحابها وفرسانها.

وروى سعيد بن حسن عن ابن عباس قال: هي الخيل تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم.

مجاهد وزيد بن أسلم: هي مكر الرجل والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر لصاحبه قال: أما والله لأقدحنّ لك ثم لأورينّ لك.

سعيد بن جبیر: يعني رجال الحرب. عكرمة: هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به.

ابن جريج عن بعضهم: فالمنجّحات عملاً كنجاح الود إذا أوريّ. محمد بن كعب: هي النيران بجمع.

﴿فَالْمُفِيرَاتِ ضُبْحاً﴾ يعني الخيل، تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح، هذا قول أكثر المفسرين.

قال القرظي: هي الأبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى، والسنة أن لا يدفع حتى يصبح، والإغارة سرعة السير، ومنه قولهم: أشرق ثبير كما نغير.

﴿فَأَثَرُنَ﴾ فيهيّجن. وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد من التأثير به أي بذلك المكان الذي انتهين إليه كناية عن غير مذكور؛ لأن المعنى مفهوم مشهور.

﴿نَقْعاً﴾ أي غباراً ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ أي دخلن به وسطهم يقال: وسطت القوم، بالتخفيف،

ووسطّتهم بالتشديد، وتوسطتهم كلّها بمعنى واحد، وقرأ قتادة فوسطن، بالتشديد ﴿جَمْعاً﴾ أي جمع العدو وهم الكتيبة، وقال القرطبي: يعني جمع منى.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لَيَحْزَنُ الْخَيْرَ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع: لكفور جحود لنعم الله تعالى. قال الكلبي: هو بلسان كندة وحضرموت، وبلسان معد كلهم: العاصي، وبلسان مضر وربيعة وقضاعة: الكفور، وبلسان بني مالك البخيل.

وروى شعبة عن سماك أنه قال: إنما سميت كندة؛ لأنها قطعت أباها.

وقال ابن سيرين: هو اللوام لربه. وقال الحسن: هو الذي يعدّ المصائب وينسى النعم، أخذه الشاعر فقال:

يا أيها الظالم في فعله والظلم مردودٌ على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم^(١)

وأخبرنا أبو القمر بن حبيب في صفر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعد الرازي قال: حدّثنا العباس بن حمزة قال: حدّثنا أحمد بن محمد قال: حدّثنا صالح بن محمد قال: حدّثنا سلمة عن جعفر بن الزبير عن القمي عن أبي أمامة عن رسول الله (عليه السلام) في هذه الآية: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال رسول الله (عليه السلام): «أندرون ما الكنود؟»، فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «الكنود [قال: هو الكفور الذي] يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده» [٢٣٧] (٢).

وقال عطاء: الكنود الذي لا يعطي في النائبة مع قومه. وقال أبو عبيدة: هو قليل الخير، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً^(٣)! قال أبو ذبيان:

إن نفسي ولم أطب عنك نفساً غير أنني أمني بدهر كنود^(٤)

وقال الفضيل بن عياض: الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة.

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٦٠ مورد الآية.

(٢) تفسير الدر المنثور: ٦ / ٣٨٤، وكتر العمال: ٢ / ٤٨ ح ٣٠٦٤.

(٣) راجع تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٥٣.

(٤) فتح القدير: ٥ / ٤٨٣ بتفاوت.

وقال أبو بكر الورّاق: الكنود الذي يرى النعمة من نفسه وأعوانه. محمد بن علي الترمذي: هو الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم، وقال أبو بكر الواسطي: هو الذي ينفق نعم الله سبحانه في معاصي الله، وقال بسّام بن عبد الله: هو الذي يجادل ربّه على عقد العوض. ذو النون: تفسير الهلوع والكنود قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾^(١).

وقيل: هو الذي يكفر باليسير ولا يشكر الكثير، وقيل: الحقود، وقيل: الحسود. وقيل: جهول القدر. وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره. وقال بعضهم والحسن: رأسه على وسادة النعمة وقلبه في ميدان الغفلة. وقيل: يرى مأمته ولا يرى ما إليه، وجمع الكنود كُنْد. قال الأعشى:

أحدث لها [تحدث] لوصلك أنها كند لوصل الزائر المعتاد^(٢)
 ﴿وإنَّه على ذلك لشَهِيدٌ﴾ قال أكثر المفسرين: وإن الله على كنود هذا الإنسان وصنيعه لشاهد، وقال ابن كيسان: ال (هاء) راجعة إلى الإنسان، يعني أنّه شاهد على نفسه بما يصنع، و﴿أنّه﴾ يعني الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي المال.

وقال ابن زيد: سمى الله المال خيراً وعسى أن يكون خبيثاً وحراماً ولكن الناس يعدّونه خيراً فسماه الله خيراً؛ لأن الناس يسمّونه خيراً وسمي الجهاد سوءاً فقال: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دَارِهِمْ أَوْسَرًا﴾ أي قتال. وليس هو عند الله بسوء ولكن سمّاه الله سوءاً؛ لأنّ الناس يسمّونه سوءاً.

ومعنى الآية وإنه من أجل حب المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بخيل، ويقال للبخيل: شديد ومتشدد، قال طرفة:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد^(٤)
 والفاحش: البخيل أيضاً قال الله سبحانه: ﴿وَيَا مَرْكُومًا بِالْفَتْحَاءِ﴾^(٥) أي البخل، وقيل: معناه: وإنه لحب الخير لقوي، وقال الفراء: كان موضع الحب أن يكون بعد شديد وأن يضاف شديد إليه فيقال: وإنه لشديد الحب للخير، فلما يقدم الحب قبل شديد وحذف من آخره لما جرى ذكره في أوله، ولرؤوس الآيات كقوله سبحانه: ﴿فِي يَوْمٍ عَصِيفٍ﴾^(٦) والعصوف لا يكون

(١) سورة المعارج: ٢٠ - ٢١.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٥٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٤.

(٤) لسان العرب: ٣ / ٢٣٤.

(٥) سورة البقرة: ٢٦٨.

(٦) سورة إبراهيم: ١٨.

لَلْأَيَّامِ إِنَّمَا يَكُونُ لِلرَّيْحِ، فَلَمَّا جَرَى ذَكَرَ الرِّيحِ قَبْلَ الْيَوْمِ طَرَحَتْ مِنْ آخِرِهِ كَأَنَّهُ قِيلَ: فِي يَوْمٍ عَاصِفِ الرِّيحِ.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ يُحْثِ وَأَثِيرُ، قَالَ الْفَرَّاءُ: وَسَمِعْتُ بَعْضَ أَعْرَابِ بَنِي أَسَدٍ يَقْرَأُ: بُحْثِرَ بِالْحَاءِ وَقَالَ: هُمَا لَفْتَانِ.

﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ فَأَخْرَجُوا مِنْهَا ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أَيُّ مُيِّزٍ وَأَبْرَزَ مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَقَرَأَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ حَصَلَ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَتَخْفِيفِ الصَّادِ أَيُّ ظَهَرَ.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾ جَمَعَ الْكُنْيَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ اسْمَ الْجِنْسِ.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ عَالِمٌ، وَالْقِرَاءَةُ بِكَسْرِ الْأَلْفِ لِأَجْلِ اللَّامِ، وَلَوْلَا هِيَ لَكَانَتْ مَفْتُوحَةً بِوَقُوعِ الْعِلْمِ عَلَيْهَا. وَبَلَّغَنِي أَنَّ الْحِجَاجَ بْنَ يُونُسَ قَرَأَ عَلَى الْمَنْبَرِ هَذِهِ السُّورَةَ يَحْضُ النَّاسُ عَلَى الْغَزْوِ فَجَرَى عَلَى لِسَانِهِ: أَنَّ رَبَّهُمْ بَفَتْحِ الْأَلْفِ ثُمَّ اسْتَدْرَكَهَا مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَقَالَ: خَبِيرٌ، وَأَسْقَطَ اللَّامَ.

سورة القارعة

مَكِّيَّة، وهي مائة واثنان وخمسون حرفاً،
وست وثلاثون كلمة، واحدى عشرة آية

أخبرني ابن المقرئ قال: أخبرنا ابن مطر قال: حدثنا ابن شريك قال: حدثنا ابن يونس قال: حدثنا ابن سليم قال: حدثنا ابن شبر عن ابن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القارعة ثقل الله سبحانه بها ميزانه يوم القيامة» [٢٣٨] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٠﴾

﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾
وهي الطير التي تتساقط في النار، المبثوث: المتفرق. قال الفراء: الغوغاء: الجراد يركب بعضه بعضاً من الهول.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كالصوف المصبوغ المبلل.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مرضية في الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ مسكنه ومأواه النار. قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قال: هوت أمه، وقال بعضهم: أراد أم رأسه، يعني أنهم يهونون في النار على رؤوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح.

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾ أي من؟ فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

وأخبرنا ابن حامد قال [حدّثنا] صالح بن محمد قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد عن جعفر ابن زيد عن أنس بن مالك قال: إن ملكاً من ملائكة الله عزّ وجلّ موكل يوم القيامة بميزان آدم، فيجاء به حتى يوقف بين كفتي الميزان، فيوزن عمله فإن ثقل ميزانه نادى الملائكة بصوت يسمع جميع الخلق باسم الرجل: أَلَا سَعْدُ فلان سعادة لا شقاوة بعدها، وإن خفّت موازينه ينادي الملائكة: أَلَا شَقِيّ فلان شقاوة لا سعادة بعدها.

سورة التكاثر

مَكِّيَّة، وهي مائة وعشرون حرفاً، وثمان وعشرون كلمة، وثمان آيات

أخبرني محمد بن القثم قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَطَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَرِيكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ سَلِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنْ أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): «مَنْ قَرَأَ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرَ لَمْ يَحَاسِبْهُ بِالنَّعِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ» [٢٣٩] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② لَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ لَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ لَا تَنْفَعُكُمْ أَلْمِيقَاتُ ⑤ لَكُمْ فِيهَا مِنْ أَنْبَاءِ الْبَرِّ وَالْأَنبَاءِ ⑥ لَكُمْ فِيهَا مِنْ أَنْبَاءِ الْبَرِّ وَالْأَنبَاءِ ⑦ لَكُمْ فِيهَا مِنْ أَنْبَاءِ الْبَرِّ وَالْأَنبَاءِ ⑧

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يقول: شغلنكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه عليكم ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي مَتَمَّ فدفنتم فيها.

قال قتادة: نزلت في اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً. وقال ابن بريدة: نزلت في فخذ من الأنصار تفاخروا. مقاتل والكلبي: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف وبني قصي، وبني سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب، كان بينهم لحاء فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيداً وأعزّ عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عدداً.

وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا: نعدّ موتانا حتى زاروا القبور فعدّوهم، وقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان، فكثرهم بنو سهم بثلاثة آيات؛ لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية فأُنزل الله سبحانه هذه الآية.

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر، وأبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحبريان قالا: أخبرنا أبو محمد حاجب بن أحمد بن [سفيان] قال: حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن مسيب قال: حَدَّثَنَا النضر بن شميل قال: أَخْبَرَنَا شعبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله عن النخير عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله (عليه السلام) وهو يقرأ هذه الآية: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت.

وروى زر بن حبیش عن علي بن أبي طالب قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ إلى ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني في القبر.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ والتكرير على التأكيد، وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني الكفار ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني المؤمنين، وكذلك كان يقرأها: الأولى بالتاء والثانية بالياء ثم ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي علماً يقيناً فأضاف العلم إلى اليقين لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾^(١) قال قتادة: كنّا نحدّث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ يصلح أن يكون في معنى الماضي جواباً لـ (لو)، تقديره: لو تعلمون العلم اليقين لرأيتم الجحيم بقلوبكم، ثم رأيتموها بالعين اليقين.

وقيل: معناه لو تعلمون علم اليقين لشغلكم عن التكاثر والتفاخر، ثم استأنف ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ على نية القسم، وإلى هذا ذهب مقاتل، وقيل: معناه: لو علمتم يقيناً أنكم ترون النار لشغلكم ذلك عما أنتم فيه.

وقيل: ذكر (كلّا) ثلاث مرّات أراد: تعلمون عند النزوع، وتعلمون في القبر، وتعلمون في القيامة، ثم ذكر في الثالثة علم اليقين؛ لأنّه صار عياناً ما كان مُغَيَّباً.

وقراءة العامة لَتَرَوُنَّ بضم التاء في الحرفين، وضمّ الكسائي التاء في الأولى منهما وفتح الأخرى، ورواه عن علي عليه السلام.

أخبرنا محمد بن عبدوس قال: حَدَّثَنَا محمد بن يعقوب قال: حَدَّثَنَا محمد بن الجهم قال: حَدَّثَنَا الفراء قال: أخبرني محمد بن الفضل عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي أنه قرأ ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ بضم التاء الأولى وفتح الثانية، وقال الفراء: الأول أشبه بكلام العرب؛ لأنّه تغليظ فلا ينبغي أن يختلف لفظه.

﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١) اختلفوا فيه وأكثروا، فأخبرنا أبو علي الحسين بن محمد ابن علي بن إبراهيم السراج بقراءتي عليه في الجامع يوم الجمعة في المحرم سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَهْرَانَ الْخَشَّابُ، قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَخْفَشِ مُسْتَمْلِي أَبِي حَفْصِ الْفَلَّاسِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي سُوَيْدٍ الذَّارِعُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَفْيَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (عليه السلام) ﴿لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: «عن الماء البارد» [٢٤٠] (٢).

وحَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَيْمِ الْحَسَنِيُّ السُّنِّي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ بِنِ صَدَقَةٍ بِالرَّمْلَةِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (عليه السلام) فِي قَوْلِ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: «الرطب والماء البارد» (٣).

وقال عبد الله بن عمر: هو الماء البارد في الصيف، ودليل هذا التأويل الخبر المأثور: «أَنْ أَوَّلَ مَا يَسْأَلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: أَلَمْ أَصَحِّ جَسْمَكَ وَأَرَوْكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ» [٢٤١] (٤).

وقال أنس بن مالك: ضاف رسول الله ﷺ إلى المقداد بن الأسود فقدم إليه طعاماً فأكله ثم سقاه ماءً بارداً فاستطابه وقال: «يا بردها على الكبد»، ثم قال: «إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه» قيل ولم؟ قال «أطيب للمعدة، وأنفع للعلقة، وأبعث على الشكر» [٢٤٢] (٥).

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا زكريّا العنبري يقول: سمعت أبا العباس الأزهري يقول: سمعت أبا حاتم يقول: الماء البارد العذب يستخرج الحمد من جوف القلب. وقال مالك بن دينار: قال رجل للحسن: إِنَّ لَنَا جَاراً لَا يَأْكُلُ الْفَالُودَ وَيَقُولُ: لَا أَقُومُ بِشُكْرِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْهَلُ جَارَكُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ أَكْثَرَ مِنْ نِعْمَةٍ بِجَمِيعِ الْحَلَاوِي! وأخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد [بن محمد الرومي] قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصِ مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصِ الْبَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا

(١) سورة التكاثر: ٨.

(٢) الدر المنثور: ٦ / ٣٩١.

(٣) تفسير نور الثقلين: ٥ / ٦٦٥.

(٤) المعجم الأوسط: ١ / ٢٦ وكنز العمال: ٣ / ٢٥٤ ح ٦٤١٦ بتفاوت يسير.

(٥) سبيل الهدى والرشاد: ١٢ / ١٠٤ عن المصنف.

عبد الله بن سلمة بن عياش قال: حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ بْنُ نَزَارٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ (عليه السلام) فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ خَبْزَ الْبُرِّ، وَشَرَبَ الْمَاءَ الْمُبَرَّدَ، وَكَانَ لَهُ ظِلٌّ، فَذَلِكَ النَّعِيمُ الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ» [٢٤٣] (١) (٢).

وَأَخْبَرَنِي ابْنُ فَنَجُويَه قَالَ: حَدَّثَنَا بَنُ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ شِجَاعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قَالَ: «الْأَمْنُ وَالصَّحَّةُ» (٣).

وَأَخْبَرَنِي بَنُ فَنَجُويَه قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ بَرَزَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ بَنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى الرَّقَاشِيُّ الْمَنْقَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَيْسَى بْنُ خَلْفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (عليه السلام) عِنْدَ الظُّهْرِ فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَخْرَجَكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكَ.

قَالَ: وَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا أَبَا الْخَطَّابِ مَا أَخْرَجَكَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. وَقَعَدَ مَعَهُمَا عُمَرُ قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ (عليه السلام) يَحْدِثُهُمَا ثُمَّ قَالَ: «هَلْ لَكُمَا مِنْ قُوَّةٍ تَنْتَظِلُّانِ إِلَى هَذَا النَّخْلِ فَتَصْبِيَانِ طَعَامًا وَشَرَابًا وَظِلًّا؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «مَرُّوا بِنَا إِلَى أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ الْأَنْصَارِيِّ» فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَيْدِينَا فَاسْتَأْذَنَ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأُمُّ الْهَيْثَمِ تَسْمَعُ الْكَلَامَ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، وَتَرِيدُ أَنْ يَزِيدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (عليه السلام)، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ (عليه السلام) أَنْ يَنْصَرِفَ خَرَجَتْ أُمُّ الْهَيْثَمِ تَسْعَى خَلْفَهُمْ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ تَسْلِيمَكَ وَلَكِنِّي أُرَدْتُ أَنْ تَزِيدَنَا مِنْ سَلَامِكَ.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (عليه السلام): «أَيْنَ أَبُو الْهَيْثَمِ؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ قَرِيبٌ، ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، ادْخُلُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي السَّاعَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَبَسَطَتْ لَهُمْ بَسَاطًا تَحْتَ شَجَرَةٍ حَتَّى جَاءَ أَبُو الْهَيْثَمِ، فَفَرَحَ بِهِمْ أَبُو الْهَيْثَمِ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ، وَصَعَدَ أَبُو الْهَيْثَمِ عَلَى نَخْلَةٍ يَصْرُمُ لَهُمْ عِذْقًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبُكَ يَا أَبَا الْهَيْثَمِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْكُلُونَ مِنْ بَسْرِهِ وَمِنْ رَطْبِهِ وَتَذَنُّوبُهُ (٤) ثُمَّ أَتَاهُمْ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ».

(١) مسند أحمد: ٥ / ٣٩.

(٢) كثر العمال: ٢ / ٥٥٥ ح ٤٧١٥ وتفسير الدر المنثور: ٦ / ٣٨٨ مورد الآية وفيه: وشرب ماء الفرات بارداً - وكان له منزل يسكنه.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٦٥.

(٤) التذنب: الذي بدأ فيه الأرطاب من قبل ذنبه.

ثم قام أبو الهيثم إلى شاة لهم ليذبحها، فقال رسول الله ﷺ: «إياك واللبون» وقامت أم الهيثم تعجن لهم وتخبز فوضع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رؤوسهم للقائلة، فانتبهوا وقد أدرك طعامهم فوضع بين أيديهم الطعام فأكلوا وشبعوا وحمدوا الله عز وجل، ثم ردّ عليهم أبو الهيثم بقية الأعذاق فأكلوا من رطبه [ومن تذنبوه] فسلم عليهم رسول الله ﷺ ودعا لهم بخير [٢٤٤] (١).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا الفريابي قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال: حدثنا أبو سعيد المؤذن وهو محمد بن مسلم بن أبي اللؤصاح عن محمد بن عمر عن صفوان بن سليم عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت هذه الآية: «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قالوا: يا رسول الله عن أيّ نعيم نسأل وإنما هما هذان الأسودان التمر والماء، وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: «إِنَّ ذَاكَ لَكَاثِنٌ» [٢٤٥] (٢).

وأخبرنا الفنجوي قال: حدثنا القطيعي قال: حدثنا ابن حنبل قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عتّان قال: حدثنا يزيد بن إبراهيم قال: أخبرنا يوسف ابن أخت ابن سيرين عن أبي قلابة عن النبي ﷺ في قول الله سبحانه: «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قال: «ناس من أمتي يعتقدون السمن والعسل بالنقي فيأكلونه» [٢٤٦] (٣).

وأخبرنا بن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال: أخبرنا هيثم قال: أخبرنا منصور بن زاذان عن ابن سيرين عن ابن عمر قال: لا يدخل الحمام فإنه مما أحدثوا من النعيم، قال: وكان منصور لا يدخل الحمام.

وأخبرني الحسين قال: حدثنا [أحمد بن جعفر بن حمدان] قال: حدثنا محمود (٤) بن الفرج قال: حدثنا ابن أبي الشوارب قال: حدثنا أبو عوانة عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لِيَعْدُدَ نِعْمَهُ عَلَى الْعَبْدِ فِي الْمَصْدَرِ: [يوم القيامة حتى يعدّ عليه]: سألتني فلانة أن أزوجهها، يسميها باسمها فزوجتكها» [٢٤٧] (٥).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا بن صقلاب قال: حدثنا ابن أبي الخصب قال: حدثني محمد بن عيسى قال: حدثنا فضل بن سهل قال: حدثنا حفص بن عمر قال: حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: لما نزلت «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قالت الصحابة: يا رسول الله

(١) المعجم الكبير: ١٩ / ٢٥٤، مجمع الزوائد: ١٠ / ٣١٧، ومسند أبي يعلى: ١ / ٢١٥ ح ٢٥٠.

(٢) مجمع الزوائد: ٧ / ١٤٢ بتفاوت يسير.

(٣) الدر المنثور: ٦ / ٣٨٨ وفتح القدير: ٥ / ٤٩٠.

(٤) رواه في غير موضع: أحمد بن الفرج.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٧٧.

وأي نعيم نحن فيه. وإنما نأكل في أنصاف بطوننا الشبع؟ فأوحى الله سبحانه إلى نبيه: قل لهم: «أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم» [٢٤٨] (١).

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا أبو زرعة الرازي قال: حدثنا أبو الحسن الأشناني القاضي قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن سعيد الخراز قال: حدثني أبي قال: حدثني محمد بن مروان عن أبان بن تغلب عن أنس بن مالك قال: لما نزلت ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ جاء رجل محتاج فقال: يا رسول الله هل علي من النعمة شيء؟ قال: «نعم، النعلان، والظل، والماء البارد» [٢٤٩] (٢).

وأخبرنا محمد بن محمد بن هاني قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد الرواساني قال: حدثنا أبو سعيد الأشج قال: حدثنا ابن نمير عن ابن جريج عن مجاهد ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: عن كل لذة من لذات الدنيا.

وأبناي عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا محمد بن الحسن قال: حدثنا علي بن الحسن بن أبي عيسى قال: حدثنا يحيى بن يحيى قال: حدثنا أبو عامر بن أساف اليمامي عن يحيى وهو عبد لابن أبي كثير قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ على أصحابه فلما بلغ ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: «هل تدرون ما ذاك النعيم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «بيت يقلك، وخرقة توارى عورتك، وكسرة تشد بها صلبك ما سوى ذلك نعيم» [٢٥٠] (٣).

وأخبرنا عبد الله بن حامد إجازة قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى المكي قال: حدثني أبو بكر محمد بن جعفر المقري بشمشاط قال: حدثنا أحمد بن سفيان بن علقمة بن عبد الله المقدمي قال: حدثنا عمرو بن خالد قال: حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: «تكاثر الأموال: جمعها من غير حقها، ومنعها عن حقها، وشدها في الأوعية، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى دخلتم قبوركم ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لو قد دخلتم قبوركم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لو قد تطايرت الصحف فشقي وسعيد ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ - قال: - وذلك حين يؤتى بالصراف فينصب بين حفرتي جهنم (٤) ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال عن خمس: عن شبع البطون، وبارد الشراب، ولذة النوم، وظلال المساكن، واعتدال الخلق» [٢٥١].

(١) تفسير ابن كثير: ٤ / ٥٨٤ و الدر المنثور: ٦ / ٣٨٨.

(٢) ذكر أخبار إصبيان: ٢ / ٢٧٧ وفيه: الظلل بدل الظل.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠ / ١٧٦ بتفاوت.

(٤) تفسير نور الثقلين: ٥ / ٦٦٢.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا الحسن بن زياد قال: حدثنا أبو خلد الأحمر عن مفضل عن مغيرة عن إبراهيم قال: من أكل فسَمَى الله وفرغ فحمد الله لم يسئل عن نعيم ذلك الطعام.

وقال ابن عباس: النعيم صحة الأبدان والاسماع والأبصار، قال: يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١)، أبو جعفر: العافية.

وأنبأني عقيل قال: أخبرنا المعافى قال: أخبرنا ابن جرير قال: أخبرنا بن حميد قال: حدثنا مهران عن إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن الحرث التميمي عن ثابت البناني عن النبي ﷺ قال: «النعيم المسؤول عنه يوم القيامة: كسرة تقويه، وماء يرويه، وثوب يواريه» [٢٥٢]^(٢).

وبه عن مهران عن سفيان عن بكر بن [عتيق] العامري قال: أتى سعيد بن جبير بشربة غسل فقال: أما إن هذا من النعيم الذي يسئل عنه^(٣).

وقال محمد بن كعب: يعني عما أنعم عليكم بمحمد (عليه السلام)، ودليل هذا التأويل قوله سبحانه «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها»، عكرمة: عن الصحة والفراغ.

سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال، ودليله ما روى ابن عباس عن النبي (عليه السلام) أنه قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» [٢٥٣]^(٤).

وقال عروة بن محمد: كنا مع وهب بن منبه فرأينا رجلاً أصمّ أعمى مقعداً مجذوماً مصاباً فقلنا: هل بقي على هذا شيء من النعيم؟ قال: نعم، أعظمه بشبعه ما يأكل ويشرب ويسهل عليه إذا خرج لذلك.

قال بكر عن عبد الله المزني: يالها من نعمة يأكل لذّة ويخرج سرجاً! أبو العالية: عن الإسلام والستر. الحسين بن الفضل: تخفيف الشرايع وتيسير القرآن. أبو بكر الوراق: عن الآلاء والنعماء.

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٦٩ مورد الآية ح ٢٩٣٣٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مسند أحمد: ١ / ٣٤٤.

سورة العصر

مَكِّيَّة، وهي ثمانية وستون حرفاً، وأربع عشرة كلمة، وثلاث آيات

أخبرنا كامل بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن مطر قال: حدَّثنا إبراهيم بن شريك قال: حدَّثنا أحمد بن يونس قال: حدَّثنا سلام بن سليم قال: حدَّثنا هارون بن كثير، عن زيد بن مسلم، عن أمه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ختم الله له بالصبر، وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة» [٢٥٤] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾ قال ابن عباس: والدهر. ابن كيسان: الليل والنهار ويقال لهما: العصران وللغداة والعشي أيضاً: عصران. قال حميد بن ثور:

ولن يلبث العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يُدركا ما تيمما (٢)
الحسن: بعد زوال الشمس إلى غروبها. قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار. مقاتل: صلاة العصر وهي الوسطى.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢﴾ فانهم ليسوا في خسر. ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ وتحدثوا وأوصى بعضهم بعضاً. ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن عن الحسن وقاتل: بالإيمان والتوحيد. وقيل: على العمل بالحق.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على أداء الفرائض وإقامة أمر الله، وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عمّر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم والمحسن التي كانوا يعملونها في حال شبابهم وقوتهم وصحتهم، وهي مثل قوله

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٣٤.

(٢) لسان العرب: ٤ / ٥٧٦.

سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) الآية قال: [كان علي عليه السلام يقرأ ذلك]: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ وإنه فيه إلى آخر الدهر، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود، وكان علي يقرأها: والعصر، ونوائب الدهر، إن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر^(٢).

والقراءة الصحيحة ما عليه العامة والمصاحف.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن حمدان الخطيب قراءة عليه في رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة قال: حدّثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن دُلان قال: أخبرنا القاضي منصور بن محمد قال: حدّثنا محمد بن أحمد البراز قال: حدّثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن داود بن سليمان الدينوري قال: حدّثنا علي بن إسماعيل قال: حدّثنا الحسن بن علقمة قال: حدّثنا سباط بن محمد عن القاسم بن ربيعة عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قرأت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والعصر فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله وما تفسيرها ؟

فقال: «﴿وَالْعَصْرُ﴾ قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ أَقْسَمَ لَكُمْ بِآخِرِ النَّهَارِ» ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ قال: «أبو جهل بن هشام» ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ «أبو بكر الصديق» ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ «عمر بن الخطاب» ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ «عثمان بن عفان» ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ «علي بن أبي طالب» [٢٥٥]^(٣).

وأخبرنا عبد الخالق [بن علي] قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن يوسف بن حاتم بن نصر قال: حدّثنا الحسن بن عثمان قال: حدّثنا أبو هشام محمد بن يزيد بن رفاعة قال: حدّثنا عمّي علي بن رفاعة عن أبيه رفاعة قال: حججت فوافيت علي بن عبد الله بن عباس يخطب على منبر رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أبو جهل ابن هشام ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أبو بكر الصديق ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عمر بن الخطاب ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ عثمان بن عفان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ علي بن أبي طالب [٢٥٦]^(٤).

(١) سورة التين: ٤ - ٦.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٧١ مورد الآية.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٨٠.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٨٠.

سورة الهمزة

مَكِّيَّة، وهي مائة وثلاثون حرفاً، وثلاث وثلاثون كلمة، وتسع آيات

أخبرني محمد بن القاسم قال: حدّثنا إسماعيل بن نحيل قال: حدّثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي قال سعيد بن حفص قال: قرأت على معقل بن عبد الله عن عكرمة ابن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من قرأ سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ﴾ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ اسْتَهْزَأَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ» [٢٥٧].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَزَةٍ (١) الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا (٤) لَيُبَدِّلَنَ فِي السَّاعَةِ (٥) وَمَا أَدْرَاكَ مَا السَّاعَةُ (٦) نَارُ اللَّهِ الْمَوْجُودَةُ (٧) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقِ (٨) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٩) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (١٠)

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَزَةٍ﴾ قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون، البراء: العنت. سعيد بن جبير وقتادة: الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة: الطعان عليهم. مجاهد: الهمزة: الطعان في الناس، واللمزة: الطعان في أنساب الناس^(١).

وقال أبو العالية والحسن وعطاء بن أبي رباح: الهمزة الذي يغيب ويطن في وجه الرجل إذا أقبل، واللمزة الذي يغتابه من خلفه إذا أدبر وغاب. ضده مقاتل. مرة: يعني كل طعان عياب مغتاب للمرء إذا غاب، دليله قول زياد بن الأعجم:

إذا لقيتكَ عن شحط تكاشرني وإن تغيبْتُ كنتَ الهامز اللمزة^(٢)

ابن زيد: الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلزمهم بلسانه ويغيبهم.

(١) تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٧٥.

(٢) لسان العرب: ٥ / ٤٢٦، وتفسير القرطبي: ٢٠ / ١٨٢ مورد الآية.

سفيان الثوري: يهمز بلسانه ويلمز بعينه. ابن كيسان: الهمزة الذي يؤدي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه، ويُشير برأسه، ويومض بعينه، ويرمز بحاجبه، وهما لغتان للفاعل نحو سَخَرَة وَضَحَكَة للذي يسخر ويضحك من الناس.

وروي عن أبي جعفر والأعرج بسكون الميم فيهما، فإن صَحَّت القراءة فهي في معنى المفعول، وهو الذي يتعرَّض للناس حين يهمزوه ويضحكون منه، ويحملهم على الاغتيال.

وقرأ عبد الله والأعمش ويلُّ للهمزة اللمزة، وأصل الهمز الكسر والعض على الشيء بالعنف، ومنه همز الحرف، ويُحكى أن أعرابياً قيل له: أتهمز الفارة؟ فقال: الهرة تهمزها، وقال الحجاج:

ومن همزنا رأسه تهشما^(١)

واختلف المفسِّرون فيمن نزلت هذه الآية، فقال قوم: نزلت في جميل بن عامر الجمحي، وإليه ذهب ابن أبي الجمح، وقال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق ووهب بن عمرو الثقفي وكان يقع في الناس ويغتابهم مقبلين ومدبرين.

وقال محمد بن إسحاق بن مسار: ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي.

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي ﷺ ويطن في وجهه.

وقال مجاهد وغيره: ليست بخاصَّة لأحد، بل كل من كانت هذه صفته^(٢).

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ شيبه ونافع وعاصم وابن كثير وأبو عمرو وأيوب بتخفيف الميم، واختاره أبو حاتم، غيرهم بالتشديد واختاره أبو عبيد، واختلف فيه عن يعقوب.

﴿وَعَدَّدَهُ﴾ أحصاه وقال مقاتل: أَسْتَعَدَّهُ وذخره وجعله عتاداً له، وقرأ الحسن وعدده بالتخفيف وهو بعيد، وقد جاء مثل ذلك في الشعر لما أبرزوا التضعيف خَفَّفُوهُ، قال الشاعر:

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي إني أجود الأقوام وإن ضننوا^(٣)
﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ في الدنيا ﴿كَلَّا﴾ ردُّ عليه.

أخبرني بن فتحوية قال: حدَّثنا حُنيس قال: حدَّثنا أبو الهيثم بن الفضل قال: حدَّثنا أبو زرعة قال: حدَّثنا ابن السرح قال: أخبرنا ابن وهب قال: حدَّثني حرملة بن عمر أنه سمع عمر

(١) لسان العرب: ٥ / ٤٢٥.

(٢) راجع تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٨٣.

(٣) الصحاح: ٦ / ٢١٥٦.

ابن عبد الله مولى غفرة يقول: إذا سمعت الله سبحانه يقول: ﴿كَلَّا﴾ فإنما يقول: كذبت.

﴿لِيُنَبِّذَنَّ﴾ ليقذفن ويطرحن، وقرأ الحسن لينبذان بالألف على التثنية يريد هو وماله ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ وهي النار سُمِّيت بذلك؛ لأنها تحطم أي تكسر ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ يعني يبلغ ألمها ووجعها القلوب، والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى، وحكي عن بعض العرب سماعاً: متى طلعت أرضنا بمعنى بلغت، ومعنى الآية أنها تأكل شيئاً منه حتى تنتهي إلى فؤاده.

قال القرطبي والكلبي: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ مطبقة مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ﴾، قرأ أهل الكوفة بضمتين، غيرهم بالنصب، واختاره أبو حاتم لقوله: ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(١) وهما جمعان للعمود مثل أديم وأدم، وأفيق وأفق، وقصيم وقضم، قال الفراء: وقال أبو عبيد: هو جمع عماد مثل أهاب وأهّب وأهّب.

﴿مُمَدَّدَةٌ﴾ قراءة العامة بالخفض على نعت العمدة، وقرأ عاصم الجحدري ممدّدة بالرفع جعلها نعتاً للموصدة.

واختلفوا في معنى الآية، فقال ابن عباس: أدخلهم في عمدة، فمدّت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل، فسدت عليهم بها الأبواب.

وقال قتادة: بلغنا أنها عمدة يعذبون بها في النار، وقيل: هي عمدة مودّدة على أبوابها [ليؤكد أبياسهم] منها، وقيل: معناه أنها عليهم مؤصدة بعمدة، وكذلك هي في قراءة عبد الله: بعمدة، بالباء^(٢).

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن كيّس فطن حذر وقاف ثبت، لا يعجل، عالم ورع، والمنافق همزة لمزة حطمة، [لا يقف عند شبهة ولا عند محرم]^(٣) كحاطب الليل لا يبالي من أين كسب ولا فيما أنفق» [٢٥٨]^(٤).

(١) سورة الرعد: ٢.

(٢) راجع لتفصيل ذلك تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٨٦.

(٣) في المصدر: لا يقف عند شبهة ولا عند محرم.

(٤) كنز العمال: ١ / ١٦٢.

سورة الفيل

مَكِّيَّة، وهي ستة وتسعون حرفاً، وعشرون كلمة، وخمس آيات

أخبرنا ناقل بن راقم قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ قَتِيْبَةَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ عَنْ أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْفِيلِ عَافَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْقَذْفِ وَالْمَسْخِ» [٢٥٩] (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَابٍ مِنْ لَبَدٍ ﴿٤﴾ فَأَغْلَبْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَأَنْعَمْنَا كُفْرَهُمْ ﴿٥﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

القصة وبالله التوفيق.

قال محمد بن إسحاق: كان من قصة أصحاب الفيل فيما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وعَمَّن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم أن ملكاً من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس كان قد تهوّد واستجمعت معه حمير على ذلك، إلّا ما كان من أهل نجران، فإنّهم كانوا على النصرانية على أصل حكم الإنجيل، ولهم رأس يقال له عبد الله بن التامر، فدعاهم إلى اليهودية فأبوا فخيّرهم فاختاروا القتل فخذّ له أخدوداً وصنّف لهم أصناف القتل.

فمنهم من قتل صبراً، ومنهم من خدّ لهم فالقاه في النار إلّا رجلاً من أهل سبا يقال له دوس بن ثعلبان، فذهب على فرس له فركض حتى أعجزهم في الرمل، فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال: بعدت بلادك عنا ولكنّي سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنّه على ديننا فينصرك، فكتب إلى النجاشي يأمره بنصره.

فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلاً من أهل الحبشة يقال له: ارباط، فلما بعثه قال:

إِنْ دَخَلْتَ الْيَمْنَ فَاقْتُلْ ثَلَاثَ رِجَالِهَا، وَاضْرِبْ ثَلَاثَ بِلَادِهَا وَابْعَثْ إِلَيَّ بَثْلَ سَبَايَاها، فَلَمَّا دَخَلَهَا نَآوُشُ شَيْئًا مِّنْ قِتَالٍ فَتَفَرَّقُوا عَن ذِي نَوَاسٍ وَخَرَجَ بِهِ فَرَسُهُ، فَاسْتَعْرَضَ بِهِ الْبَحْرَ فَضْرِبَهُ فَهَلَكَا جَمِيعًا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ، وَدَخَلَهَا أَرِيَاطُ فَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ النَّجَاشِيُّ، فَقَالَ ذُو حُدْرٍ الْحَمِيرِيُّ فِيمَا أَصَابَ أَهْلَ الْيَمَنِ وَتَرَابِهِمْ:

وَعَيْنِي لَا أَبَا لَكَ لَمْ تُطِيقِي	نَجَاكَ اللَّهُ قَدْ أَنْزَفْتَ رَيْقِي
لَدَى عَزْفِ الْقِيَانِ إِذْ انْتَشَيْنَا	وَإِذْ نَسَقَى مِنَ الْخَمْرِ الرَّحِيقَ
وَشَرِبَ الْخَمْرَ لَيْسَ عَلَيَّ [عَارًا]	إِذَا لَمْ يَشْكُنِي فِيهَا رَفِيقِي
وَعَمْدَانِ الَّذِي حَدَّثْتَ عَنْهُ	بَنُوهُ مَمْسُكًا فِي رَأْسِ نَيْقِي
مَصَابِيحِ السَّلِيطِ تَلُوحُ فِيهِ	إِذَا يَمْسِي كَتُومَاضٍ الْبُرُوقِ
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جَدَّتِهِ رَمَادًا	وَعَيَّرَ حَسَنَهُ لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَاسْلَمَ ذُو نَوَاسٍ مُسْتَمِيتًا	وَحَدَّرَ قَوْمَهُ ضَنْكَ الْمَضِيقِ ^(١)

قال: فَأَقَامَ أَرِيَاطُ بِالْيَمَنِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ: أَنْ اثْبِتَ بِجَنْدِكَ وَمِنْ مَعِكَ، فَأَقَامَ حِينًا ثُمَّ إِنَّ إِبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَاحِ سَاخَطَهُ فِي أَمْرِ الْحَبْشَةِ حَتَّى انْصَدَعُوا صَدْعَيْنِ فَكَانَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ وَمَعَ إِبْرَهَةَ طَائِفَةٌ، ثُمَّ تَرَا جَفَا، فَلَمَّا دَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أَرْسَلَ إِبْرَهَةَ إِلَى أَرِيَاطٍ: لَا تَصْنَعْ بَأَنْ تَلْقَى الْحَبْشَةَ بَعْضُهَا بَعْضًا شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي، وَلَكِنْ أَخْرِجْ إِلَيَّ فَأَتِينَا قَتْلَ صَاحِبِهِ انْضَمَّ إِلَيْهِ الْجَنْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ قَدْ أَنْصَفْتَ.

وَكَانَ أَرِيَاطُ جَسِيمًا عَظِيمًا وَسِيمًا، فِي يَدِهِ حَرْبَتُهُ، وَكَانَ إِبْرَهَةَ رَجُلًا قَصِيرًا حَازِرًا لَحِيمًا، وَكَانَ ذَا دِينَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ وَخَلَفَ إِبْرَهَةَ [فِيهَا غَلَامٌ] يُقَالُ لَهُ: عَتُودَةُ، فَلَمَّا دَنَا رَفَعَ أَرِيَاطُ الْحَرْبَةَ فَضْرَبَ بِهَا رَأْسَ إِبْرَهَةَ فَوَقَعَتْ عَلَى جَبِينِهِ فَشَرِمَتْ عَيْنَهُ وَجَبِينَهُ وَأَنْفَهُ وَشَفَتَهُ فَبَذَلَكَ سَمَّى الْأَشْرَمَ.

وَحَمَلَ عَتُودَةُ عَلَى أَرِيَاطٍ فَقَتَلَهُ، فَاجْتَمَعَتِ الْحَبْشَةُ لِإِبْرَهَةَ وَقَالَ عَتُودَةُ: أَنَا عَتُودَةُ مِّنْ خَلْفِهِ ارْدَهُ لَا أَبَ وَلَا أُمَّ بَعْدَهُ، وَقَالَ إِبْرَهَةَ: مَا كَانَ لَكَ قَبْلَهُ يَا عَتُودَةُ وَلَا دَيْتَهُ قَالَ: فَبَلَغَ النَّجَاشِيُّ مَا صَنَعَ إِبْرَهَةَ فَغَضِبَ وَحَلَفَ لَا يَدْعُ إِبْرَهَةَ حَتَّى يَجُرَّ نَاصِيَتَهُ وَيَطَأَ بِلَادَهُ، وَكَتَبَ إِلَى إِبْرَهَةَ: إِنَّكَ عَدَوْتَ عَلَى أَمِيرِي فَقَتَلْتَهُ بَغِيرَ أَمْرِي.

وَكَانَ إِبْرَهَةَ رَجُلًا مَارِدًا، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ النَّجَاشِيِّ حَلَقَ رَأْسَهُ وَمَلَأَ جِرَابًا مِنْ تَرَابِ أَرْضِهِ وَكَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّمَا كَانَ أَرِيَاطُ عَبْدَكَ وَأَنَا عَبْدُكَ، اخْتَلَفْنَا فِي أَمْرِكَ وَكُنْتُ أَعْلَمُ بِالْحَبْشَةِ وَأَسْوَسُ لَهَا، وَقَدْ كُنْتُ أَرَدْتُهُ أَنْ يَعْتَزَلَ وَأَكُونَ أَنَا أَسْوَسُهُ فَأَبَى فَقَتَلْتَهُ، وَقَدْ بَلَغَنِي الَّذِي حَلَفَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ، وَقَدْ حَلَقْتَ رَأْسِي فَبَعَثْتُ بِهِ إِلَيْهِ، وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِجِرَابٍ مِنْ تَرَابِ

(١) الآيات بتامها في تفسير الطبري: ١ / ٥٤٧.

أرضه؛ ليضعه تحت قدمه [ومن يهينه]، فلما انتهى إليه ذلك رضي عنه فأقره على عمله، وكتب إليه أن يثبت بمن معه من الجند.

ثم إن إبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها: الفليس، وكتب إلى النجاشي: قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يُبنَ لملك مثلها قط، ولستُ منتهياً حتى أصرف إليها حجيج العرب. فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج إلى القليس فدخلها ليلاً وقعد فيها، فبلغ إبرهة ذلك، ويقال: إنه أتاها ناظراً إليها فدخلها إبرهة فوجد تلك العذرة، فقال: من اجترأ عليّ؟ فقليل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت، سمع بالذي قلت فصنع هذا، فحلف إبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها.

فخرج سائراً في الحبشة وخرج معه بالفيل، فسمعت بذلك العرب فأعظموه [وظفّعوا به] ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملك من ملوك حمير يقال له: ذو نفر بمن أطاعه من قومه، فقابله فهزمه وأخذ ذو نفر فأتى به، فقال: أيها الملك لا تقتلني فإن استبقائي خير لك من قتلي، فاستبقاه وأوثقه.

وكان إبرهة رجلاً حليماً، ثم خرج سائراً حتى دنا من بلاد خثعم فخرج نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم شهدان وأهش ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ النفيل، فقال نفيل: أيها الملك إني دليل بأرض العرب فلا تقتلني وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة، فاستبقاه، وخرج معه يدله حتى [إذا] مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث في رجال من ثقيف فقال: أيها الملك إنما نحن عبيدك ليس لك عندنا من خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللآث - إنما تريد البيت الذي بمكة، نحن نبعث من يدلك عليه، فبعثوا أبا رغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال، وهو الذي يرجم قبره.

وبعث إبرهة من المغمس رجلاً من الحبس يقال له: الأسود بن مقصود على مقدّمة خيله فجمع إليه أموال الحرم وأصاب لعبد المطلب ماثي بعير، فقال عبد الله بن عمر بن مخزوم:

يا ألهم اخز الأسود بن مقصود	الآخذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وبثير فالبيد	يحبسها وهي أولات التطريد
فضمها إلى طماطم سود	قد أجمعوا أو يكون معبود
ويهدموا البيت الحرام المعمود	والمروتين والمشاعر السود

أضفره يا رب وأنت محمود^(١)

(١) الهجمة: القطعة الضخمة من الإبل، والتقليد: وضع علامة للهدى، والبيد: جمع البيداء هي الفلاة. وحراء وبثير: جبلان بمكة، وتطريد الإبل: تتابعها، والطماطم: العلوج.

ثم إن أبرهة بعث حائلة الحميري إلى أهل مكّة فقال: سل عن شريفها، ثم أبلغه ما أرسلك به إليه، أخبره أنني لم آت لقتال وإنما لأهدم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكّة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال: إنّ الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقتلوه، وإنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم.

فقال عبد المطلب: ماله عندنا ومالنا به نزال، سنخلّي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم (عليه السلام)، فإن يمسه فهو بيته وحرمة وإن يخلّ بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوّة، قال: فانطلق معي إلى الملك، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة له كان عليها وركب معه بعض بنيّه حتى قدم العسكر.

وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فأثاه فقال: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يُقتل بكرة وعشية، ولكّني سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل فإنّه لي صديق فاسأله أن يصنع لك مثل الملك ما استطاع من خير، ويعظّم خطرك ومنزلتك عنده.

قال: فأرسل إلى أنيس فأثاه فقال له: إن هذا سيّد قريش وصاحب غير مكّة، يُطعم الناس في السهل والوحوش وفي رؤوس الجبل، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فإن استطعت أن تنفعه عنده فأنفعه، فإنّه صديق لي أحبّ ما يوصل إليه من الخير، فدخل أنيس على إبرهة فقال: أيّها الملك هذا سيّد قريش وصاحب غير مكّة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، يستأذن عليك، وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك، وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالّف عليك فأذن له.

وكان عبد المطلب جسيماً وسيماً عظيماً، فلما رآه إبرهة أعظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه، ثم دعا فأجلسه معه، ثم قال لترجمانه قل له: حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك.

فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرّد عليّ مائتي بعير أصابها لي، فقال إبرهة لترجمانه: أعجبتني حين رأيته، ولقد زهدت فيك. قال: لِمَ؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه، وتكلمني في مائتي بعير أصبتها؟ قال عبد المطلب: أنا ربّ هذه الإبل ولهذا البيت ربّ سيمنعه.

قال: ما كان ليمنعه منّي، قال: فأنت وذاك. فأمر بإبله فرُدّت عليه.

قال ابن إسحاق: وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب إلى إبرهة بعمر بن ناثه^(١) بن

(١) هكذا في المخطوط، ولعله: ليث.

عدي بن الوليد بن بكر بن عبد مائة بن كنانة، وهو يومئذ سيد بني كنانة، وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد بني هذيل، فعرضوا على إبرهة ثلث أموال أهل تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأبى عليه، فلما رُدت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريش الخبر، وأخبرهم أن يتفرقوا في الشعاب، وتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش إذا دخل، ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سَوَاكَ يَا رَبِّ فَاَمْنَعُ مِنْهُمْ حَكَكَ
لَا يَغْلِبُنَّ صُلَيْبُهُمْ وَمَحَالَهُمْ غَدَاً مُحَالُكَ
جَرَوْا جَمْعَ بِلَادِهِمْ وَالْفِيلُ كَيْ يَسْبُوا عِيَالُكَ
عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالُكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَعْبُ تَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَالُكَ^(١)

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجّه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح إبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعباً جيشه وهيئاً فيه وكان اسم الفيل محمود، وكان فيل النجاشي بعثه إلى إبرهة، وكان فيلاً لم يُر مثله في الأرض عظماً وجسماً وقوةً.

ويقال: كانت معه اثنا عشر فيلاً، فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه وقال: ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى، فضربوه بالمعول على رأسه فأبى، فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم، وخرج الفيل يشتد حتى أضعف في الجبل.

وأرسل الله طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار: حجران في رجله وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس، فلما أغشين أرسلها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك.

وليس كلّ القوم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته:

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهَ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ^(٢) الْمَغْلُوبُ غَيْرَ الْغَالِبِ؟^(٣)

(١) زاد المسير: ٨ / ٣١٠، وتاريخ الطبري: ١ / ٥٥٤.

(٢) الأشرم: هو أبرهة سمي بذلك لأنه جاء حجر فشرم أنفه.

(٣) تاريخ الطبري: ١ / ٥٥٥.

وقال نفيل أيضاً في ذلك:

ألا حيت عنا ياردينا نعمنا كم مع الإصباح عينا
ردئية لو رأيت ولم تريه لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لغذرتني وحمدت رأبي ولم تأسي على مافات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيراً وخفت حجارةً تُلقى علينا
فكلّ القوم يسأل عن نفيل كأن عليّ للحبشان ديناً^(١)

ونفيل ينظر إليهم من بعض الجبال وقد صرخ القوم وهاج بعضهم في بعض، وخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ويهلكون على كل منهل، وبعث على إبرهة داء في جسده، فجعل تتساقط أنامله، كلما سقطت أنملة اتبعتها مدة من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه، ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك.

وزعم مقاتل بن سليمان أنّ السبب الذي جرّ حديث أصحاب الفيل هو أنّ قبيلة من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي، فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي حقف من أحقادها بيعة النصارى يسميها قريش: الهيكل، ويسمى النجاشي وأهل أرضه: اطاسر حنان، فبرك القوم في سدها فجمعوا حطباً ثم أججوا ناراً فاشتوا، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف، فعجّت الرياح فاضطرم الهيكل ناراً، فانطلق الصرخ إلى النجاشي فأخبره فاسف عند ذلك غضباً للبيعة، فبعث إبرهة لهدم الكعبة [وما لقيه].

وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي، وكان مكفوف البصر يصيّف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبياً نبيلاً يستسقم الأمور برأيه، وهو أول راتق وأول فاتق، وكان خليلاً لعبد المطلب، فقال عبد المطلب: يا أبا مسعود ماذا عندك؟ هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك.

فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها حرماً لله، ولقدّها نعلا ثم أثبتها في الحرم لعلّ بعض هذه السودان تعقر منها فيغضب ربّ هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب، فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها فجعل عبد المطلب يدعو.

فقال أبو مسعود: [قال عبد المطلب]: إنّ لهذا البيت لربّاً يمنعه، فقد نزل تبع ملك اليمن بصخر هذا البيت وأراد هدمه، فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزراً، فانظر نحو البيت.

(١) المصدر السابق: ١ / ٥٥٥، وتفسير القرطبي: ٢٠ / ١٩٩، والبداية والنهاية: ٢ / ٢١٦.

فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيراً بيضاً نشأت من شاطئ البحر قال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد أرزت على رؤوسنا. قال: هل تعرفها؟ قال: والله ما أعرفها ما هي نجدية ولا تهامية ولا عريية ولا شامية وإنما لطير بأرضنا غير مؤنسة.

قال: ما قدها؟ قال: أشباه اليعاسيب في منقارها حصى كأنها حصى الحذق قد أقبلت كالليل تكسع بعضها بعضاً، أمام كل طير، يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق، فجاءت حتى إذا حاذت بعسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم.

فلما توافت الرعال كلها أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها، مكتوب في كل حجر اسم صاحبه، ثم إنها انصاعت من حيث جاءت، فلما أصبحت انحطت من ذروة الجبل، فمشيا رتوة فلم يؤنسا أحداً ثم دنيا رتوة فلم يسمعا حساً فقالا: بات القوم سامدين فاصبحوا نياماً، فلما دنيا من عسكر القوم فإذا هم خامدون.

وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع في دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه، فعمد عبد المطلب فأخذ فأساً من فؤوسهم فحفر حتى أعمق في الأرض فملاه من الذهب الأحمر والجوهر الجيد، وحفر لصاحبه فملاه ثم قال لأبي مسعود: هات خاتمك فاختر، إن شئت أخذت حفرتي وإن شئت أخذت حفرتك وإن شئت فهما لك معاً.

فقال ابن مسعود: اخترتني على نفسك، فقال عبد المطلب: إني لم آل أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهو لك، وجلس كل واحد منهم على حفرتي ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا به ذرعاً، وساد عبد المطلب بذلك قرش، وأعطته المقادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهلها في غنى من ذلك المال، ودفع الله عن كعبته وقبلته، فسلب جنوداً لا قبل لهم بها.

وقال الواقدي بأسانيده: وجه إبرهة أرباط أبا ضخمة في أربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها؛ فأكرم الملوك واستذل الفقراء، فقام رجل من الحبشة يقال له: إبرهة الأشرم أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه، فقتل أرباط وغلب على اليمن، فرأى الناس يتجهزون للحج فقال: أين يذهب الناس؟ قال: يحجون بيت الله بمكة.

قال مما هو؟ قال: من حجارة. قال فما كسوته؟ قال مما يأتي من هنا وهناك.

قال: والمسيح لأبنيّن لكم خيراً منه فبنى لهم بيتاً عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود، وحلاه بالذهب والفضة، وحفّه بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة، وجعل له حجاباً، وكان يوقد بالمندلي ويلطخ جدره بالمسك فيسودها حتى تغيب الجواهر، وأمر الناس بحجّه، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين، ومكث فيه رجال يتعبدون ويتألّهون ونسكوا له.

وكان نفيل الخثعمي يورّض له ما يكره فأمهل، فلمّا كان ليلة من الليالي لم يرَ أحداً يتحرّك، فقام فجاء بعدرة فلطّخ بها جبهته، وجمع جيفاً وألقاها فيه، فأخبر إبرهة بذلك فغضب غضباً شديداً وقال: إنما فعلت العرب غضباً لبيتهم، لأنقضّته حجراً حجراً، وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله محمود، وكان فيلاً لم يُر مثله في الأرض عظماً وجسماً وقوّة، فبعث به إليه.

فلمّا قدم عليه الفيل سار إبرهة بالناس ومعه ملك حمير ونفيل بن حبيب الخثعمي، فلمّا دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نَعَم الناس، فأصابوا إبلًا لعبد المطلب، وكان نفيل صديقاً لعبد المطلب فكلمه في إبله، فكلم نفيل إبرهة فقال: أيّها الملك قد أتاك سيّد العرب وأفضلهم قدراً وأقدمهم شرفاً، يحمل على الجياد، ويعطي الأموال، ويطعم الناس، فأدخله على إبرهة، فقال: حاجتك؟ قال: تردّ عليّ إبلتي. فقال ما أرى ما بلغني عنك إلّا الغرور، وقد ظننت أن تكلمني في بيتكم الذي هو شرفكم. فقال عبد المطلب: اردد عليّ إبلتي ودونك البيت فإن له ربّاً سيمنعه.

فأمر بردّ إبله عليه، فلمّا قبضها قلّدها النعال وأشعرها وجعلها هدياً وثبتها في الحرم لكي يصاب منها شيء، فيغضب ربّ الحرم، وأوفى عبد المطلب على خيل ومعه عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم بن مطعم بن عدي، وأبو مسعود الثقفي، فقال عبد المطلب: اللهم إن المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك.

قال: فأقبلت الطير من البحر أبابيل، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجله وحجر في منقاره، وقذفت الحجارة عليهم، لا تصيب شيئاً إلّا هشمته إلّا فقط ذلك الموضع، فكان ذلك أوّل ما رُوي من الجدري والحصبة والأشجار المرمّة فأهمدتهم الحجارة، وبعث الله سيلاً عاتياً فذهب بهم إلى البحر فآلقاهم فيه، وولّى إبرهة ومن بقي معه هراباً، فجعل إبرهة يسقط عضواً عضواً.

وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا، وأمّا الفيل الآخر فشجع فحصب، ويقال: كانت اثني عشر فيلاً.

قال ابن إسحاق: ولمّا ردّ الله الحيشة عن مكّة عظمت العرب قريشاً وقالوا: أهل الله، قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوّهم، وقال عبد الله بن عمر بن مخزوم في قصة أصحاب الفيل:

أنت الجليل ربنا لم تدنس
أنت حبست الفيل بالمغمّس
من بعد ما هم بشر مبلس
حبسته في هيئة المكرّس

وما لهم من فرج ومنفس

والمكرس: المنكوس المطروح^(١). وقال أبو الصلت بن أمية بن مسعود في ذلك أيضاً:

إن آيات ربنا باقيات ما يُماري فيهنّ إلا الكفورُ
حبس الفيل بالمغمس حتى ظلّ يحبو كأنه معفور
حوله من ملوك كندة [أبطال] ملاويث في الحروب صقور
غادروه ثم اندعروا سراعاً كلّهم عظم ساقه مكسور^(٢)

وقال الكلبي ومقاتل: كان صاحب الجيش إبرهة، وكان أبو يكسوم من وزرائه وندمائه، فلما أهلكهم الله سبحانه بالحجارة لم يفلت منهم إلا أبو يكسوم، فسار وطاير يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم، فلما استتم كلامه رماه الطائر فسقط فمات، فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه^(٣).

وقال الآخرون: أبو يكسوم هو إبرهة بن الصباح. وقال الواقدي: كان إبرهة جدّ النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ.

واختلفوا في تاريخ عام الفيل، فقال مقاتل: كان أمر الفيل قبل مولد رسول الله (عليه السلام) بأربعين سنة، وقال الكلبي وعبيد بن عمير: كان قبل مولد النبي (عليه السلام) بثلاث وعشرين سنة.

وروي أنّه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله (عليه السلام)، وعليه أكثر العلماء، يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الخورقي قال: أخبرنا أبو العباس الدعولي قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة، قال: حدّثنا إبراهيم بن المنذر الجراحي قال: حدّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت قال: حدّثنا الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن أشيم الكناني الليثي: يا قباث، أنت أكبر أم رسول الله؟ قال: رسول الله أكبر منّي، وأنا أسنّ منه، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقف بي أمي على روث الفيل.

وقالت عائشة: رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة عميين مقعدين يستطعمان.

التفسير:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ قال مقاتل: كان معهم فيل واحد، وقال الضحاك: كانت ثمانية، وإنّما وجد على هذا التأويل لوفاق رؤوس الآي، أو يقال: نسبهم إلى الفيل الأعظم واسمه محمود.

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤ / ٥٩١.

(٣) ذكرها الطبري في تفسيره بشكل مفصل: ١ / ٥٥٠ - ٥٥٧.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ عما أرادوا من تخريب الكعبة: وقيل: في بطلان وأباطيل، وقال مقاتل: في خسار.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾ من البحر ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ كثيرة متفرقة، يتبع بعضها بعضاً.

قال عبد الرحمن بن ايزي: أقاطيع كالابل المقبلة. قال الأعشى:

طريق وجبار رواء أصوله عليه أبابيل من الطير تنعب^(١)
وقال امرؤ القيس:

تراهم إلى الداعي سراعاً كأنهم أبابيل طير تحت دجن مسخن^(٢)
وقال آخر:

كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتي أن سالت الأرض بالجرد الأبابيل^(٣)
واختلفوا في واحدها، فقال الفراء: لا واحد لها مثل الشمايط والعباديد والشعارير، كل هذا لا يفرد له واحد، قال: وزعم أبو الرواسي وكان ثقة مأموناً أنه سمع واحدها إبالة ولقد سمعتُ من العرب من يقول: ضغت على إبالة يُريدون خصب على خصب.

قال: ولو قال قائلٌ: واحدها إبالة كان صواباً مثل دينار ودنانير، ويقال: للفضلة التي تكون على حمل الحمار أو علف البعير إبالة، وقال الكسائي: كنت أسمع النحويين يقولون: واحدها أبول مثل عجول وعجاجيل. وحكى محمد بن جرير عن بعض النحويين أن واحدها أبيل، يُقال: جاءت الخيلُ أبابيل من ههنا وههنا.

قال ابن عباس: لها خراطيم كخراطيم الطير وأكفٌ كأكف الكلاب.

عكرمة: لها رؤوس كرؤس السباع لم تُر قبل ذلك ولا بعده.

ربيع: لها أنياب كأياب السباع، وقالت عائشة: أشبه شيء بالخطاطيف.

سعيد بن جبیر: طيرٌ خضر لها مناقير صفر، قال أبو الجوزاء: أنشأها الله سبحانه في الهواء في ذلك الوقت.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ﴾ قراءة العامة بالتاء للطير، وقرأ طلحة وأشهب العقيلي يرميهم بالياء، وهو اختيار أبي حنيفة، يعنون الله سبحانه، كقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٤) ويجوز أن يكون راجعاً إلى الطير لخلوها من علامات التأنيث.

(١) الصحاح: ٢ / ٦٠٨، والنعب: صوت الطائر، والجبار من النخل: ما طال.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٩٧. (٣) فتح القدير: ٥ / ٤٩٦.

(٤) سورة الأنفال: ١٧.

﴿مِنْ سَجِيلٍ﴾ قال ابن مسعود: صاحب الطير وترميهم بالحجارة، وبعث الله سبحانه ريحاً فضربت الحجارة فزادتها شدة، فما وقع منها حجر على رجل إلا أخرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ كزرع أكلته الدواب فرائته فييس وتفرقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم يفرق أجزاء الروث.

قال مجاهد: العصف: ورق الحنطة. قتادة: هو التبن، قال الحسن: كنا ونحن غلمان بالمدينة نأكل الشعير إذا قَصَبَ وكان يُسمَّى العصف. سعيد بن جبير: هو الشعير النابت الذي يؤكل ورقه.

الفراء: أطراف الزرع قبل أن يُسنبِل ويُبْتَك. عكرمة: كالجبل إذا أكل فصار أجوف. ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له.

المؤرّخ: هو ما يقصف من الزرع فسقطت أطرافه، وقال ابن السكيت: هو العصف والعصيفة والجل، وقيل: كزرع قد أكل حبه وبقي تبّه، وقال الضحاك: كطعام مطعوم.

سورة قريش

مَكِّيَّة، وهي ثلاثة وسبعون حرفاً، وسبع عشرة كلمة، وأربع آيات

أخبرني نافل بن راقم بن أحمد بن عبد الجبار البابي قال: حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي قال: حدَّثنا عمر بن محمد بن محمد الكرمي قال: حدَّثنا أسباط بن اليسع قال: حدَّثنا يحيى بن عبيد الله السلمي قال: حدَّثنا نوح بن أبي مريم عن علي بن زيد عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشٌ﴾ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ طَافَ بِالْكَعْبَةِ وَاعْتَكَفَ بِهَا» [٢٦٠] (١).

وأخبرني الحسين قال: حدَّثنا حازم بن يحيى الحلواني قال: أخبرنا أبو مصعب عن إبراهيم بن يحيى بن ثابت قال: أخبرني عبد الله بن أبي عتيق عن سعيد بن عمر بن جعدة عن أبيه عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ لَمْ يُعْطِهَا أَحَدًا قَبْلَهُمْ، وَلَا يُعْطَاهَا أَحَدًا بَعْدَهُمْ: فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا أَنِي مِنْهُمْ، وَأَنَّ النَّبُوَّةَ فِيهِمْ وَأَنَّ الْحِجَابَةَ فِيهِمْ، وَالسَّقَايَةَ فِيهِمْ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْفِيلِ، وَعَبَدُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَشْرِينَ سَنَةً لَا يُعْبَدُهُ غَيْرُهُمْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيهِمْ سُورَةَ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا أَحَدًا غَيْرَهُمْ» [٢٦١] (٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ﴿١﴾ إِلَهُهُمْ رَمْلَةٌ أَسْتَأْذِنُ وَأَقْصِفُ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ * إِلَهُهُمْ﴾

اختلفت القراء فيها فقرأ عبد الله بن عامر (لألاف) مهموزاً مختلساً بلا ياء، وقرأ أبو جعفر (ايلاف) بغير همز وإنما ذهب إلى طلب الخفة (لايلاف) بالياء مهموزة مشبعة، وأما قولهم: (إيلاف) فروى العمري عن أبي جعفر والبلخي عن ابن كثير (إلفهم) ساكنة اللام بغير ياء وتصديق

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٤٩.

(٢) كنز العمال: ١٢ / ٢٧.

هذه القراءة ما أخبرنا الحسين بن فنجويه قال: حَدَّثَنَا ابن خنيس قال: حَدَّثَنَا أَبُو خديجة أحمد ابن داود قال: حَدَّثَنَا محمد بن حميد قال: حَدَّثَنَا مهران عن سفيان بن ليث عن شمر بن حوشب عن أسماء قالت: سمعت النبي ﷺ [يقرأ]: «إِلْفَهْم رحلة الشتاء والصيف» [٢٦٢] (١).

وروى الفضل بن شاذان بإسناده عن أبي جعفر، والوليد عن أهل الشام (إِلْفَهْم) مهموزة مختلصة بلا ياء، وروى محمد بن حبيب الحموي عن أبي يوسف الأعشى عن أبي بكر عن عاصم (إِلْفَهْم) بهمزتين الأولى مكسورة والثانية ساكنة الباقون (إِلْفَهْم).

وأخبرني سعيد بن المعافى، أخبرهم عن محمد بن جرير قال: حَدَّثَنَا أَبُو كرنب قال: حَدَّثَنَا وكيع عن أبي مكي عن عكرمة أنه كان يقرأ (إِلْيَالِف قريش الفهم). وعدّ بعضهم السورتين واحدة منهم أبي بن كعب ولا فصل بينهما في مصحفه.

وقال سفيان بن عيينة: كان لنا امام لا يفصل بينهما ويقرأهما معاً، وقال عمرو بن ميمون الاودي صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب ﷺ فقرأ في الأولى والتين والزيتون، وفي الثانية أَلَمْ تَرِ لِإِلْيَالِف قريش.

واختلفوا في العلة الجالبة لهذه اللام فقال الفراء: هي متصلة بالسورة الأولى وذلك أنه [تعالى] ذَكَرَ أهل مكة عظيم نعمته عليهم في ما صنع بالحبشة، ثم قال: «لِإِلْيَالِفِ قُرَيْشٍ» فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمةً منا على قريش أي نعمتنا عليهم في رحلتهم الشتاء والصيف، فكأنه قال: نعمةً إلى نعمة فتكون اللام بمعنى (إلى).

وقال الرازي والأخفش: هي لام التعجب يقول: عجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته.

وهذا كما يقول في الكلام: لزيد وإكرامنا إياه، على وجه التعجب أي: أعجبٌ لذلك، والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلاً على التعجب لإظهار الفعل فيه كقول الشاعر: أغرّك أن قالوا لقرة شاعرٌ أفياك أباه من عريف وشاعرٌ أي أعجبوا لقرة شاعرًا (٢).

وقيل هي لام (كي) مجازها «فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ» ليؤلف قريشاً، فكان هلاك أصحاب الفيل سبباً لبقاء إيلاف قريش، ونظام حالهم واقوام ما لهم، وقال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها، تقديره: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف رحلة الشتاء والصيف.

(١) جامع البيان للطبري: ٣٠ / ٣٩٤.

(٢) جامع البيان للطبري: ٣٠ / ٣٩٥.

وقريش هم ولد النضر بن كنانة، فمن وَلَدَه النضر فهو قرشي، ومن لم يُلِدْه النضر فليس بقرشي.

قال رسول الله ﷺ: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمتنا، ولا ننتفي من أبينا» [٢٦٣] (١).

وأخبرنا أبو بكر الجوزي قال: أخبرنا الرعولي قال: حَدَّثَنَا محمد بن يحيى قال: حَدَّثَنَا أبو المغيرة قال: حَدَّثَنَا الأوزاعي قال: حَدَّثَنَا أبو عمار شداد عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله (عليه السلام): «إن الله عزَّ وجلَّ اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» [٢٦٤] (٢).

وسموا قريشاً من التقرش، وهو التكبُّس والتقلُّب والجمع والطلب، وكانوا قوماً على المال والإفضال حراصاً.

وسأل معاوية عبد الله بن عباس: لِمَ سَمِيت قريش قريشاً؟ فقال: لدابة في البحر يقال لها: القرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلا. قال: وهل يعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم:

قريش هي التي تسكن البحر بها	سميت قريش قريشاً
سلطت بالعلو في لجة البـ	حر على ساير البحور جيوشاً
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه	لذي جناحين ريشاً
هكذا في البلاد حي قريش	يأكلون البلاد أكلا كميّشاً
ولهم آخر الزمان نبِيٌّ	يُكثر القتل فيهم والخموشاً
يملاً الأرض خيله ورجالا	يحسرون المطي حسراً كشيّشاً (٣)

وقوله: ﴿إِيْلَافِهِمْ﴾ بدل من الإيلاف الأوّل ويرخمه له، ومن أسقط الياء من الإيلاف احتجّ بقول ابي طالب يوصي أبا لهب برسول الله ﷺ:

ولا تتركه ما حيت لمعظم	وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف
تذود العدا عن عصبه (٤) هاشمية	إلافهم في الناس خير إلاف (٥)

(١) مسند أحمد: ٥ / ٢١١.

(٢) كتاب السنة: ٦١٨، ومسند أبي يعلى: ١٣ / ٤٧٢.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٠٣، وفتح الباري: ٦ / ٣٨٨، والخموس: الخدوش في البدن، والكميش: السريع.

(٤) في التاريخ: ذروة.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٠٢.

﴿رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ اختلفوا في وجه انتصاب الرحلة فقل: نصبت على المصدر أي ارتحالهم رحلة، وإن شئت نصبته بوقوع إيلافهم عليه، وإن شئت على الظرف بمعنى: على رحلة، وإن شئت جعلتهما في محل الرفع على معنى هما رحلتا الشتاء والصيف، والأول أعجب وأحب إلي لأنها مكتوبة في المصاحف بغير ياء.

وأما التفسير: فروى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف، فأمرهم الله سبحانه أن يشتوا بالحرم ويعبدوا رب البيت.

وقال أبو صالح: كانت الشام فيها أرض باردة وفيها أرض حارة، وكانوا يرتحلون في الشتاء إلى الحارة، وفي الصيف إلى الباردة وكانت لهم رحلتان كل عام للتجارة: أحدهما في الشتاء إلى اليمن؛ لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام، وكان الحرم وادياً جذاباً لازرع فيه ولا ضرع، ولا ماء ولا شجر، وإنما كانت قريش تعيش بها بتجارتهم ورحلتهم، وكانوا لا يتعرض لهم بسوء.

وكانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته، فلولا الرحلتان لم يكن لأحد بمكة مقام، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، فشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام، وأخصبت تباله وجرش والجند من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، أهل الساحل في البحر على السفن، وأهل البر على الإبل والحرر، فألقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب، وأخصبت الشام فحملوا الطعام إلى مكة، فحمل أهل الشام إلى الأبطح، وحمل أهل اليمن إلى الجدة، فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤونة الرحلتين وأمرهم بعبادة رب البيت.

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد قال: أخبرنا أبو الوليد حسان بن محمد قال: حدثنا القاسم بن زكريا المطرزي قال: حدثنا محمد بن سليمان قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: مر رسول الله (عليه السلام) ومعه أبو بكر بملئهم ينشدون:

يا ذا الذي طلب السماحة والندی
هلاً مررت بآل عبد الدار^(١)
هلاً مررت بهم تريد قراهم
منعوك من جهد ومن إقتار
فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «أهكذا قال الشاعر يا أبا بكر؟» [٢٦٥] قال: لا، والذي بعثك بالحق، بل قال:

يا ذا الذي طلب السماحة والندی
لو أن مررت بهم تريد قراهم
منعوك من جهد ومن إيجاف
والقائلين هلم للأضياف

والخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق ورجال مئة مسنتين عجاف
سفرين سنهما له ولقومه سفر الشتاء ورحلة الأضياف
قال الكلبي: وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف.

﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ لام الأمر ﴿رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد قال: حدثنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا جعفر قال: سمعت ابن ملك بن دينار يقول: ما سقطت أمة من عين الله سبحانه إلا ضرب أكبادها بالجوع.

﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون: نحن قُطَّان حرم الله سبحانه، فلا يعرض لهم أحد في الجاهلية، وإن كان الرجل ليصاب في الحي من أحياء العرب فقال: حرمي حرمي فيُخلَى عنه وعن ماله تعظيماً للحرم، وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أغير عليه.

وقال الضحَّاك والربيع وشريك وسفيان: وآمنهم من الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم الجذام. وأخبرنا أيضاً أبو الحسن المقرئ قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى المقرئ البروجردي ببغداد قال: حدثنا أبو سعيد عمر بن مرداس قال: حدثنا محمد بن بكير الحضرمي قال: حدثنا القاسم بن عبد الله عن [أبي] بكر بن محمد عن سالم قال: قال رسول الله ﷺ: «غبار المدينة يُبرئ من الجذام» [٢٦٦] (١).

وقال علي كرم الله وجهه: وآمنهم من [خوف] أن تكون الخلافة إلا فيهم [٢٦٧] (٢).

(١) كثر العمال: ١٢ / ٢٣٦ عن ابن السني وأبي نعيم في الطب.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٠٩، وما بين معكوفين منه.

سورة الماعون

مكية، وهي مائة وخمسة وعشرون حرفاً،
وخمس وعشرون كلمة، وسبع آيات

أخبرني محمد بن القاسم الفقيه قال: حدّثنا أبو محمد بن أبي حامد قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الأصفهاني قال: حدّثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدّثنا سفيان الثوري، قال: حدّثنا أسلم المنقري عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبدي عن أبيه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة أرايت غفر الله له إن كان للزكاة مؤدياً» [٢٦٨] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ
الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

﴿أرايت الذي يكذب بالدين﴾ قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي، السدي ومقاتل بن حيان وابن كيسان: يعني الوليد بن المغيرة، الضحاك: في عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وقيل: هيرة بن أبي وهب المخزومي، ابن جريج: كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين فأثاه يتيماً فسأله شيئاً فقرعه بعصاه، فأنزل الله سبحانه فيه ﴿أرايت الذي يكذب بالدين﴾ ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ أي يقهره ويزجره ويدفعه عن حقه، الدع: الدفع في جفوة.

قرأ أبو رجاء يدع اليتيم أي يتركه ويقصر في حقه ﴿ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين عن صلاتهم ساهون﴾ حدّثنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا ابن الشرقي قال: حدّثنا محمد ابن إسحاق الصعالي ببغداد قال: حدّثنا عمرو بن الربيع بن طارق قال: حدّثنا عكرمة بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعيد عن سعيد قال: سألت رسول

الله ﷻ عن قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة في السرّ إذا غاب الناس ويصلونها في العلانية إذا حضروا. بيانه قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاوْنَ النَّاسَ﴾^(١) الآية، مجاهد: لاهون غافلون عنها متهاونون بها، وقال قتادة: ساه عنها لا يبالي صلى أم لم يصل.

وأخبرني عقيل أن أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير قال: حدّثنا أبو كريب قال: حدّثنا معاوية بن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي قال: حدّثني رجل عن أبي بردة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: «الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلواته وأن تركها لم يخف ربه» [٢٦٩]^(٢) وبه عن ابن جرير قال: حدّثني أحمد بن عبد عبد الرحيم البرقي قال: حدّثنا عمرو بن أبي مسلمة قال سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل في صلاتهم، الحسن: هو الذي إن صلاها صلاها رياء وأن فاتته لم يندم، أبو العالية: لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها، وعنه أيضاً: هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتاً، الضحاك: هم الذين يتركون الصلاة. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أخبرنا أبو بكر الجمشادي حدّثنا أبو بكر القطيعي قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال: حدّثنا أبو عمر الضرير قال: حدّثنا أبو عوانة عن إسماعيل السهمي عن أبي صالح عن علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: هي الزكاة، وإليه ذهب ابن عمر والحسن وقاتدة وابن الحنفية والضحاك.

وأخبرنا الجمشادي قال: أخبرنا العطيبي قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال: حدّثنا أبو عمر الضرير قال: حدّثنا حماد عن عاصم عن زر عن عبد الله في الماعون قال: الفاس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، مجاهد عنه: هو العارية ومتاع البيت، عطية عنه: هو الطاعة، محمد بن كعب والكلبي: الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم، سعيد بن المسيب والزهري ومقاتل: الماعون: المال بلغة قريش، قال الأعشى:

بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم^(٣)
وأخبرنا محمد بن عبدوس في آخرين قالوا: حدّثنا محمد بن يعقوب قال: حدّثنا محمد بن الجهم قال: حدّثنا الفراء قال: سمعت بعض العرب يقول: الماعون هو الماء، وأنشدني فيه:

(١) سورة النساء: ١٤٢.

(٢) جامع البيان للطبري: ٣٠ / ٤٠٤.

(٣) لسان العرب: ١٣ / ٤١٠.

يُمَجَّ صَبِيرَةُ المَاعُونِ صَباً^(١)

والصبير: المنجاب.

وقال أبو عبيد والمبرد: الماعون في الجاهلية: كلّ منفعة وعطية وعارية، وهو في الإسلام: الطاعة والزكاة، قال حسان بن قحافة: لا يحرم الماعون منه الخابطاً، ويقول العرب: [ولقد نزلنا لصنعت بناقتك صنيعاً]^(٢) تعطيك الماعون، أي الطاعة والإنقياد، قال الشاعر:

مَتَى يَجَاهِدُهُنَّ بِالْبَرِينِ يَخْضَعْنَ أَوْ يَعْطِينَ بِالْمَاعُونِ^(٣)

وحكى الفراء أيضاً عن بعضهم أنه قال: ماعون من الماء المعين، وقال قطرب: أصل الماعون من القلّة، يقول العرب: ماله سعة ولا معة أي شيء قليل، فسَمِيَ الزكاة والصدقة والمعروف ماعوناً، لأنه قليل من كثير، وقيل: الماعون ما لا يحلّ منعه مثل الماء والملح والنار، يدلّ عليه ما أخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا عمرو بن مرداس قال: حدّثنا محمد بن بكر قال: حدّثنا عثمان بن مطر عن الحسن بن أبي جعفر عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيّب عن عائشة أنّها قالت: يا رسول الله ما الذي لا يحلّ منعه قال: «الماء والملح والنار».

فقلت: يا رسول الله هذا الماء فما بال النار والملح؟ فقال لها: يا حميراء «من أعطى ناراً فكأنما تصدّق بجميع ما طبخ بذلك»^(٤) النار، ومن أعطى ملحاً فكأنما تصدّق بجميع ما طيّب بذلك الملح، ومن سقى شربة من الماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق (ستين نسمة)^(٥)، ومن سقى^(٦) شربه ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما إحيى نفساً» [٢٧٠]^(٧) قال الراعي:

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيَمْنَعُوا التَّهْلِيلَا^(٨)

(١) الصحاح: ٦ / ٢٢٠٥، تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢١٤.

(٢) عن تاج العروس: ٩ / ٣٤٧، وعبارة المخطوط مشوشة.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢١٥، وفيه متى تصادفهن.

(٤) في المصدر: انضجت تلك.

(٥) في المصدر: رقة.

(٦) في المصدر: مسلماً.

(٧) سنن ابن ماجه: ٢ / ٨٢٦.

(٨) الصحاح: ٦ / ٢٢٠٥، ولسان العرب: ١١ / ٧٠٤.

سورة الكوثر

مكية وهي اثنان وأربعون حرفاً، وعشر كلمات، وثلاث آيات

أخبرني الأستاذ أبو الحسين الفارسي الماوردي قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الْحَبْرِيُّ وَأَبُو عَثْمَانَ الْبَصْرِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْعَبْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ سَلِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ وَأَعْطِيَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ قِرْبَانٍ قَرَبَةٍ الْعِبَادِ فِي يَوْمٍ عِيدٍ وَيَقْرَبُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَشْرِكِينَ»^(١) [٢٧١].

وأخبرني ابن فنجويه قال: حَدَّثَنَا ابْنُ شَنِيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ: حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ حَمَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ كَانَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أَبْعَرَةَ عَلَى كُلِّ بَعِيرٍ كَرَارِيسَ، كُلُّ كِرَاسَةٍ مِثْلَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا كُتِبَ لَهُ بِدَقَّةِ الشَّعْرِ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا صِفَةُ قَصُورِهِ وَمَنَازِلُهُ فِي الْجَنَّةِ» [٢٧٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَثَرُ﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه السورة في العاص بن وائل ابن هشام بن سعيد بن سهم أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتري، يعني النبي ﷺ وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ وكان من خديجة، وكانوا يسمّون من ليس له ابن أبتري، فسمّته قريش عند موت ابنه أبتري وصنبراً فأنزل الله سبحانه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

قراءة العامة بالعين، وقرأ الحسن وطلحة بن مصرف (أنطيناك) بالنون، وروى ذلك عن النبي ﷺ.

أخبرناه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن علي المطوعي بقرأتي عليه قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الأصفهاني قال: أخبرنا أبو المثنى معادين المثنى بن معاذ ابن نصر العبيدي قال: حدثنا عمرو بن المحرّم أبو قتادة البصري قال: حدثنا عبد الوارث بن عمرو عن الحسن عن أمّه عن أم سلمة أن النبي ﷺ قرأ: **إِنَّا أَنْطِينَاكَ الْكُوْثِرَ**.

والكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وحوقر من الحقر، والعرب يسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير في المقدار الخطر: كوثرأ. قال سفيان بن عيينة: قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم آب أبنك؟ قالت آب بكوثر، يعني بمال كثير^(١).

وأختلفوا في المراد به ها هنا فحدثنا أبو محمد المخلدي قال: أخبرنا أبو العباس الثقفي قال: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع السكوني وعبد الله بن عمر بن أبان قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن سلمان عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله ﷺ معنا إذا غفى أغفأه أو أغمى عليه، فرفع رأسه مبتسماً فقال: «هل تدرّون ممن ضحكك» فقالوا الله ورسوله أعلم، قال: «إنه نزل عليّ سورة» فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثِرَ﴾ فقرأ حتى ختم السورة فلما قرأها قال: «أتدرّون ما الكوثر؟ أنه نهر في الجنة وعدنيه ربّي عز وجلّ فيه خير كثير، لذلك النهر حوض يرد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد الكواكب [فيختلج] منهم فأقول: ربّ إنّ من أمتي فيقال: أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» [٢٧٣]^(٢).

وأخبرنا أبو سعيد بن حمدون قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد قال: حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرّج الحمصي قال: حدثنا أيوب بن سويد قال: حدثنا محمد بن إبراهيم عن عمّه العباس بن عبد الله بن معيد عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثِرَ﴾ صعد رسول الله ﷺ فقرأها على الناس، فلما نزل قالوا: يا رسول الله ما هذا الذي قد أعطاك الله سبحانه؟ قال: «نهر في الجنة أشدّ بياضاً من اللبن، وأشدّ استقامة من القدرح حافته قباب الدر والياقوت ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البخت» قالوا: يا رسول الله ما أنعم هذا لطائر؟ قال «أفلا أخبركم بأنعم منه؟» قالوا بلى: قال: «من أكل الطائر وشرب الماء فاز»^(٣) برضوان الله سبحانه» [٢٧٤]^(٤).

(١) راجع تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢١٦.

(٢) السنن الكبرى: ٢ / ٤٣، صحيح مسلم: ١ / ١٢، بتفاوت.

(٣) في المخطوط: وفاز.

(٤) تفسير نور الثقلين: ٥ / ٦٨٠.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر المطيري قال: حدّثنا علي بن حرب قال: حدّثنا ابن فضيل قال: حدّثنا عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافته من الذهب ومجره على الدر والياقوت وتربته أطيب من المسك وماءه أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من الثلج» [٢٧٥]^(١) وقالت عائشة رضی الله عنها: الكوثر نهر في الجنة يخرخر^(٢) في الحوض فمن أحب أن يسمع خريره فليجعل أصبعيه في أذنيه. وقال بعضهم: هو الحوض بعينه، وصفته على ما جاء في الأخبار أن رسول الله ﷺ وصف حوض الكوثر فقال: «حسبائه الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والدر والمرجان وحماته المسك الأذفر وترابه الكافور، وماءه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج، يخرج: من أصل السدرة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، حافته الزعفران وقباب الدر والمرجان، من دخله أمن من الغرق، ولا يشرب منه أحد فيظماً، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» فقال أبو بكر وعمر: إنها لناعمة فقال: «أكلها أنعم منها» [٢٧٦].

وفي خبر آخر: «لتزدحمن هذه الأمة على الحوض ازدحام واردات الحمر» [٢٧٧]^(٣).

وأخبرنا أبو القاسم بن حبيب في سنة ست وثلاثمائة: قال: حدّثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار الأصفهاني قال: أخبرنا أبو عبد الله العمري الكوفي بالكوفة قال: حدّثنا بشر بن داود القرشي قال: حدّثنا مسعود بن سابور عن علي بن عاصم عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لحوضي أربعة أركان: فأول ركن منها في يد أبي بكر والثاني في يد عمر والثالث في يد عثمان والرابع في يد علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد أستنار بنور الله، ومن أحسن القول في علي فقد أستمسك بالعروة الوثقى، من أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن ومن أساء القول في أصحابي فهو منافق» [٢٧٨].

وقال قطر بن خليفة: سألت عطاء عن الكوثر ونحن نطوف في البيت فقال: حوض أعطي رسول الله ﷺ عليه وسلم في الجنة، وروى حميد عن أنس قال: دخلنا على عبيد الله بن زياد وهم يتذاكرون الحوض فقلت: ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمارون في الحوض،

(١) كنز العمال: ١٤ / ٤٢٣، ح ٣٩١٤٦.

(٢) في المخطوط: يقرقر.

(٣) كنز العمال: ١٤ / ٤٢٥، ح ٣٩١٥٥.

لقد تركت خلفي عجائز ما تصلي امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض محمد وفيه يقول الشاعر:

يا صاحب الحوض من يدانيكا وأنت حقاً حبيب باريكا^(١)
وقال سعيد بن جبير ومجاهد: هو الخير الكثير، وقال الحسن: هو القرآن العظيم،
عكرمة: النبوة والكتاب، محمد بن إسحاق هو العظيم من الأمر وذكر بيت لبدي
صاحب ملحوب فجعلنا بفقده وعند الرداع بيت آخر كوثر^(٢)
يقول: أي عظيم.

وقال أبو بكر بن عباس ويمان بن ذياب: هو كثرة الأصحاب والاشياع، ابن كيسان: هو
كلمة من الكتب الأولى ومعناها الإيثار، الحسين بن الفضل: الكوثر شيان تيسير القرآن وتخفيف
الشرائع، جعفر الصادق: الكوثر نور في قلبك ذلك علي، وقطعك عما سواي، وعنه أيضاً:
الشفاعة، وقيل: معجزات أكثر بها أهل الإجابة لدعوتك، هلال بن يساق: هو قول لا اله الا الله
محمد رسول الله، وقيل: الفقه في الدين، وقيل: الصلوات الخمس.

﴿فصل لربك وانحر﴾ قال محمد بن كعب: يقول: إن ناساً يصلّون لغير الله وينحرون لغير
الله فإننا أعطيناك الكوثر فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي، وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصل
لربك صلاة العيد يوم النحر، قال سعيد بن جبير ومجاهد: فصل لربك صلاة الغداة المفروضة
بجمع وأنحر البدن بمنى.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية يوم الحديبية حين حضر النبي ﷺ وأصحابه وصدّوا عن
البيت فأمره الله سبحانه أن يصلي وينحر البدن وينصرف، وفعل ذلك، وهو رواية أبي معاوية
البجلي عن سعيد بن جبير.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن الحسين قال: حدّثنا أحمد بن يوسف
قال: حدّثنا حجاج قال: حدّثنا حماد عن عاصم الحجدري عن أبيه عن عقبة بن طبيان عن علي
ابن أبي طالب عليه السلام أنه قال في هذه الآية ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال: وضع اليد اليمنى على
ساعده اليسرى ثم وضعها على صدره.

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن أحمد العطار قال: حدّثنا عبد الله بن
محمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا هاشم بن الحرث المروزي قال: حدّثنا محمد بن ربيعة قال:
حدّثنا يزيد بن ذياب بن أبي السعد عن عاصم الحجدري عن عقبة بن ظهير عن علي بن أبي

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢١٧.

(٢) لسان العرب: ٢ / ١٥ وفيه: فجعلنا بيومه.

طالب في قوله ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

وأخبرنا عبد الخالق قال: حدثنا ابن جنب قال: حدثنا يحيى بن أبي طالب قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: حدثنا روح بن المسيّب قال: أخبرني عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله الله سبحانه ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر.

يدلّ عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا المعافى بن داود قال: حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن قبيصة بن هلب عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يضرب بأحدى يديه على الأخرى في الصلاة.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكي قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا عبد الرحمن قال: أخبرنا سفيان عن سماك عن قبيصة بن هلب عن أبيه قال: رأيت النبي ﷺ واضعاً يمينه على شماله في الصلاة، هلب لقب وأسمه يزيد بن قتادة.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكي قال: حدثنا إبراهيم بن الحرث قال: حدثنا يحيى بن أبي بكر قال: حدثنا زهير بن معاوية قال: حدثنا أبو إسحاق عن عبد الجبار بن وائل عن وائل بن حجر قال: رأيت النبي ﷺ يضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة قريباً من الرفع، ويرفع يديه حتى يبلغا أذنيه.

وأخبرنا عبد الله قال: أخبرنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن يوسف قال: حدثنا حجاج قال: حدثنا هشيم عن الحجاج بن أبي زينب السلمي قال: حدثنا أبو عثمان النهدي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى رجلاً وهو يصلي واضعاً يده اليسرى على اليمنى فترع اليسرى عن اليمنى ووضع اليمنى على اليسرى.

وأخبرنا أبو محمد المخلدي قال: أخبرنا أبو الفضل يعقوب بن يوسف بن عاصم البخاري الفقيه قال: حدثنا الحسين بن الفضل النصراني قال: حدثنا وهب بن إبراهيم الرازي قال: حدثنا أبو عبد الله إسرائيل بن حاتم المروزي وكان ثقة مأموناً قال: أخبرنا مقاتل بن حيان عن أصبغ ابن نباتة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه السورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ فصل لربك وانحر قال النبي ﷺ لجبرائيل: «ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟» [٢٧٩] (١) قال: ليست بنحيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن ترفع يدك إذا كبرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، وإذا سجدت، فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وإن لكل شيء زينة وأن زينة الصلاة رفع الأيدي عند التكبيرة.

وقال رسول الله ﷺ: «رفع الأيدي في الصلاة من الاستكانة» قلت: فما الاستكانة؟ قال: «ألا تقرأ هذه الآية: ﴿فما استكانوا لرهبهم وما يتضرعون﴾^(١)» قال: هو الخضوع [٢٨٠] ^(٢).

يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال قال: حدثنا أبو زرعة الرازي قال: حدثنا عبد الجبار بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق العامري قال: حدثنا ابن أبي الزيات عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن الفضل عن عبد الرحمن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته وأراد أن يركع ويضعه إذا رفع من الركوع، ولا يرفع يديه في شيء من صلاته وهو قاعد.

وأخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن علوية بن سلوس العبدي في رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الأزهر الأزهرى وعبد الله بن يحيى بن أحمد بن مهران المذكر قالوا: سمعنا أبا إسماعيل الترمذي وحدثنا أبو محمد المخلدي إملاء قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن أحمد المذكر قال: حدثنا أبو اسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي قال: صليت خلف أبي عارم - أي النعمان - فرأيت يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت ما هذا؟ فقال: صليت خلف حماد بن زيد فرأيت يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ فقال: صليت خلف أيوب السجستاني فرأيت يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صليت إلى جنب عطاء بن أبي رباح فرأيت يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صليت خلف أبي بكر الصديق فرأيت يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صليت خلف النبي ﷺ فرأيت يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع.

وأنبأني عقيل قال: أخبرنا المعافى قال: أخبرنا ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا وكيع عن أسرائيل عن جابر عن أبي جعفر ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال: يرفع يديه أول ما يكبر في الإفتتاح إلى النحر.

وأخبرنا محمد بن عبدوس قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن الجهم قال: حدثنا الفراء قال: يقال: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أي أستقبل القبلة بنحرك، سمعت بعض العرب يقول: منازلنا تتناحر، أي هذا ينحر هذا، أي قبالة، وأنشدني بعض أسد:

(١) سورة المؤمنون: ٧٦.

(٢) كنز العمال: ٢ / ٥٥٧، ح ٤٧٢١، وتاريخ بغداد: ١٤ / ٤٢٢.

سورة الكافرون

مكية. وهي أربعة وتسعون حرفاً، وست وعشرون كلمة، وست آيات

أخبرني محمد بن القاسم قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو عمر الحرشي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا يعقوب بن حميد قال: حدثنا إسماعيل بن داود عن سليمان بن بلال عن أبي جبير عن الحكم بن عبد الله بن سعد أن محمد ابن سعيد بن جبير بن مطعم حدثهم أنه سمع جبير بن مطعم يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «أتحب يا جبير أن تكون إذا خرجت سفراً من أمثل أصحابك هيئة وأكثرهم زاداً؟» قال: قلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: «فاقرأ بهذه السور: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿إذا جاء نصر الله﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ وأفتح قراءتك بيسم الله الرحمن الرحيم» [٢٨١] قال: فقال جبير: وكنت غنياً كثير المال وكنت أخرج مع من شاء الله أن أخرج معه في السفر فأكون أبدهم هيئة وأقلهم زاداً فما زالت منذ علمنيهن رسول الله ﷺ وقرأتهن أكون من أحسنهم هيئة وأكثرهم زاداً حتى أرجع من سفري ذلك^(٢).

وأخبرنا أبو العباس السليطي قال: أخبرنا ابن الشرقي قال: حدثنا أحمد بن يوسف قال: حدثنا عبد الرزاق ومحمد بن يوسف قالوا: حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل الأشجعي يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال لرجل: «إقرأ عند منامك ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فإنها براءة من الشرك» [٢٨٢] ^(٣).

وأخبرنا أحمد بن أبي قال: أخبرنا منصور بن محمد قال: حدثنا محمد بن أيوب قال: حدثنا القيصيني قال: حدثنا سلمة بن وردان قال سمعت أنساً يقول: قال ﷺ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ربع القرآن» [٢٨٣] ^(٤).

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٢٤، مجمع الزوائد: ١٠ / ١٣٣، وفيه افتتح كل سورة، بدل أفتح قراءتك.

(٢) مسند أبي يعلى: ١٣ / ٤١٤.

(٣) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٦٢.

(٤) مجمع الزوائد: ٧ / ١٤٨.

وأخبرنا محمد بن القاسم قال: حَدَّثَنَا محمد بن زيد المعدل قال: حَدَّثَنَا أبو يحيى البزاز قال: حَدَّثَنَا محمد بن منصور قال: حَدَّثَنَا محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حَدَّثَنِي أَبِي عن مَخَالِدٍ عن الْحَجَّاجِ بن عبد الله عن أَبِي الْجَلِيلِ عن زُرِّعٍ عن أَبِي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿يا أيها الكافرون﴾ فكأنما قرأ ربع القرآن، وتباعدت عنه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر» [٢٨٤].^(١)

وقال رسول الله ﷺ: «مروا صبيانكم فليقرؤوها عند المنام فلا يعرض لهم شيء» [٢٨٥].

وقال ابن عباس: ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة لأنها توحيد وبراءة من الشرك.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ
مَا عَبَّدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿قل يا أيها الكافرون﴾ الى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب بن أسد وأمّية بن خلف قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وأن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه، فقال: «معاذ الله أن أشرك به غيره» [٢٨٦].^(٢)

فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدّقتك ونعبد الهك فقال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي فانزل الله سبحانه: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ الى آخر السورة فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فيثسوا عنه عند ذلك وأذوه وآذوا أصحابه.

وأما وجه تكرار الكلام فإن معنى الآية ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ في الحال ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في الحال ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ في المستقبل ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في المستقبل وهذا خطاب لمن سبق في علم الله سبحانه أنهم لا يؤمنون، وقال أكثر أهل المعاني: نزل القرآن بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذهبهم التكرار لإرادة التوكيد والإفهام،

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٦٢.

(٢) أسباب نزول الآيات: ٣٠٧، تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٦٣.

كما أن مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز لأن إتيان المتكلم والخطيب وخروجه من شيء إلى شيء آخر أفضل من اقتصاره في المقام على شيء واحد، قال الله تعالى: ﴿فَبَإْي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١) ﴿وَيَلْ يَوْمئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٢) في غير موضع من سورة واحدة وقال سبحانه: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾^(٣) وقال: تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٤) وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٥) كل هذا أراد به التأكيد، ويقول القائل: ارم ارم، عجل عجل، ومنه الحديث أن رسول الله ﷺ صعد المنبر ذات يوم فقال: «إن بني مخزوم استأذنوا أن ينكحوا فئاتهم علياً فلا اذن ثم لا آذن، لأن فاطمة بضعة مني يسرها ما يسترني ويسوءها ما يسوءني» [٢٨٧].

ومنه قول الشاعر:

هـلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أيننا^(٦)
وقال آخر:
يا علقمه يا علقمه يا علقمه خير تميم كلها وأكرمها^(٧)
وقال آخر:
قربا مربوط النعمامة مني لقحت حرب وائل عن حيان^(٨)
ثم قال في عدة أبيات من هذه القصيدة:

لقحت حرب وائل عن حيان

وأنشدني أبو القاسم بن حبيب قال: أنشدني أبو القاسم عبد الرحمن بن المظفر الأنباري قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن أحمد بن القاسم الأنباري لبعض نساء الإعراب.
يقول رجال زوجها لعلها تقر وترضى بعده بحليل
فأخفت في النفس التي ليس دونها رجاء وإن الصدق أفضل قيل
أبعد ابن عمي سيد القوم مالك أرف إلى بعلى الدليل

(١) سورة الرحمن.

(٢) سورة المرسلات: ١٥.

(٣) سورة النبأ: ٤ - ٥.

(٤) سورة الانفطار: ١٧.

(٥) سورة الشرح: ٥ - ٦.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٢٧.

(٧) فتح القدير: ٥ / ٥٠٧.

(٨) لسان العرب: ٧ / ٨٢.

وحدّثني أصحابه أن مالكاً أقام ونادى صاحبه برحيل
وحدّثني أصحابه أن مالكاً صروم كماضي الشفرتين صقيل
وحدّثني أصحابه أن مالكاً جواد بما في الرحل غير بخيل

وقال القتيبي: وفيه وجه آخر وهو أن قريشاً قالوا: إن سرّك أن ندخل في دينك عاماً فأدخل في ديننا عاماً فنزلت هذه السورة، فتكرار الكلام لتكرار الوقت، وقال: فيه وجه آخر وهو أن القرآن نزل شيء بعد شيء وآية بعد آية فكانهم قالوا اعبد آلهتنا سنة فقال الله سبحانه: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ ثم قالوا بعد ذلك: استلم بعض آلهتنا فانزل الله تعالى: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ ﴿لكم دينكم﴾ الشرك ﴿ولي دين﴾ الإسلام.

وهذه الآية منسوخة بآية السيف، وقرأ أهل المدينة وعيسى بن عمر ﴿ولي دين﴾ بفتح الياء ومثله روى حفص عن عاصم وهشام عن أهل الشام، غيرهم بجزمه وأبو حاتم بجر.

سورة النصر

مدنية وهي سبعة وتسعون حرفاً، وست عشر كلمة، وثلاث آيات

أخبرني أبو الحسين الحيارى عن مرة قال: أخبرنا الإمام أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني وأبو الشيخ الحافظ الأصبهاني قالا: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن أبي شريك قال: حدثنا أبو عبد الله البربرقي قال: حدثنا سلام قال: حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد مع محمد فتح مكة» [٢٨٨] (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانَتْ تَوَّابًا ﴿٣﴾

﴿إذا جاء نصر الله﴾ على من عاداك وناوءك ﴿والفتح﴾ قال يمان: فتح المدائن والقصور، وقال عامة المفسرين: فتح مكة، وكانت قصته على ما ذكره محمد بن إسحاق بن بشار والعلماء من أصحاب الأخبار: أن رسول الله ﷺ لما صالح قريش عام الحديبية كان فيما أشرطوا أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ وعقده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ، وكان بينهما شرّ قديم، وكان السبب الذي هاج ما بين بكر وخزاعة أن رجلاً من يلحضرمي يقال له مالك بن عماد خرج تاجراً، فلما توسّط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزين الديلي وهم من أشراف بكر فقتلوه بعرفة عند أنصاب الحرم، فبينما بكر وخزاعة على ذلك من الشر حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به، فلما كان صلح الحديبية ووقعت تلك الهدنة أغتتمها بنو الدليل من بني بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بني الأسود بن رزين، فخرج نوفل بن معونة الديلي في بني الدليل، وهو يومئذ قائدهم حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير - ماء لهم بأسفل مكة -، فأصابوا

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٦٦.

منهم رجلاً وتحاوروا واقتتلوا، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى جاوزوا خزاعة إلى الحرم، وكان ممن أعان من قريش بني بكر على خزاعة ليلتين بأنفسهم مشتركين صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو ومع عبيدهم قالوا: فلما أنتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يانوفل إنا دخلنا الحرم، إلهك الهك، فقال كلمة عظيمة: أنه لا إله اليوم [يا بني بكر] أصيبوا ثأركم فيه فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه^(١).

فلما دخلت خزاعة مكة لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع، فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد لما أستحلوا من خزاعة، وكانوا في عقدة، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهرائي الناس فقال لهم: إني بايعت محمداً وذكر الآيات كما ذكرها في سورة التوبة إلى قوله:

هم بيتونا بالوتير هجداً فقتلونا ركعاً وسجداً^(٢)

فقال رسول الله ﷺ: قد نصرت ياعمرو بن سالم، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب» [وأمر رسول الله الناس بالجهاز وكتبهم مخرجه].

وقد قال حسن: بلغه إسلام أم هاني بنت أبي طالب وأسمها هند:

أشأقتك هند أم ناك سؤالها كذاك النوى أسبابها وأنفتالها^(٣)
القصيدة.

قال ابن إسحاق، وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني غفار أربعمئة ومن أسلم أربعمئة ومن مزينة ألف ومن بني سلم سبعمئة ومن جهينة ألف وأربعمئة رجل وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس واسد.

قالوا: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشر ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج إلى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنين.

«ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا» زمراً وأرسالاً^(٤) القبيلة بأسرها، والقوم بأجمعهم من غير قتال.

(٢) تاريخ الطبري: ٢ / ٣٢٥.

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٣٢٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٢ / ٣٤٠، والبدية والنهاية: ٤ / ٣١٨.

(٤) الأرسال: فرقة بعد فرقة واحداً: رسل.

قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب بعضها لبعض: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله سبحانه أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا، وقال عكرمة ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن، قال ابن عباس وأبو هريرة: لما نزلت هذه السورة قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر جاء نصر الله والفتح» [٢٨٩] (١).

وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طاعتهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية. أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شبة قال: حدثنا محمد بن مصفر قال: حدثنا بقة بن الوليد قال: حدثنا الأوزاعي قال: حدثنا شداد أبو عمار قال: حدثني جابر الجعفي قال: غدا جابر ليسلم عليّ فجعل يسألني عن حال الناس فجعلت أخبره نحواً مما رأيت من اختلافهم وفترتهم فجعلت أخبره وهو يبكي فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون من دين الله أفواجا» [٢٩٠] (٢).

«فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً» فأنك حينئذ لاحق به وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل، وعند الكمال يرتقب الزوال كما قيل.

إذا تم أمر (٣) نقصه توقع زوالا إذا قيل تم (٤) وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب كان يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم فقال عبد الرحمن بن عوف: أتأذن لهذا الفتى معنا ومن أبناؤنا من هو مثله، فقال: إنه ممن قد علمتم، قال ابن عباس: فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن قول الله سبحانه: «إذا جاء نصر الله والفتح» الآية ولا أراه سألهم إلا من أجلي، فقال بعضهم: أمر الله نبيه ﷺ إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه، فسألني فقلت: ليس كذلك ولكن أخبر نبي الله ﷺ بحضور أجله ونعيت إليه نفسه، فذلك علامة موته. فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم، ثم قال: كيف تلومونني عليه بعد ما ترون (٥).

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر المطيري قال: حدثنا ابن فضل قال: حدثنا عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال: لما نزلت «إذا جاء نصر الله والفتح» قال النبي ﷺ: «نعت إلي نفسي» بأنه مقبوض في تلك السنة [٢٩١] (٦)، وقال مقاتل وقتادة: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين.

(١) موارد الضمان: ٥٧٢، وفيه: الله أكبر الله أكبر.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٣٤٣.

(٣) في المصدر: بدا.

(٤) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٦٧.

(٥) مسند أحمد: ١ / ٣٣٨، بتفاوت بسيط.

(٦) مسند أحمد: ١ / ٢١٧.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا أبو عامر العقدي عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي عبدة عن عبد الله قال: لما نزلت ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ كان النبي ﷺ يكثر أن يقول «سبحانك اللهم وبحمدك»^(١) أغفر لي إنك أنت التواب» [٢٩٢] (٢).

وأخبرنا عبد الله قال: أخبرني مكي قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك» فقلت: يا رسول الله ما هؤلاء الكلمات التي أراك قد أحدثتها بقولها؟ قال: «جعلتها علامة في أمي»^(٣) إذا رأيتهما قلتها إذا جاء نصر الله والفتح» [٢٩٣] (٤) إلى آخر السورة.

وبه عن ابن هاشم قال: حدثنا عبد الله بن نمير قال: أخبرنا الأعمش عن مسلم وهو ابن صبيح عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها قالت: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلى آخرها ما رأيت النبي ﷺ صلى صلاة ألا قال: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم أغفر لي» [٢٩٤] (٥).

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حمدان قال: حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال: حدثنا علي بن محمد الطنافسي قال: حدثنا حفص بن غياث عن عاصم الأحول عن الشعبي عن أم سلمة قالت: كان النبي ﷺ بأخوه لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب إلا قال: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» فقلنا: يا رسول الله لا تقوم ولا تقعد ولا تجيء ولا تذهب إلا قلت: سبحان الله أستغفر الله وأتوب إليه قال: «فإني أمرت بها» [٢٩٥] (٦) ثم قرأ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختمها.

وقال: مقاتل: لما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعيد بن أبي العاص ففرحوا واستبشروا، وسمعها العباس فبكى فقال له النبي ﷺ: «وما يبكيك يا عم» قال: نعت إليك نفسك قال: «إنه لكما تقول» [٢٩٦] (٧) فعاش بعدها سنتين ما رُئي فيهما ضاحكاً مستبشراً، وهذه السورة تسمى سورة التوديع.

(١) في المصدر: اللهم اغفر.

(٢) مسند أحمد: ١ / ٤٣٤.

(٣) في المصدر: جعلت لي علامة لأمتي.

(٤) كنز العمال: ٢ / ٥٦١، ح ٤٧٣١.

(٥) مسند أحمد: ٦ / ٢٣٠.

(٦) جامع البيان للطبري: ٣٠ / ٤٣٥.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٣٢.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا محمد بن عمران قال: حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان قال: حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس قال: أقبل رسول الله ﷺ من غزوة حنين فنزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ السورة، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي ويا فاطمة بنت محمد قد جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً سبحان ربي وبحمده وأستغفره أنه كان توباً ويا علي بن أبي طالب إنه يكون من بعدي في المؤمنين الجهاد»، فقال علي: ما نجاهد المؤمنين الذين يقولون آمناً؟ قال: «على الإحداث في الدين إذا عملوا بالرأي، ولا رأي في الدين إنما الدين من الرب أمره ونهيه».

فقال علي: يا رسول الله ﷺ أرأيت إن عرض لنا أمر لم يبين الله فيه قرآناً ولم ينص فيه سنة منك؟ قال: «تجعلونه شورى بين العابدين»^(١) ولا تقضون برأي خاصة ولو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحق منك لقدمك في الإسلام وقرايتك من رسول الله وصهرك وعندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب إياي حين نزل القرآن فأنا حريص على أن أرعى ذلك في ولده» [٢٩٧]^(٢).

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكي قال: حدثنا أحمد بن منصور المروزي أبو صالح قال: حدثني أحمد بن المصعب المروزي قال: حدثنا عمر بن إبراهيم قال: حدثنا عيسى ابن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ جاء العباس إلى علي رضي الله عنه فقال: أدخل على رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر من بعده لنا لم تشا هنا عليه قريش، وإن كان للغير سألته الوصاة بنا، قال: سأفعل، قال: فدخل العباس على رسول الله ﷺ مسراً فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ: «يا عباس يا عم رسول الله إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله سبحانه ووحيه فأسمعوا له تفلحوا وأطيعوه تُرشدوا» [٢٩٨]^(٣).

قال ابن عباس: فقعدوا والله فرشدوا.

(١) في المصدر: من المؤمنين.

(٢) مجمع الزوائد: ١ / ١٨٠، المعجم الكبير: ١١ / ٢٩٥. بتفاوت بسيط.

(٣) كنز العمال: ١١ / ٥٥٠، ح ٣٢٥٨٦.

سورة تبت (المسد)

مكية، وهي سبعة وسبعون حرفاً، وعشرون كلمة، وخمس آيات

أخبرنا الحراشي قال: حدّثنا أبو الشيخ الحافظ قال: حدّثنا إبراهيم بن شريك قال: حدّثنا أحمد بن يونس قال: حدّثنا سلام بن سليم قال: حدّثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله سبحانه بينه وبين أبي لهب في دار واحدة» [٢٩٩] ^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاكَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكي قال: حدّثنا عبد الله بن هاشم قال: حدّثنا عبد الله بن نمير قال: حدّثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله سبحانه: ﴿وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(٢) أتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: يا صباحاه، فأجتمع إليه الناس بين رجل يجيء وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني عدي أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل يريد أن تغير عليكم صدقتهموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» [٣٠٠] ^(٣) فقال أبو لهب: تباً لكم سائر هذا اليوم، وما دعوتهموني إلا لهذا؟ فأنزل ﴿تَبَّتْ﴾ أي خابت وخسرت، ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي تب هو أخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كلّ كقوله سبحانه: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ ^(٤) و ﴿قدمت

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٧٤.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٣) تفسير جامع البيان للطبري ١٩ / ١٤٧ وصحيح البخاري: ٣ / ١٩٠.

(٤) سورة الشورى: ٣٠.

أَيَدِيهِمْ^(١) ونحوها، وقيل: اليد صلة يقول العرب: يد الدَّهر ويد الرزايا والمنايا، قال الشاعر:
لَمَّا أَكْبَبْتُ يَدَ الرِّزَايَا عَلَيْهِ نَادَى أَلَا مَجِير^(٢)

وقيل: المراد به ماله وملكه يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال.

والتباب الخسار والهلاك، سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت محمد بن مسعود السوري قال: سمعت نبطويه قال: سمعت المنقري عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه سمعوا صوت هاتف من الجن يكي.

لَقَدْ خَلَّوْكَ وَأَنْصَرَفُوا فَمَا عَطَفُوا^(٣) وَلَا رَجَعُوا
وَلَمْ يَوْفُوا بِنَذْرِهِمْ فَتَبَّ^(٤) لِلَّذِي^(٥) صَنَعُوا

وأبو لهب هو ابن عبد المطلب واسمه عبد العزي فلذلك لم يسمَّه، وقيل اسمه كتيبة، قال: مقاتل كَتَبَ أبا لهب لحسنه وأشراق وجهه، وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان.

﴿وتب﴾ أبو لهب الواو فيه واو العطف، وقرأ عبد الله وأبي (وقد تب) فالأول دعاء والثاني كما يقال غفر الله لك، وقد فعل وأهلكه الله وقد فعل، والواو فيه واو الحال.

وقراءة العامة ﴿أبي لهب﴾ بفتح الهاء، وقرأ أهل مكة بجزمها، ولم يختلفوا في قوله: ﴿ذات لهب﴾ أنه مفتوح الهاء؛ لأنهم راعوا فيه روس الأي.

أخبرنا الحسين بن محمد قال: حدَّثنا السني قال: حدَّثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال: حدَّثنا شريح بن يونس قال: حدَّثنا هشيم قال: أخبرنا منصور عن الحكم عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: لما خلق الله القلم قال: أكتب ما هو كائن فكتب فمما كتب: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن قال: أخبرنا أبو الطيب محمد بن عبد الله ابن المبارك الثعيري قال: حدَّثنا محمد بن أشرس السلمي قال: حدَّثنا عبد الصمد بن حسان المروّ الروذي عن سفيان عن منصور قال: سئل الحسن عن قوله: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ هل كان في أم الكتاب وهل كان يستطيع أبو لهب أن لا يصلّي النار؟ فقال الحسن: والله ما كان يستطيع أن لا يصلّيها وإنها لفي كتاب الله قبل أن يخلق أبو لهب وأبواه^(٦).

(١) سورة البقرة: ٩٥.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٣٦، وفتح القدير: ٥ / ٥١١.

(٣) في المصدر: أبوا.

(٤) في المصدر: فيا تَبَّ لما.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٣٥.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٣٧.

ويؤيد هذا ما أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة قال: أخبرنا جدي أمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة قال حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا معاوية بن عمرو قال: حدثنا زائدة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. قال: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله سبحانه بيده ونفخ فيك من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: وأنت موسى الذي أصطفاك الله بكلامه تلومني على عمل أعمله كتبه الله عليّ قبل أن يخلق السموات والأرض، قال: فحج آدم موسى» [٣٠١] (١).

وأخبرنا محمد بن الفضل قال: أخبرنا جدي قال: حضر مجلس إسحاق بن إبراهيم وأنا على نمير الركاب فقراً علينا قال: أخبرنا النظر بن شميل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عمار ابن أبي عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لقي موسى آدم فقال: أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته فأخرجت ولدك من الجنة، قال له: يا موسى أنت الذي أصطفاك برسالتك وكلمك، فأنا أقدم أم الذكر؟ قال: الذكر، فحج آدم موسى فحج آدم موسى» [٣٠٢] (٢).

وأخبرنا محمد بن الفضل قال: أخبرنا جدي قال: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا أبو الزباد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال: آدم: يا موسى أصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله تعالى قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدم موسى فحج آدم موسى» [٣٠٣] (٣).

﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ قال: ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقرباءه إلى الله سبحانه قال أبو لهب لأصحابه: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فأني أفتدي نفسي وملكي وولدي، فأنزل الله سبحانه ﴿ما أغنى﴾ أي ما يغني، وقيل: أي شيء أغنى عنه ماله من عذاب الله.

قال: أبو العالية: يعني أغنامه، وكان صاحب سائمة ومواش، وما كسب: يعني ولده.

قرأ الأعمش (وما أكتسب)، ورواه عن ابن مسعود.

أخبرنا الحسين بن محمد قال: حدثنا أحمد بن حنبل قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا

(١) مسند أحمد: ٢ / ٣٩٨.

(٢) مسند ابن راهويه: ١ / ١٧٢، مسند ابن الجعد: ١٦٤، بتفاوت.

(٣) صحيح البخاري: ٧ / ٢١٤.

معمر عن ابن خيثم عن أبي الطفيل قال: كنت عند ابن عباس يوماً فجاء بنو أبي لهب يختصمون في شيء بينهم فاقتتلوا عنده في البيت فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوق على الفراش فغضب ابن عباس فقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث، يعني ولده أنهم كسبه^(١).

دليل هذا التأويل ما أخبرني ابن فنجويه [.....]^(٢).

أبو حمزة قال: حدثني عمارة بن عمير التميمي عن عمته سودة قال: قالت لعائشة آكل من مال ولدي فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أطيب ما أكل أحدكم»^(٣) من كسبه وأن ولده من كسبه» [٣٠٤]^(٤).

﴿سَيْصَلَى﴾ هو سين سوف وقيل سين الوعد.

وقراءة العامة بفتح الياء الاولى وقرأ أبو رجاء بضم الياء، وقرأ شهب العقيلي بضم الياء وتشديد اللام.

﴿نَاراً ذات لهب﴾.

وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٥﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٦﴾

﴿وامراته﴾ أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكانت عوراء. ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ يقال: الحديث والكذب قال: ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: كانت تمشي بالنميمة، يقول العرب: فلان يحطب على فلان إذا ورشى^(٥) وأغزى، قال: شاعرهم: من البيض لم يصطد^(٦) على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب^(٧) يعني لم يمش بالنمائم، وقال آخر:

فلسنا كمن يرجى المقالة شطره يفرق العصاه الرطب والغيل اليبس^(٨)
وروى معمر عن قتادة قال: كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر وكانت تحتطب فعيّرت

(١) مستدرك الصحيحين: ٢ / ٥٣٩، وتفسير عبد الرزاق: ٣ / ٤٠٦.

(٢) بياض في مصوّة المخطوط.

(٣) في المصدر الرجل بدل أحدكم.

(٤) كنز العمال: ٤ / ٩، ح ٩٢٣٣.

(٥) التوريش: التحريش.

(٦) في المصدر: تصطه.

(٧) لسان العرب: ١ / ٣٢٢، تاج العروس: ١ / ٢١٧.

(٨) كذا في المخطوط.

بذلك، وهذا قول غير قوي، لأن الله سبحانه وصفهم بالمال والولد وحمل الحطب ليس بعيب، وقال: الضحاك وابن زيد: كانت تأتي بالشوك والعصاة فتطرحها بالليل في طريق رسول الله ﷺ ليعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس، قال الربيع بن أنس: كانت تنشر السعدان على طريق رسول الله ﷺ فيطأه كما يطأ الحرير والفرند.

مرة الهمداني: كانت أم جميل تأتي كل يوم بأبالة من الحسك فتطرحه على طريق المسلمين فينما هي ذات يوم حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها ملك فحدثها من خلفها فأهلكها.

وقال سعيد بن جبیر: حمالة الخطايا. دليله قوله سبحانه: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾^(١)، وقول العرب: فلان يحطب على ظهره إذا أساء، فلان حاطب قريته إذا كان الجاني فيهم، وفلان محطوب عليه إذا كان مجنياً عليه.

وقراءة العامة بالرفع فيهما وأختاره أبو عبيد وأبو حاتم ولها وجهان: أحدهما: سيصلى ناراً هو وامرأته حمالة الحطب، والثاني: وامرأته حمالة الحطب في النار أيضاً.

وحجة الرافعين ما أخبرنا محمد بن نعيم قال: أخبرنا الحسين بن أيوب قال: أخبرنا علي ابن عبد العزيز قال: أخبرنا أبو عبيد قال: حدثنا حجاج بن هارون قال: في قراءة عبد الله وامرأته حمالة للحطب، وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وابن محتضر والأعرج وعاصم ﴿حمالة﴾ بالنصب ولها وجهان: أحدهما الحال والقطع لأن أصله وامرأته الحمالة الحطب فلما القيت الألف واللام نصب الكلام، والثاني على الذم والشتم كقوله سبحانه: ﴿ملعونين﴾^(٢).

وروى ابن أبي الزيات عن أبيه قال: كان عامة العرب يقرؤون حمالة الحطب وقرأ أبو قلابة وامرأته حمالة الحطب على فاعله، والحطب جمع واحدتها حطبة.

وقال: بعض أهل اللغة: الحطب ها هنا جمع الحاطب وهو الجانب المذنب يعني أنها كانت تحملهم بالنميمة على معاداته، ونظيره من الكلام راصد و رصد و حارس وحرس وطالب وطلب وغائب وغيب، والعلة في تشبيههم بالنميمة بالحطب هي أن الحطب يوقد ويضرم كذلك النميمة، قال: أكثر بن صيفي لبنيه: أياكم والنميمة فأنها نار محرقة وأن المنام ليعمل في ساعة مالا يعمل الساحر في شهر، فاخذه الشاعر فقال:

أن النميمة نار ويك محرقة فعد^(٣) عنها وحارب^(٤) من تعاطاها^(٥)

(٢) سورة الأحزاب: ٦١.

(١) سورة الأنعام: ٣١.

(٣) في المصدر: ففر.

(٤) في المصدر: وجانب.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٣٩.

ولذلك قيل: نار الحقد لا تخبوا.

والعلة الثانية: أن الحطب يصير ناراً والنار سبب التفريق فكذلك النيمة، وأنشدني وأبو القاسم [الحبيبي] قال: أنشدني أبو محمد الهاراني الجويني قال:

إن بني الأدرم حمالوا الحطب هم الوشاة في الرضا وفي الغضب^(١)
عليهم اللعنة ترى والحرب^(٢).

﴿في جيدها﴾ عنقها، قال ذو الرمة:

فعينك عينها ولونك لونها وجيدك إلا أنها غير عاطل^(٣)
وجمعها أجياد، قال: الأعمش:

وببيداء تحسب آرامها رجال إياد بأجيادها^(٤)

﴿حبل من مسد﴾ اختلفوا فيه فقال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً يدخل من فيها فيخرج من دبرها ويلوى سائرهما في عنقها، وقال السدي: خلق الحديد وهي السلسلة تختلف في جهنم كما يختلف الجبل والدلو في البئر، وروى الأعمش عن مجاهد: من حديد، منصور عنه: المسد: الحديدية التي تكون في البكرة، ويقال له المحور، وإليه ذهب عطاء وعكرمة، الشعبي ومقاتل: من ليف، ضحاك وغيره: في الدنيا من ليف وهو الجبل الذي كانت تحطب به فخنقها الله تعالى به فأهلكها، وفي الآخرة من نار، قتادة: قلادة من ردع، الحسن: إنما كانت خرزات في عنقها، سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة في عنقها فاخرة فقالت لأنفقها في عداوة محمد، ابن زيد: حبال من شجر ينبت في اليمن يقال لها: المسد وكانت تقتل، المروج من شهر الحرم والسلم والمسد في كلام العرب كل حبل غيروا أمر ليفاً كان أو غيره، وأصله من المسد وهو الفتل، ودابة ممسودة الخلق إذا كانت شديدة الأسر، قال: الشاعر:

مسد أمر من أيانق ليس بأنياب ولا حقائق^(٥)
وجمعها أمساد قال: الأعشى:

تمسي فيصرف بابها من دوننا غلقاً صريف محالة الأمساد^(٦)

(١) فتح القدير: ٥ / ٥١٢، وفيه: الرضا والغضب.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٣٩.

(٣) جامع البيان للطبري: ٣٠ / ٤٤٣، وفيه: فعيناك عينها.

(٤) لسان العرب: ٣ / ١٣٨. (٥) لسان العرب: ٣ / ٤٠٢.

(٦) تفسير الطبري: ٣٠ / ٤٤٥.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد النيسابوري يقول: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد ابن ملجان البصري يقول: سمعت بشر بن موسى الأسدي يقول: سمعت الأصمعي يقول: صلى أربعة من الشعراء خلف أمام اسمه يحيى فقراً ﴿قل هو الله أحد﴾ فيتعتع فيها فقال أحدهم: أكثر يحيى غلطاً في ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال الثاني:

قام طويلاً ساكناً حتى إذا أعيا سجد فقال الثالث:

يزجر في محرابه زجير حبل لولد فقال الرابع:

كأتم الساننه شد بحبل من مسد وفي هذه السورة دلالة واضحة على نبوة نبينا محمد ﷺ وذلك أن الله سبحانه أخبر عن مصير أبي لهب وامراته الى النار وكانا من أحرص الناس على تكذيب النبي ﷺ فلم يحملهما ذلك على اظهار الإيمان حتى يكذبا رسول الله ﷺ بل داما على كفرهما حتى علم أن وعيد الله سبحانه إياهما وإخباره عن مصيرهما إلى النار حق وصدق.

سورة الإخلاص

مكية، وهي سبعة وأربعون حرفاً، وخمس عشر كلمة، وأربع آيات

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني بقراي علي عليه السلام قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس قال: حدثنا يونس بن حبيب قال: حدثنا أبو داود الطيالسي قال: حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معد ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة» قلت: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: «إقرؤوا ﴿قل هو الله أحد﴾» [٣٠٥] (١).

وأخبرني أبو عبد الله الحسين محمد بن الفرج قال: حدثنا محمد بن الزريقان قال: حدثنا مروان بن سالم عن أبي عمر مولى جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حين يدخل منزله نفث الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران» [٣٠٦] (٢).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن صقلاب قال: حدثنا ابن أبي الخصب قال: حدثني أبي قال: حدثنا سعيد بن المغيرة قال: حدثنا محمد بن مروان عن أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة بورك عليه، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله، فإن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى أهله وعلى جميع جيرانه، فإن قرأها أثنى عشر مرة بني له أثنى عشر قصراً في الجنة ويقول الحفظة: أنطلقوا بنا ننظر إلى قصر أخينا، فإن قرأها مائة كفّر عنه ذنوب خمس وعشرون سنة ما خلا الدماء والأموال، فإن قرأها أربع مائة كفّرت عنه ذنوب أربع مائة سنة ما خلا الدماء والأموال، فإن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه في الجنة أو يرى له» [٣٠٧] (٣).

وأخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي الفراتي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب قال: حدثنا عبد الله بن جامع الحلواني قال: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا عمر بن سعد العطار الفلزمي قال: حدثنا ابن أبي ذئب قال: حدثنا محمد بن غيلان عن أبي حازم عن سهل

(١) مسند أحمد: ٦ / ٤٤٢.

(٢) مجمع الزوائد: ١٠ / ١٢٨.

(٣) بتمامه في تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٧٩.

ابن سعد قال: جاء رجل الى النبي ﷺ فشكا إليه الفقر وضيق المعاش فقال له: رسول الله ﷺ: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلم (علي)»^(١) وأقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة واحدة» [٣٠٨]^(٢) ففعل الرجل فأدّر الله عليه رزقاً حتى أفاض على جيرانه.

وأخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن يحيى قال: حدّثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني قال: حدّثنا يزيد بن هارون قال: حدّثنا العلاء أبو محمد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت فيما مضى فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: يا جبريل مالي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى فقال: ذاك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله سبحانه إليه سبعين ألف ملك يصلّون عليه قال: وفيم ذاك؟ قال: كان يكثر قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ بالليل والنهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه قال: «نعم» [٣٠٩]^(٣) فصلى عليه ثم رجع.

وأخبرنا أحمد بن أبي قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب قال: حدّثنا محمد بن عيسى بن يزيد قال: حدّثنا سليمان بن داود المنقري قال: حدّثنا عبد العزيز بن محمد عن عبد الله بن عمر عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً كان يصلي على عهد النبي ﷺ فكان لا يقرأ في الصلاة إلا قرأ في أثرها ﴿قل هو الله أحد﴾ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ما حملك على لزومها؟» فقال: يا رسول الله، إني أحبها.

فقال له رسول الله ﷺ: «حبك إياها يدخلك الجنة» [٣١٠]^(٤).

وأخبرنا ناقل بن راقم بن أحمد البايع قال: حدّثنا علي بن الحسن بن بختيار قال: حدّثنا أبو إبراهيم القطان قال: حدّثنا عثمان بن عبد الله القرشي قال: حدّثنا سلمة بن سنان عن محمد ابن المنكدر أن رسول الله ﷺ قال: «نزل ملك من السماء السابعة وخرج من الأرض السابعة ملك فالتقى على هذه الأرض فقال الذي نزل من السماء: قد رفعت اليوم عملاً لم أرفع مثله، قال: الذي خرج من تحت الأرض: ما ذاك؟ قال: قرأ رجل ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة قال: ما صنّعه به؟ قال: غفر الله له» [٣١١].

وأخبرني محمد بن القاسم قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: حدّثنا أبو يحيى البزاز قال:

(١) غير موجودة في المصدر.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٥ / ٧٠٥.

(٣) مجمع الزوائد: ٩ / ٣٧٧.

(٤) سنن الترمذي: ٤ / ٢٤٣، بتفاوت بسيط.

حدَّثنا محمد بن الأزهر قال: حدَّثنا أبو عامر العقدي عن مالك بن أنس عن عبد الله بن عبد الرحمن عن ابن جبير عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: «وجبت» قيل: يا رسول الله وما وجبت؟ قال: «وجبت له الجنة» [٣١٢] (١).

وأخبرني محمد بن القاسم قال: حدَّثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن الدشت قال: حدَّثنا أحمد بن محمد بن الحسن بن قريش قال: حدَّثنا معاذ بن يوسف التاجر قال: حدَّثنا مُسَدَّد ابن مُسرهد قال: حدَّثنا حمدان بن رزام قال: حدَّثنا محمد بن عبد الله عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال: قال: رسول الله ﷺ «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة واحدة أعطاه الله من الثواب ما يحمل ثوابه سبعين قطاراً من ياقوت فيفوج منه الروح يحملون كتبه كتباً واحداً أشد تقرباً من شعر الزنجي وأرق من الشعر» [٣١٣].

وأخبرني محمد بن القاسم قال: حدَّثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو حسان العثماني قال: حدَّثنا أحمد بن عبد الرحمن قال: حدَّثنا عمي عبد الله بن وهب قال: حدَّثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مكحول عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ابن كعب قال: سئل النبي (عليه السلام) عن ثواب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: «من قرأ (قل هو الله أحد) تناثر الخير على مفرق رأسه من عنان السماء، ونزلت عليه السكينة وتغشاه الرحمن وازدوي حول العرش، ونظر الله سبحانه إلى قارئها فلا يسأله شيء إلا أعطاه إياه ويجعله في كلائه وحرزه» [٣١٤].

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أخبرنا الشيخ أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المزكي قال: أخبرنا الإمام أبو بدر محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدَّثنا أحمد بن منيع ومحمود بن خدّاش قالوا: حدَّثنا أبو سعد الصغاني قال: حدَّثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله (عليه السلام): انسب لنا ربك، فأنزل الله سبحانه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الى آخر السورة.

وروى أبو ضبيان وأبو صالح عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر: الى ماتدعونا يا محمد؟ قال: «الى الله سبحانه» فقالا: صفه لنا، أذهب

هو أم فضة أم حديد أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة، فأرسل الله سبحانه الصاعقة إلى أربد فأحرقتة وطمعن عامر في خنصره فمات، وقد ذكرت قصتهما في سورة الرعد.

وقال الضحاك وقتادة ومقاتل: جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله أنزل نعته في التوراة فأخبرنا به من أي شيء هو من أي جنس أمن ذهب هو أو نحاس أم صفر أم حديد أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممّن ورث الدنيا؟ ومن يورثها؟ فأنزل الله سبحانه هذه السورة وهي نسبة الله خاصة.

وأخبرني عقيل أن أبا فرج البغدادي أخبرهم عن أبي جعفر الطبري قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق عن محمد بن سعيد قال: أتى رهط من اليهود للنبي ﷺ قالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه؟ فغضب النبي حتى أمتقع لونه ثم ساورهم غضباً لربه، فجاءه جبرائيل فسكّنه وقال: أخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله سبحانه بجواب ما سألوه ﴿قل هو الله أحد﴾ السورة، فلما تلا عليهم النبي ﷺ قالوا له: صف لنا ربك كيف خلق وكيف عضده وذراعه؟ فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأوّل وساورهم، فأتاه جبرائيل فقال: له مثل مقالته وأتاه بجواب ما سألوه ﴿ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾^(١).

وقال الضحاك عن ابن عباس: إنّ وفد نجران قدموا على رسول الله ﷺ سبعة أساقفة من بني الحرث بن كعب فيهم السيد والعاقب، فقالوا للنبي ﷺ: صف لنا ربك من أي شيء هو؟ فقال النبي ﷺ: «إنّ ربي ليس من شيء وهو بائن من^(٢) الأشياء» [٣١٥] فأنزل الله سبحانه ﴿قل هو الله أحد﴾ أي واحد.

ولا فرق بين الواحد والأحد عند أكثر أصحابنا يدل عليه قراءة عبد الله ﴿قل هو الله﴾ [.....]^(٣).

وفرق قوم بينهما فقال بعضهم: الواحد للفصل والأحد للغاية، وقيل: واحد بصفاته أحد بذاته، وقيل: إنّ الواحد يدلّ على أزليته وأوّليته، لأنّ الواحد في الأعداد ركنها وأصلها وميدانها، والأحد يدلّ على بينوته من خلقه في جميع الصفات، ونفي أبواب الشرك عنه، فالأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، والواحد أسم لمفتتح العدد، فأحد صلح في الكلام في موضع الجحود، والواحد في موضع الإثبات تقول: لم يأتني منهم أحد وجاءني منهم واحد،

(١) سورة الزمر: ٦٧.

(٢) في سبل الهدى للشامي (٣ / ٣٩٦): وهو بائن خالق الأشياء.

(٣) بياض في مصوّة المخطوط.

فالمعنى أنه لم يأتني أثنان، وقال ابن الأنباري: أجد في الأصل واحد كما قالوا للمرأة أناة والأصل ونأة من الوني وهو الفتور قال الشاعر:

رمته أناة من ربيعة عامر نؤوم الضحى في مآتم أي مآتم^(١)
وقال النابغة في الواحد:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذى الجليل على مستأنس وحد^(٢)
سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزاز يقول: سمعت ابن عطاء يقول في قوله سبحانه ﴿قل هو الله أحد﴾: هو المنفرد بإيجاد المفقودات والمتحد بأظهار الخفيات.

وقراءة العامة ﴿أحد﴾ بالتثنية، وقرأ الحسن ونصر بن عاصم وابن إسحاق وأبان بن عثمان وهارون بن عيسى ﴿أحد الله﴾ بلا تنوين طلباً للخفة وفراراً من التقاء الساكنين كقراءة من قرأ ﴿عزيز ابن الله﴾^(٣) بغير تنوين.

وأما قوله: ﴿الله الصمد﴾ فأختلفوا فيه فقال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير: الذي لا جوف له، وأما سعيد بن المسيب: الذي لا حشوله، الشعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب، وإليه ذهب الفرضي، وقيل: يفتره ما بعده.

أخبرنا محمد بن الفضل قال: أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا أحمد بن منيع ومحمود بن خراش قال: حدثنا أبو سعد الصعالي قال: حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: الصمد الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس يرث إلا سيورث وأن الله لا يموت ولا يورث.

وقال أبو وائل شفيق بن سلمة: وهو السيد الذي قد أنتهى سؤده، وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع الشرف والسؤدد.

غيره: هو السيد المقصود في الحوائج، يقول العرب: صمدت فلاناً أصمده وأصمده صمداً بسكون الميم إذا قصدته، والمصمود صمد كالقبض والنفذ، ويقال: بيت مصمود ومصمد إذا قصده الناس في حوائجهم قال طرفة:

وأن يلتقي الحي جميع تلاقني الى ذروة البيت الرفيع المصمد^(٤)

(١) الصحاح: ٥ / ١٨٥٧.

(٢) تاج العروس: ٧ / ٢٦١.

(٣) سورة التوبة: ٣٠.

(٤) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٨٣.

وأنشد الأئمة في الصمد:

ألا بكر الناعي بخيري بني أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد^(١)
وقال قتادة: الصمد: الباقي بعد خلقه، عاصم ومعمّر: هو الدائم، علي بن موسى الرضا: هو الذي أيسر العقول عن الإطلاع على كفيته، محمد بن علي الترمذي: هو الأزلي بلا عدد، والباقي بلا أمد، والقائم بلا عمد، الحسين بن الفضل: هو الأزلي بلا ابتداء، وقيل: هو الذي جلّ عن شبه المصورين وقيل: هو بمعنى نفي التجزؤ والتأليف عن ذاته، ميسرة: المصمت، ابن مسعود: الذي ليست له أحشاء، أبو إسحاق الكوفي عن عكرمة: الصمد الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي عليه السلام.

السدي: هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، يمان: الذي لا ينام، كعب الأحبار: الذي لا يكافئه من خلقه أحد. ابن كيسان: الذي لا يوصف بصفته أحد، مقاتل ابن حيان: الذي لا عيب فيه، ربيع: الذي لا تعتريه الآفات، سعيد بن جبير أيضاً: الكامل في جميع صفاته وأفعاله، الصادق: وهو الغالب الذي لا يغلب، أبو هريرة: المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد، مروة الهمداني: الذي لا يبلى ولا يغنى، الحسين بن الفضل أيضاً: هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقّب لحكمه ولا راد لقضائه.

محمد بن علي: الصمد: الذي لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأفكار ولا تبلغه الأقطار وكل شي عنده بمقدار.

ابن عطاء: الصمد: الذي لم يتبين عليه أثر فيما أظهر، جعفر: الذي لم يعط لخلقه من معرفته إلا الاسم والصفة، جنيد: الذي لم يجعل لأعدائه سيلاً إلى معرفته، وقيل: هو الذي لا يدرك حقيقة نعوته وصفاته فلا يتسع له اللسان ولا يشير إليه البيان، ابن عطاء: هو المتعالي عن الكون والفساد، وقال الواسطي: الذي لا يسحر ولا يستغرق ولا تعترض عليه القواطع والغلل.

وقال جعفر أيضاً: الصمد خمس حروف: فالألف دليل على أحديته، واللام دليل على الهيته وهما مدغمان لا يظهران على اللسان ويظهران في الكتابة، فدلّ على أحديته والهيته خفية لا يدرك بالحواس، وأنه لا يقاس بالناس فخفاءه في اللفظ دليل على أن العقول لا تدركه ولا تحيط به علماً، وأظهره في الكتابة دليل على أنه يظهر على قلوب العارفين، ويبدو لأعين المحبين في دار السلام، والصاد دليل على صدقه، فوعده صدق وقوله صدق وفعله صدق ودعا عباده إلى الصدق، والميم دليل على ملكه فهو الملك على الحقيقة، والدال علامة دوامه في أبدية وأزليته.

﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً﴾ أختلف القراء فيه، فقرأ حمزة ويعقوب ساكنة الفاء مهموزة ومثله روى العباس عن أبي عمرو وإسماعيل عن نافع، وقرأ شيبة مشبعة غير مهموزة ومثله روى حفص عن عاصم، وقرأ الآخرون مثقلاً مهموزاً وكلها لغات صحيحة فصيحة ومعناه المثل.

﴿أحد﴾ أي هو واحد، وقيل: على التقديم والتأخير مجازة: ﴿ولم يكن له أحد كفواً﴾. وقال عبد خير: سأل رجل علي بن أبي طالب عليه السلام عن تفسير هذه السورة قال: قل هو الله أحد بلا تأويل عدد، الله الصمد لا يتبعض بدد، لم يلد فيكون هالكاً، ولم يولد فيكون إلهاً مُشاركاً، ولم يكن له من خلقه كفواً أحد [٣١٦] (١).

وأخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي بقراءتي قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: وجدنا أنواع الشرك ثمانية: النقص والتقلب والكثرة والعدد وكونه علّة أو معلولاً، والأشكال والأضداد، نفى الله تعالى عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله: ﴿قل هو الله أحد﴾ ونفى التنقص والتقلب بقوله: ﴿الله الصمد﴾ ونفى العلل والمعلول بقوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ ونفى الأشكال والأضداد بقول: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ فحصلت الوجدانية البحت لذلك سميت سورة الإخلاص.

سورة الفلق والناس [المعوذتين]

مدنية، وهي أربع وسبعون حرفاً، وثلاث وعشرون كلمة، وخمس آيات

سورة الفلق

أخبرنا أبو عمرو الفراتي قال: أخبرنا أبو موسى قال: أخبرنا مكي بن عيدان قال: حدثنا سليمان بن داود قال: حدثنا أحمد بن نصر قال: حدثنا أبو معاذ عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن زيد العمي عن أبي نصره عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها» [٣١٧] (١).

وأخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد العدل قال: حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب قال: أخبرنا العباس بن الوليد بن مريد قال: أخبرني أبي قال: حدثنا الأوزاعي قال: حدثني يحيى بن أبي كثير قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذت» (٢) قلت: بلى، قال: «قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس» [٣١٨] (٣).

وأخبرنا الحباري قال: حدثنا ابن عدي قال: حدثنا إبراهيم بن رحيم قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا هشام بن الغانم عن يزيد بن يزيد بن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عقبة ألا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن أو من أفضل القرآن» قلت: بلى يا رسول الله، فعلمني المعوذتين ثم قرأهما في صلاة الغداة، وقال: لي «إقرأهما كلما قمت ونمت» [٣١٩] (٤).

وأخبرنا أبو العباس أحمد بن عمرو العصفري قال: حدثنا عمر بن عبد المجيد قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي غريب عن كثير بن مرة عن عبد العزيز بن مروان قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٩١.

(٢) في المصدر: ما تعوذ به المتعذون.

(٣) السنن الكبرى: ٤ / ٤٤٠.

(٤) المعجم الكبير: ١٧ / ٣٣٦.

عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَقْرَبَ عِنْدَهُ^(١) مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَإِنْ أُسْتَطِيعَتْ أَنْ لَا تَدْعِيهَا فِي صَلَاةٍ فَأَفْعَلْ» [٣٢٠] (٢).

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب المزكي قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي قال: حَدَّثَنَا معاذ بن نجدة بن العريان قال: حَدَّثَنَا خلاد - يعني ابن يحيى - قال: حَدَّثَنَا سفيان عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُنزِلَ عَلَيَّ اللَّهُ سورتان لم أسمع لمثلهن ولم أرى مثلهن: المعوذتين» [٣٢١] (٣).

القصة: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما - دخل حديث بعضهما في بعض: كان غلام اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدَبَّتْ إِلَيْهِ اليهود فلم يزلوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه فاعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له ليبد بن أعصم ثم دَسَّهَا فِي بَثْرِ لَبْنِي زَرِيقٍ يُقَالُ لَهُ ذِرْوَانٌ، فمرض رسول الله ﷺ وأنتثر شعر رأسه، ولَبِثَ سِتُّ أَشْهُرٍ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه، فينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهم عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبَّ قال: وما طُبُّ؟ قال: سُحِرَ، قال: ومن سحره؟ قال: ليبد ابن أعصم اليهودي، قال: وبم طَبَّهُ؟ قال: بمشط ومشاطة قال: وأين هو؟ قال في [جَفِّ] (٤) طلعة ذكر[تحت راعوفة في بثر ذروان] (٥).

والجَفِّ: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر نائى يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله سبحانه أخبرني بدائي» [٣٢٢] (٦) ثم بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحنّاء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه إثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر فأنزل الله سبحانه هاتين السورتين فجعل كلما يقرأ آية أنحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خَفَّةً حِينَ أَنْحَلَتِ الْعُقْدَةُ الْأَخِيرَةَ فقام كأنما أنشط من عقال، وجعل جبرائيل (عليه السلام) يقول: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك، قال: فقالوا: يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث فنقلته، فقال ﷺ: «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً» [٣٢٣] (٧).

(١) في المصدر: ولا أبلغ.

(٢) المعجم الكبير: ١٧ / ٣٥٠، وفيه: آيات بدل: سورتان.

(٣) الجَفِّ: غشاء على الطلع للأنتى وللذكر.

(٤) في تفسير القرطبي: أوران.

(٥) زاد المسير: ٨ / ٣٣٢، تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢٥٣.

(٦) بطوله في تفسير ابن كثير عن الثعلبي: ٤ / ٦١٥، وصحيح مسلم: ٧ / ١٣.

قالت عائشة: ما غضب رسول الله ﷺ غضباً ينتقم من أحد لنفسه قط إلا أن يكون شيئاً هو لله سبحانه، فيغضب لله سبحانه وتعالى وينتقم.

التفسير:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ قال ابن عباس: هو سجن في جهنم، وحدّثنا يعقوب عن هشيم قال: أخبرنا العوام عن عبد الجبار الجولاني قال: قدم رجل من أصحاب النبي عليه السلام الشام فنظر الى دور أهل الذمة وما فيها من العيش والنضارة، وما وسع عليهم في دنياهم فقال: لا أبالي، أليس من ورائهم الفلق؟ قال: قيل: وما الفلق؟ قال: بيت إذا افتتح صاح جميع أهل النار من شدة حرّه^(١).

وقال أبو عبد الرحمن الحبلي: الفلق هي جهنم، وقال جابر بن عبد الله والحسن وسعيد ابن جبير ومجاهد وقتادة والقرظي وابن زيد: الفلق: الصبح، وإليه ذهب ابن عباس، ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فالفلق الإصباح﴾.

الضحّاك والوالي عن ابن عباس: معنى الفلق: الخلق. وهب: هو باب في جهنم^(٢).

الكلبي: هو واد في جهنم، وقال عبد الله بن عمرو: شجرة في النار، وقيل: الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه أي تتشقق^(٣)، وقيل: هو الرحم تنفلق عن الحيوان، وقيل: الحب والنوى تنفلق عن التراب، دليله قوله سبحانه وتعالى: ﴿فالفلق الحب والنوى﴾ والأصل فيه الشق. وقال محمد بن علي الترمذي في هذه: كشف الله تعالى على قلوب خواص عباده فقذف النور فيها، فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء.

﴿من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب﴾.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا أبو برزة أو أحد بني شريك البزار قال: حدّثنا آدم بن أبي أياس قال: حدّثنا ابن أبي ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن عائشة قالت: أخذ رسول الله عليه السلام بيدي فأشار الى القمر فقال: «يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا؛ فإنّ هذا الغاسق إذا وقب» [٣٢٤]^(٤).

(٢) المصدر السابق: ٤٥٧/٣٠.

(١) تفسير الطبري: ٤٥٥/٣٠.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٥٤/٢٠.

(٤) تفسير الطبري: ٤٥٩/٣٠.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبه قال: حدّثنا عبد الرحمن بن خرزاد البصري بمكة قال: حدّثنا نصر بن علي قال: حدّثنا بكار بن عبد الله قال: حدّثنا ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن شرّ غاسق إذا وقب﴾ قال: النجم إذا طلع.

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والقرطبي والفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج^(١): الليل.

قال ابن زيد: يعني والثريا إذ سقطت، قال: وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها^(٢)، وأصل الغسق الظلمة والوقوف [....]^(٣) إذا دخل وقال: أمان سكن نظلامه^(٤).

وقيل: سُمي الليل غاسقاً لأنه أبرد من النهار، والغاسق: البارد، والغسق: البرد^(٥).
﴿ومن شرّ النفاثات في العقد﴾ يعني الساحرات اللاتي ينقشن في عقد الخيط حين يرقين عليها، والنفث: وشبه النفخ كما يعمل من يرقى. قال عنترة:

فإن يبرأ فلم أنفث عليه وإنَّ يفقد محقّ له العقود^(٦)

وقرأ عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن سابط: من شرّ النفاثات في وزن: فاعلات^(٧).

﴿من شرّ حاسد إذا حسد﴾ قال الحسين بن الفضل: إنَّ الله جمع الشرور في هذه الآية وختمها بالحسد ليعلم أنه أخصّ الطبائع.

(١) مستدرک عن زاد المسیر لابن الجوزي: ٣٣٤/٨.

(٢) زاد المسیر: ٣٣٤/٨.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) كذا في المخطوط.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٥٦/٢٠.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٥٧/٢٠.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٥٩/٢٠.

سورة الناس

مدنية، وهي سبعة وسبعون حرفاً، وعشرون كلمة، وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغَيْثِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس﴾ يعني الشيطان، ويكون مصدراً واسماً^(١).

بحمد الله تعالى ومنته تم كتاب «الكشف والبيان»

للمفسر المشهور الثعلبي

(١) وهذا آخر المخطوط، والحمد لله.

محتوى الجزء العاشر من كتاب تفسير الثعلبي

٥	سورة القلم
٢٥	سورة الحاقة
٣٤	سورة المعارج
٤٣	سورة نوح
٤٩	سورة الجن
٥٨	سورة المزمل
٦٧	سورة المدثر
٨١	سورة القيامة
٩٣	سورة الإنسان (الدهر)
١٠٨	سورة المرسلات
١١٣	سورة النبأ
١٢٢	سورة النازعات
١٣٠	سورة عبس
١٣٦	سورة التكويد
١٤٥	سورة الانفطار
١٤٩	سورة المطففين
١٥٨	سورة الإنشقاق
١٦٤	سورة البروج
١٧٧	سورة الطارق
١٨٢	سورة الأعلى
١٨٧	سورة الغاشية
١٩١	سورة الفجر
٢٠٦	سورة البلد
٢١٢	سورة الشمس
٢١٦	سورة الليل
٢٢٢	سورة الضحى

٢٣٢	سورة الشرح
٢٣٨	سورة التين
٢٤٢	سورة العلق
٢٤٧	سورة القدر
٢٥٩	سورة البيّنة (المنفّكين)
٢٦٣	سورة الزلزلة
٢٦٨	سورة العاديات
٢٧٤	سورة القارعة
٢٧٦	سورة التكاثر
٢٨٣	سورة العصر
٢٨٥	سورة الهمزة
٢٨٨	سورة الفيل
٢٩٩	سورة قريش
٣٠٤	سورة الماعون
٣٠٧	سورة الكوثر
٣١٤	سورة الكافرون
٣١٨	سورة النصر
٣٢٣	سورة تبت (المسد)
٣٣٠	سورة الإخلاص
٣٣٧	سورة الفلق والناس [المعوذتين]
٣٤١	سورة الناس

طُبِعَ عَلَى مِطَابَعِ

دار إحياء التراث العربي